



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عمار ثليجي الأغواط
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية والحضارة
قسم العلوم الإسلامية



الموضوع

التفسير البياني نشأته وتطوره

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث (ل م د) تخصص اللغة العربية والدراسات القرآنية

إعداد الطالبة:

برابح نسبية

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة الأصلية
ابن السايح محمد	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة الأغواط
شريقن حبيب مصطفى	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا	جامعة الأغواط
شطة مصطفى	أستاذ محاضر أ	ممتحنا	جامعة الأغواط
حفصي عباس	أستاذ محاضر أ	ممتحنا	جامعة الأغواط
حسيني مختار	أستاذ محاضر أ	ممتحنا	مركز البحث في العلوم الإسلامية الأغواط
ابن زيان عبد القادر	أستاذ محاضر أ	ممتحنا	جامعة الجلفة

السنة الجامعية: 2021/2020



إهداء

إلى أغلى هبة من الله تعالى، إلى الوالدين الكريمين
- بارك الله في عمرهما- فقد كانا أحرص مني على

إنجاز الرسالة.

إلى رفيق الدرب، الزوج الفاضل،
الأستاذ - عبد المجيد مرفوعة - سندنا وعمنا.

إلى قرّة عيني، صغيري - الحسين -

إلى كل أفراد عائلتي، وإلى كل أحبائي

إيكم جميعاً أهدي هذا العمل

نسبة بروج

كلمة شكر وتقدير

الحمد لله الذي أعانني ووفقني لإتمام هذه الدراسة، فهو الذي بيده العون ومنه التوفيق واللطف والسداد، وبعد:

من تمام الاعتراف بالفضل لأهله هو الشكر والتقدير، واستجابة لقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم- (من لم يشكر الناس لم يشكر الله) لا يفوتني في هذا المقام أن أتقدم بخالص الشكر وعظيم الامتنان إلى من كان لي عوناً وسبباً في إنجاز هذا البحث، وأخص منهم بالذكر فضيلة الأستاذ الدكتور -مصطفى حبيب شريقن- الذي قبل الإشراف على هذه الرسالة وأمدني بنصحه وتوجيهاته القيمة، ولم يدخر جهداً في إسداء النصيحة وكذا توفير مراجع البحث.

كما أتقدم بخالص الشكر والعرفان لشيختي الفاضلة - ثناء قنديل- التي فتحت لي قلبها قبل دارها واستقبلتني في مصر بحفاوة شديدة، وساعدتني في زيارة دور النشر والمكتبات، ولم تتوان لحظة في الرد على أسئلتني عن أوجه قراءة الكلمات القرآنية، -فجزاها الله عني خير الجزاء-.

كما أشكر كل من ساعدني في إنجاز الأطروحة، بكتاب نفعني أو عتاب زاد هممتي أو نصيحة نورتنني، أو معلومة أفادتني، وأخص بالذكر منهم: الدكتور -زيغمي نعيمي- على ما أبداه من توجيهات وملاحظات قيمة، والدكتور - البخاري السباعي- الذي كان يشجعني دائماً على المضي قدماً، وكذلك صديق الوالد الأستاذ -جعمات سليمان- الذي أغرقتني بكتب الأدب العربي، فكلما طرق بابنا علمت أنه أتاني بالدرر، وكذلك أستاذتي الدكتورة -بولشفار سعاد- التي اصطحبتني لمكتبتها وحكمتني في اختيار ما أشاء منها، والدكتور - بوداود حسيني- الذي أهداني كتباً تخدم بحثي، كما أتقدم بالشكر لعمال مكتبة (البشير الابراهيمي) خاصة المدير الذي سمح لي بالاعتكاف فيها نهاراً طيلة العطلة الصيفية، - فبارك الله في كل من ساعدني وجزاهم الله خيراً-.

كما لا يفوتني أن أتوجه بأسمى عبارات التقدير وجميل العرفان إلى السادة أعضاء لجنة المناقشة، الذين قبلوا مراجعة هذه الرسالة وإبداء ملاحظاتهم القيمة عليها، فشكر الله لهم ونفع بهم.

و صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي أنزل القرآن هاديا وشافيا، فشفقت براهينه وآياته أعينا عميا فأبصرت، وقرعت حججه وبيناته آذانا صُما فسمعت ووعت، وأضاءت أنواره قلوبا غُلُفا فأشرقت واهتدت.

نحمده أن أنزله بلسان عربي مبين، كامل الحجة والبيان، منزه عن الزيادة والنقصان ينال المتأمل حاجته منه في كل وقت وآن، صالح ومصلح لكل زمان ومكان، والصلاة والسلام على من أوتي جوامع الكلم ﷺ، وحوى فضائل الحكم، القائل (إن من البيان لسحرا)¹ فكان أحسن الناس منطلقا وحديثا من غير تشدق ولا تعنت، ولا تقعر ولا تزمت، وعلى آله مصابيح الدجى، وأصحابه أنوار الهدى، وعلى من سار على نهجهم، وتنسم خطاهم إلى يوم الدين وبعد:

لا ريب أن تفسير القرآن العظيم، علم له منزلة عظمى وأهمية كبرى، فهو من أشرف العلوم وأسمائها، حيث أن موضوعه كلام الله المعجز، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وكان

رسول الله ﷺ المفسر الأول للقرآن، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل: 44).

ونزول القرآن الكريم بلسان عربي مبين، اقتضى ألا تدرك حقيقته ولا تسبر أغواره إلا من خلال لغته البديعة وطرائقه الباهرة في الأداء البياني. ومنذ القدم اهتم علماء اللغة العربية بجماليات النص القرآني، وتتبعوا أسرار بلاغته وكشفوا عما يتميز به أسلوبه من نظم بديع وخصائص بيانية مميزة، وظلت قضية الإعجاز القرآني تقوم في جوهرها على تمثل المناحي الجمالية في ذلك النص المعجز. وازدادت التفاسير وتنوعت يوما بعد يوم، حتى ظهر في العصر الحديث (التفسير البياني) الذي اعتنى بإبراز جمالية النص القرآني وكشف عن مكنونه وجواهره.

ومحاولة للتعرف على هذا الاتجاه التفسيري، اخترنا أن تكون الدراسة بعنوان (التفسير البياني نشأته وتطوره) إذ ارتبط هذا المنهج بالدكتورة عائشة عبد الرحمن -بنت الشاطئ- لأنها أول من أطلق المصطلح على هذا الاتجاه التفسيري، ومن خلالها نتهدي للمرشد الذي سطر معالم هذا المنهج في العصر الحديث وهو الشيخ أمين الخولي.

ثم إن أول ما يتبادر إلى الأذهان عند إطلاق هذا المصطلح هو علم البيان الذي هو قسم من أقسام البلاغة العربية، وعليه فإنَّ الضرورة العلمية تقتضي تحديد مفهوم المصطلح بدقة وتمييزه عن المصطلحات المتشابهة معه، وتصحيح المفهوم الشائع حوله، كما أنَّ الوقوف على نشأة هذا الاتجاه

¹ - سيأتي تحريجه في ثنايا البحث.

التفسيري وإبراز دور علمائنا الأجلاء في بناء صرحه هو أمر هام يحتاج لدراسة خاصة تربط بين موروثنا الغني وبين تأصيل المنهج حديثاً.

ومن هذا المنطلق ستكون حدود دراستنا حول جهود علمائنا الأفاضل ودورهم في نشأة هذا المنهج، وجهود - بنت الشاطئ - وزوجها أمين الخولي في تأصيل المنهج وتسطير خطواته وتطبيق معالمه.

1- أهمية البحث:

تكمن أهمية هذه الدراسة في الوقوف على مكانم إعجاز هذا الكتاب العظيم؛ الذي أعجز بيانه الثقلين، والدراسات البيانية للقرآن الكريم تعين على اكتشاف الوجه الذي اتفق العلماء على أنه أعظم وجوه الإعجاز القرآني؛ ألا وهو الإعجاز البياني للقرآن الكريم.

2- أسباب اختيار الموضوع:

لقد دفعني لكتابة موضوع (التفسير البياني نشأته وتطوره) أسباب عدّة، منها ما هو موضوعي ومنها ما هو ذاتي، سأفصلها على النحو الآتي:

أ- الأسباب الموضوعية:

- اتصال هذا الموضوع بكتاب الله عزّ وجل، وكل ما يتصل به من معارف وعلوم شرفها من شرفه.
- المساهمة في الكشف عن المناهج والدراسات الحديثة؛ التي تعين على فهم كلام الله وإبراز أهم محاور إعجاز القرآن الكريم، ألا وهو إعجازه البياني.
- الوقوف على نشأة هذا الاتجاه التفسيري، والاطلاع على رواده وأعلامه؛ لإحياء ذكرى أسلافنا السابقين، من خلال التعرف على مصنفاتهم وإبراز جهودهم القيمة في هذا المجال.
- الاجتهاد في ضبط مفهوم دقيق لمصطلح التفسير البياني، وفهم المقصد الحقيقي من إطلاقه، فهو منهج ذو أبعاد نظرية يمثلها التفسير الأدبي لمؤسسه أمين الخولي، وأبعاد تطبيقية تمثلها بنت الشاطئ بعنوان التفسير البياني.

ب- الأسباب الذاتية:

كان لأستاذي المشرف الفضل في تناولي هذه الدراسة، وقد وقف معي مشجعا ومرشدا أمدني في كل مرحلة تعليمي الجامعي بتوجيهاته القيمة - فجزاه الله عني خير الجزاء-.

وقد وجدت في نفسي ميلا قلبيا وحبا جارفا للتفسير البياني، وولعت بأسلوب - بنت الشاطي- منذ المرحلة التعليمية الأولى في الجامعة، حيث قدّمت بحثا في التفسير البياني لسورة البلد، وحينما ألقيته أثنى عليه أستاذي الفاضل البخاري السباعي -حفظه الله- وشجعني بكلماته الطيبة التي شوقتني للمضي قدما، وعرضت تأملاتي حولها على أستاذي المشرف فانبلجت أساري ووجهه بالفرح، ودعا لي بالتوفيق والفتح الرباني في هذا المجال.

وفي مرحلة الماجستير قدّمت بحثا عن المنهج البياني في تفسير الشيخ الشعراوي -رحمه الله- وتطرق في مفهوم التفسير البياني وتابعت أفكار الدارسين في كون (البيان) جزءاً من علم البلاغة، ومع قصر زمن المرحلة لم أستطع فهم حقيقة المصطلح عند صاحبه - عائشة عبد الرحمن بنت الشاطي-، وظلت هواجس هذا الاتجاه التفسيري تحوم في رأسي، إذ لم أطمئن لرأي الباحثين، ولم أستطع قبول تسليمي وانقيادي لتلك الأفكار، وبقي تساؤل هام يؤرقني لا أجد ما يشفي غليلي فيه وهو: كيف تقصد بالبيان الجانب الفني للآيات القرآنية، وهي لا تقف عند مصطلحات البلاغة؟ وكثيرا ما أجدها تتعرض للجانب اللغوي والنحوي للسور، مقتصرة عليهما في جل التفسير.

هذا هو الباعث الحقيقي، وتلك الأسباب مجتمعة هي التي دفعتني للكتابة في هذا الموضوع.

3- أهداف البحث:

تهدف الدراسة إلى ضبط وتحديد معنى التفسير البياني، وتمييز المصطلح من التداخل الحاصل بينه وبين أنواع التفاسير المشابهة له؛ كالتفسير اللغوي والأدبي والبلاغي.

كما تهدف من خلاله إلى الوقوف عند نشأة هذا الاتجاه التفسيري، وتتبع مساره التاريخي، وكيفية تطوره، وإبراز خصائصه، والاطلاع على رواده وأعلامه قديما وحديثا؛ ممن ساهموا في بلورته وتأصيله كمنهج قائم بذاته.

والغاية من الدراسة عموما؛ تقريب المفاهيم وضبط المصطلحات لطلبة العلم، ولكل من له صلة بعلم البلاغة العربية والتفسير القرآني، والمساهمة ولو بوضع لبنة في صرح البناء الأدبي الشامخ.

تتلخّص إشكالية البحث العامة للدراسة في الأسئلة الرئيسية الآتية: ما المقصود بالتفسير البياني وكيف نشأ وتطوّر؟ ومتى تبلور وتأصّل؟ وما هي خصائصه وخطوات السير عليه؟

ويتفرع عن تلك الإشكالية الرئيسية تساؤلات هامة تشكّل الملمحية العامة وكذا الرؤية الخاصة لموضوع الدراسة، وهي كالتالي: ما هو الفرق بين التفسير البياني ومختلف التفسيرات المشابهة له، كالتفسير الأدبي واللغوي والبلاغي؟ لماذا عدلت عائشة عبد الرحمن - بنت الشاطي - عن إطلاق المسمى الأصلي للمنهج؟ أكان لها مبررات ومسوغات ومقاصد، أم أطلقتها جزافاً فقط؟ هل تابعت القدامى في إطلاقه، أم استأثرت بمعنى استثنائي في اختصاصه؟ هل أرادت - بنت الشاطي - استقلالية للمصطلح؟ أم كانت هي أيضاً تائهة في توظيفه؟ وما هي الإجراءات والوسائل التي اعتمدها في تحقيقه؟ وهل وفقت في تطبيقه بعد تنظيره؟ وأخيراً: من هم رواده وأعلامه من القدماء والمحدثين؟

5- الدراسات السابقة:

لقد أفادتني كثيراً مطالعة الكتب التي ألفت في هذا الموضوع وعلى رأسها:

كتاب (خطوات التفسير البياني) لصاحبه الدكتور: رجب البيومي، وهو كتاب مهم تميّز بلغته الأدبية الراقية، وقد اعتنى فيه صاحبه بتتبع نشأة هذا اللون من التفسير، ووقف عند أهم محطاته تاريخياً، ابتداءً بعصر النبوة والصحابة ووصولاً إلى مدرسة الشيخ محمد عبده، علماً أنّه قصد علم البيان بمفهومه الخاص المقتصر على أغراض محدّدة.

- وعلى شاكلته ألفت الدكتور خالد محمد العزاوي كتابه (المنهج البياني في تفسير القرآن في العصر الحديث) وتابعه في آرائه مضيفاً إليه منهج المدرسة الأدبية الحديثة، حيث عرض لجهود الأستاذ أمين الخولي وعائشة عبد الرحمن في هذا المجال.

- كتاب (المنهج البياني في تفسير القرآن الكريم) لصاحبه الأستاذ: كامل سعفان، وهي دراسة جيدة اختصت بإبراز جهود المدرسة الحديثة في التفسير، ابتداءً بالشيخ محمد عبده وآخرون، معرجاً لمساهمات الخولي وتلامذته من مدرسة الأمناء في هذا المجال.

-وفي مكتبة الإسكندرية بمصر وجدت كتابا بعنوان (اتجاهات التفسير الأدبي للقرآن الكريم في مصر المعاصرة) للباحثة: رانيا محمد عزيز نظمي، ط1: 2002م، وهي دراسة هامة تلخص فيها الكاتبة ملامح التفسير الأدبي، واختارت من القدامى: ابن عباس وأبا عبيدة، ثم انتقلت للحديث عن التفسير الأدبي في العصر الحديث، حيث أجملت فكرته وأظهرت سماته من خلال تطبيقات أمين الخولي.

ولنفس الباحثة مؤلف آخر بعنوان (التفسير واتجاهاته) ط1: 2001م، عرّجت فيه للتفسير البياني، وتعرّضت لمنهج التفسير الأدبي عند بنت الشاطي، ملخصة أهم سمات منهجها التفسيري من خلال دراسة مؤلفها (الإعجاز البياني للقرآن الكريم ومسائل ابن الأزرق).

-وبالنسبة للدراسات الأكاديمية المحلية في هذا الموضوع فهناك دراستان، الدراسة الأولى كانت بعنوان: (المنهج البياني في تفسير القرآن الكريم - بنت الشاطي نموذجاً-)، من إعداد الباحث: باب العياط نور الدين، وهي مذكرة لنيل شهادة الماجستير في القرآن والدراسات الأدبية، تحت إشراف الدكتور: الجيلالي سلطاني، جامعة وهران، السنة الجامعية: 2006/2007م.

وهي دراسة أصيلة امتازت بلغتها الأدبية الرائعة، وقد ارتأى الباحث الوقوف على أهم محطات نشأة المنهج البياني؛ عند أعلامه البارزين، محاولاً استخلاص مفهوم مصطلح (التفسير البياني) عند بنت الشاطي، مكتفياً في ذلك بكتابها (القرآن وقضايا الإنسان)، فقد ألمحت فيه باختصاص هذا الإنسان بالبيان.

-أما الدراسة الثانية فهي بعنوان: (بنت الشاطي وجهودها في التفسير البياني)، من إعداد الباحث: رحيم الأمين الإندونيسي، وهي مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير، تحت إشراف الأستاذ الدكتور: رابح دوب، السنة الجامعية: 1427هـ/2006م، جامعة قسنطينة- الجزائر.

والباحث اعتنى في دراسته باستخراج أغراض البيان؛ من تشبيه واستعارة في تفسير -بنت الشاطي-، وهذا المعنى هو ما يتبادر للباحثين عموماً من إطلاق مصطلح (البيان)، ويشفع للباحث أعجميته فهي بشكل عام دراسة جيدة.

إنّه على الرغم مما كتب في موضوع (التفسير البياني) في العصر الحديث، إلا أنني لم أقف على دراسة اجتهدت في ضبط مفهومه كما جاء في دراستي -ولا فخر- وتكاد تكون جل الدراسات

السابقة نسخة واحدة بأساليب متباينة، وأغلب ما جاء من دراسات فمن مشكاة (خطوات التفسير البياني) يقتبس.

لذلك أرجيت كل ما حصّلته من دراسات، ورّكزت على مؤلفات الخولي و بنت الشاطي، لأبني رأيا مستقلا من خلال الدراسة العميقة للمنهج دون التأثير برأي من سبق، حيث تتبعت جذور التفسير البياني وصحبته من الطفولة إلى الكهولة، وارتأيت الوقوف عند من كان له صلة وثيقة في تحديد معالم هذا المنهج وتجليه ملامحه، وضبطت مصطلح (التفسير البياني) وكشفت عن مقصدية - بنت الشاطي- من إطلاقه، وأوضحت أهم ما يميزه عن غيره من التفاسير اللغوية المشابهة له، واجتهدت في ضبط مفاهيمها.

وكانت عمدي بالموازاة مع ذلك كتبا في علوم القرآن والتفسير، وكتبا في اللغة والبلاغة العربية، وكتبا أخرى متنوعة هي روافد مغذية للبحث، وقد استفدت منها جميعا، وضمّنت هذا البحث نقولا منها، وأشرت إلى ذلك في مظانه.

6- منهج البحث:

لقد اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي خاصة عند إحصاء مفردة (البيان) ومشتقاتها من القرآن الكريم، واستقراء الآيات المرادة بالتفسير في الفصل التطبيقي، بالإضافة إلى المنهج التاريخي الذي استخدمته في تتبع ملامح التفسير البياني عبر مراحل الزمنية، كما اعتمدت في أحيان كثيرة على المنهج التحليلي وذلك في عرض القضايا ومناقشتها، وفي بيان معاني الآيات القرآنية وتفسيرها.

7- الخطوات المنهجية في إعداد البحث:

لقد اعتمدت في عرض المادة العلمية على طرح التساؤلات، لطرق أبواب العقل وجذب انتباه القارئ الكريم في تتبع القضايا بأسلوب التشويق.

وحاولت قدر الإمكان تنظيم الأفكار وفق التسلسل المنطقي لها، إذ بدأت بالقضايا العامة ثم انتقلت للخاصة منها، ووثقت الأقوال من مصادرها مع تحليل القضايا ومناقشتها وإبداء الرأي الشخصي فيها.

وقسمت خطة البحث بتناسق بين مباحث ومطالب كل باب شكلاً، ودليل ذلك في فهرس المضامين حيث يظهر اتساق نسبي بين أعداد الصفحات وعناوينها الموجودة فيها، غير أنّ المادة العلمية تحكمت في تقرير الاختلاف بينها مضموناً، وفي تقسيم الفروع اكتفيت بإبرازها في المطالب التي تحتاج في عرض مادتها العلمية إلى هذا التفرع، بينما لا نراها مناسبة في غيره، خاصة المطالب التي تتعلق بالسرد التاريخي أو مادتها العلمية لا تعين على ذلك. وكان لي فسحة واسعة في الهامش، فتصرفت فيه بأريحية وحاولت إثراءه بمعلومات وفوائد تتعلق بموضوعنا لم تذكر في صلب الرسالة.

واتبعت في كتابة البحث المنهجية التالية:

أ- فيما يتعلق بالآيات القرآنية: اتبعت فيها الطريقة التالية:

- أعزو الآيات القرآنية إلى موضعها من المصحف في صلب الرسالة، مشيرة إلى اسم السورة ورقم الآية.
- اعتمدت في كتابة الآيات القرآنية على رواية ورش عن نافع، مستعينة بالمصحف الإلكتروني المطابق لمصحف المدينة المنورة.

ب- فيما يتعلق بالأحاديث النبوية: اتبعت فيه الطريقة التالية:

- أخرج الأحاديث الواردة في البحث، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما أكتفي بتخرجه، وإن لم يكن فيهما أعزوه إلى أصحاب السنن، وإلا إلى رواته من غيرهم مع بيان درجة الحديث إن اقتضت الحاجة لذلك.
- أخرج الحديث من مصدره الأصلي مع ذكر اسم الكتاب والباب، مشيرة إلى الجزء ورقم الحديث والصفحة.

ج- ما يتعلق بالإحالات والهوامش: اتبعت في ذلك الطريقة التالية:

- أذكر الاسم الكامل للمؤلف عند أول ذكر له، ثم أكتفي باسم الشهرة إن ذكرته مرة أخرى، ثم أذكر العنوان الكامل للكتاب عند ذكره أول مرة، ثم اسم المحقق إن وجد، ثم تاريخ الطبع ودار الطبع ومكانها، ثم الجزء والصفحة، وإذا كرّر المصدر أو المرجع في نفس الصفحة اكتفيت بعبارة (المصدر نفسه أو المرجع نفسه) مع ذكر الجزء والصفحة.
- إذا لم يذكر في الكتاب تاريخ الطبعة أو مكانها أرمز لذلك برمزين (د ت ط) (د م ط).
- أشير إلى المصادر والمراجع التي ضمنت نقولاً منها في الهامش، وإذا استفدت من أفكارها وأعدت صياغتها بأسلوبي أو تصرفت فيها اختصاراً أو تغييراً، أشير إليها بلفظ (ينظر) أو (بتصرف).

د- فيما يتعلق بالفهارس:

- وضعت فهرساً للآيات القرآنية والأحاديث النبوية والآيات الشعرية والأعلام المترجم لهم، وفهرساً للمصادر والمراجع وأخيراً فهرس الموضوعات.
- ترجمت للأعلام المذكورين في متن الرسالة عند أول ذكر لهم، ولم أترجم للأعلام الذين ورد ذكرهم في الهامش، واعتمدت على المصادر الخاصة بالتراجم، وعندما يتعذر علي ذلك أستعين بالموقع الإلكتروني الرسمي الخاص بالتراجم، وهو موقع (ويكيبيديا) وحصل هذا مع أعلام العصر الحديث.
- لم أضع في الفهارس كل ما ورد فيه من أحاديث نبوية أو بيانات للمصادر والمراجع التي ذكرتها فيه عرضاً على سبيل التوضيح والتمثيل، ما عدا مصادر البحث التي تعيننا أو مصادر ترجمة الأعلام.
- اخترت أن يكون فهرس الآيات القرآنية مرتباً حسب ترتيب السور في المصحف، أما الأحاديث النبوية فمرتبة بحسب ورودها في الرسالة، وبالنسبة لفهرس الآيات الشعرية وفهرس الأعلام وفهرس المصادر والمراجع فمرتبة بحسب حروف المعجم؛ وترتيبهم بحسب الأسماء لا الشهرة.
- ذيلت البحث بجدول الرموز وهو عبارة عن بعض الاختصارات لجمل وكلمات تكررت في الرسالة وشاع اختصارها بحروف في عرف الباحثين.

لقد وجدت صعوبة في دراسة الموضوع بهذه الخطة المنهجية في بحثي، إذ لاحظت أنّ ما كتب قبلي عن نشأة هذا الاتجاه التفسيري كان مختلطا بنشأة علم البلاغة عموما، وبالتالي ذكر كل المصنفات التي تعلق بهذا الجانب أمر لا يستقيم، مما جعلني أختار طريقة عكسية إذ درست خصائص المنهج المؤصل، ومن خلاله اهتديت إلى مراحل نشأته، ووقفت عند الأعلام الذين تأثر بهم أمين الخولي بصورة واضحة وبيّنة، كما أنّ المصادر الخاصة بالموضوع لا تتوفر إلا خارج الوطن، وهناك كتب مهمة لا يتكرر طبعها في العصر الراهن، وكلفني هذا وقتا طويلا للحصول عليها.

ثم إنّّه توجب علي دراسة المنهج بصورته النظرية عند مؤسسه أمين الخولي، وبصورته التطبيقية عند صاحبه عائشة عبد الرحمن، مما جعلني أقف على مؤلفاتهما معا، لأناقش موقف الأستاذ المنظر، وموقف الزوجة المخلصة والتلميذة المطبقة للمنهج، فكان الجهد مضاعفا إذ كل واحد فيهما اختار له مصطلحا خاصا.

وإن كان مثل هذا يشق على الرجل الباحث، فكيف بالمرأة الراعية لشؤون البيت والأسرة؛ المقاومة للتيار الذي يجرفها نحو الذوبان في الحياة الاجتماعية بكل روابطها وأشكالها، - ولا مناص لها من إغائه-؛ المتحملة لأعباء البحث مع مشقة الحمل والولادة والرضاعة، فدأبها الكفاح والمجاهدة باستمرار لسرقة بعض الوقت من الضحى أو الدجى، وسرعان ما تستجيب لنداء الأمومة كل حين، فتقطع اعتكافها لتعيش واقعها وتستسلم لدورها بكل رضا ومحبة.

9- خطة البحث الإجمالية:

جاءت الدراسة في بابين رئيسيين ومقدمة وخاتمة وفهارس للآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأعلام والآيات الشعرية، ومصادر البحث ومراجعته، وفهرس للمضامين على النحو الآتي:

مقدمة: عرضت فيها بيان أهمية الموضوع وأهداف البحث والدراسات السابقة فيه، والمنهجية المتبعة والصعوبات المعترضة.

أما الباب الأول فقد كان بعنوان: **بؤادر التفسير البياني** تضمن فصلين: الفصل الأول منه تعرضنا فيه لمقدمات حول علم التفسير واحتوى على ثلاثة مباحث.

الأول: تطرقت فيه لمفهوم التفسير والتأويل لغة واصطلاحاً متبعة فيه الترتيب الزمني للتعريفات الاصطلاحية، لندرك مدى نضج المفاهيم وتطورها، مستخلصة في النهاية أهم الفروق بينهما اعتماداً على أقوال العلماء الأفاضل.

الثاني: تطرقت فيه لنشأة علم التفسير وبيان أقسامه وأنواعه معرجة فيه لضوابط التفسير وآداب المفسّر.

الثالث: وقفت فيه على المصطلحات الحديثة في علم التفسير؛ كالمنهج والاتجاه والأسلوب وغيرها، مفرّقة بينها بمثال حي لتجنب الخلط، ومراعاة للدقة التي يقتضيها البحث العلمي في هذا المجال.

كما أنني صنّفت الاتجاهات العامة للتفسير بحسب اعتبارات محدّدة، ملخصة ذلك في مخطط شكلي ليكون تمهيداً لفهم موضوع البحث بجلاء ووضوح.

أما الفصل الثاني من هذا الباب فقد كان عبارة عن تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية، وقسمته إلى أربعة مباحث:

الأول: خصصته لمفهوم (البيان) في القرآن الكريم، حيث قمت باستقراء كلمة (البيان ومشتقاتها) من السور المكية والمدنية، ثم استخلاص المعاني الإجمالية لها، وأخيراً تقديم خلاصة استقراءنا وتأملاتنا حولها.

الثاني: خصصته لضبط دلالة مصطلح (البيان) لغوياً، إلى جانب ذلك عرّجت لرواد وأعلام هذا الاختصاص، ممن تطرقوا لبيان مفهوم المصطلح.

أما المبحثان المواليان فقد خصصتهما لتتبع نشأة هذا اللون من التفسير، متبعة التقسيم الزمني، ابتداءً بعصر النبوة والصحابة وانتهاءً بالعصر الحديث؛ الذي برز فيه هذا المنهج كعلم قائم بذاته له أسسه وضوابطه.

وبخصوص الباب الثاني من الدراسة فقد كان مخصصاً للبحث عن (تأصيل التفسير البياني وتطوره في العصر الحديث)، ووقفت في الفصل الأول منه على ضبط مفهوم التفسير البياني وفهم دلالته عند صاحبه عائشة عبد الرحمن - بنت الشاطئ - من خلال تتبع مؤلفاتها في هذا المجال، لإدراك مدى

نضج الفكرة عندها ومدى صحة إطلاقه على هذا اللون التفسيري، وما إذا تقاطع مفهومها مع دلالة مفهومه عند السابقين، أم أنّها أرادت استقلالية للمصطلح والمنهج.

واستخلصت من خلال ذلك أهم ما يميز هذا التفسير عن بقية التفاسير المشابهة له كالتفسير اللغوي والبلاغي؛ وهي اتجاهات تفسيرية شاعت على ألسنة الباحثين حديثاً؛ دون قيود أو حدود.

كما عرّجت على أهم القضايا المتعلقة بهذا المنهج التفسيري، منها علاقته الوطيدة بعلم البلاغة، ومنها علاقته بالإعجاز البياني للمفردة القرآنية، وتناولت هذا الطرح من زوايا جديدة؛ كقضية الترادف اللغوي وعلاقته بإعجازية الأحرف التي نزل بها القرآن الكريم. وأشارت لقضية هامة تتعلق بالقراءات الحديثة للنص القرآني من منظور أدبي، ومدى صحة إطلاق مصطلح (أدبية النص القرآني).

أما الفصل الأخير من هذه الدراسة فقد عرضت فيه لنماذج تطبيقية من التفسير البياني لبعض الآيات القرآنية، وقسمته وفق الخطة المنهجية التي تميز بها هذا الاتجاه التفسيري، ومزجت فيه بين نماذج تطبيقية أصلية لأرباب هذا المجال، وبين تأملاتي الخاصة فيها.

فكان المبحث الأول يخص دراسة المفردات من ناحية معناها اللغوي؛ ومن ناحية معناها الاستعمالي في القرآن الكريم، أما المبحث الثاني فقد خصصته لدراسة المركبات وتناولت فيه أثر التوجيه النحوي والبلاغي في كشف اللمسات البيانية، ودور اللمحات النفسية في إثراء المعاني القرآنية.

أما الخاتمة فقد جاءت لبيان أهم النتائج التي توصل إليها البحث، مع مجموعة توصيات نخب بالباحثين الراغبين في خدمة العلم أخذها بعين الاعتبار.

وأخيرا أعتزف بأنني لم أصل إلى الكمال، لكن حسبي أنني أنشده، ولا أدعي تفردا وسبقا ولا بدعا من العمل، لكن أردت بإخلاص شديد إضافة جديد إلى المعرفة الإنسانية، ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أردّد قول عماد الدين الأصفهاني-رحمه الله- فقد استحسنه بعده المؤلفون، وأثبتته الواقع واعترفت به النفس: "إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا في يومه إلا قال في غده لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر".

هذا ملخص بحثي أمل أن أكون قد بلغت فيه القصد ورممت الهدف، واسأل الله عزّ وجل أن ينفع به كل من قرأه وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم.



الباب الأول

بوامع القفسير

البياني





الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

المبحث الأول: مفهوم التفسير والتأويل

المبحث الثاني: علم التفسير وضوابطه

المبحث الثالث: مذاهب التفسير واتجاهاته



الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

في هذا الباب تطرقت في الفصل الأول منه لمفهوم علم التفسير، ووقفت عند نشأته وأنواعه وأهم اتجاهاته؛ وأتبعته بالفصل الثاني فتحدثت فيه عن بوادر نشأة التفسير البياني، وتتبع ملامحه من خلال أربعة عشر قرناً.

الفصل الأول - مقدمات حول علم التفسير:

سنستفتح هذا الفصل بالوقوف عند مفهوم مصطلح التفسير وتدرجه الزمني ظهوراً وتأصيلاً، ثم نتبع تطور مفهوم مصطلح التأويل، ثم نبين الفرق بين المصطلحين، كما سنقف عند نشأة علم التفسير وما يتعلق به من معارف، وذلك من خلال المباحث الآتية:

المبحث الأول - مفهوم التفسير والتأويل:

يعدّ علم التفسير من أوائل العلوم الإسلامية ظهوراً، كما أنّه من أهم تلك العلوم وأشرفها، لأنّ العلم بمعاني كتاب الله هو أشرف مراتب العلم في الإسلام، هذا ويلتقي مصطلح التفسير مع التأويل في عدة أوجه، فكلاهما وسيلة لكشف معاني النصوص القرآنية وتبيينها، لذلك من المهم أن نتطرق لمفهومهما وتطور دلالتهما في البيئة الإسلامية.

المطلب الأول - التفسير في اللغة:

لا شك أن بيان معاني (الفسر) في اللغة، يمهد لفهم معاني التفسير في الاصطلاح، ويوضح مدى العلاقة بينهما، هذا ما يدفع إلى لزوم البحث في المعاني اللغوية، التي تتضمنها كلمة التفسير.

وابتداءً نقول: التفسير على وزن (تفعيل)، فعله الماضي رباعي مضعّف (فَسَّرَ)، "بتشديد السين الذي هو مضاعف فَسَّرَ بالتخفيف، ومصدره (الْفَسْرُ)"¹.

¹ - طاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م (ج1، ص 10).

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

قال ابن فارس¹: "الْفَسْرُ: كلمة تدل على بيان الشيء وإيضاحه، تقول: فَسَّرْتُ الشيءَ وَفَسَّرْتُهُ"².

جاء في لسان العرب: " (الْفَسْرُ) البيان، فَسَّرَ الشيءَ يَفْسِرُهُ بالكسر، ويفسره بالضم فسراً وفسره: أبانه، والفسر كشف المعطى، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل، واستفسرته كذا أي سألته أن يفسره لي"³.

ما نلاحظه على صاحب اللسان أنه فرّق بين الفسر والتفسير، فجعل الفسر خاصاً بالمعنى اللغوي والتفسير متعلقاً باللفظ المشكل.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ (الفرقان: 33).

قال مجاهد⁴ في تفسير هذه الآية (تفسيرا): "أي بيانا"⁵.

¹ - أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب القزويني الرازي، أبو الحسين من أئمة اللغة والأدب، مشارك في علوم شتى، ولد بقزوين وأقام بمهذان؛ إلى أن استدعي إلى الري لتعليم مجد الدولة البويهية فنسب إليها، قرأ عليه بديع الزمان الهمذاني والصاحب بن عباد وغيرهما، تابع الكوفيين في النحو واحتذى به الحريري في بعض مسائله اللغوية، وكان شافعيًا فتحول مالكيًا، من كتبه: جامع التأويل في تفسير القرآن، وغريب إعراب القرآن، توفي سنة 395هـ (ينظر: معجم المفسرين، ص54).

² - أحمد بن فارس: مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، ط: 1399هـ/1979م، دار الفكر (دم ط) (ج4 ص 504).

³ - ابن منظور: لسان العرب، دار الأبحاث، ط 1: 2008، بيروت - لبنان، (ج10، ص 294).

⁴ - هو أبو الحجاج المكي مولى بني مخزوم، تابعي، إمام في التفسير، ولد في مكة، وسمع عائشة وأبا هريرة وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وكان أقل أصحابه رواية عنه في التفسير، ولكنه أوثقهم، قال: قرأت القرآن على ابن عباس ثلاث مرات، أقف عند كل آية أسأله: فيما نزلت وكيف كانت؟ وهو أحد القائمين بالمذهب العقلي في تفسير القرآن، شهد العلماء النقاد بعلو مكانته في التفسير، فقال الثوري: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به، وقد نقل الطبري من هذا التفسير حوالي 700 مرة، في مواضع مختلفة عن طريق الرواية وعن طريق تفاسير أخرى، توفي سنة (104هـ)، وقيل توفي وهو ساجد (ينظر: معجم المفسرين ص 462-463).

⁵ - محمد بن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط1: 1422هـ/2001م، القاهرة - مصر، (ج 17، ص 448).

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

إذن فالتفسير كما قال الراغب الأصفهاني¹ هو: "إظهار المعنى المعقول، والتفسير في المبالغة كالفَسْر"².

وعليه فالراغب الأصفهاني يتفق مع ابن فارس، في أنّ معنى التفسير هو الإيضاح والإظهار.

وجاء في معجم (الكليات): "التفسير الاستبانة والكشف، والعبارة عن الشيء بلفظ أيسر وأسهل من لفظ الأصل"³.

وقال أهل البيان: "التفسير هو أن يكون في الكلام لبس وخفاء، فيؤتى بما يزيله ويفسره"⁴.

ومما سبق نستنتج أن تصريفات واشتقاقات كلمة (الفَسْر) توحى بمعان عدة، هي الكشف والوضوح والبيان والإظهار، وذلك بإزالة اللبس عن المعاني الغامضة، وتيسير الفهم وبيان المراد من الكلام.

وورد في المعجم الوسيط: "التفسير الشرح والبيان، وتفسير القرآن يقصد منه توضيح معاني القرآن، وما انطوت عليه آياته من عقائد وأسرار وحكم وأحكام"⁵.

¹ - الراغب الأصفهاني هو المفضل بن محمد الأصفهاني، أبو القاسم الراغب صاحب المصنفات له: مفردات القرآن، وأفانين البلاغة، كان في أواخر المائة الخامسة (ينظر: بغية الوعاة للسيوطي 2/297، وطبقات المفسرين للداودي 2/329).

² - الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، تح: محمد سيد كيلاني، مطبعة مصطفى البابي 1961، القاهرة- مصر، ص 636.

³ - أبو البقاء الكفوي: الكليات، أعدّه للنشر: عدنان درويش، محمد المصري، ط2: 1419هـ/ 1998م، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ص 260.

⁴ - عبد الفتاح الخالدي: تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، ط3: 1429هـ/2008م، دار القلم، دمشق- سوريا، ص 24.

⁵ - أحمد حسن الزيات وفريقه: المعجم الوسيط، طبعة مصورة عن مجمع اللغة العربية في القاهرة، ص 688.

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

المطلب الثاني - التفسير في الاصطلاح:

للخروج بتعريف شامل ومضبوط للتفسير نسجل جملة من التعريفات لعلماء معروفين عبر سلسلة زمنية متتالية.

عرّفه ابن جزري¹ (ت 741هـ) قال: "معنى التفسير: شرح القرآن، وبيان معناه والإفصاح بما يقتضيه بنصّه أو إشارته أو نجواه² " 3.

ما نلاحظه من هذا التعريف، أنّه انطلق من المعنى اللغوي، في وضع مفهوم اصطلاحى للتفسير، كما أنّه جعل عملية التفسير إنّما تكون عبر مراحل أو كفاءات، أولها بفهم ما يقتضيه ظاهر النص، أو بطريق الإشارة وفحوى العبارة، أو بما يوحي به باطن النص.

أما أبو حيان⁴ (ت 745هـ) فقد عرّفه بقوله: "التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمت لذلك"⁵.

1- هو محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن جزري الكلبي أبو قاسم، فقيه مالكي، عالم بالأصول والتفسير واللغة من أهل غرناطة ومن شيوخ لسان الدين ابن الخطيب، فُقد وهو يحرض الناس يوم معركة طريف، من كتبه: التسهيل لعلوم التنزيل في التفسير، (ينظر: معجم المفسرين ص 481).

2 - وردت في الكتاب هكذا، ولعل أصلها (فجواه) وقد حدث لها تصحيف في المخطوطة أو التباس الحرف على المحقق، وإن كان أصلها (نجواه) وهو احتمال وارد أيضا، لأنها مفردة يستخدمها الصوفيون، وقد جاءت كلمة (الصوفية) أيضا في تفسيره آنف الذكر، كما وله كتاب في الفقه يختص بالمسائل الفقهية، بعنوان (القوانين الفقهية) أورد فيه بابا للسلوك، وهذا يدل على الاتجاه الصوفي للإمام ابن جزري.

3- ابن جزري الكلبي: التسهيل لعلوم التنزيل، ضبطه وصححه: محمد سالم هاشم، ط1: 1415هـ/1995م، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (ج1، ص 9-10).

4- هو محمد بن يوسف بن حيان المنفذي الأندلسي، ولد سنة 654هـ ونشأ بغرناطة وقرأ بها القراءات وجال بلاد المغرب، قدم مصر قبل سنة 680هـ، اتفق أهل عصره على إمامته وتقديمه، من تصانيفه: البحر المحيط في التفسير، وإتحاف الأديب بما في القرآن من الغريب، وشرح التسهيل، توفي بالقاهرة سنة 745هـ، (ينظر: طبقات الشافعية للسبكي: 276/9).

5- أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ط1: 1413هـ/1993م، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان (ج 1، ص 121).

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

ثم عقب على قوله شارحا مقصده من عباراته قائلا: أنّ ما يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، هو علم القراءات، أما مدلولاتها فهي مدلولات تلك الألفاظ، أما أحكامها الإفرادية والتركيبية يقصد به علم التصريف والبيان والبديع، ثم إنّ معانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، يشمل ما دلّته بالحقيقة وما دلّته بالمجاز، فإن التركيب قد يقتضي بظاهره شيئا، ويصد عن الحمل عليه صاد فيحمل على غيره وهو المجاز¹.

ما نلاحظه على تعريف أبي حيان هو شموليته، حيث تظهر قيمته في اعتماده على كل ماله علاقة بالمفردة القرآنية، بدءًا بالمستوى الصوتي، ومرورا بكل المستويات اللغوية؛ التي تعين على فهم الآية، وبيان المراد منها، وعلى هذا الأساس يمكنني القول أنّ صاحب البحر اهتدى في وقت مبكر إلى تعريف شامل للتفسير اللغوي، فقد استطاع أن يوجز كل مستويات علم اللغة في فهم الألفاظ القرآنية، مع العلم أنّ ذكره للبيان هنا يقصد به - على حسب ما يوحي به السياق - البيان الذي هو قسم من أقسام البلاغة، ففي هذه الفترة الزمنية؛ تمايزت أغراضها وفصل علم البيان عن البديع.

غير أنّ أبا شهبه² في الإسرائيليات³ وصف تعريفه بأنّه غير جليّ ولا واضح، إذ لم يصرّح فيه بالغرضين الهامين اللذين نزل لهما القرآن، وهما كونه كتاب الهداية البيّنة والكتاب السماوي المعجز. وهذا ما جعل مساعد الطيار⁴ أيضا، يرى أنّ تعريفه خرج به عن حدّ التفسير، إذ ذكر فيه ما ليس

¹ - المصدر السابق (بتصرف) ص 121.

² - محمد أبو شهبه، ولد بقرية منية بمحافظة كفر الشيخ عام 1332هـ/ 1944م، أمّ تعليمه بالأزهر، حصل على الدكتوراه، وعيّن مدرسا بجامعة الأزهر، وتدرج في السلم الوظيفي حتى رقى لدرجة أستاذ، وعيّن أول عميد لكلية الدين بأسبوط 1393هـ/ 1973م، كما درس بالسعودية والعراق والسودان، وقد ترك الشيخ عددا كبيرا من المؤلفات منها: المدخل لدراسة القرآن الكريم، والإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، توفي عام 1403هـ/ 1983م (ينظر: الموقع الإلكتروني ويكيبيديا).

³ - محمد أبو شهبه: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، مكتبة السنة، ط4: 1408هـ، القاهرة- مصر، ص 26 (بتصرف).

⁴ - مساعد الطيار: هو أبو عبد الملك مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، وهو من أسرة الطيار في محافظة الزلفي في المملكة العربية السعودية، ولد عام 1384هـ/ 1965م، تخرج من قسم القرآن وعلومه في كلية أصول الدين بالرياض، ثم التحق بالتدريس في كلية المعلمين بالرياض في قسم الدراسات القرآنية منذ عام 1409هـ، ولا زال يعمل فيها أستاذا في هذا القسم إلى هذا اليوم، أصدر عددا من الكتب أهمها: فصول في أصول التفسير، التفسير اللغوي للقرآن الكريم (ينظر: موقع ويكيبيديا).

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

من علم التفسير، وهو علم القراءات، ومعلوم أنه ليس من مهمة المفسّر بيان كيفية النطق بألفاظ القرآن، وإنما يتعلق بالتفسير من هذا العلم ما كان له أثر في اختلاف المعنى¹.

من خلال الكلام السابق فإنّ تعريف أبي حيان الأندلسي، قد ساقه على حسب المنهج الذي سار عليه في تفسيره، وهو عنايته الشديدة بأوجه القراءات، ومع أنّه أهمل فيه الإشارة إلى الغرض الأساسي من التفسير، وكونه كتاب هداية- كما قال أبو شهبّة-، إلا أنّي أستبعد رأي مساعد الطيار، إذ لا يتصور أنّ صاحب البحر يغيب عليه مثلما ذكر، فمن دون شك كان يقصد بعلم القراءات الجانب الذي له علاقة بالمعنى، إنّما ذكر علم القراءات على سبيل الإطلاق من باب التغليب، ولأنّه من المعلوم بالضرورة، يقصد الجانب الذي له علاقة بالمعنى، إذ اختلاف القراءة في كثير من الأحيان يؤدي إلى تعدّد المعاني، كما أنّه في معرض إيراد تعريف شامل، فلا يتصور أن يفرّق بينهما في هذا الموضوع.

أما الزركشي² (ت 794هـ) فقد عرّفه في موضعين من كتابه البرهان في علوم القرآن، قال في الموضوع الأول: "التفسير علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيّه محمد ﷺ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ويحتاج إلى معرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ"³. ثم قال في موضع آخر: "هو علم نزول الآية وسورتها وأقاصيصها والإشارات النازلة فيها، ثم ترتيب مكّيها ومدنيّها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومحملها ومفسرها"⁴.

يمكننا القول أنّ التعريف الأول للزركشي، أشمل وأدق من الثاني؛ الذي اقتصر فيه على معرفة الآية، وما يتعلق بكيفية نزولها وترتيبها، فالعلم بالآية وسبب نزولها، لا يقتضي أن يكون تفسيراً بقدر ما هو إحاطة تعين على فهمها فقط، أما الأول فقد كان شاملاً لكل من علوم القرآن واللغة،

¹ - مساعد الطيار: التفسير اللغوي للقرآن الكريم، ط1: 1422هـ، دار ابن الجوزي، الرياض - السعودية، ص26 (بتصرف).

² - هو الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، ولد بالقاهرة، وتفقه بمذهب الشافعي، قال ابن حجر: كان منقطعاً في منزله لا يتردد إلى أحد إلا إلى سوق الكتب، توفي سنة 794هـ/1391م، من مؤلفاته: البرهان في علوم القرآن، (ينظر: الدرر الكامنة لابن حجر: 3/397-398، وشذرات الذهب: 6/335، والزركلي في الأعلام: 6/60-61).

³ - بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تح: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، ط1: 1410هـ/1990م، دار المعرفة، بيروت - لبنان، (ج 1، ص 104 - 105).

⁴ - المصدر نفسه، (ج 1، ص 284).

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

بالإضافة إلى أنه وصف دقيق يتضمن توضيح المفهوم من جهة؛ وبيان الأدوات التي تعين على سلوك عملية التفسير من جهة أخرى، ومع ذلك فقد أغفل جانب الجهد البشري المبذول في التفسير.

أما ابن عرفة المالكي¹ (ت 803هـ) قال: "هو العلم بمدلول القرآن، وخاصية كيفية دلالاته، والناسخ والمنسوخ"²، ثم عَقَّب على قوله مبينًا مقصده قائلاً: خاصية كيفية دلالاته: هي إعجازه، ومعانيه الثابتة³، وما فيه من علم البديع الذي يذكره الزمخشري⁴.

أول ما يلفت انتباهنا في هذا التعريف، هو تركيزه على الجانب البلاغي والإعجاز البياني في تفسير القرآن الكريم، ولا شك أنه تأثر بالتيار الذي ظهر على يد البلاغيين قبله، منذ زمن طويل إلى أن تمايزت علوم البلاغة وانفصلت.

وعرّفه العلامة الفناري⁵ (ت 834 هـ) بقوله: "هو معرفة أحوال كلام الله تعالى من حيث دلالاته القرآنية، ومن حيث دلالاته على ما يعلم أو يظن؛ أنه مراد الله تعالى، بقدر الطاقة البشرية"⁶.

1- محمد بن محمد بن عرفة بن حماد الورغمي، أبو عبد الله، فقيه تونس وإمامها وعالمها وخطيبها، مولده ووفاته بها، تولى إمامة الجامع الأعظم سنة 750هـ، قال ابن حجر: صار إليه المرجع في الفتوى ببلاد المغرب، وكان معظمًا عند السلطان فمن دونه، علّق عنه بعض أصحابه كلامًا في التفسير، كثير الفوائد في مجلدين، وكان يلتقطه في حالة قراءته عليه، ويدونونه أولاً بأول، وكلامه فيه دال على توسع في الفنون وإتقان وتحقيق، ت 803هـ (ينظر: شذرات الذهب ج 38/7 ومعجم المفسرين، ص 619).

2- تفسير ابن عرفة، تح: جلال الأسيوطي، ط 1: 2008م، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ص 19.

3- ولعله قصد معانيه البيانية فهي أوفق لسياق الكلام؛ هذا ما يجعلني شبه متأكدًا أنّ الخطأ حاصل من النسخة المعتمدة في هذا التحقيق.

4- محمود بن عمر الزمخشري، أبو القاسم جار الله، إمام في اللغة والنحو والأدب، وكان معتزليًا مجاهرًا بذلك، وله في التفسير كتابه الشهير المعروف بالكشاف، توفي بقصبة خوارزم سنة 538هـ (ينظر: زهة الألباء ص 290 - 292، ومعجم الأدباء 19/ 128 - 135، ومعجم المفسرين ص 666).

5- هو محمد بن حمزة بن محمد، شمس الدين الفناري الرومي، فاض، مفسر، عالم بالمنطق والأصول، من فقهاء الحنفية، تعلم في بلده، ثم رحل لمصر سنة 778هـ، فأخذ عن علمائها، من كتبه: عين الأعيان في تفسير القرآن، وهو تفسير الفاتحة، طبع في الأستانة سنة 1326هـ (ينظر: معجم المفسرين، ص 524).

6- قاسم القيسي: تاريخ التفسير، مطبعة المجمع العلمي العراقي 1385هـ/ 1966م، العراق.

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

ما نلاحظه من هذا التعريف هو أنه أول من أشار إلى الجهد البشري المبذول، إذ التفاوت في الفهم بين المفسرين أمر طبيعي لا بد منه، وطاقاتهم البشرية تختلف باختلاف مواهبهم وقدراتهم.

وقال الكافيجي¹ (ت 879هـ) "وأما التفسير في العرف، فهو كشف معاني القرآن، وبيان المراد من معاني القرآن أعمّ، سواء كانت معاني لغوية أو شرعية، وسواء كانت بالوضع أو بمعونة المقام وسوق الكلام، وبقرائن الأحوال، نحو: السماء والأرض والجنة والنار، وغير ذلك، ونحو الأحكام الخمسة، ونحو: خواص التركيب اللازمة له بوجه من الوجوه"².

ما نسجله على هذا التعريف هو نظرتة المقاصدية البلاغية في فهم المعاني القرآنية، إذ يراعي مقاصد الشارع من خلال السياق والمناسبة؛ وبمعونة المقام وقرائن الأحوال، ومن دون شك فهو تعريف ممتاز في بابه.

أما صاحب الإتيقان (ت 911هـ) فقد أورد في كتابه عدة تعريفات لسابقه، لكنّه ما اختار لنفسه مفهوماً للتفسير يمكن أن ينسب إليه، إنّما اكتفى بإيرادها بطريقة متسلسلة تعين القارئ على التنقل من مفهوم لآخر بطريقة مميزة.

¹ - محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود الرومي، محي الدين، أبو عبد الله الكافيجي، فقيه حنفي، نحوي، مفسر، من كبار العلماء بالمعقولات، رومي الأصل، ولد ب (ككجة كي) من بلاد صروخان، وقدم الشام وأقرأ بها، وحج ودخل بيت المقدس، ثم دخل القاهرة واشتهر بها، وأخذ عنه علماءها ولازمه السيوطي 14 سنة، عرف بالكافيجي لكثرة اشتغاله بالكافية في النحو، زادت تصانيفه على المائة، وغالبها صغير، منها التيسير في علوم التفسير، ت 879هـ (ينظر: بغية الوعاة، ج 1/117-118، وشذرات الذهب، ج 7/326-328، معجم المفسرين، ص 535-536).

² - محمد بن سليمان الكافيجي: التيسير في قواعد التفسير، دراسة وتحقيق: ناصر بن محمد المطرودي، ط 1: 1410هـ/1991م، دار القلم، دمشق سوريا، ص 104.

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

ثم ما لبثنا أن وجدناه يختار لنفسه تعريفا للتفسير، في كتابه (إتمام الدراية لقراء النقاية) قائلا: "هو علم يبحث فيه عن أحوال الكتاب العزيز، من جهة نزوله وسنده وآدابه¹ وألفاظه ومعانيه، المتعلقة بالألفاظ، والمتعلقة بالأحكام وغير ذلك"².

ما نلاحظه على السيوطي³، أنه ذكر من جملة العلوم التي تعين على فهم الآية؛ هو معرفة سبب نزولها أولا، ثم معرفة سندها، وألفاظها ومعانيها، فقد ركز على جانب علم القراءات كثيرا، إذ معرفة سندها وأدائها هو من صميم علم القراءات البحت، الذي يستبعد علاقته بالتفسير أغلب الباحثين، فيحتمل كثيرا أنه ساق تعريفه على حسب طبيعة العلاقة بينهما، هذا وارد من جهة؛ ومن جهة أخرى، فقد ربط بين معرفة سند اللفظة بالمعنى الذي تؤدبه، ومن دون شك فعلم القراءات مرتبط بالتفسير، كما ألمح لذلك أبو حيان سابقا وأفاد منه السيوطي لاحقا.

أما عبد العظيم الزرقاني⁴ (ت 1367هـ) عرّفه بقوله: "هو علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالاته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية"⁵.

يظهر لنا جليا استفادة الزرقاني من تعريف الفناري قبله، في مسألة تفسير القرآن؛ إنما يكون بحسب الطاقة البشرية، وقدرتها على استخراج المعاني القرآنية.

1 - ربما أرى أن كلمة (أدائه) أنسب لسياق الكلام؛ لأنه ركّز على قضية سند وهو متعلق بالأداء حيث فرّق بين المعاني المتعلقة بالألفاظ والمتعلقة بالأحكام، ولا شك ان اختلاف أداء الكلمات يؤدي إلى اختلاف المعاني في التفسير، ثم إنّ هذا الكتاب طبع على أساس النسخة الأولى المكتوبة على هامش مفتاح العلوم للسكاكي، وهي نسخة مجهولة التحقيق غير واضحة الكلمات في قراءتها.

2- ينظر؛ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي: إتمام الدراية لقراء النقاية، ضبطه وكتب حواشيه: الشيخ إبراهيم العجوز؛ ط1: 1405هـ/1985م؛ دار الكتب العلمية؛ بيروت - لبنان، ص 20؛ ينظر: مفتاح العلوم، السكاكي (ص 21).

3- هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر بن عمر بن خليل بن نصر، الجلال السيوطي الأصل الشافعي المذهب، ولد سنة 894هـ، وأجاز له أكابر علماء عصره من سائر الأمصار، وبرز في جميع الفنون والعلوم، من مؤلفاته: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، والإتقان في علوم القرآن، ولباب النقول في أسباب النزول، ومفحّمات الأقران في مبهمات القرآن، وغيرها، توفي سنة 911هـ (ينظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني: ص 337، وطبقات المفسرين للدودي: ص 365).

4- هو محمد عبد العظيم الزرقاني، من علماء الأزهر الشريف بمصر، تخرج بكلية أصول الدين، وعمل بها مدرسا لعلوم القرآن، (ينظر الأعلام للزركلي: 210/6).

5 - عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الكتاب العربي، 1415هـ/1995م، (ج 2، ص 6).

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

وبالنسبة لصاحب التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور¹ (ت 1393هـ) فقد عرّفه بقوله: " هو اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن، وما يستفاد منها باختصار أو توسع "2.

لا شك أنّ التعريف الذي بين أيدينا تعريف شامل جامع مانع، فقد أورد تعريفه هذا في مقدمة تفسيره القيم، شارحا سبب إطلاق كلمة العلم، ومبيّنا موضوع التفسير من جهة البحث عن معاني ألفاظ القرآن وما يستنبط منها، لكن ما وسعنا المقام أن نسوق كلامه، إنّما اكتفينا بإيراد تعريفه للتفسير.

أما ابن عثيمين³ (ت 1421هـ) فقد اختصر وأجاد وأفاد حينما قال: " هو بيان معاني القرآن الكريم " 4.

¹ - محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين، وأحد كبار علمائها، مفسر، لغوي، نحوي، أديب، من دعاة الإصلاح الاجتماعي والديني، ولد ونشأ وتعلم بتونس، ودرّس في جامع الزيتونة، وفي المدرسة الصادقية، عين شيخا للإسلام مالكيًا سنة 1932م، وسمي شيخ الجامع الأعظم، ثم شيخا عميدا للجامعة الزيتونية عام 1956م، له أبحاث ومقالات كثيرة، نشرت في كبريات المجالات بتونس ومصر، من آثاره: التحرير والتنوير صدر منها عشرة أجزاء، توفي بتونس سنة 1393هـ/ 1973م، (ينظر: معجم المفسرين، ص 541-542).

² - طاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، المرجع السابق، (ج1، ص10).

³ - ابن عثيمين، أبو عبد الله محمد بن صالح بن محمد بن سليمان بن عبد الرحمن العثيمين الوهبي التميمي، ولد في 29 مارس 1929م في عنيزة؛ إحدى مدن المملكة العربية السعودية، جده عثمان اشتهر بعثيمين، فصارت الأسرة تنسب لهذا الجد وهو الجد الرابع، تعلم على يد عدة مشايخ منهم: السعدي، وابن باز، رحمهم الله، بدأ التدريس عام 1370هـ في الجامع الكبير، درّس في المسجد الحرام والمسجد النبوي، وكانت له مشاركات عدّة ومؤلفات كثيرة منها: شرح مقدمة التفسير لابن تيمية، توفي سنة 1421هـ، بمدينة جدة بالسعودية. (ينظر: الموقع الإلكتروني ويكيبيديا).

⁴ - مساعد الطيار: التفسير اللغوي للقرآن الكريم، المرجع السابق، ص 25.

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

وبالنسبة لعبد الفتاح الخالدي¹، فقد ارتأى تعريفه كالاتي: "علم يتم به فهم القرآن، وبيان معانيه، والكشف عن أحكامه، وإزالة الإشكال والغموض عن آياته"².

لا شك أن كل التعريفات السابقة تتفق على أنّ التفسير هو العلم الذي يبين فيه مراد كلام الله تعالى، كما أننا نلاحظ جليا تأخر ظهوره كعلم نظري له مفاهيمه وأساسياته وضوابطه، مقارنة بنشوءه المبكر في البيئة الإسلامية؛ كعملية تطبيقية وممارسة فعلية غرضها بيان آيات القرآن. فأول تعريف للتفسير وصل إلينا في القرن الثامن الهجري كما رأينا سالفًا، مع أنّ أول تفسير اشتهر هو تفسير الطبري في القرن الرابع الهجري.

وعلى ضوء تلك التعاريف السابقة أرى أنّ التفسير: "هو محاولة استخراج المعاني التي تحملها الآيات القرآنية، وبيان مقاصدها وأهدافها".

المطلب الثالث- الفرق بين التفسير والتأويل:

إنّ مصطلح التأويل متعدّد المعاني، إذ له استعمالات كثيرة، ودلالات واسعة في اللغة، فهو لفظ قديم شاع استعماله لدى الأمم المختلفة من اليهود والنصارى، وتعدّدت مفاهيمه لدى أصحاب الفرق والمذاهب، وعند الأصوليين واللغويين والمفسرين، فكثرت التماري حوله، وتبارت في شأنه أقلام العلماء، ودخل ميدان الجدل والخصومة العلمية من بابه الواسع.

هذا ويلتقي مصطلح التأويل بالتفسير في عدة مقاطع، حتى قيل أنّ معناهما واحد، من هنا كان لزاما علينا أن نتعرض للفرق بين المصطلحين، ونسوق المعاني اللغوية والاصطلاحية للتأويل، حتى تنجلي الرؤية حوله، ليتبين لنا الفرق بين المصطلحين إن كان هناك فرق.

¹ - صلاح عبد الفتاح الخالدي، ولد في مدينة جنين في 18 محرم 1367هـ الموافق ل 1 ديسمبر 1947م، دخل الكلية الشرعية، وتخرج منها سنة 1970م، ثم درس الماجستير سنة 1977م في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ثم حصل على درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن سنة 1984 م، من الجامعة نفسها، من مؤلفاته: سيد قطب الشهيد الحي، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث (ينظر: الموقع الإلكتروني ويكيبيديا).

² - عبد الفتاح الخالدي: تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، المرجع السابق، ص 24.

إنّ لفظة (التأويل) في اللغة تتسع لاستعمالات مختلفة ومتنوعة، قد نجد بعضها يكمل البعض الآخر، ويتقارب مع بعض، وقد نجد فيها ما ينحو بها منحى، يخالف تماما المعاني الأخرى، ومن خلال هذا المطلب سنسوق تلك المعاني اللغوية، ونبيّن علاقتها ببعضها، لنفهم سبب تأثيرها على اختلاف معنى التأويل اصطلاحا، إذ أنّ تعدد معاني كلمة التأويل في اللغة وكثرة أوجه دلالاتها، هو ما سينعكس تماما على تعدد مفهوم التأويل اصطلاحا.

وابتداء نقول: التأويل مصدر على وزن (تفعيل) وفعله الماضي رباعي مضعّف: (أَوَّل) تقول: أَوَّل، يُؤَوِّل، تأويلا، ومادة الكلمة هي (أَوَّل).

وحيث نتصفح معاجم اللغة نجد أنها تُستعمل غالبا في معاني كثيرة مختلفة، وقد أجاد أحد الباحثين¹ تلخيصها بصورة واضحة منظمة، ارتأيت أن أختار طريقته، فهي أدعى للفهم والاستيعاب، أفضل من أن أذكرها كما وردت في المعاجم اللغوية مختلفة متباينة.

أولا- المرجع والمصير: نقول آل يؤول إلى كذا، بمعنى: صار إليه ورجع، جاء في لسان العرب، الأول: الرجوع، آل الشيء يؤول أولا ومآلا: رجع، وأوّل إليه الشيء: رجعه، وألت عن الشيء: ارتددت، و الأول: بمعنى الانتهاء والمرجع، وقولهم: تأويل الكلام وهو عاقبته وما يؤول وينتهي إليه².

ثانيا- التغيير: من قولنا: آل اللبن، يؤول: إذا تغيّر وخثر، وآل جسم الرجل إذا نحف.

قال ابن فارس: وقولهم آل اللبن، أي خثر، من هذا الباب، وذلك أنّه لا يخثر إلا آخر مرة، والإيال على فعال: وعاء يجمع فيه الشراب أياما حتى يجود.

وفي لسان العرب: وآل اللبن إيالا، أي تخثّر فاجتمع بعضه إلى بعض، والإيال: وعاء اللبن، والإيال: وعاء يؤول فيه شراب أو عصير أو نحو ذلك³.

1 - طاهر عامر: التأويل عند المفسرين من السلف، ط1: 1436هـ/2011م، دار ابن حزم، ص 225.

2 - ينظر: لسان العرب، (ج1 ص 248).

3 - ينظر: لسان العرب، (ج1 ص 250).

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

ثالثاً- الوضوح والظهور:

من قولنا آل الجبل بمعنى ظهر واتضح، وآل الشيء إذا شخص وظهر وفي لسان العرب: والآل: ما أشرف من البعير، وقيل: الآل هو الذي يكون ضحى كالماء بين السماء والأرض يرفع الشخصوس ويزهاها¹.

رابعاً- التفسير والشرح: نقول تأوّل الكلام وأوّله بمعنى شرحه وفسّره، والتأويل: التفسير.

والتأويل تفسير ما يؤول إليه الشيء: وقد أوّلته تأويلاً وتأويلته، جاء في لسان العرب: التأويل والتأويل، تفسير الكلام الذي تختلف معانيه، ولا يصح إلا ببيان غير لفظه، ومنه:

نحن ضربناكم على تنزيله *** فاليوم نضربكم على تأويله**

وأوّل الكلام وتأوله فسّره، قال الزركشي: وقد أوّلته فآل: أي صرفته فانصرف، فكان التأويل صرف الآية إلى ما تحتمله من المعاني.

ومنه يقال: أول فلان الآية الفلانية، أي نظر إلى ما يؤول إليه معناها².

خامساً- السياسة والإصلاح:

تستعمل لفظة تأويل وما اشتق منها بمعنى سياسة الرعية وإصلاح حالها.

قال ابن فارس: والإيالة السياسة من هذا الباب، لأنّ مرجع الرعية إلى راعيها.

وتقول العرب في أمثالها: (ألنا وإيل علينا) أي سسنا وساسنا غيرنا.

وقال الأصمعي³: آل الرجل رعيته يؤولها، إذا أحسن سياستها وآل مآله يؤوله، إيالة: إذا أصلح

هو ساسه، والائتيال: الإصلاح والسياسة، والإيالة السياسة، وفلان حسن الإيالة وسيء الإيالة.

¹ - ينظر: لسان العرب، (ج1 ص 251).

² - المصدر السابق، ص 249.

³ - هو عبد الملك بن قريب بن علي بن أعيا بن سعد بن عبد ابن غنم بن قتيبة بن معن بن سعد مناة الباهلي، كان أحفظ الناس وأوثقهم في اللغة، وأسرع الناس جواباً، وأحضرهم ذهنًا. (ينظر طبقات النحويين واللغويين، ص: 167).

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

وقال الزركشي: وقيل: أصله من الإيالة، وهي السياسة، فكأنَّ المؤول للكلام يسوي الكلام، ويضع المعنى فيه موضعه¹.

سادسا- الجمع: وتأتي لفظة تأويل بمعنى الجمع، نقول: أوّل الشيء، بمعنى جمعه وأصلحه.

يقال: ألت الشيء أوّله، إذا جمعته وأصلحته، فكأنَّ التأويل جمع معاني ألفاظ أشكلت بلفظ واحد.

وقال بعض العرب: أوّل الله عليك أمرك، أي جمعه، وإذا دعوا عليه قالوا: لا أوّل عليك شملك.

ويقال في الدعاء للمضللّ: أوّل الله عليك، أي ردّ عليك ضالتك وجمعها لك .

سابعا- الشخص والقراية:

آل الرجل هم قرابته وأهله والآل الشخص، قال ابن فارس: وآل الرجل شخصه، وكذلك آل كل شيء، وذلك أنّهم يعبرون عنه بآله، وهم عشيرته، يقولون: آل أبي بكر، وهم يريدون أبا بكر .

والآل الشخص، وآل الخيمة عمدتها، وآل الرجل أهله وعياله².

ثامنا- التدبر والتقدير:

نقول: آل الأمر يؤوله، إذا تدبره وقدره، جاء في لسان العرب: وأوّل الكلام وتأوله: دبّره وقدره³.

تاسعا- النقص:

وتأتي كلمة التأويل بمعنى النقص، فنقول: آل يؤول مآلا، بمعنى نقص، وآل لحم الناقة: إذا ذهب فضمرت⁴.

¹ - ينظر: لسان العرب (ج 1 ص 251).

² - المصدر السابق، ص 253.

³ - المصدر السابق، ص 249.

⁴ - مجد الدين الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ط2: 1428هـ/2007م، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ص 977.

عاشرا- التحري والطلب:

وتتضمن كلمة تأويل معنى التحري والطلب، فنقول: تأولت في فلان الأجر: إذا تحريته وطلبتة.

أحد عشر- الأطراف والنواحي:

وتستعمل لفظة آل بمعنى الأقطار والنواحي، قال الجبل أطرافه ونواحيه .

قال ابن فارس: وآل البعير ألواح، وما أشرف من أقطار جسمه، آل الجبل أطرافه ونواحيه¹.

يمكن أن أحل -مما سبق- إلى أنّ لفظة التأويل أخذت عند أهل اللغة حيزا واسعا، في الدلالة على المعاني المختلفة، واستعملت مادتها على نطاق واسع قلّ نظيره، ولاشك أنّ العرب حين استعملت لفظة التأويل بكثرة، للدلالة على المعاني المتغايرة، قد يعود سببه إلى تعدديتها القبلية التي تستدعي تعددية في المعنى من جهة؛ أو بحسب تفاوتها في استعمال المصطلح توسعة وضيقا من جهة أخرى، وقد يكون بسبب تأثرهم بدلالة المصطلح عند اليهود والنصارى²، لذلك تعددت معاني لفظة التأويل وتغايرت، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدل على سعة لغة العرب وغناها، حيث مهدت تلك الاختلافات اللغوية؛ إلى الاختلاف الذي سنراه حينما نسوق التعاريف الاصطلاحية.

الفرع الثاني- التأويل في الاصطلاح:

عرف مصطلح التأويل توسعا ونموا ملحوظا، ساير حركة التطور العلمي عبر مختلف العصور، حيث تنافس علماء التفسير والكلام والأصوليون واللغويون، حول إيجاد مفهوم شامل ودقيق له، من هنا سنحاول الوقوف عنده، مكثفين بنماذج محدّدة من التعريفات لعلماء مشهورين، عرفوا بتضلّعهم في هذا المجال، لتكون تلك التعريفات أساسا لفهم معنى التأويل في الاصطلاح.

1 - ينظر: لسان العرب، ص 252.

2 - ذكر صاحب (التأويل عند المفسرين من السلف)، تأثر مصطلح التأويل باليهود والنصارى، ولعلي أرجح أنهم تأثروا باليهود، فالمستشرق "غولد زيهير" المجري اليهودي تعرّض كثيرا لمصطلح التأويل في كتابه (مذاهب التفسير الإسلامي).

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

ومما يجدر بنا البدء به هو معرفة معنى التأويل في القرآن، ولا يسعنا المقام لاستقراء كل الآيات التي ورد فيها لفظ التأويل، فقد تكفل الخالدي بهذا وأجاد في كتابه (التفسير والتأويل في القرآن)، وسأكتفي بذكر المعنى العام للفظ التأويل في القرآن، فنجد التأويل ومشتقاته، يدور حول معنى بيان العاقبة وتحديد المآل، وإيجاد المطلوب وفعل الأمر وتحقيق الخبر¹.

ولا شك أنّ هذه المعاني جزء من المعاني اللغوية؛ التي تدل عليها لفظة التأويل كما رأينا سابقاً، وإن أردنا البحث عن أصل نشأة هذا اللفظ وتطوره، فإنّه يجب علينا أولاً أن نفرق بين كونه ظاهرة استعملت كوسيلة وأداة للكشف عن المعنى، وبين كونه مصطلحاً قائماً بذاته تطوّر مفهومه مع مرور الزمن.

وإذا ما حاولنا تتبع مساره التاريخي والتنقيب عن بذوره الأولى؛ التي شكّلت مفهومه كمصطلح مغاير لأصالة المعنى العام الأول، لصعب علينا ذلك لما فيه من تعمية المصطلح من قبل خصومه، ولما فيه من غلو وانحراف من قبل مستخدميّه، وتضارب وجهات نظر كل فريق حوله جعل المصطلح بين مدّ وجزر طوال عقود من الزمن، ولعل أكبر جناية - من وجهة نظري - في حق المصطلح هو ذلك الانطباع السلبي الذي التصق به بمجرد التلفظ به، فبقي المصطلح مقروناً بتلك الشحنة السلبية التي عكستها تلك الحساسية الناقصة، ونجم عنها الفهم القاصر له من قبل سامعيه، ولا شك أنّ من الخطأ بمكان أن نقصر الفهم عليه في مجال محدّد، فهو مصطلح واسع يحمل دلالات مختلفة، كما أنّ استخدامه المتعدّد له مبرراته ومقتضياته اللغوية، وما آل إليه حال المصطلح من إقحامه في إثبات انحرافات فرق معينة، أو استخدامه بشكل غير صحيح، لا يبرّر لنا أن نلغي إيجابية المصطلح، فما هو إلا وسيلة وأداة استعملها كل فريق في إثبات كيانه الفكري، وتبرير اختياره العقائدي، ويفرض علينا المنهج العلمي وحب العلم، أن نعيد للمصطلح اعتباره الحقيقي، وننصف وجوده السليم ونزيل عنه تلك الشحنة السلبية التي اقترنت به طوال رده من الزمن.

فلو نظرنا لاستخدامه كوسيلة؛ للإيضاح والكشف عن المعاني، لوجدنا أنّ استعماله لهذا الغرض كان مبكراً منذ زمن النبي ﷺ فلقد لجأ للتأويل لأجل الإيضاح وإزالة اللبس، جاء في رواية من حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: "من حوسب يوم القيامة عدّب،

¹ - ينظر: عبد الفتاح الخالدي: التفسير والتأويل في القرآن، ط1: 1416هـ/1996م، دار النفائس، عمان - الأردن، ص

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

قالت: فقلت: يا رسول الله أليس قد قال الله تعالى ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾⁽⁷⁾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا⁽⁸⁾ ﴿ (الانشقاق:8) فقال: ليس ذلك الحساب، وإنما هو العرض"¹.

فقد أول الرسول ﷺ لفظ الحساب في الآية الكريمة على أنه العرض²، ويذكر المفسرون أنه حساب لا مناقشة فيه، والمعنى الأول الذي يتبادر إلى الأذهان هو أن كلمة (حساب) يفهم منها المناقشة والمؤاخذة وتقدير الحسنات والسيئات، فأزال النبي ﷺ الإشكال وأوضح المفهوم الصحيح بطريق التأويل.

ثم إن الصحابة الكرام ﷺ استعملوه بمعنى آخر على غير ما جاء به القرآن، وهو عندهم بمعنى التفسير، وإن كان مستمداً كذلك من المعاني اللغوية، وشاع استعماله بهذا المعنى بعد عصر التابعين.

ولو نظرنا إليه بصفته مصطلحاً قائماً بذاته تطوّر مفهومه مع الزمن، لكان لزاماً علينا أن نتوقف عند أهم المحطات التي ساعدت في نقلته النوعية من مفهوم لآخر، وسنبداً بمفهومه عند أرباب اللغة.

وأول تعريف للتأويل جاء على لسان اللغويين: "التأويل والمعنى والتفسير واحد"³. فالتأويل في عرف اللغويين إذن مرادف للتفسير - كما رأينا سابقاً-، ومن ثم فالتأويل يطلقه علماء السلف ليراد به: "تفسير الكلام وبيان معناه، سواء أكان موافقاً للظاهر أم مخالفاً له"⁴.

¹ - أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب الرقاق، باب من نوقش الحساب عذب، رقم الحديث: 6536، ج11 ص400).

² - ينظر: السيد أحمد عبد الغفار: التفسير ومناهجه والنص وتفسيره، كلية الآداب - جامعة الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2000 م، ص 279.

³ - جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، دار ابن حزم، 1336هـ/2015م، ص 691.

⁴ - محمد حسين الذهبي: علم التفسير، دار المعارف (د ت ط) القاهرة - مصر، ص 7.

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

ويستدلون على هذا الرأي بقوله ﷺ لابن عباس¹ : " اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل"²، أي بمعنى التفسير. وقول مجاهد حينما عرض للآية ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمْنًا بِهٖ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ قال: "يعني القرآن"³.

ولا نشك أنّ هذا ما يعنيه ابن جرير الطبري⁴ بترديده في تفسيره لعبارات: القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا، واختلف أهل التأويل في هذه الآية... وهو يقصد بالتأويل هنا: التفسير، ولهذا سمى تفسيره (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) وهو يقصد بدون شك تفسير القرآن.

وللإمام ابن تيمية⁵ كلام جيد عن معنى التأويل عند السلف، أوردته في رسالته (الإكليل في المتشابه والتأويل) قال فيه: " وأما التأويل في لفظ السلف، فله معنيان:

¹ - عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي، ابن عم رسول الله ﷺ، صحابي جليل اشتهر بتفسيره للقرآن الكريم، توفي سنة 68هـ (ينظر: الإصابة 331/2؛ أسد الغابة 193/3).

² - أخرجه البخاري في صحيحه، ينظر: محمد بن إسماعيل البخاري: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه (كتاب الوضوء، باب وضع الماء عند الخلاء، رقم: 143، ج 1 ص 38) ورواه أحمد في مسنده (1/ 328 و335) وابن حبان في صحيحه (7055).

³ - تفسير مجاهد، تح: محمد عبد السلام، ط1: 1410هـ/1989م، دار الفكر الإسلامي الحديثة، (د م ط) ج 1 ص 122.

⁴ - محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، بن غالب الطبري الإمام أبو جعفر، رأس المفسرين على الإطلاق، أحد الأئمة، ولد سنة 224هـ، جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، سمع من أحمد بن منيع، وأبي كريب، ويونس بن الأعلى، وروى عنه الطبراني وطائفة، له تصانيف عظيمة منها: تفسير القرآن و تهذيب الآثار و تاريخ الأمم، قال الشيخ أبو حامد الإسفراييني شيخ الشافعية: لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل تفسير ابن جرير لم يكن كثيرا، كان أولا شافعيًا، ثم انفرد بمذهب مستقل، وأقاويل واختيارات، مات سنة 310هـ (ينظر: طبقات المفسرين، ص 48-50، تاريخ بغداد، ج 2، ص 162، وفيات الأعيان، ج 4 ص 191، ومرآة الجنان، ج 2 ص 261).

⁵ - هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن الخضر بن محمد بن تيمية الحراني الدمشقي، تقي الدين أبو العباس، ولد يوم الاثنين سنة 661هـ، ب (حران)، توفي والده شهاب الدين؛ ولتقي الدين 21 سنة فقام بوظائف أبيه بعده، فدرس بدار الحديث العسكرية أول سنة 683هـ، ثم جلس عقب ذلك مكان والده بالجامع على نفس منبره أيام الجمع لتفسير القرآن، وعرض عليه قضاء القضاة قبل التسعين ومشيخة الجامع فلم يقبل، من تصانيفه: كتاب الإيمان، وكتاب الاستقامة وجواب الاعتراضات المصرية على الفتاوى الحموية وغيرها من المؤلفات، توفي سنة 728هـ (ينظر: ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي، تح: محمد حامد الفقي، ط: 1953م، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة- مصر، 2/ 386).

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

أحدهما: تفسير الكلام وبيان معناه، سواء وافق ظاهره أو خالفه، فيكون التفسير والتأويل عند هؤلاء متقاربا أو مترادفا.

والثاني: من معاني التأويل عند السلف هو: نفس المراد بالكلام، فإن كان الكلام طلبا كان تأويله نفس الفعل المطلوب، وإن كان الكلام خبرا، كان تأويله نفس الشيء المخبر به¹.

إلى هنا يتاح لنا القول أنّ مصطلح التأويل إلى عهد الطبري بقي مفهومه مرتبطا بالتفسير، ثم نسجل تغيرا في المعنى بعد هذا الزمن، وسنبداً بأول تعريف قفز فيه المعنى قفزة نوعية غيرت مفهومه بصورة جذرية واضحة.

عرّفه الماتريدي² (ت 333هـ) بقوله: " التأويل هو ترجيح أحد الاحتمالات بدون القطع"³.

يلاحظ من التعريف السابق، أنّ صاحبه جعل التأويل إنّما يكون قائما؛ عندما يحتمل اللفظ عدّة معاني، حيث يلجأ معها المؤوّل إلى ترجيح أحدها، دون القطع بأنّه المراد دون غيره، إذن فهو يفترض أنّ اللفظ المؤوّل يحتمل عدّة معاني، لكنّه لم يفرّق بين المعنى الظاهر من المعنى الخفي؛ الذي يحتمله اللفظ، إذ المعنى الظاهر لا يحتاج معه إلى قطع أصلا، فكل معنى إنّما وضع له لفظ - كما قال اللغويون -⁴، أما المعنى الخفي فيحتاج إلى دليل يقترن به، مع عدم وجود القطع أيضا كما ذكر الماتريدي، ثم إنّّه لم يذكر اعتبار الدليل، والذي على أساسه يرحّج المؤوّل أحد الاحتمالات، ومع ذلك يبقى التعريف الذي بين أيدينا، محاولة مبكّرة وموفقة لفهم مصطلح التأويل.

¹ - ابن تيمية: رسالة الاكليل في المتشابه والتأويل، ط2: 1366هـ، مكتبة أنصار السنة المحمدية، القاهرة- مصر، ص 26-32.

² - محمد بن محمد بن محمود: أبو منصور الماتريدي السمرقندي (ت 333هـ)، الملقب ب (إمام الهدى) و (إمام المتكلمين) ومصحّح عقائد المسلمين، ورئيس أهل السنة، وإليه نسبة الماتريديّة، من أهل (ماتريد) بسمرقند فيما وراء النهر، من آثاره: تأويلات أهل السنة في تفسير القرآن (ينظر: معجم المفسرين، ص 611).

³ - جلال الدين السيوطي: الإتيقان في علوم القرآن، المصدر السابق، ص 691.

⁴ - والأصل أن المعاني وضعت لها ألفاظا، ثم أصبحت الألفاظ تدل على تلك المعاني " فالألفاظ توضع لتعيين الأشياء، أو جعلت بإزائها لتدل عليها كلما أطلق اللفظ عُلم منه المعنى، للعلم بوضع ذلك اللفظ لهذا المعنى" ينظر: حاشية السعد على شرح المختصر الأصولي للعضد ومعه حاشية السيد على الشرح نفسه، ط1403/2هـ؛ محمود عكاشة، الدلالة اللفظية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة- مصر، ص 8-9.

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

تعريف الراغب الأصفهاني (ت 502هـ) قال: " (الأول: الرجوع إلى الأصل) والتأويل هو رد الشيء إلى الغاية المرادة منه، علما كان أو فعلا، ومن رد الشيء إلى غايته في العلم قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمْتًا بِهِ ﴾ (آل عمران: 7)، ومن رد الشيء إلى غايته في الفعل قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ ذُنُوبُهُمْ مِمَّنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلًا بِآلْحَقِّ ﴾ (الأعراف: 53)¹.

نلاحظ أنّ الراغب قد أفاد من المعنى اللغوي للتأويل في تعريفه الاصطلاحي له، ولعله أول من اهتدى إلى الربط بينهما، -أي توظيف المعنى اللغوي لضبط المفهوم الاصطلاحي-، ثم نجده يقسم التأويل والرد إلى قسمين، رد إلى الغاية في العلم، ورد إلى الغاية في الفعل، وعليه فتأويل الكلام انطلاقا من تقسيمه، له صورتان:

- **الصورة الأولى:** رد علمي، وهو رد الكلام إلى حقيقته العلمية، وذلك بإعادة الكلام المشتبه الملتبس إلى أصله الواضح لحسن فهمه.

- **الصورة الثانية:** رد عملي، وهو رد الكلام إلى حقيقته العملية، وذلك بأداء المطلوب منه وفعله وتطبيقه.

وعلى الرغم من أن الراغب أوّل من وظف المعنى اللغوي في تعريف التأويل اصطلاحا؛ ورغم اختلاف مفهومه عن مفهوم سابقه، إلا أنّه حصر تأويل الكلام في الغاية المرادة منه، سواء كانت علمية أم عملية، ومع وجهة تعريفه لكن غاب عليه؛ ذكر المؤشرات التي تجعلنا نفهم الغاية من الكلام، وعلى أساسها نقوم بتأويل الكلام من عدمه، والشروط التي يجب الالتزام بها في إدراك الغايات، إذ لا يتأتى لأي كان فقه الغاية المرادة من الكلام، دون وضع شروط ومعايير تجعل الكلام مضبوطا بضابط صحيح، أو مؤشرات تجعله يستخرج تلك الغايات بطريقة سليمة، ولو سلّمنا بقول الراغب، لكانت كل التأويلات الفاسدة، يجد لها أصحابها غايات منشودة، وبذلك لن يستقيم الأمر.

¹ - الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص 31.

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

تعريف أبي حامد الغزالي¹ (ت 505هـ): "التأويل عبارة عن احتمال، يعضده دليل يصير به أغلب على الظن من المعنى الذي يدل عليه الظاهر، ويشبه أن يكون كل تأويل صرفاً للفظ عن الحقيقة إلى المجاز"².

ربما أول من صرح بلزوم اعتبار الدليل عند اللجوء للتأويل هو الغزالي، ورغم وجاهة هذا التعريف وشموليته، إلا أنه لم يسلم من النقد، فهو في نظر الأمدي³، تعريف لنوع من أنواع التأويل، وهو التأويل الصحيح⁴.

وتعريفه هذا أدق من تعريف الماتريدي، إذ جعل المعنى المرجح يغلب على الظن، أكثر من كونه ترجيحاً دون جزم، وعليه يمكننا القول أنّ هذا التعريف، يعدّ خطوة كبيرة في طريق وضع تعريف شامل ودقيق لمصطلح التأويل بمفهوم المتأخرين، إذ جعل التأويل يشبه المجاز، من حيث إنه صرف للفظ عن الحقيقة، وقد يكون وفقّ لحد ما؛ في تشبيه التأويل بالمجاز، إذ يلجأ للمجاز إذا ضاقت الحقيقة، ويلجأ للتأويل إذا ضاق معنى النص، كما أننا نلاحظ أمراً هاماً، فقد أشار لمعنى الصرف والتحويل، والذي سيكون فيما بعد هو المعنى الذي يقتصر فهمه على التأويل.

¹ - هو محمد بن محمد أبو حامد الغزالي، ولد سنة 450هـ، تفقه على أبي المعالي الجويني، وبرع في النظر، صنف الأصول والفروع، وانفرد بحسن وضع تأليفه وترتيبها، وتحقيق الكلام فيها، من مصنفاته: الاقتصاد في الاعتقاد، وإحياء علوم الدين، والمستصفي من علم الأصول، ت 505هـ (ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، 216/4، وشذرات الذهب: 10/4، الأعلام للزركلي: 22/7).

² - أبو حامد الغزالي: المستصفي من علم الأصول: تح: حمزة بن زهير حافظ، المدينة المنورة، (د ت ط)، 1/387.

³ - هو علي بن أبي علي بن سالم التعلبي، الفقيه الأصولي، الملقب بسيف الدين، والمكنى بأبي الحسن، ولد سنة 551هـ/1156م بآمد (بلد من ديار بكر)، تفنن في علم النظر، وأحكام أصول الفقه وأصول الدين والفلسفة، توفي سنة 631هـ/1233م بدمشق، من مؤلفاته: الإحكام في أصول الأحكام، ودقائق الحقائق في الحكمة، تبلغ مصنفاته نحو العشرين (ينظر: الأعلام للزركلي: 4/332).

⁴ - علي بن محمد الأمدي: الإحكام في أصول الأحكام، تح: عبد الرزاق عفيفي، ط1: 1424هـ/2003م، دار الصميعي، المملكة العربية السعودية، (ج3 ص74).

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

تعريف البغوي¹ (ت 516هـ): "التأويل صرف الآية إلى معنى يوافق ما قبلها وما بعدها، غير مخالف للكتاب والسنة، من طريق الاستنباط"².

أول ما نلاحظه في هذا التعريف، أنه وضع شروطا وضوابطا لعملية التأويل، إذ يشترط موافقة المعنى الذي أولت إليه الآية، إلى ما قبلها وما بعدها، ويشترط أيضا عدم مخالفتها للكتاب والسنة، وبالتالي فقد ألمح من خلال تعريفه، إلى ضرورة التأويل وفق السياق القرآني، ومع وجاهة هذا الرأي، إلا أنه بهذا الشرط يمتنع التأويل في بعض الأحيان، فقد تكون الآية مستقلة عما قبلها وما بعدها في الموضوع، "ولو قال لا تتناقض لكان أقرب إلى الموضوعية والصواب"³. كما وأشار إلى أنّ عملية التأويل، إنّما تكون بالاستنباط؛ الذي يعتمد على الاجتهاد العقلي، والتأمل الفكري؛ لإدراك كنه الآيات القرآنية.

تعريف ابن رشد⁴ (ت 595هـ): "إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية، إلى الدلالة المجازية، من غير أن يخل ذلك بعادة لسان العرب في التجوز"⁵.

نلاحظ أنّ ابن رشد، قد أفاد من تعريف الغزالي؛ حينما رأى التأويل أشبه ما يكون بالمجاز، لكن ابن رشد قد حصر التأويل في المجاز مطلقا، بينما اكتفى الغزالي بكونه مشابه له في أشياء، وقد يختلف معه في أشياء، وتلك هي الحقيقة، فالتأويل ليس مجازا محضا، كما أشار لقضية مهمة، وهي عدم الإخلال بعادة العرب في الأخذ بالمعنى المجازي.

¹ - هو أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، ولد في أوائل العقد الرابع من القرن الخامس الهجري، كان شافعي المذهب، من مؤلفاته: معالم التنزيل المعروف بتفسير البغوي، وشرح السنة، ومصابيح السنة، والتهذيب في الفقه، ومجموعة الفتاوى، والأنوار في شمائل المختار، والجامع بين الصحيحين، كانت وفاته بين (510-516هـ).

² - الحسين بن مسعود البغوي: معالم التنزيل، تح: مجموعة من الباحثين، ط1: 1409هـ/1989م، دار طيبة (دم ط)، 1/ 35.

³ - الطاهر عامر: التأويل عند المفسرين من السلف، المرجع السابق، ص 61.

⁴ - هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد، فيلسوف وفقهه، ولد بقرطبة وترعرع بها، أعجب بكتب أرسطو، واشتغل بالقضاء والطب، من أهم مؤلفاته: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، وتَهافت التَهافت، وفصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، والكشف عن مناهج الأدلة، توفي سنة 595هـ، (ينظر: الأعلام للزركلي: 318/5).

⁵ - أبو الوليد بن رشد: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، تح: محمد عمارة، ط3 (د ت ط)، دار المعارف،

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

تعريف الفخر الرازي¹ (ت 606هـ): "التأويل هو صرف اللفظ عن ظاهره، إلى معناه المرجوح مع قيام الدليل القاطع على أنّ ظاهره محال"².

أول ما نلاحظه من تعريف الرازي، هو اختلافه اختلافاً بيناً عن سابقه، إذ جعل التأويل لا يلجأ إليه إلا إذا كان ظاهر اللفظ غير مقبول لاستحالة، وهو بهذا القيد يختلف كثيراً عن سبقه، مع أنّه أفاد من تعريف الغزالي والبغوي؛ في معنى الصرف والتحويل، إلا أنّه اشترط قيام الدليل على استحالة المعنى الظاهر، ونستنتج أنّه يعني بالتأويل المعنى الذي اعتمده المتأخرون، والذي يتبادر إلى مفهومنا جميعاً، حينما يمرُّ علينا هذا المصطلح، وهو تأويل المتكلمين آيات الصفات، ولا نختلف لو قلنا أنّه كان متكماً بارعاً، ساق تفسيره على حسب وجهته العقائدية الفكرية، فتعريفه أحدث نقلة نوعية في تاريخ تطور مصطلح التأويل، وأصبح هو المفهوم الوحيد الذي يلازم التأويل ويقتصر الفهم عليه عند المتأخرين.

والواقع لو التزمنا بما ذهب إليه الرازي في تعريفه كما قيل: "لوقفنا على تناقض صارخ بينه وبين تأويلاته اللاحقة التي أجراها في تفسيره، والتي لا تكاد تنضبط بضابط مما شدد عليه في تعريفه"³.

تعريف الآمدي، يقول سيف الدين الآمدي (ت 631هـ): "التأويل هو حمل اللفظ على غير مدلوله الظاهر منه، مع احتمال له، بدليل يعضده"⁴. لا شك أن هذا التعريف لا يخرج عن دائرة التعاريف السابقة، لكنه يمتاز بدقته ووجهته في ضبط مفهوم التأويل.

¹ - هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التميمي البكري، الإمام فخر الدين الرازي ابن خطيب الري، إمام المتكلمين، مفسر، أصولي، فقيه، ثقة، ولد سنة 543هـ، وقيل سنة 544هـ، اشتهر بتفسيره الكبير المسمى مفاتيح الغيب، وله أيضاً المطالب العلية، ونهاية العقول، وغيرها من المؤلفات، توفي سنة 606هـ (ينظر: طبقات الشافعية للسبكي، 8/81).

² - الفخر الرازي: التفسير الكبير، ط1: 1401هـ/1981م، دار الفكر، بيروت - لبنان، (7/169-170).

³ - طاهر عامر: التأويل عند المفسرين من السلف، المرجع السابق، ص 63.

⁴ - الآمدي: الإحكام في أصول الأحكام، 3/74.

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

تعريف السبكي¹ (ت 771هـ): "التأويل هو حمل الظاهر على المحتمل المرجوح، فإن حمل لدليل فصحيح، أو لما يظن دليلاً ففاسد، أو لا لشيء فلعب لا تأويل"².

التعريف كما هو ملاحظ يشترط الدليل لصحة التأويل، كما جاءت التعريفات الأخرى، لكنه يمتاز بتقسيم الدليل إلى ثلاث أقسام:

أولاً- التأويل الصحيح: وهو حمل الظاهر على المحتمل المرجوح لدليل، وهذا قد اتفق على صحته.

ثانياً- التأويل الفاسد: وهو حمل الظاهر على المحتمل المرجوح لدليل مزنون.

ثالثاً- التأويل دون دليل: وهذا تأويل باطل دون شك.

لا شك أنّ تاج الدين السبكي قد أضاف جديداً على سابقه، ورغم ذلك فقد أغفل ذكر الاعتبار الذي على أساسه نحمل الظاهر على المحتمل المرجوح، والمعيار الذي يجعلنا نفرّق بين المعنى المرجوح لدليل قوي، أو معنى مرجوح لدليل ظني.

تعريف السيوطي: عرّف جلال الدين السيوطي التأويل بقوله: "هو ترك ظاهره لدليل، نحو ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ (المائدة: 06)، أي إذا أردتم القيام، و﴿إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ (الطلاق: 1) أي أردتم الطلاق والإرادة، ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ﴾ (النحل: 98)، وكذا قوله تعالى

1 - هو عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام السبكي الشافعي، قاضي القضاة، الإمام الباحث المؤرخ، نسبته إلى سبك من أعمال المنوفية بمصر، وُلِدَ في القاهرة سنة 727هـ، نشأ في بيت عريق في التقوى والعلم، إذ كان أبوه الإمام تقي الدين السبكي قاضي القضاة الذي أمدّ نجله النجيب بالعلم والأدب والفقّه، مات الإمام تاج الدين السبكي شهيداً بالطاعون، في 7 ذي الحجة سنة 771هـ (ينظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج 1 ص 66؛ معجم المؤلفين ج 6 ص 255؛ الأعلام ج 4 ص 184).

2- محمد الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد السلام هارون، ط2: 1415هـ/1994م، مطبعة حكومة الكويت، (مج 7 ص 314).

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ﴾ (النساء: 93)، دل الدليل على أنّ المؤمن لا يخلد، فأول الخلود بالمكث الطويل، أو الأبدي للمستحيل¹.

التعريف هذا لا يختلف عمّا سبقه من تعريفات، من حيث اشتراطه الدليل، إلا أنّه وضّح الدليل وبيّنه بالتمثيل له، لكنه افتقد لتوضيح السبب الذي عدل من أجله من المعنى الظاهر إلى المعنى الخفي.

ولعل أدق مفهوم عصري للتأويل في عرف المتأخرين نسوقه في هذا المقام: " هو تبين إرادة الشارع من اللفظ، بصرفه عن ظاهر معناه المتبادر منه، إلى معنى آخر يحتمله بدليل أقوى يرجح هذا المعنى المراد"².

ثم إنّنا نجد عبد الفتاح الخالدي، يفيد من تعريف الراغب الأصفهاني، ليخلص إلى تعريف التأويل قائلاً: " علم يتم به حسن فهم القرآن وإزالة اللبس والإشكال عن آياته، بردها إلى الغاية المرادة منها، وحملها على الآيات الأخرى الواضحة، التي لا لبس فيها ولا إشكال، واستنباط لطائف الآيات ودلالاتها وحقائقها"³.

من خلال ما سبق يمكننا أن نخلص إلى نتائج هي:

أولاً- لاقى مصطلح التأويل تطوراً واسعاً، عبر مختلف الأزمنة، فأخذ يتفرع حتى كاد يضيع معناه، ويفقد دلالاته الحقيقية، بفعل الاستهلاك المفرط من قبل أصحاب الأهواء والمذاهب، فقد كان فاكهة طازجة استغلها أصحاب الفرق في توظيف أفكارهم العقائدية، وتوجهاتهم المذهبية.

ثانياً- تتبع تطور مصطلح التأويل ليس أمراً هيناً، وذلك لوجود أسباب عديدة، فقد استخدم في بيئات مختلفة، واعتباره ظاهرة لغوية يختلف عن اعتباره مصطلحاً استقر مفهومه عند المتأخرين على

¹ - جلال الدين السيوطي: التحبير في علم التفسير، تحقيق ودراسة: زهير عثمان، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الكتاب والسنة، تحت إشراف الأستاذ الدكتور: محمد شوقي خضر، 1404هـ/1983م، جامعة أم القرى - المملكة العربية الإسلامية، ص 318.

² - فتحي الدريني: المناهج الأصولية، مؤسسة الرسالة، ط3: 1434هـ/2013م، بيروت - لبنان، ص 185.

³ - عبد الفتاح الخالدي: تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، المرجع السابق، ص 26.

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

معنى محدد، فما ورد إلينا من أخبار حول نشأته قليل جدا، وكل ما وصل إلينا - مع قلته - هو عن طريق أعداء التأويل فجاء مشوّها ناقصا، والأحرى بنا أن نتتبع مراحل تطوره عن طريق كشف الملابسات التي مسته، عسى أن نفهم بذلك أسباب تعدد صوره وتغيّر مفهومه.

ثالثا- تبين أنه رغم تعدّد المعاني اللغوية لكلمة التأويل، إلا أنه جاء في أشهر معانيه مرادفا لكلمة التفسير، التي تؤدي معنى الكشف والبيان والإظهار والشرح.

رابعا- مصطلح التأويل يتغير بتغير استعماله، فهو في عرف اللغويين مرادف للتفسير، إذ لا يتعارض مع المعنى الظاهر للنص، إنّما يتمكن به من استنباط معاني خفية يحتملها اللفظ مع استقامة المعنى الظاهر، وهو مراد الأوائل من السلف، وهو في عرف المتكلمين: صرف المعنى الظاهر من اللفظ؛ إلى معنى يحتمله بدون قطع أو جزم، مع استحالة المعنى الظاهر، وهو في عرف الأصوليين: صرف المعنى الظاهر من اللفظ؛ إلى معنى يحتمله اللفظ مع توافر الدليل.

خامسا- اللجوء للتأويل في عرف الأصوليين ضرورة يقتضيها السياق، وتدعو إليه الحاجة، فقد تتمثل في استحالة الأخذ بظاهر النص، لما في ذلك من المس بقدسية المعنى، أما التأويل في عرف اللغويين، فما هو إلا وسيلة لاستخراج دلالات أخرى يحتملها النص، وذلك بالرجوع للمعاني اللغوية التي تحتملها الألفاظ، ومن ثم استنباط احتمالات تفسيرية أخرى، بينما تكلف الفلاسفة والمتصوفة في هذا العمل، حتى حادوا عن جادة الطريق، ووصل بهم الأمر إلى تأويل الألفاظ الواضحة الدلالة، الخالية من الاحتمالات، بطريقة الإشارة وفحوى العبارة، وقاموا بليّ أعناق النصوص لتوافق فكرهم و تجاري مقصدهم، وجعلوا للكلام ظاهرا وباطنا فشططوا وزاغوا عن سواء السبيل.

وخلاصة القول هو أنّ للتأويل دلالات واسعة، ومعاني متعددة - كما رأينا - فالعنى العام هو الذي يجعل التأويل محتملا لكل تلك المعاني اللغوية التي اعتمدها السلف، والمعنى الخاص هو الذي اعتمده المتكلمون في إطلاق مفهوم التأويل على دلالة معينة، وهو ما اقتصر فهمه على التأويل عند المتأخرين.

والذي يجب أن لا نفوت علمه، أنّ منشأ الخلاف حول هذا المصطلح، هو شيوع تداوله، واستخدامه المفرط من قبل كل طائفة، وتعدّد معانيه اللغوية، ومن دون شك فإنّ السياق هو الذي

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

يحدّد لنا المعنى المراد به من التأويل في الكلام، وعلى هذا الأساس نجد أمين الخولي¹ يقول: " وأحسب أنّ منشأ هذا كله، هو استعمال القرآن لكلمة التأويل، ثم ذهب الأصوليين إلى اصطلاح خاص فيها، مع شيوع الكلمة على ألسنة المتكلمين من أصحاب المقالات والمذاهب"².

الفرع الثالث - الفرق بين التفسير والتأويل:

لقد اختلف العلماء في الفرق بين التفسير والتأويل، وتعدّدت أقوالهم في ذلك وتضاربت، وتباينت أدلتهم ما بين نقلية وعقلية؛ حول إثبات ترادف اللفظين أو نفي ذلك، حتى بالغ أحدهم، فقال: " قد نبغ في زماننا مفسّرون، لو سئلوا عن الفرق بين التفسير والتأويل ما اهتموا إليه "³، ومن هذا المنطلق كان لزاما على علماء التفسير؛ أن يعرضوا لمعنى كلا اللفظين، لأنّه ورد على ألسنتهم وفي كتبهم، وسنحاول في هذا المقام أن نبسط الحديث فيه، علنا نخرج بحصيلة معرفية تمكننا من الفهم الدقيق للفظين.

وابتداءً نقول:

أولاً - ذهبت الطائفة الأولى أنّ: التفسير والتأويل مصطلحان مترادفان، لهما معنى واحد، هو تفسير القرآن وبيان معانيه. ونسب السيوطي هذا القول لأبي عبيدة معمر بن المثنى⁴ ومن معه، لكننا نجد (الخالدي) يرفض هذا الرأي مستدلا بفكرة التفسير والتأويل مصطلحان قرآنيان، وقد نستسيغ كلامه إلى حد ما، كونه مع الفريق الذي يقول بعدم وجود الترادف للألفاظ القرآنية؛ شأنه شأن

1- أمين الخولي، من أعضاء المجمع اللغوي بمصر، ولد في قرية شوشاي سنة 1895م، بالمنوفية، تعلّم بالأزهر وتخرّج بمدرسة القضاء الشرعي، عين أستاذا في الجامعة المصرية (القديمة) ثم وكيلا لكلية الآداب إلى سنة 1953م، فمديرا للثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم إلى سنة 1955م، وبها أحيل إلى المعاش، مثل مصر في عدّة مؤتمرات وتوفي بالقاهرة، له عدة مؤلفات منها: (البلاغة العربية) (فن القول) (من هدي الرسول) (مشكلات حياتنا اللغوية) (المجددون في الإسلام) (ينظر: الأعلام، الزركلي، القسم الثاني ص 16).

2- ينظر: أمين الخولي: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، ص 205-206؛ وينظر: محمد حسين الذهبي:

التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة - مصر، (د ت ط)، ج 1، ص 17-18.

3- جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، المصدر السابق، ص 691.

4- هو أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي، تيم قريش مولى لهم، كان من أجمع الناس للعلم، وأعلمهم بأيام العرب وأخبارها، وأكثر الناس رواية... وقال أبو حاتم: مازال أبو عبيدة يصنف حتى مات، وبلغ 93 سنة، ومات سنة 209هـ. ينظر (طبقات النحويين واللغويين، ص 175).

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

العديد من المعاصرين ورواد التفسير البياني¹، لكنه ما فسّر القضية بشيء من التحليل الذي يجعلنا نفهم موقف السلف من استعمال المصطلح، وقد نرى ذلك كون علماءنا السلف إنّما أفادوا من المعنى اللغوي للفظه فحسب، وهو معنى قائم بذاته كما رأينا، وما نشأت المفاهيم الأخرى إلا بتطور المصطلح مع الزمن واستخدامه لدلالات أخرى.

فتأويل الكلام إذن: ما أوّله إليه المتكلم، أو ما يؤول إليه الكلام ويرجع، والكلام إنّما يرجع ويعود إلى حقيقته التي هي عين المقصود، وقد أفاض مناع القطان في الكلام عن هذا قائلا: "وهو نوعان إنشاء وإخبار، ومن الإنشاء الأمر فتأويل الأمر: هو الفعل المأمور به... وتأويل الإخبار: هو عين المخبر به إذا وقع"².

ثم نجده يقرّر أنّه إذا قلنا: التأويل هو نفس المراد بالكلام، فعلى هذا يكون الفرق كبيرا بين التفسير والتأويل، لأنّ التفسير شرح وإيضاح للكلام، أما التأويل فهو نفس الأمور الموجودة في الخارج، وهذا هو المعنى الثاني للتأويل عند السلف.

ثانياً- أما الطائفة الثانية، فقد رأت أنّ بين التفسير والتأويل فرقا، ثم اختلفوا في ماهية تلك الفروق:

1- فمنهم من يرى التفسير أعم من التأويل، قال الراغب الأصفهاني: "التفسير أعم من التأويل وأكثر استعماله في الألفاظ ومفرداتها، وأكثر استعمال التأويل في المعاني والجمل كتأويل الرؤيا، وأكثر ما يستعمل التأويل في الكتب الإلهية، والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها"³.

¹ - لعنا نرجح رأي الفريق الذي يتبنى فكرة عدم ترادف المفردات القرآنية، ونعضد وجهة النظر هذه بأن أصل الترادف في اللغة: ركوب أحد خلف الآخر، فيقال: ردف الرجل وأردفه؛ أي ركب خلفه، وقال الفراء مردفين: متتابعين، وعلى هذا الأساس فالترادف لا يعني التساوي وهذا ينطبق على المفردات أيضا.

² - مناع القطان: الوجيز في أصول التفسير، المطبعة السلفية ومكبتها، ط: 1379هـ، الرياض - السعودية، ص 67.

³ - جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، المصدر السابق، ص 691.

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

- 2- وقيل التأويل أعم لجريانه في الكلام وغيره، يقال: " تأويل الكلام كذا، وتأويل الأمر كذا، أي ما يؤولان إليه، بخلاف التفسير فإنه يخص الكلام ومدلوله، يقال: تفسير الكلام كذا والقضية كذا"¹.
- 3- وقيل: التفسير بيان معاني القرآن من باب الجزم والقطع؛ لوجود دليل لدى المفسر يعتمد عليه، والتأويل بيان معاني القرآن من باب الاحتمال وغلبة الظن والترجيح، لعدم وجود دليل لدى المؤول؛ يعتمد عليه في القطع والجزم، وهذا قول أبي منصور الماتريدي كما رأينا سالفًا.
- 4- التفسير بيان وضع اللفظ إما حقيقة أو مجازًا، كتفسير الصراط بالطريق، والصيب بالمطر، وهو الرجوع لعاقبة الأمر، فالتأويل إخبار عن حقيقة المراد، والتفسير إخبار عن دليل المراد، لأنّ اللفظ يكشف عن المراد والكاشف دليل، مثاله قوله تعالى ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ (الفجر: 14)، تفسيرها: أنه من الرصد والمراقبة، وتأويله: التحذير من التهاون بأمر الله والاستعداد للعرض يوم القيامة².
- 5- قيل علم التفسير للخلق، وعلم التأويل للحق، قال تعالى: وما يعلم تأويله إلا الله " وهو فيما يرجع إلى الغيب الذي أبهمه الله تعالى، كالساعة متى وقوعها وأشراتها ومتى ظهورها "³.
- 6- قيل التفسير: " ما وقع مبينًا في كتاب الله ومعينًا في صحيح السنة، لأنّ معناه قد ظهر ووضح، والتأويل: ما استنبطه العلماء"⁴.
- 7- التفسير فهم الآيات على ظاهرها بدون صرف لها عنه، والتأويل صرف الآيات عن ظاهرها إلى معنى آخر، تحتمله الآيات ولا يخالف الكتاب والسنة "⁵.

¹ - سليمان الطوفي الصرصري (ت 736هـ): الإكسير في علم التفسير، تح: عبد القادر حسين، ط2: 2002م، مكتبة الآداب، القاهرة- مصر، ص 2.

² - ينظر: السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، المصدر السابق، ص 691.

³ - فهد الرومي: بحوث في أصول التفسير ومناهجه، ط 4: 1419هـ، مكتبة التوبة، الرياض- السعودية، ص 11.

⁴ - الوجيز في أصول التفسير، المرجع السابق، ص 68.

⁵ - عبد الفتاح الخالدي: تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، ص 27.

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

8- قيل التفسير ما يتعلق بالرواية، والتأويل ما يتعلق بالدراية، وقيل: التفسير يتوقف على النقل المسموع، والتأويل يتوقف على الفهم الصحيح.

9- قيل التفسير هو بيان المعاني التي تستفاد من وضع العبارة، والتأويل هو بيان المعاني التي تستفاد بطريق الإشارة، و"كل ما قيل مما ذكرنا ومما لم يذكر مخالف للعرف اليوم، إذ قد تعورف عند المؤلفين من غير نكير، أنّ للتأويل معانٍ قدسية، ومعارف ربانية، تنهل من سحب الغيب على قلوب العارفين، والتفسير غير ذلك" ¹.

هذه أهم الآراء التي وردت في التفريق بين التفسير والتأويل، ولعل الراغب الأصفهاني هو أكثر من وقق في تلخيص أهم النقاط؛ التي نفرّق فيها بين التفسير والتأويل، نوردها في النقاط الآتية:

أ- التفسير أعم من التأويل.

ب- يستعمل التفسير في الألفاظ، ويستعمل التأويل في المعاني.

ج- ينحصر استعمال التأويل في الكتب الإلهية، أما التفسير فيستعمل فيها وفي غيرها.

د- يستعمل التفسير في بيان معاني الألفاظ والمفردات، أما التأويل يستعمل في بيان معاني الجمل والتركيب.

ومما عرضه الإمام السيوطي في كتابه (الإتقان في علوم القرآن) من الفروق بين التفسير والتأويل، إضافة إلى ما ذكرناه سابقا.

أ- التفسير: بيان ألفاظ القرآن؛ التي لا تحمل إلا معنى واحدا، والتأويل توجيه ألفاظ القرآن، التي تحمل عدّة معانٍ إلى معنى واحد، اعتمادا على الأدلة في ذلك.

ب- التأويل: بيان أحد احتمالات اللفظ، أما التفسير بيان مراد المتكلم ².

وبالنسبة للرأي الذي يرحّحه معظم الباحثين، وشاع على الألسنة كثيرا، كون التفسير ما كان راجعا إلى الرواية، والتأويل ما كان راجعا إلى الدراية، فهو رأي مستساغ إلى حد ما، لكنه ليس رأيا

¹ - محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، (ج1، ص 18 - 19).

² - جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، المصدر السابق، ص 2262.

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

وجيها، إذ التفسير يرجع فيه أولا للنقل والرواية، ثم للعقل والدراية، ولو سلمنا بهذا القول لكانت كل تلك التفاسير الكثيرة التي تزخر بها المكتبة الإسلامية نقلية متكررة، لكن الواقع يناقض هذا، فكل مفسر له توجيهاته الخاصة وتفسيره الخاص، مع وحدة النص القرآني ووحدة المنبع من النقل والرواية، والتي يتخذها المفسر ركيزة في استخراج دلالات جديدة، والأصوب من حيث الدقة أن نقول: يعتمد التفسير على النقل والعقل معا، أما التأويل فيعتمد فيه على العقل فقط.

ومن ثم فإننا نجد الخالدي¹ له رأي قويم في هذه المسألة، إذ جعل التفسير والتأويل مرحلتان متتابعتان، مرتبطتان ببعضهما البعض، فالمرحلة الأولى هي التفسير، حيث يقوم المفسر بشرح ألفاظ وجمل القرآن اعتمادا على الروايات والأقوال المأثورة وبالاستعانة بعلوم شتى، تمكنه من استخراج المعنى القريب المتبادر منها، أما إذا أراد أن ينتقل للمرحلة الثانية وهي مرحلة التأويل، فهنا عليه النظر في القرآن؛ على ضوء معلوماته التفسيرية السابقة، حتى يلحظ المعنى البعيد الغير متبادر للذهن، ويزيل ما حول الآية من لبس أو اشتباه أو إشكال، ويلتفت إلى لطائفها وإشاراتها وإيحاءاتها، ويستخرج حقائقها ودلالاتها.

واستدل الخالدي على رأيه هذا بتفسير حبر الأمة ﷺ لسورة النصر، حينما فسرها الصحابة بظاهر معناها، أما هو فقد التفت إلى معنى بعيد فيها عن طريق التأويل.

ومما تجدر الإشارة إليه، أننا لو نظرنا إلى هدف وغاية كلا المصطلحين، لألفينا غاية واحدة تجمع بينهما، وهدفا واحدا يؤولان إليه، وهو التوصل إلى فهم معاني القرآن الكريم بصورة سليمة، واستنباط أحكامه بطريقة صحيحة، فكلاهما وسيلتان؛ يتوسل بكل منهما في إدراك مقصد اللفظ، وبالتالي فهم النص القرآني، ولأحد الباحثين كلام هادف يقول فيه: "أنَّ هناك معنى عاما واحدا يشترك فيه اللفظان، هو محاولة الكشف عن حقيقة شيء ما، وأنه حينما يستخدم كل منهما في شرح معاني القرآن الكريم، فإنه يجمعهما هذا المعنى العام المشترك"².

1- صلاح عبد الفتاح الخالدي: تعريف الدارسين بمنهاج المفسرين، مرجع سابق، (ص 29-34 بتصرف).

2- محمد بلتاجي: دراسات في التفسير، مكتبة الشباب، سنة 1989م، ص 10.

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

المبحث الثاني: علم التفسير وضوابطه

لكل علم من العلوم أسس وضوابط يقوم عليها، وكذلك الشأن في علم التفسير، فرغم قدم ظهوره إلا أنه ما زال علما لم ينضج ولم يحترق، ولن تحف الأقلام فيه لتعلقه بكتاب أزلي محفوظ من الله تعالى.

وفي هذا المبحث سنأخذ لمحة عامة حول نشأته وأقسامه وأنواعه، وأهم الشروط التي يجب على المفسر مراعاتها والتقيدها بها.

المطلب الأول: نشأة علم التفسير

نشأ التفسير مبكرا في عصر النبي ﷺ فلقد جرت سنة الله مع رسله عليهم السلام، أن يرسل كلا منهم بلسان قومه حتى يسهل عليهم الأخذ عنه والفهم منه، مصداق ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ (إبراهيم:4) فكان من الطبيعي أن يكون ﷺ أول من فسّر القرآن الكريم؛ استجابة لأمر الله تعالى، يقول تعالى في محكم التنزيل ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (النحل: 44)، فقام النبي ﷺ بهذه المهمة خير قيام، حيث أوضحت أقواله منذ ذلك الحين المرجع الأول والصحيح لتفسير القرآن الكريم.

لكن السؤال الذي ينبجس: هل فسّر النبي ﷺ القرآن كاملا؟ وما المقدار الذي فسّره من القرآن؟ إن بيان الرسول ﷺ لمعاني القرآن، مسألة اختلفت حولها الأنظار، وتضاربت فيها الأفكار، فمن قائل أنه بيّنه جميعا، ومن قائل أنه بيّن لهم بعضه، وترك البعض الآخر لفهومهم وفق مقتطفات اللغة العربية، وقواعد الشرع العامة، وفي هذا المقام سنكتفي بذكر مجمل الأقوال في هذه المسألة، دون عرض لأدلتهم من النقل والعقل، فلا يسعنا ذكرها لما فيها من طول¹، وإنما سنحاول أن نناقش ذلك ونقف على الآراء لنوفق بين الرأيين.

¹ - يمكن الرجوع في هذا الشأن لكتاب (التفسير والمفسرون) لحسين الذهبي.

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

ولقد تناقل الباحثون¹ رأي الإمام الطبري في هذا الشأن حينما قال: "ولو كان تأويل الخبر عن رسول الله ﷺ، أنه كان لا يفسر من القرآن شيئاً، إلا آياً بعدد - هو ما يسبق إليه أوهام أهل الغباء، من أنه لم يكن يفسر من القرآن إلا القليل من آيه، واليسير من حروفه"²، فوقر في أذهانهم اعتماداً على هذا القول، أنه ألمح إلى أن النبي ﷺ قد فسّر القرآن كاملاً، ولعدم تسليمنا بوجهة النظر هاته³، أئينا إلا الرجوع لمقدمة الطبري لنستبين الأمر، ولنتتبع السياق الذي جاء فيه كلامه هذا، لنكتشف أنّ الجملة السابقة؛ اقتطعت من سياق معين، وتناقلها الباحثون دون تحقيق أو نظر في هدف كلامه، أو غايته التي أراد الوصول إليها.

ولا يسعني المقام بسرد كل ما وجدته من أدلة؛ أبين فيها خطأ فهم هذا القول، وسأكتفي بأهمها، ففي بداية مقدمته تطرّق لأقسام التفسير، وأوضح أنّ هناك قسماً منه؛ أمر الله عباده بتدبره، ولم يحجب عنهم علمه من آيه، ثم قال: "وإذا صحّ ذلك فسد قول من أنكر تفسير المفسرين - من كتاب الله وتنزيله - ما لم يحجب عن خلقه تأويله"⁴، فهنا يشيد بدور المفسرين في فهم معاني القرآن، وهذا ما ختم به الباب الذي كان حصيلة الأبواب السابقة، ليرد قوله السابق في باب اسمه (ذكر الأخبار التي غلط في تأويلها منكرها القول في تأويل القرآن) ⁵، وعنوان الباب وحده كفيلاً بإظهار وجهة نظره، فهو يصحّح مفاهيم من أنكر تفسير القرآن، وهذا ما يوحي إليه دون شك، ثم نجده يورد الحديث الذي روته أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - ، حينما قالت: "ما كان النبي ﷺ يفسر شيئاً من القرآن، إلا آياً بعدد، علمهن إياه جبريل"⁶ ، فقد شرح هذه الرواية، وبيّن أنّ هناك قسماً لا يدرك إلا ببيانه ﷺ وبالنظر لملا بسات الكلام نستنتج أنّه كان يرد على من أنكر تفسيره للقرآن؛ استدلالاً برواية أم المؤمنين - رضي الله عنها - ، فما كان منه إلا أن أوضح الفهم الصائب

¹ - دراسة تأصيلية لنشأة التفسير وتطوره ومصادره وأمنائه، أ/ د - زياد علي الجرجاوي، د/ عبد الفتاح عبد الغني الهمص، بحث مقدم للمشاركة بالمؤتمر العلمي الأول لكلية القرآن والدراسات الإسلامية، جامعة أبو ديس - القدس - فلسطين، المعنون بـ (التفسير بين الأصالة والمعاصرة) 2004/04/29، ص 22.

² - ابن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل القرآن، تح: محمود شاكر، مكتبة ابن تيمية، القاهرة - مصر، (د ت ط) (ج 1، ص 88).

³ - لأنه من غير المعقول أن يعتقد بهذا الأمر، ثم يأتي بتفسير مأنور فيه من ترجيحاته ما فيه.

⁴ - تفسير الطبري، المصدر نفسه، (ج 1، ص 83).

⁵ - المصدر نفسه، (ج 1، ص 84).

⁶ - المصدر السابق، (ج 1، ص 84).

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

وعالج القضية بكل موضوعية، فانتهى إلى رأي؛ أنّ هناك تفسير لا يدرك إلا ببيان رسول الله ﷺ فلا يعلم أحد من خلق الله تأويل ذلك إلا ببيانه الذي علّمه الله بوحيه، فذلك هي الآي التي كان رسول الله يفسرها لأصحابه بتعليم جبريل إياه، وهن لا شك أي ذوات عدد¹.

وهنا بالتحديد أوضح الغلط في فهم الرواية وأزال اللبس عنها، ولم يكن مراده لما أتى بها، أو حين عقب على أنّ الحديث له علة في إسناده؛ أنّه يشير إلى أنّ النبي ﷺ فسّر كل القرآن كما فهم عنه، بل كان مراده من إيراد ذلك كله، هو تصحيح الغلط وإزالة اللبس، وإقرار قضية عاجلها من الأول، أنّ هناك ما لا يدرك إلا ببيانه لأمته، وأنّ ما شرحه لهم مما علّمه الله إياه بواسطة جبريل، هنّ لا شك آيات معدودة، محمولة على مغيبات القرآن مما لا سبيل إليه إلا بتوقيف من الله سبحانه وتعالى.

وعليه فإن الفريق الذي رأى أنّ النبي ﷺ فسّر كل القرآن استنادا إلى رأي الطبري، فهذا لا شك تكلف في الفهم ومغالة فيه، لأننا أوضحنا موقف الطبري من كلامه،

ولعلّ أول من صرح بأن الرسول قد فسّر القرآن كله، هو شيخ الإسلام ابن تيمية، حيث يقول:
"يجب أن نعلم أنّ النبي ﷺ بيّن لأصحابه معاني القرآن، كما بيّن لهم ألفاظه، فقوله تعالى: ﴿لِنَسَبِنَ
لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ﴾ يتناول هذا وهذا"².

فهو يرى أنّ ما دام الرسول قد بيّن المعاني والألفاظ، فهذا يعني أنّه فسّر لصحابته كل القرآن، لكننا نخرّج قوله آنف الذكر، فلا يفهم منه قصده تفسير القرآن آية آية، بل يحتمل أنّه يقصد تفسيره ﷺ للقرآن كاملا بالمعنى الشامل للسنة، أي بالقول والفعل والإقرار، وفي ذلك يقول أحد الباحثين:

" إنّ التفسير النبوي للقرآن ليس معناه الحجم المقروء الذي وصل إلينا، بل إنّ أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته، تعدّ تفسيراً للقرآن، وقد قالت أمنا عائشة - رضي الله عنها- كان خلقه القرآن"³.

¹-تفسير الطبري: المصدر السابق، (ج1، ص 88).

²- ينظر: ابن تيمية: مقدمة في أصول التفسير، تح: عدنان زرزور، ط1: 1391هـ/ 1971م، دار القرآن الكريم، الكويت، ص 93؛ السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ص 692.

³- دراسة تأصيلية لنشأة التفسير وتطوره ومصادره وأنماطه، البحث السابق، ص 23.

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

كما أنّ معظم العلماء اتفقوا على أنّ النبي ﷺ كان يفسّر آيات الأحكام، وبيّنها كما نصت الآية على ذلك، وكما قال عن نفسه {ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه} ¹، فقد فسّر لصحابته القرآن الكريم؛ أمره ونهيّه، حلاله وحرامه، محكمه ومتشابهه، ناسخه ومنسوخه، عمومه وخصوصه، وهذا من دون شك ما يقصده ابن تيمية ومن نحا نحوه، لأنّه من المستبعد أن يقصد تفسير القرآن آية آية، فهذا مما لا يقوله أحد يعتد برأيه، لأنّ الأمثلة والشواهد قائمة وصریحة بأنّه خفي على بعض الصحابة بعض معاني القرآن الكريم، وأنّهم اختلفوا في فهمها، ولو كان فيها نصا قاطعا من النبي لما اختلفوا فيها مطلقا.

والفيصل في هذه المسألة هو النظر إلى اعتبار كل فريق، فالفريق الأول الذي قال أنّ ﷺ فسّر كل القرآن، كان يقصد تبينه الشامل له من خلال سنته، والفريق الثاني الذي خالفه، إنّما رأى بأنّه فسّر جزء يسير منه، وكان قصدهم أنّ الآيات التي فسّرها قليلة، وعليه فعدم ضبط المعيار الذي أسس كل فريق عليه رأيه، نجم عنه تباين في وجهة النظر، كما أنّ الأمر بين مقدارين، مقدار الكل ومقدار القلة، والأحرى بمثل هذه القضية التوسط في الحكم، والنظر للأمر من زاوية كل فريق، ليسهل التوفيق بين الرأيين.

ولأحد العلماء ² رأي سديد في هذه المسألة، فهو ينظر إليها بناء على التفريق بين آيات الأحكام والآيات الكونية، فإن قلنا الرسول ﷺ فسّر كل القرآن، فإنّ هذا يضعنا أمام مفارقة عجيبة؛ إذ كيف فسّر لهم الآيات الكونية سابقا، أعلى حقيقتها في الواقع، أم سيفسّرها بما تطيقه عقولهم في ذلك الوقت، ولو فسّرها بحقائق القرن العشرين أو الثلاثين، لتعجب معاصروه و لاستعظموا ذلك، ولو فسّره بما تطيق عقولهم لحجّر علينا القرآن ولجمد، لأنّه لا أحد سيجرؤ على التفسير بعده، وما كان منه إلا أن ترك تفسير القرآن، حتى تأخذ كل مرحلة فكرية من لمحات القرآن بقدر ما تستطيع، وذلك في الآيات الكونية، أما آيات الأحكام فقد بيّنها ﷺ وأوضحها للناس ³.

1 - أخرجه الألباني في (صحيح الجامع الصغير وزيادته) رقم الحديث : 2643، ص 516.

2 - الشيخ الشعراوي -رحمة الله تعالى عليه-. محمد متولي الشعراوي (1329 - 1419 هـ) عالم دين ووزير أوقاف مصري سابق. يعد من أشهر مفسري معاني القرآن الكريم في العصر الحديث؛ حيث عمل على تفسير القرآن الكريم بطرق مبسطة وعامية مما جعله يستطيع الوصول لشريحة أكبر من المسلمين في جميع أنحاء العالم العربي، لقبه البعض بإمام الدعاة. (ينظر، موقع

ويكيبيديا)

³-ينظر: الشعراوي: تفسير القرآن الكريم، (نسخة مصورة، ج 1، من ص 9 إلى 14- بتصرف).

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

كما أننا لا ننسى ما ذكره الشيخ ابن باديس¹ بهذا الصدد، حينما قال: إنّ القرآن كتاب الدهر ومعجزاته خالدة، فلا يستقل بتفسيره إلا الزمن، فكثير من متون الكتاب الواردة في معضلات الكون ومشكلات الاجتماع، لم تفهم أسرارها ومغزاها إلا بتعاقب الأزمنة، وظهور ما يصدقها من سنن الله في الكون، وكم فسّرت لنا الأيام حقائق مذهلة ما كانت تخطر بالبال، ويستحيل تصوّرها في سالف الأيام الغابرة، وكانت منسجمة مع الإشارة والعبارة القرآنية، تصدق قوله ﷺ في القرآن (لا تنقضي عجائبه). وفي ذلك شحذ للعقول وقدر للفكر للترقّب والتدبّر في سنن الله الكونية حين تنكشف حقائقها².

ثم يسوق دليلاً ليؤكد به وجهة نظره قائلاً: "وقد أثر عن جماعة من فقهاء الصحابة بالقرآن قولهم في بعض هذه الآيات (لم يأت مصداقها أو تأويلها بعد) يعنون أنّه آت، وأنّ الآتي به حوادث الزمان ووقائع الأكوان"³، ثم ختم كلامه بما ابتدأ به قائلاً: "وهكذا تأتي بعض المتون من كلام الله معجزة للعقول، فتتطير من حولها الفهوم والآراء تطاير الشعراء، ويظن كل عقل أنّ حرفته آلة لتفسيرها والعلوم حرف العقول، والزمان من وراء الكل يصيح أن انتظروا"⁴.

ونستخلص مما سبق، لو فسّر القرآن كاملاً، لن يتجرأ أحد بعده على تفسيره، ولوصل إلينا تفسير واحد للقرآن، ولما وجدنا اختلافات تفسيرية حتى بين الصحابة أنفسهم، فكل هذه الأدلة تعضد وجهة نظرنا، ولكان نتيجة ذلك جمود القرآن وركوده، وعدم مواكبته لكل عصر بتطوراته ومستجداته، بالإضافة إلى أنّ هذا الأمر سيكون مصادرة للعقل البشري، والقرآن إنّما جاء لتحرير العقل، والدعوة لإعمال الفكر بالتدبّر والنظر والتفكير.

1 - عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي بن باديس، (1308-1359هـ/1889-1940م) من كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام، والزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية، ورئيس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر منذ بدء قيامها سنة 1931 إلى وفاته، كعف على تعليم النشء الجزائري ويعده من أجل المستقبل، أصدر عدة صحف ومجلات أشهرها مجلة (الشهاب)، من آثاره (مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير) في تفسير القرآن. (ينظر: معجم المفسرين، ص 259-260).

2 - عبد الحميد بن باديس: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، من مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، ط1: 1402هـ/1982م، ص 411.

3 - المرجع نفسه، ص 411.

4 - المرجع نفسه، ص 413.

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

وقد حاول السيوطي جمع مجمل الروايات التي صدرت عنه ﷺ على شكل آيات متقطعة ومجزأة، بدءاً بسورة الفاتحة واختتاماً بسورة الناس، ثم عقّب على ذلك بقوله: " فهذا ما حضرني من التفاسير المرفوعة المصرّح برفعها صحيحها وضعيفها ومرسلها ومعزلها، ولم أعوّل على الموضوعات والأباطيل"¹.

كما أفردت كتب السنة في جوامعها ومسانيدها، أبواباً خاصة لأحاديث الرسول ﷺ المتعلقة بتفسير القرآن الكريم، فهذا الجامع الصحيح للإمام البخاري² احتوى على كتابين هما: كتاب تفسير القرآن، وكتاب فضائل القرآن، اللذين شغلا نحو الثمن من الجامع.

الفرع الأول - التفسير في عصر الصحابة:

لما التحق النبي ﷺ بالرفيق الأعلى، لم يكن بد للصحابة رضي الله عنهم، من أن يقوموا بدورهم في بيان معاني القرآن الكريم، وتوضيح ما فهموه من كتاب الله تعالى، غير أنهم كانوا متفاوتين في قدراتهم على التفسير، حسب مداركهم العقلية ومعارفهم المكتسبة من فهم اللغة وفهم أسباب النزول، وحسب التزامهم بمجالس الرسول ﷺ ولو جارينا من رأى بأنّ كل الصحابة كانوا يفهمون القرآن بحكم سليقتهم العربية، فالقرآن نزل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم، لتبيّن لنا عكس هذا، فقد وجد في عصر الصحابة من يفهم الآية على غير وجهها: يشهد لذلك ما جاء في الرواية على أنّ عدي بن حاتم³ لم يفهم معنى قوله تعالى: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ (البقرة: 187). وبلغ من أمره أن أخذ عقلاً أبيض وعقلاً أسود، فلما مرّ بعض الليل نظر إليهما، فلما أخبر النبي ﷺ بأمره أفهمه المراد⁴.

1- السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، المصدر السابق، ص 852.

2- هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، إمام الأئمة وشيخ حفاظ الأمة، ولد ببخارى سنة 174هـ، وارتحل لطلب العلم وتنقل في البلاد، ابتداءً في تراجم أبواب الجامع الصحيح بالحرم الشريف، ولبت في تصنيفه ست عشرة سنة بالبصرة وغيرها، حتى أمّه ببخارى، ومات سنة 256هـ قرب سمرقند (ينظر: سير أعلام النبلاء، ج 12، ص 391، وتاريخ بغداد، ج 2، ص 4، وتذكرة الحفاظ، ج 2، ص 555).

3- عدي بن حاتم الصحابي الجليل بن عبد الله، أسلم في سنة تسع أو عشر، وكان نصرانياً قبل ذلك، قال أبو حاتم السجستاني بلغ مائة وثمانين، مات سنة 68هـ (ينظر: الإصابة في معرفة الصحابة 460/2).

4 - أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب الصوم، باب: وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر)، حديث رقم: 1619، ص 237.

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

وخلاصة القول، فإنّ بعض ما روي عن الصحابة في التفسير مأخوذ عن الرسول ﷺ وبعضه قالوا فيه برأيهم، وأعملوا فيه فكرهم ونظرهم، مستعينين بما يعرفونه من أوضاع اللغة وأسرارها، وبما شاهدوه من قرائن الأحوال، والأكثر من ذلك بقوة الفهم وسعة الإدراك، كما قال علي¹ - كرم الله وجهه-، لما سئل: هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟ قال: "لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ما أعلمه إلا فهما يعطيه الله رجلا في القرآن"².

وهذا القول يساعدنا في تثبيت ما قلناه سابقا، من أنّ الصحابة متفاوتون في فهم القرآن الكريم، ولا يستبعد أن يخفى عليهم بعض معانيه، ومما يشهد لهذا ما جاء في الفضائل عن أنس³ رضي الله عنه، أنّ عمر بن الخطاب⁴ قرأ على المنبر (وفاكهة وأبا) فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأب؟ ثم رجع إلى نفسه، فقال: (إنّ هذا هو التكلف يا عمر)⁵ وما روي من طريق مجاهد عن ابن عباس⁶ رضي الله عنهما قال: كنت لا أدري ما فاطر السماوات حتى أتى أعرابيان يتخاصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتهما، يقول: أنا ابتدأتها"⁷.

¹ - هو ابن عم الرسول ﷺ وصهره ورابع الخلفاء الراشدين، كان في العلم بحرا لا يدرك له قرار، روى عن النبي ﷺ كثيرا وروى عن الصحابة، مناقبه كثيرة حتى قال الإمام أحمد: لم ينقل لأحد من الصحابة ما نقل لعلي، استشهد في سابع عشر رمضان من عام أربعين للهجرة (ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج2، ص507-510 وتذكرة الحفاظ، ج1، ص10-13).

² - أخرجه البخاري في صحيحه، باب الجهاد 69/4

³ - هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر الأنصاري، أبو حمزة المدني، خادم رسول الله - صلى الله عليه وسلم-، نزيل البصرة، روى عن النبي ﷺ، وعن أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعبد الله بن رواحة، وفاطمة الزهراء وغيرهم، وروى عنه: الحسن، وسليمان التيمي، وأبو قلابة، وأبو مجلز، وإسحاق بن أبي طلحة، وقتادة، مات سنة 93هـ (ينظر: تهذيب التهذيب ج1 ص322-344).

⁴ - عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن لؤي القرشي العدوي أبو حفص الفاروق الذي أعز الله به الإسلام، صحابي جليل وأحد الخلفاء الأربعة، دامت خلافته عشر سنوات، قتل سنة 23 هـ (ينظر: أسد الغابة، ص642).

⁵ - ينظر: السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، المصدر السابق، ص211؛ الاعتصام بالكتاب والسنة (باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه، رقم: 7293، ج13 ص265).

⁶ - هو عبد الله ابن عباس حبر الأمة وإمام التفسير، دعا له النبي ﷺ، أن يفقهه الله وليعلمه التأويل، ولد قبل الهجرة بثلاث سنوات، ومات سنة 69هـ بالطائف (ينظر: سير أعلام النبلاء، ج3 ص331، وتذكرة الحفاظ، ج1، ص40-41، وتاريخ بغداد، ج1 ص173).

⁷ - السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، المصدر السابق، ص211.

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

والأكثر من ذلك فقد وجد من شيوخهم من لا يدركون إشارات القرآن، في حين يدركها من هو في أول شبابه، يشهد لذلك ما رواه البخاري في صحيحه، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد في نفسه وقال: لم يدخل هذا معنا وإن لنا أبناء مثله، فقال عمر: إنه من أعلمكم، فدعاهم ذات يوم فأدخلني معهم، فما رأيت أنه دعاني يومئذ إلا ليربهم، فقال: ما تقولون في قوله تعالى ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ (النصر: 1) فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم ولم يقل شيئاً، فقال لي: أكذلك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، فقال: ما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه الله إياه، قال إذا جاء نصر الله والفتح، فذلك علامة أجلك ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ فقال عمر: لا أعلم منها إلا ما تقول"¹.

ومن ثم فقد اشتهر بالتفسير عدد قليل لا يتجاوز العشرة، كما ذكر صاحب الإتيقان، وهم: "الخلفاء الأربعة وابن مسعود² وابن عباس وأبي بن كعب³ وزيد بن ثابت⁴، وأبو موسى الأشعري⁵ وعبد الله بن الزبير⁶".

¹ - ينظر: السيوطي: الإتيقان في علوم القرآن، المصدر السابق، ص 700، (والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، رقم: 4980 كتاب: التفسير؛ باب قوله فسبح بحمد ربك واستغفره؛ ج 8 ص 735-736).

² - هو عبد الله بن مسعود بن غافل، أحد السابقين الجاهرين بالقرآن بمكة، حفظ من في رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورة، كان يقل من الرواية ويتورع في الألفاظ، توفي في سنة 32هـ بالمدينة، (ينظر: تذكرة الحفاظ، ج 1 ص 13-14).

³ - هو أبو المنذر أبي بن كعب بن قيس الأنصاري الخزرجي، أقرأ الصحابة وسيد القراء، أول من كتب للرسول -صلى الله عليه- وسلم، شهد بدرًا، توفي سنة 19هـ، وقيل: سنة 22هـ (ينظر: تذكرة الحفاظ ج 1 ص 16-17).

⁴ - هو ابن الضحاك، وابن زيد بن لوزان بن عمرو بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي، كتب الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم يقول ابن عباس رضي الله عنهما: لقد علم المحفوظون من أصحاب محمد أن زيد بن ثابت رضي الله عنه كان من الراسخين في العلم، مات سنة 45هـ (ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة ج 4 ص 41-43).

⁵ - هو عبد الله بن قيس بن سليم أبو موسى الأشعري، أسلم قبل الهجرة وهاجر إلى الحبشة ثم المدينة، كان حسن الصوت بالقرآن، وفي الصحيح أنه أوتي مزمارًا من مزامير آل داوود، توفي سنة 42هـ، وقيل سنة 44هـ (ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج 2 ص 359).

⁶ - هو عبد الله بن الزبير بن العوام، أمه أسماء بنت أبي بكر، كان أول مولود ولد في الإسلام بالمدينة من قريش، بويع له بالخلافة عقب وفاة يزيد بن معاوية، وغلب على الحجاز والعراقين واليمن ومصر والشام، قتله الحجاج بن يوسف الثقفي سنة 73هـ في قول الأكثرين (ينظر: تهذيب التهذيب، ج 5 ص 191).

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

غير أنّ أربعة منهم اشتهروا بالتفسير¹، ونقل عنهم فيه أكثر من غيرهم، وهؤلاء هم: عبد الله بن عباس ثم عبد الله بن مسعود وعلي بن أبي طالب، وأبيّ بن كعب، وقد رتبهم الذهبي² هكذا على حسب كثرة مروي عنهم³.

وهناك من تكلم في التفسير من الصحابة غير هؤلاء، "كأنس بن مالك وأبي هريرة⁴، وعبد الله بن عمر⁵ وجابر بن عبد الله⁶، وعائشة أم المؤمنين⁷ وما نقل عن هؤلاء في التفسير قليل جدا"⁸.

أما ما يتعلق بقيمة التفسير المأثور عن الصحابة، فقد ذهب جمهور العلماء إلى أنّ له حكم المرفوع، إذا كان مما يرجع إلى أسباب النزول، أو كان مما لا مجال للرأي فيه، لأنّه لا يعقل أن يقول فيه

1- السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، المصدر السابق، ص 713.

2- هو محمد حسين الذهبي، ولد سنة 1915م، في مدينة تابعة لمحافظة كفر الشيخ، التحق بكلية الشريعة بجامعة الأزهر، وتخرّج منها سنة 1939م، حصل على شهادة الدكتوراه سنة 1946م، عن رسالته (التفسير والمفسرون) التي أصبحت بعد نشرها أحد المراجع الرئيسية في علم التفسير، اغتيل الإمام الدكتور عام 1977م، من قبل أعضاء جماعة التكفير والهجرة بعدما حبسته رهينة عندها (ينظر: موقع ويكيبيديا على نفس الرابط السابق)

3 - محمد حسين الذهبي: علم التفسير، ص 25.

4- هو الإمام الحافظ، صاحب النبي ﷺ، لازمه ما يزيد على ثلاث سنين، وحمل عنه علما كثيرا لم يلحق في كثرته، روى عن أبي بكر، وعمر، وأسامة، وعائشة، والفضل... وروى عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين، كان من المكثرين في الحديث، روى عوف الأعرابي عن سعيد بن أبي الحسن قال: لم يكن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أكثر حديثا من أبي هريرة على النبي ﷺ، مات سنة 95هـ وله ثمان وسبعون سنة (ينظر: سير أعلام النبلاء، ج2 ص598-626).

5- هو عبد الله بن عمر بن الخطاب، الإمام أبو عبد الرحمن العدوي المدني الفقيه، أحد الأعلام في العلم والعمل، شهد الخندق وهو من أهل بيعة الرضوان، مناقبه جمّة أثنى عليه النبي ﷺ (ينظر: تذكرة الحفاظ، ج1 ص37).

6- هو جابر بن عبد الله السلمى عقي، روى عنه بنوه محمد، وعبد الرحمن، وعقيل، وابن المنكدر، وأبو الزبير، مات سنة 78هـ (ينظر: الكاشف ج1 ص122)

7- هي عائشة بنت أبي بكر الصديق التيمية، أم المؤمنين، تكنى أم عبدالله الفقيهة، روت عن النبي ﷺ كثيرا وعن أبيها، وعمر، وحمزة، وسعد بن أبي وقاص، وفاطمة الزهراء، قال الشعبي: كان مسروق إذا حدث عن عائشة قال: حدثتني الصديقة بنت الصديق حبيبة الله تعالى المبرأة من فوق سبع سموات، وقال أبو بردة بن أبي موسى عن أبيه: ما أشكل علينا أصحاب محمد ﷺ، أمر قط فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها منه علما، وقال هشام بن عروة عن أبيه: ما رأيت أحدا أعلم بفقّه ولا طب ولا شعر من عائشة، توفيت -رضي الله عنها-، في رمضان سنة 58هـ (ينظر: تهذيب التهذيب، ج12، ص 384-386).

8- الذهبي: علم التفسير، المرجع السابق، ص 25.

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

الصحابي برأيه، ولهذا يتوجب الأخذ به، ولا يجوز رده إتفاقا، يقول السيوطي: " إن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل له حكم المرفوع"¹.

وإن كان تفسير الصحابي مما يكون للرأي فيه مجال، فهو موقوف عليه ما دام لم يسنده إلى رسول الله ﷺ، وهذا تختلف فيه أنظار العلماء، فذهب فريق منهم إلى أنه يجب ألا يؤخذ به، " لأنه ما لم يرفعه، علم أنه اجتهد فيه، والمجتهد يخطئ ويصيب، والصحابة في اجتهادهم كسائر المجتهدين"².

وأوجب بعض العلماء الأخذ به، لظن سماعهم له من النبي ﷺ ولأنهم أدرى الناس بكتاب الله، وإن فسروا برأيهم؛ فرأيهم صواب، فهم أدرى بلغة القرآن، والأكثر من ذلك فقد شاهدوا القرائن والأحوال، ففهموا القرآن على الوجه الصحيح.

أما عن مميزات التفسير في هذا العصر، فيمكن حصرها في النقاط الآتية:

أولاً- لم يفسر كل القرآن، وإنما فسّر بعضه، مما خفي فهمه على الصحابة، وسألوا عنه رسول الله ﷺ.

ثانياً- الاكتفاء بالمعنى الإجمالي دون التفصيلي في فهم الآية.

ثالثاً- قلة الاختلاف بينهم في فهم المعاني القرآنية.

رابعاً- " الاقتصار في توضيح المعنى اللغوي الذي فهموه على أخصر لفظ، مثل قولهم في آية ﴿ غَيْرَ

مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ ﴾ (المائدة، الآية: 3)، أي غير متعرض لمعصية، فإن زادوا على ذلك، فما عرفوه من سبب النزول"³.

خامساً- قدرة الاستنباط العلمي للأحكام الفقهية.

سادساً- عدم تدوين شيء من التفسير.

سابعاً- اتحادهم في العقيدة وعدم الانتصار للمذاهب الدينية.

ثامناً- قلة الرجوع لمرويات أهل الكتاب.

1- السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، المصدر السابق، ص 700.

2- الذهبي: علم التفسير، المرجع السابق، ص 26.

3- المرجع نفسه، ص 27.

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

تاسعا- اتخذ التفسير في هذه المرحلة شكل الحديث، " لأنه كان فرعاً من فروعهِ " ¹، فقد كان عبارة عن مرويات تروى منثورة لآيات متفرقة من تفسيره ﷺ.

الفرع الثاني- التفسير في عصر التابعين:

بعدما انقضى عصر الصحابة الكرام، بدأت مرحلة التابعين الذين تتلمذوا على يد الصحابة، فأخذوا عنهم ذلك الميراث النبوي من معينه الصافي، وكوّنوا مدارس في مكة والمدينة والكوفة، ومضت حركة التفسير في تزايد مستمر، حتى انتهى الأمر إلى تفسير القرآن كله.

وكما اشتهر بالتفسير بعض أعلام الصحابة، اشتهر بالتفسير كذلك بعض أعلام التابعين، يقول ابن تيمية:

" وأما التفسير فإنّ أعلم الناس به أهل مكة، لأنهم أصحاب ابن عباس كمجاهد، وعطاء بن أبي رباح ²، وعكرمة ³ مولى ابن عباس، وغيرهم من أصحاب ابن عباس كطاوس ⁴، وأبي الشعثاء ⁵، وسعيد بن جبيرة ⁶ وأمثالهم، وكذلك أهل الكوفة من أصحاب عبد الله بن مسعود، وعلماء أهل المدينة في

1- الذهبي: التفسير والمفسرون، ج1، ص98-99.

2- هو عطاء بن أبي رباح، مفتي أهل مكة ومحدثهم، ولد في خلافة عثمان وقيل في خلافة عمر، سمع عائشة، وأبا هريرة، وابن عباس وطائفة، وروى عنه أيوب، وابن جريج، وابن إسحاق، والأوزاعي، وأبو حنيفة وخلق كثير، قال أبو حنيفة: ما رأيت أحداً أفضل من عطاء، مات سنة 114هـ وقيل 115هـ بمكة (ينظر: تذكرة الحفاظ ج1، ص98).

3- هو أبو عبد الله البربري، ثم المدني الهاشمي مولى ابن عباس، روى عن مولاه وعائشة، وأبا هريرة، حدث عنه خلائق منهم أيوب، وأبو بشر، وثور بن يزيد، قال عكرمة: طلبت العلم أربعين سنة، وكان ابن عباس يضع الكبل في رجلي على تعليم القرآن والسنن، مات سنة 107هـ بالمدينة (ينظر: تذكرة الحفاظ، ج1، ص95-96).

4- هو طاوس بن كيسان، أبو عبد الرحمن اليماني الجندي، سمع زيد بن ثابت، وعائشة، وأبا هريرة، وابن عباس، وطائفة، حدث عنه ابنه عبد الله، والزهرى، وإبراهيم بن ميسرة، قال عمرو بن دينار: ما رأيت أحداً مثل طاوس، مات سنة 106هـ، وصلى عليه هشام بن عبد الملك الخليفة (ينظر: تذكرة الحفاظ، ج1، ص90).

5- هو جابر بن زيد الأزدي البصري أحد الأعلام وصاحب ابن عباس، روى عن ابن عباس قال: تسألوني عن شيء وفيكم جابر بن زيد، مات سنة 103هـ (ينظر: تذكرة الحفاظ ج1، ص73).

6- هو سعيد بن جبيرة الكوفي المقرئ الفقيه، أحد الأعلام سمع ابن عباس، وابن عمر، وعبد الله بن مغفل وطائفة، وروى عنه جعفر بن أبي المغيرة، والأعمش، وعطاء بن السائب وخلق، قتله الحجاج في شعبان سنة 95هـ (ينظر: تذكرة الحفاظ، ج1 ص72-77).

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

التفسير، مثل زيد بن أسلم¹ الذي أخذ عنه مالك² التفسير، وأخذه عنه أيضا ابنه عبد الرحمن³ وعبد الله بن وهب⁴ 5.

وقد اعتمد التابعون في تفسير القرآن الكريم على المصادر الآتية:

أولاً- القرآن الكريم.

ثانياً- ما أثر عن الرسول ﷺ.

ثالثاً- ما أثر عن الصحابة رضي الله عنهم.

رابعاً- ما يفتح الله به عليهم عن طريق الاجتهاد والاستنباط.

خامساً- الأخذ عن أهل الكتاب، فبعضهم تساهل وتوسّع في نقل المروي عنهم، دون تحرر للصحة كما ذكر الذهبي⁶.

1- هو زيد بن أسلم الإمام أبو عبد الله العمري المدني الفقيه، روى عن مولاه عبد الله بن عمر، وجابر، وأنس، وروى عنه مالك، كان من العلماء الأبرار، مات سنة 136هـ (ينظر: تذكرة الحفاظ ج1، ص 132-133).

2- هو مالك بن أنس بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان بن خثيل بن عمرو بن الحارث، ذو أصبح بن سويد، من أئمة المذهب المتبوعين، وهو أول من صوّف تفسير القرآن بالإسناد على طريقة الموطأ، وله كتاب المناسك، ورسالة إلى ابن وهب في القدر والرد على القدريّة، قال الذهبي: وقد اتفق لمالك مناقب ما علمتها اجتمعت لغيره، أحدها طول العمر، وعلو الرواية، وثانيها الذهن الثاقب والفهم وسعة العلم، وثالثها اتفاق الأئمة على أنه حجة صحيح الرواية، ورابعها تجمعهم على دينه وعدالته وأتباعه، وخامسها تقدمه في الفقه والفتوى وصحة قواعده، توفي سنة 179هـ (ينظر: طبقات المفسرين للداودي، ج2، ص 294-301، وتذكرة الحفاظ ج1، ص 193-198، ومرآة الجنان ج1، ص 393-397، والديباج المذهب لابن فرحون، ص 42-15).

3- هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي مولاهاً المدني، روى عن أبيه، وابن المنكدر، وعنه قتيبة، وهاشم، وضعفوه، له: (التفسير) و(الناسخ والمنسوخ)، مات سنة 182هـ (ينظر: طبقات المفسرين، ج1، ص 271).

4- هو أبو عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي الفهري بالولاء، ولد سنة 15هـ، وتوفي بمصر سنة 197هـ، وقيل: سنة 177هـ (ينظر: ميزان الاعتدال، ج2، ص 86، والنجوم الزاهرة، ج2، ص 155، وتهذيب التهذيب، ج6، ص 71).

5- ابن تيمية: مقدمة في أصول التفسير، المرجع السابق، ص 78-79.

6- الذهبي: علم التفسير، المرجع السابق، ص 33.

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

رغم ذلك فقد وجد فيهم من كان يتهيب التفسير بسبب أنه تقوّل على الله وجرأة عليه سبحانه وتعالى، يقول أحد الباحثين: " كان كثير من السلف يخافون من التعرض للتفسير، فمسروق¹، مثلاً يقول: اتقوا التفسير فإنّما هو الرواية عن الله، وكان سعيد بن المسيب²، إذا سئل عن تفسير آية، قال: إنّ لا نقول في القرآن شيئاً، ويقول الشعبي³: والله ما من آية إلا وقد سألت عنها، ولكنها الرواية عن الله عزّ وجل" ⁴.

ويرى ابن كثير⁵ أنّ سبب هذا التخوف " جار فيما لا يعلمون، إذ تكلموا فيما علموه، وسكتوا عما جهلوه" ⁶، وممن اشتهر بالتفسير في هذا العهد: علي بن أبي طلحة⁷، ومجاهد بن جبر المكي،

1 - هو مسروق بن الأجدع الهمداني أبو عائشة الكوفي، ثقة فقيه عابد مخضرم يقال: إنه سرق وهو صغير، ثم وجد فسُمي مسروقاً، مات سنة 63هـ (ينظر: أسد الغابة، ج 5 ص 156، وتاريخ بغداد ج 13، ص 232)

2 - هو سعيد بن المسيب بن حزن، أحد الأعلام، وسيد التابعين، ثقة، حجة، رفيع الذكر، رأس في العلم والعمل، قال علي بن المديني: لا أعلم في التابعين أوسع علماً من سعيد، هو عندي أجل التابعين، مات سنة 105هـ (ينظر: تذكرة الحفاظ ج 1، ص 54-56).

3 - هو عامر بن شراحبيل أبو عمرو الهمداني ثم الشعبي، كان إماماً حافظاً فقيهاً متقناً، عن ابن المديني قال: قيل للشعبي: من أين لك هذا العلم كله؟ قال: بنفي الاعتماد والسير في البلاد، وصبر كصبر الجماد، وبكور كبكور الغراب، وقال ابن عيينة: العلماء ثلاثة: ابن عباس في زمانه، والشعبي في زمانه، والثوري في زمانه، (ينظر: تذكرة الحفاظ ج 1، ص 79-88).

4 - أحمد الشرباصي: قصة التفسير، ط 2: 1978 م، دار الجيل، بيروت - لبنان، ص 24.

5 - إسماعيل بن عمر بن كثير، القرشي البصري ثم الدمشقي، الفقيه الشافعي الحافظ، عماد الدين ابن الخطيب شهاب الدين، وكنيته أبو الفداء، ولد سنة 700هـ، قال الذهبي: إمام محدث، مفت بارع، أخذ العلوم من الحسين العراقي، والحجار، والقاسم بن عساكر، ولازم الحافظ المزني، وتزوج بنته، وسمع من الشيخ تقي الدين، وابن تيمية، ومن مصنفاته: (التاريخ الكبير) و(التفسير الكبير)، كانت وفاته شهر شعبان بدمشق سنة 774هـ (ينظر: طبقات المفسرين، ص 260، طبقات الداودي، 1/11).

6 - عماد الدين ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تح: مجموعة من الباحثين، ط 1: 1421هـ/200م، مؤسسة قرطبة، القاهرة - مصر، ص 15.

7 - هو علي بن أبي طلحة واسمه سالم بن المخارق الهاشمي يكنى أبا الحسن، وقيل: غير ذلك، روى عن ابن عباس ولم يسمع منه، وروى عنه الحكم بن عتيبة وداود بن أبي هند ومعاوية بن صالح الحضرمي وأبو بكر بن أبي مریم ومحمد بن الوليد الزبيرى وسفيان الثوري، قال النسائي: ليس به بأس، وقال دحيم: لم يسمع التفسير من ابن عباس، وقال يعقوب بن سفيان: ضعيف الحديث منكر ليس محمود المذهب، توفي سنة 143هـ (ينظر: تهذيب التهذيب ج 7، ص 288-289).

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

وقتادة بن دعامة السدوسي¹، وعكرمة مولى ابن عباس، وعطاء بن أبي رباح، وطاوس بن كيسان، ومحمد بن السائب الكلبي²، والحسن البصري³، وعامر الشعبي، ومالك بن أنس، وسعيد بن جبير، وإسماعيل السدي الكوفي⁴، وأبو صالح⁵، وكان سفيان الثوري⁶ يفاضل بين هؤلاء التابعين، ويقول: "خذوا التفسير عن أربعة: عن سعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة، والضحاك⁷ 8".

أما عن قيمة التفسير المأثور عنهم، فقد اختلف العلماء فيه، يقول الزركشي: "في الرجوع إلى قول التابعي روايتان عن أحمد⁹."

1- هو قتادة بن دعامة أبو الخطاب السدوسي الأعمى الحافظ المفسر، روى عن عبد الله بن نرجس، وأنس، وروى عنه أيوب، وشعبة، وأبو عوانة، قال ابن سيرين: قتادة أحفظ الناس، قال معمر: سمعت قتادة يقول: ما في القرآن آية إلا وقد سمعت فيها شيئاً، وقال أحمد بن حنبل: قتادة عالم بالتفسير وباختلاط العلماء، مات بواسط في الطاعون سنة 118هـ، وقيل: سنة 117هـ (ينظر: تذكرة الحفاظ ج1، ص122-124).

2- هو هشام بن محمد بن السائب الكلبي، أبو المنذر الإخباري النسابة العلامة، روى عن أبيه أبي النضر الكلبي المفسر، وعن مجاهد، وحدث عنه جماعة، قال أحمد بن حنبل: إنما كان صاحب سمر ونسب، ما ظننت أن أحدا يحدث عنه، وقال الدارقطني وغيره: متروك، وقال ابن عساكر: رافضي، ليس بثقة، مات سنة 204هـ (ينظر: ميزان الاعتدال، ج4، ص304-305).

3- هو الحسن البصري بن أبي الحسن أبو سعيد، مولى زيد بن ثابت، وقيل: مولى جميل بن قطبة، وقيل غير ذلك، كان إماماً كبير الشأن، رفيع الذكر، رأساً في العلم والعمل، وهو رأس الطبقة الثالثة، أخرج له جماعة، مات سنة 110هـ (ينظر: طبقات المفسرين، ج1، ص150-151).

4- إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة الهاشمي السدي الكبير، أبو محمد الكوفي الأعور، صاحب التفسير، صدوق، رمي بالتشيع، من طبقة الرابعة، مات سنة 127هـ (ينظر: تذكرة الحفاظ ج1، ص110).

5- أبو صالح السمان ذكوان المدني مولى جويرية الغطفانية، شهد الدار وحصار عثمان رضي الله عنه، ذكره أحمد فقال: ثقة من أجل الناس وأوثقهم، قال الأعمش: سمعت من أبي صالح ألف حديث، توفي سنة 101هـ (ينظر: تذكرة الحفاظ ج1، ص89-90).

6- سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبد الله الكوفي، قال شعبة، وابن عيينة، وأبو عاصم، وابن معين، وغير واحد من العلماء: سفيان أمير المؤمنين في الحديث، وقال ابن مبارك: كتبت عن ألف ومائة شيخ، ما كتبت عن أفضل من سفيان، توفي بالبصرة سنة 161هـ (ينظر: تهذيب التهذيب ج4، ص101-103).

7- الضحاك بن مزاحم الهلالي أبو القاسم الخراساني المفسر، صدوق كثير الإرسال، من الطبقة الخامسة، مات بعد المائة (ينظر: طبقات المفسرين ج1، ص222).

8- السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ص718.

9- هو أبو عبد الله الشيباني الوائلي، أحد الأئمة الأربعة، أصله من مرو بإيران، ولد ببغداد سنة 164هـ/780م، نشأ منكباً على طلب العلم، وكثرة الأسفار لأجل ذلك، له مؤلفات عدة: كتاب المسند في الحديث وكتاب الصلاة وكتاب الرد على الزنادقة، والرد على الجهمية، تعرض لمحنة القول بخلق القرآن، توفي سنة 241هـ (ينظر: طبقات الحنابلة، ج1، ص173-176؛ سيرة الإمام أحمد بن حنبل، ص15).

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

واختار ابن عقيل¹ المنع عن شعبة² " 3.

وسبب المنع أنّ التابعين ليس لهم سماع من رسول الله ﷺ، فلا يمكن الحمل عليه، كما هو الشأن في تفسير الصحابة، وبما أنّهم لم يشاهدوا القرائن والأحوال التي نزل عليها القرآن، فيجوز عليهم الخطأ في فهم المراد من النص القرآني، كما أنّ عدالة التابعين غير منصوص عليها، كما نصّ على عدالة الصحابة، نقل عن أبي حنيفة⁴ أنّه قال: " وما جاء عن رسول الله ﷺ فعلى الرأس والعين، وما جاء عن الصحابة تخيّرنا، وما جاء عن التابعين، فهم رجال ونحن رجال "5.

ومع ذلك فيبقى زمن التابعين من القرون الذهبية التي أشاد بقيمتها النبي ﷺ، وقد ذهب أكثر المفسرين إلى أنّه يؤخذ بقول التابعي في التفسير، على اعتبار أنّ أقوالهم تلقوها عن الصحابة. قال ابن تيمية: " وإذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين "6.

وعلى العموم فقد تميّز التفسير في هذه المرحلة بمميزات كثيرة منها:

أولاً- ظل التفسير حتى هذه المرحلة محتفظاً بطابع الرواية، وإن بدت بوادر التخصص بالظهور، إذ انفرد أهل كل مصر بالتلقي عن الصحابي الإمام في مصرهم، فالمكيون عن ابن عباس، والمدنيون عن أبي بن كعب، والعراقيون عن ابن مسعود.

1- هو علي بن عقيل الإمام أبو الوفاء البغدادي الظفري الحنبلي العلامة الجامع لأنواع العلوم، وشيخ الحنابلة، كان إماماً كبيراً متبحراً، مبرزاً في علوم شتى، يتوقد ذكاءً، وكان أنظر أهل زمانه، توفي سنة 513هـ (ينظر: طبقات المفسرين، ج1، ص 421-422).

2- شعبة بن الحجاج، الحجة الحافظ شيخ الإسلام، نزيل البصرة ومحدثها، توفي سنة 160هـ (ينظر: تذكرة الحفاظ ج1، ص 195-197).

3- الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1 ص 158.

4- هو أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي، وقيل: عتيق بن زوطرة، كان مولى لبني تيم الله، وكان من شيعة علي كأكثر الموالي، فقيه مجتهد، تفقه على حماد بن سلمة، كان يفضّل في الفقه استعمال الرأي على أتباع الحديث، من مصنقاته: الفقه الأكبر في الكلام، والمسند والعالم والمتعلم في العقائد، والنصائح، والرد على القدرية، توفي سنة 150هـ ببغداد (ينظر: تاريخ بغداد، ج13، ص 323-325، ومرآة الجنان، ج1، ص 309-312، وتذكرة الحفاظ، ج1، ص 151-152، والنجوم الزاهرة، ج2، ص 12-15).

5- الذهبي: علم التفسير، المرجع السابق، ص 32.

6- ابن تيمية: مقدمة في أصول التفسير، ص 97.

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

ثانياً- شيوع الروايات الإسرائيلية، لكثرة من دخل في الإسلام، جزاء الفتوحات الإسلامية.

ثالثاً- ظهور بوادر الخلاف المذهبي بين التابعين.

رابعاً- ظهور بعض التفاسير التي تحمل في طياتها الانتصار لبعض المذاهب الدينية؛ التي ظهرت في هذا العصر، " كما قيل عن تفسير قتادة بن دعامة السدوسي، وتفسير الحسن البصري"¹.

خامساً- " تدوين نتف وصحائف من التفسير ضمن مآثورات الحديث"²، يشهد لهذا ما ذكر عن مجاهد، أنه كتب عن ابن عباس رضي الله عنه تفسير القرآن كله، جاء في أحد الروايات:

" رأيت مجاهدا يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه ألواحه، فيقول ابن عباس: اكتب، فقال: حتى سأله عن التفسير كله"³، كما ورد أيضا ذكر صحيفة رويت عن علي بن أبي طلحة⁴، عن ابن عباس رضي الله عنه.

الفرع الثالث- التفسير بعد عصر التابعين:

وبعد عصر التابعين، انتقل التفسير لمرحلة جديدة، هي مرحلة التدوين على يد أتباع التابعين، الذين قاموا بتدوين حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانت أبوابه متنوعة، وكان التفسير بابا من هذه الأبواب؛ التي اشتمل عليها الحديث، ولم يفرد له تأليف خاص يفسر القرآن سورة سورة، وآية آية، من مبدئه إلى منتهاه.

ولا أدل على ذلك، ما فعله الإمام مالك في الموطأ حتى قالوا: " إنَّ واضع علم التفسير مالك بن أنس، إذ جمع أحاديث الأحكام وربّتها، وكذلك ما فعله الإمام البخاري في صحيحه، بإضمام كتابين إليه هما: كتاب تفسير القرآن، وكتاب فضائل القرآن "⁵.

1- الذهبي: علم التفسير، المرجع السابق، ص 34.

2- أحمد نصري: المنهج النقدي في تفسير الطبري- أصوله ومقوماته-، ط1: 1433هـ/2012م، دار ابن حزم، الدار البيضاء- المغرب، ص 103.

3- ابن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المصدر السابق، ج 1، ص 90.

4- السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، المصدر السابق، ص 716؛ وينظر: أحمد أمين: ضحى الإسلام، ط: 1997 م، مكتبة الأسرة، القاهرة- مصر، ج 2، ص 142.

5- أمين الخولي: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، ط: 2003م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، القاهرة- مصر، ص 207.

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

وتكرّس هذا أكثر مع سفيان بن عيينة¹، ووكيع بن الجراح² وشعبة بن الحجاج، وإسحاق بن راهويه³ وروح بن عبادة البصري⁴، وعبد الرزاق بن همام⁵، وآدم بن أبي إياس⁶، وعبد بن حميد⁷، وهؤلاء جميعا من أئمة الحديث، فكان جمعهم للتفسير جمعا لباب من أبواب الحديث، ولم يكن جمعا للتفسير على استقلال وانفراد، غير أنّه لم يصل إلينا شيء من هذه التفاسير⁸.

ثم خطى التفسير خطوة أخرى استقل فيها عن الحديث، وأصبح علما قائما بذاته، يشتمل على مبادئ ومناهج، وتم ذلك على أيدي طائفة من العلماء منهم: ابن ماجة⁹، وابن جرير الطبري، وأبو بكر بن المنذر النيسابوري¹⁰.

- 1- هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون، الإمام المجتهد، قال أحمد: ما رأيت أعلم بالسنن منه، وقال ابن المديني: ما في أصحاب الزهري أتقن من ابن عيينة، مات سنة 198هـ (ينظر: طبقات المفسرين، ج 1 ص 196-198).
- 2- ووكيع بن الجراح، أبو سفيان الكوفي الحافظ، قال بشر بن موسى: ما رأيت مثل وكيع في الحفظ والإسناد مع خشوع وورع، مات سنة 196هـ (ينظر: تهذيب التهذيب، ج 11 ص 109-114).
- 3- هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحافظ، أبو يعقوب الخنظلي بن راهويه، أحد الأئمة الأعلام، ثقة حجة، قال النسائي: ثقة مأمون، مات سنة 238هـ (ينظر: ميزان الاعتدال، ج 1 ص 182-183).
- 4- روح بن عبادة بن العلاء بن حسان القيسي، أبو محمد البصري، ثقة فاضل، سمع ابن عون، وابن أبي عروبة، وطبقتهما، مات سنة 150هـ (ينظر: طبقات المفسرين، ج 1 ص 179-180).
- 5- عبد الرزاق بن همام بن نافع الحافظ أبو بكر الحميري مولاهم الصنعاني، أحد الأعلام، روى عن ابن جريج، معمر، وثور، وروى عنه أحمد، وإسحاق، صاحب التصانيف كالتفسير المشهور، كان من أتباع الشيعة المعتدلين، مات سنة 211هـ (ينظر: مرآة الجنان، ج 2 ص 52، وتهذيب التهذيب ج 4، ص 112، وتذكرة الحفاظ، ج 1 ص 331، والفهرست ص 228، طبقات المفسرين، ج 1 ص 302-303).
- 6- آدم بن إياس ويكنى أبا الحسن، كان من أبناء أهل خراسان، طلب الحديث ببغداد وسمع من شعبة سمعا كثيرا صحيحا، ثم انتقل فنزل عسقلان فلم يزل هناك حتى مات سنة 120هـ (ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ج 7، ص 186).
- 7- الإمام الحافظ أبو محمد الكبسي، مصنف المسند والتفسير وغيرها، قيل: اسمه عبد الحميد، كان من الأئمة الثقات، مات سنة 249هـ (ينظر: طبقات المفسرين، ج 1، ص 374).
- 8- ينظر: محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، ج 1 ص 141.
- 9- الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني صاحب السنن والتفسير والتاريخ، سمع أبا بكر بن أبي شيبة وطبقته، ولابن ماجة رحلة إلى الري والعراق والبصرة والكوفة وبغداد والشام ومصر والحجاز لكتابة الحديث، وأعلى ما عنده الثلاثيات وهي خمسة إلا أنّها بطريق جبارة بن المغلس، توفي سنة 273هـ (ينظر: سير أعلام النبلاء ج 13 ص 277، وتذكرة الحفاظ ج 2 ص 636-637).
- 10- هو محمد بن إبراهيم بن المنذر الإمام أبو بكر النيسابوري الفقيه نزيل مكة، وأحد الأعلام، كان إماما مجتهدا، حافظا، ورعا، صنف كتبا كثيرة، مات سنة 309هـ أو 310هـ (ينظر: طبقات المفسرين ج 2، ص 55-56).

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

وابن أبي حاتم¹، وابن حبان². وأهم ما تميّز به التفسير في هذه المرحلة:

أولاً- ترتيب التفسير وفق ترتيب المصحف العثماني.

ثانياً- إتباع منهج واضح في التفسير، وهو تفسير القرآن آية آية.

ثالثاً- ذكر الإسناد في التفسير.

رابعاً- حشد التفسير بالمرويات دون ترجيح أو توجيه، اللهم إلا ما كان من ابن جرير الطبري، الذي ذكر الأقوال ووجهها ورجح ما يراه راجحاً منها.

ثم انتقل التفسير إلى مرحلة أخرى، تجاوز روايته بالإسناد، فصنف في التفسير خلق كثير، اختصروا الأسانيد فنقلوا الأقوال المأثورة عن أسلافهم دون أن ينسبونها إلى قائلها، فدخل الوضع في التفسير واختلط الصحيح بالعليل، ثم خطا التفسير خطوة أوسع امتدت من العصر العباسي إلى يومنا هذا، فبعدهما كان تدوين التفسير مقصوراً على رواية ما نقل عن سلف الأمة، تجاوز بهذه الخطوة الواسعة إلى تدوين تفسير اختلط فيه التفسير العقلي بالتفسير النقلي المأثور، ومن هنا ظهرت بذور التفسير العقلي بتدرج، فكانت في البداية على هيئة محاولات فهم شخصي، وترجيح لبعض الأقوال على بعض، متأثرين بالمعارف المختلفة، والعلوم المتعددة، والآراء المتشعبة، والعقائد المتباينة، فحشد التفسير بعلوم مختلفة لا تكاد تتصل بالتفسير، فانعكست آثار الثقافة الفلسفية والعلمية على تفسير القرآن، نتيجة ترجمة كتب الفلاسفة، فامتزجت كل هذه العلوم بالتفسير حتى طغت عليه، قال صاحب تفسير (البحر المحيط): "كثيراً ما يشحن المفسرون تفاسيرهم عند ذكر الإعراب بعلل النحو، ودلائل مسائل أصول الفقه... وكذلك ذكروا ما لا يصح من أسباب النزول، وأحاديث في الفضائل، وحكايات لا تناسب، ولا ينبغي ذكر هذا في علم التفسير"³.

¹ هو الإمام العلامة الحافظ المحمود شيخ خراسان أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد الدارمي البستي صاحب كتاب الثقات والمجروحين والصحيح وغير ذلك (ينظر: ميزان الاعتدال ج3، ص 920-924).

² الحافظ الكبير إمام المحدثين أبو عبد الله محمد بن عبد الله محمد بن حمدويه الطهماني النيسابوري، صاحب المستدرک، كان إمام عصره في الحديث العارف به حق معرفته، صالحاً ثقة، يميل إلى التشيع، مات سنة 404هـ (ينظر: تاريخ بغداد ج5 ص 473، ولسان الميزان ج5، ص 232، وتذكرة الحفاظ ج3، ص 242-248، والأعلام ج7، ص 101).

³ السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، المصدر السابق، ص 712.

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

كما أثّرت مسائل الكلام، وظهر التعصب المذهبي -على قدمه وساقه- في العصر العباسي، وقامت الفرق بنشر مذاهبها والدعوة إليها؛ عن طريق تفسير القرآن، وذلك بتأويل آياته وفق آرائهم، وليّ أعناق النصوص لتوافق أفكارهم، واستمرت هذه النزعة العقلية على مرّ العصور، "حتى راجت في تفسيرنا الحاضر تفسيرات يريد أصحابها من ورائها تحميل آيات القرآن الكريم كل العلوم، ما ظهر منها وما بطن، في غلو ظاهر يخرج بالقرآن الكريم عن أهدافه ومقاصده"¹.

وما زال القرآن الكريم يعاني من أبناء جلدتنا، الذين حملوه مالا يحتمل، كما أنّه يعاني خطر الأعداء الذين يتربصون به، فالإقبال على ترجمة القرآن وخدمته - من طرف المستشرقين-؛ أمر لا ينبئ بخير، فما خدموه إلا ليطعنوا فيه، ويهدموا ثقة المسلمين به، وليثبتوا تحريفه، كما حرّفت كتبهم المقدسة، فهذا ما يغيظهم من القرآن، كونه بقي خالداً محفوظاً منذ أربعة عشر قرناً.

وفي الأخير نعترف أنّه ليس من السهل الكتابة حول تاريخ التفسير، وحسبنا محاولة ذلك، وصدق من قال: " فلا نجرؤ على التفكير في كتابة تاريخ للتفسير يمكن أن يسمى تاريخاً بالمعنى الصحيح، إلا بعد أن نقف على ما خلّفت تلك العهود الطوال من آثار فيه، وهي كثيرة واسعة، متنوعة المقاصد والاتجاهات، يدهشك ما تقرأ في وصفها وسعتها وجلال مؤلفيها"².

المطلب الثاني: أقسام التفسير وأنواعه

أول ما يطالعنا عند الحديث عن أقسام القرآن؛ قول حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنه حينما ذكر أنّ التفسير على أربعة أقسام هي:

وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، تفسير يعرفه العلماء، تفسير لا يعلمه إلا الله³.

فأما الذي تعرفه العرب من كلامها: فهو الذي يرجع فيه إلى لسانهم، من خلال معرفة اللغة وأسرارها وإعرابها وبياناتها، فينبغي أن يكون المفسر ضليعاً في البيان، محيطاً بحقائق اللغة وتفصيلاتها.

¹ - الذهبي: علم التفسير، المرجع السابق، ص 39.

² - أمين الخولي: التفسير نشأته وتدرجه تطوره، ط1: 1982، دار الكتاب اللبناني، بيروت- لبنان، ص 38-39.

³ - ينظر: السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، المصدر السابق، ص 705.

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

وأما ما لا يعذر أحد بجهالته: فهو ما تتبادر الأفهام إلى معرفته بمجرد الاطلاع على النصوص المتضمنة شرائع الأحكام ودلائل التوحيد، فهي ألفاظ جلية واضحة، تفيد معاني بيّنة غير ملتبسة، حيث يتسنى لكل مطلع عليها فهمها وإدراكها بدون عناء وصعوبة، فإذا سمع أحد قوله تعالى ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (محمد: 19) يدرك بالضرورة حقيقة التوحيد التي تضمنتها الآية، ولا يشترط لتمام الفهم هنا أن يكون القارئ أو السامع لهذا النص عالماً بأن (لا) موضوعة في اللغة للنفي، و(إلا) للإثبات، وأن مقتضى هذه الكلمة الحصر.

وأما ما يعلمه إلا الله: هو ما كان محتسباً في عداد الغيب، أو في عداد المشكل الذي لا يقف على حقيقته ومضمونه أحد، من ذلك الآيات التي تتضمن قيام الساعة وتفسير الروح، والآيات المتضمنة الغيبات كالملائكة والجن، وكذلك الأحرف الهجائية التي جاءت في فواتح السور القرآنية، فهي من المتشابه الذي لا يدري حقيقة معناه سوى الله سبحانه وتعالى، فإن مثل هذه الآيات لا مساع لمفسر أن يتكلف الخوض فيها ليقف على مقصودها، فإنه لا سبيل إلى ذلك؛ إلا بتوقيف بنص من القرآن أو السنة أو أن يرد فيها إجماع، وإن لم يكن شيء من ذلك، فلا مندوحة من الانصراف عن تفسير مثل هذه الآيات.

وأما ما يعلمه العلماء ويرجع إلى اجتهادهم: فذاك في أمور الاجتهاد من خلال استنباط الأحكام، وبيان المجمل، وتخصيص العام وتقييد المطلق، وإدراك صيغة كل من المحكم والمتشابه، والحقيقة والمجاز والصريح والكنائية، وكذلك أن يحتمل اللفظ معينين أو أكثر، فإن ترجيح أحدهما لا يسوغ لغير العالم المجتهد الذي يميل إلى اعتماد معنى من المعاني المحتملة استناداً إلى دليل¹.

وهكذا قسم حبر الأمة التفسير إلى أربعة أوجه، وما نلمحه من ذكره للتفسير الذي يعلمه العلماء باجتهادهم، هو دلالاته الواضحة على أنّ لهم دوراً في استخراج معاني تفسيرية، وبدليل أنّه هو أيضاً فسّر القرآن الكريم، ولو كان يعتقد أنّ النبي ﷺ فسّر جميع الآيات لما ذكر هذا الوجه من التفسير، فتقسيمه دليل يعزز وجهة النظر التي رجحناها سابقاً.

¹ ينظر: الزركشي: البرهان (ج 2 ص 164)؛ السيوطي: الإتقان ص 705-707؛ خالد عبد الرحمن العك: أصول التفسير وقواعده، ط4: 1424هـ/2003م، دار النفائس، بيروت - لبنان، ص 46-47؛ حسن أيوب: الحديث في علوم القرآن والحديث، ط1: 1422هـ/2002م، دار السلام - القاهرة - مصر، ص 136.

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

ومن ثم نجد الزركشي يعقب على قول ابن عباس بقوله: "واعلم أنّ القرآن قسمان، قسم ورد تفسيره بالنقل عمن يعتبر تفسيره، وقسم لم يرد"¹.

والأول إما أن يرد عن النبي ﷺ أو الصحابة أو التابعين، فالأول يبحث فيه عن صحة السند، والثاني ينظر في تفسير تفسير الصحابي، فإن فسره بواسطة اللغة فلا شك في اعتماده، لأنهم أهل اللسان، وإن فسره بما شاهده من قرائن الأحوال، فلا شك فيه أيضا، وإن تعارضت أقوال الصحابة فإن أمكن الجمع فذاك أولى، وإن تعذر قديم ابن عباس ﷺ لأن النبي ﷺ زكى تفسيره من خلال دعائه له.

وأما ما لم يرد فيه نقل وهو قليل، وطريق التوصل إلى فهمه؛ النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها واستعمالها بحسب السياق².

وقسم التفسير باعتبار آخر إلى ثلاثة أقسام: "تفسير بالرواية ويسمى التفسير بالمأثور، وتفسير بالدراية ويسمى التفسير بالرأي، وتفسير بالإشارة ويسمى التفسير الإشاري"³.

الفرع الأول- التفسير بالمأثور:

هو ما جاء في القرآن أو السنة أو كلام الصحابة، بيانا لمراد الله تعالى من كتابه، ونضيف إلى ذلك ما روي عن التابعين، وذلك لأخذهم عن الصحابة في غالب ما يقولون.

أولا- مثال ما جاء في القرآن: قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ وَالطَّارِقَ ۝١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۝٢ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ۝﴾ (الطارق: 3) فالنجم الثاقب بيان لكلمة الطارق التي قبلها، وكذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّكَ تَغْفِرَ لَنَا وَتَرْحَمَنَا لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝٢٣﴾ (الأعراف: 23) فإنها بيان للفظ (كلمات) من قوله تعالى: ﴿فَلْيَقْرَأْ أَدْمُ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْتِ فَنَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ النَّوَابُ الرَّجِيمُ ۝﴾ (البقرة: 37).

¹ الزركشي: البرهان في علوم القرآن، المصدر السابق (ج2 ص 172)؛ السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، المصدر السابق، ص 708.

² ينظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن، (ج2 ص 172)؛ السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ص 708.

³ مصطفى ديب البغا، محي الدين ديب مستو: الواضح في علوم القرآن، ط2: 1418هـ/1998م، دار العلوم الإنسانية، دمشق - سوريا، ص236؛ ولا يسعنا المقام أن نقف على هذا النوع من التفسير، إذ ليس له علاقة ببحثنا كما أنّ مجاله واسع فيمكن الرجوع له في مظانه.

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

ثانياً- مثال ما جاء في السنة شرحاً للقرآن: أنه ﷺ فسّر الظلم بالشرك في قوله تعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (الأنعام: 82) واستند ﷺ في تفسيره هذا إلى قول الله تعالى ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان: 13).

ثالثاً- بيان القرآن بما صحّ وروده عن الصحابة رضوان الله عليهم: اتفق العلماء على أنّ تفسير الصحابي؛ الذي شهد الوحي له حكم المرفوع، "وقيده بعضهم بما كان في بيان سبب النزول ونحوه، مما لا مجال للرأي فيه، وإلاّ فهو من الموقوف" ¹.

أما دور الصحابة في تفسير القرآن فهو معروف، ذلك أنّهم تلقوا القرآن وتفسيره من النبي ﷺ مباشرة، كما أنّهم عاصروا الوحي وشهدوا أسباب النزول وعابنوا دواعيه، فكانوا أعلم الناس بتفسيره.

أما التابعون فإنّ ما نقل عنهم فهو موضع خلاف العلماء كما ذكرنا ذلك سابقاً، فمنهم من يعتبره تفسيراً مأثوراً، لأنّهم تلقوه من الصحابة غالباً، وذهب آخرون إلى أنّه من قبيل التفسير بالرأي.

ومما يجدر بنا الإشارة إليه هنا، هو أنّ بعض التابعين أخذوا تفسيرهم كله عن الصحابة، كمجاهد ² ﷺ، كما لا ننسى أنّهم عايشوا صحابة الرسول، واستقوا علومهم منهم، فهم من السلف الأخيار، إنّما نحتاج إلى تمحيص ما روي عنهم؛ من خلال البحث في السند الصحيح، وغرلة ما نقل عنهم من روايات ضعيفة دون تحرّ وتدقيق، ولعل هذا الأمر بالذات ما قصده الإمام بن حنبل حينما قال: "ثلاثة ليس لها أصل: التفسير والملاحم والمغازي" ³ وهو يقصد دون شك أنّ الصحيح من التفسير قليل نادر.

¹ - حسن أيوب: الحديث في علوم القرآن والحديث، المرجع السابق، ص 138.

² - ذكر عن مجاهد قوله: "عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته أستوقفه عند كل آية وأسأله عنها"، ينظر: السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ص 719.

³ - السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، المصدر السابق، ص 699.

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

حتى قال الإمام الشافعي¹ رحمه الله: "لم يثبت عن ابن عباس في التفسير إلا شبيه بمائة حديث"².

الفرع الثاني - التفسير بالرأي: وهو ضربان

أولاً- الضرب الأول: ما كان قائماً على الدليل ومستنداً إلى برهان، كأن يرجع المفسر إلى أهل اللغة في توضيح الألفاظ القرآنية، مع موافقة الكتاب والسنة، ومراعاة سائر شروط التفسير³ كما ذكرناها سابقاً، ويستدل على جوازه بالوجوه التالية:

1- أن الله تعالى قد أمر بتدبر القرآن، فقال تعالى: ﴿ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكًا لِيَذَبَّ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَيَسِّرَنَّا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ (القمر: 17). وفي مثل هذه الآيات تحضيض على تدبر القرآن، وفهم معانيه واستنباط أحكامه، ولو كان الاعتماد على المأثور فقط؛ لما أمر الله سبحانه وتعالى عباده بتدبره. وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ (النساء: 83) وأهل الاستنباط هم العلماء الذين ناظمهم الله بمهمة الاجتهاد واستخراج الأحكام والمعاني.

2- دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنه بقوله (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل)⁴. فالتفقه من الفقه، وهو العلم بالأحكام الشرعية التفصيلية من أدلتها، أما التأويل فهو متعلق بالقرآن وفهم معانيه، والتعرف على مقاصده ومدلولاته، فيبدو أنّ دعاءه فيه إشارة واضحة على جواز التفسير بالرأي المحمود المستند إلى دليل وعلم أصيل.

¹ - أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي المطلبي القرشي (150-204هـ / 767-820م) هو ثالث الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة، وصاحب المذهب الشافعي في الفقه الإسلامي، ومؤسس علم أصول الفقه، وهو أيضاً إمام في علم التفسير وعلم الحديث، وقد عمل قاضياً فُعُرف بالعدل والذكاء. وإضافةً إلى العلوم الدينية، كان الشافعي فصيحاً شاعراً، ورامياً ماهراً، ورحالاً مسافراً. أكثر العلماء من الثناء عليه. (ينظر: موقع ويكيبيديا).

² - حسن أيوب: الحديث في علوم القرآن والحديث، المرجع السابق، ص 144.

³ - وقد لخص الدكتور عبد العظيم الزرقاني أهم شروط الأخذ بالتفسير بالرأي، ينظر: مناهل العرفان، المرجع السابق (ج1 ص 516-517).

⁴ - سبق تحريجه، ص 33 من البحث.

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

3- أنّ الصحابة اختلفوا في تفسير آيات من القرآن، مما لم يبيّنه لهم رسول الله ﷺ وفسّروه أنفسهم، كما فعل ذلك ابن عباس رضي الله عنهما، ولو كان الاجتهاد محظورا؛ لما فعل ذلك وهو أحرص الناس على تطبيق أوامر الشرع.

4- أنّ الناس قد درجوا على تفسير كتاب الله تعالى بالاجتهاد والنظر، من أيام التدوين إلى يومنا هذا، ويشهد لذلك كثرة التفاسير وتعددتها، وكما يقال لن تجتمع الأمة على ضلالة¹.

ولعلي أضيف دليلا أورده الإمام الطبري في مقدمة تفسيره، روي عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنّ رسول الله ﷺ قال: {من قال في القرآن برأيه - أو بما لا يعلم - فليتبوأ مقعده من النار}². والجملّة الاعتراضية تفسّر لنا معنى الحديث بصورة واضحة، إذ ورد النهي عن التفسير بالرأي؛ الغير مستند إلى علم شرعي، وجاء هذا المعنى في أكثر من رواية منها قوله ﷺ {من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار} وفي رواية {من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار}³. فالجملّة الاعتراضية التي جاءت في الرواية الأولى؛ والتي ذكرها الطبري، تحتمل أن تكون من وضع الراوي أو الإمام الطبري نفسه، وتحتمل أن تكون من شرح المحقق مع أنّي أستبعد ذلك، لأنني وقفت على كثير من المواقع، يضع الإمام الطبري فيها جملا اعتراضية للشرح والبيان، و لأنّ الرواية جاءت من طريق - عبد الأعلى - وحينما ذكره الطبري، جاء بجملّة اعتراضية أيضا في التعريف به؛ أنّه ابن عامر الثعلبي⁴، فإن كانت الجملّة الاعتراضية في التعريف - بعدد الأعلى - من إضافة المحقق، فأستبعد أن تكون في الرواية من إضافته، وهذا ما يجعلني أستنتج أنّ الجملّة الاعتراضية من شرح الطبري، أو من شرح نقله الطبري أيضا، لأنه يعيد الرواية بوجه آخر ومن طريق آخر أيضا، وعلى أية حال فهي رواية تدل على أن النهي المقصود من الحديث هو التكلم في التفسير بغير علم، وهو أيضا ما كان يقصده ابن تيمية حينما قال فأما

¹ - ينظر: الواضح في علوم القرآن، ص 236-237؛ أمير عبد العزيز: دراسات في علوم القرآن، ط2، 1408هـ/1988م، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة- الجزائر، ص 158-160.

²-ينظر: الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المصدر السابق، (ج1 ص 77)؛ وهذا الحديث إسناده ضعيف، وحسنه الترمذي وغيره، ينظر: أحمد بن حنبل: المسند، رقم الحديث: 2069، (ج3 ص 496).

³ - الحديث روي بعدة روايات، رواية أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ، رقم الحديث: 108، ص 26؛ ورواية أخرجه أحمد في مسنده 233/1 (2069).

⁴ - هو عبد الأعلى بن عامر الثعلبي كوفي روى عن ابن الحنفية ومحمد بن علي بن الحسين وسعيد بن جبير روى عنه إسرائيل وأبو عوانة. (ينظر: ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج6 ص 25-26).

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام... وبعد أن يورد أدلة قوية، يقول: وهكذا روى بعض أهل العلم من أصحاب النبي وغيرهم، أنهم شددوا في أن يفسر القرآن بغير علم¹، فالجملة الثانية بيّنت موقفه من التفسير بالرأي²، وأظهرت تشديده على الجرأة بدون علم، لكنه ما نهي عن التفسير بالرأي؛ الذي يستند لعلم صحيح وضوابط مشروعة.

ثانياً-الضرب الثاني: هو تفسير لا ينهض على دليل معتبر أو برهان مشروع، أو كان مستندا إلى هوى من الأهواء سواء أكانت مذهبية أو شخصية، أو غير جار على قوانين اللغة العربية، ولا موافقا للأدلة الشرعية، ولا مستوفيا لشروط التفسير، وهذا الضرب نهي عنه الشارع وحذر من التورط فيه، لما يؤول إليه من سوء المصير، ويستدل على منعه بالوجوه التالية:

1- قال الله سبحانه وتعالى ناهيا عن التفسير بالرأي القائم على الهوى ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 169)، وقوله تعالى ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء: 36).

2- نهي ﷺ عن التفسير بالرأي، جاء في الحديث الشريف {من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار}³.

وكل هذه الأدلة تشير إلى فداحة التجرؤ على تفسير القرآن بغير استناد إلى حجة أو بغير رجوع إلى أهل اللغة، أو دون الرجوع إلى أقوال الصحابة بخصوص أسباب النزول والناسخ والمنسوخ، وبالتالي ينجم عنه الخروج عن جادة التفسير، كما حصل مع الفرق وتفسيراتهم الفاسدة التي تتعارض مع الأدلة الشرعية وأساليب البيان وقواعد اللغة.

1 - ينظر: ابن تيمية: مجموعة الفتاوى، اعنتى بها وخرّج أحاديثها: عامر الجزائر؛ أنور الباز، ط3: 1426هـ/ 2005م، دار الوفاء، المنصورة - مصر (مج13، ص370).

2 - تتبعنا هذه القضية وتأكدنا أنّ البعض يترجم الجملة من السياق، أو يتعمدون نسب رأي كراهة التفسير بالرأي له، مع أنّ موقفه الحقيقي يظهر من خلال فهم سياق كلامه.

3- سبق تحريجه، ص 70 من البحث.

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

وخلاصة الأمر فإن كان الاجتهاد مستندا إلى ما يجب الاستناد إليه، بعيدا عن الجهالة والضلالة، فالتفسير به محمود، ومن جاد عن هذه الأصول وفسر القرآن بغير الاعتماد عليها، كان تفسيره باطلا خليقا بأن يسمى التفسير غير الجائز أو التفسير بالرأي المذموم.

المطلب الثالث: شروط المفسر وآدابه

إن معرفة الشروط التي يحتاج إليها المفسر لكتاب الله عزّ وجل، من الضرورات الملحة في التعامل معه؛ شرحا وبيانا وتوضيحا، سواء أكانت تلك الشروط تتعلق بأخلاق من سيتصدى للتفسير، أم كانت تتعلق بالمنهجية الواجب الالتزام بها؛ ليسير وفق قواعد التفسير السليمة.

كما أنه يشترط في حق من أراد خوض غمار التفسير، إتقان جملة من العلوم والمعارف والأدوات حتى يكون مؤهلا لذلك، فبواسطتها يجيد مخاطبة النص القرآني ويوفق في استخراج الأحكام واستنباط الأدلة واستجلاء المعاني.

وقد تكلم العلماء عن هذه الشروط التي سنسوقها، فهي تمثل الركيزة المتينة التي يعتمد عليها المفسر، وهي بمثابة صمّام الأمان الذي يقف في وجه كل من تُسوّغ له نفسه القول في كتاب الله بمجرد الهوى والرأي المذموم، وقد اخترت أن أسوقها في نقاط مختصرة تسهيلا للمادة العلمية، كما أنني قسّمتها إلى ثلاثة أجزاء، قسم يتعلق بشخصية المفسر وأخلاقه، وقسم للعلوم الواجب الإمام بها، وقسم خاص بمنهجية التفسير التي يتوجب الالتزام بها.

الفرع الأول - ما يتعلق بآداب المفسر:

أولا- صحة الاعتقاد: لا شك أنّ صحة عقيدة المفسر شرط أساسي، فصاحب العقيدة السليمة سيكون تفسيره بعيدا عن انحرافات أهل الزيغ والضلال، أما إذا كانت العقيدة منحرفة فإنها كثيرا ما تحمل أصحابها على تحريف النصوص ولبيّ أعناقها بما يتوافق مع الميولات العقائدية، كما لا يستبعد عنهم " الخيانة في نقل المرويات والأخبار"¹.

¹ - مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، ط7، القاهرة - مصر، ص 321.

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

ثانيا- صحة المقصد: وذلك بإخلاص النيّة لله عزّ وجل، وأن يقصد بعمله التقرب إلى الله تعالى دون غيره، كأن ينتظر جزاءً من أحد أو شكراً وحمدة من الخلق، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت: 69).

ثالثا- التجرد عن الهوى: ذلك أنّ الأهواء تدفع أصحابها إلى نصرة مذاهبهم والتعصب لآرائهم وتأويل القرآن بما يوافق معتقداتهم¹.

رابعا- أن يكون صاحب عزيمة، ذكي الفهم قوي الفكرة، حتى تكون له القدرة على استنتاج الآيات القرآنية، وتوجيه المعاني، واستنباط الأحكام من النصوص، وترجيح معنى على آخر، وهذا ما يسمى بعلم الموهبة.

الفرع الثاني- ما يتعلق بالعلوم الواجب معرفتها:

أولاً- علوم اللغة: لأنّ بها يعرف شرح المفردات ومدلولاتها بحسب الوضع، وما يتعلق بها من نحو وصرف واشتقاق. يقول القرطبي²: " هل باستطاعة أحد أن يفسر قوله تعالى في سورة البقرة ﴿لِلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِنْ نِسَائِهِمْ رِبْصٌ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُ وَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (226) دون أن يعرف المعنى اللغوي للإيلاء والتربص والفيء"³. وقال الإمام مالك: " لا أوتى برجل غير عالم بلغة العرب يفسّر كتاب الله إلا جعلته نكالا"⁴.

وقال مجاهد: " لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر، أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب"⁵، وهو بذلك يذكّر بفداحة التجرؤ على تفسير كلام الله من غير رصيد من اللغة. فكل من علم النحو والصرف والاشتقاق ضروري على المفسر أن يضطلع فيها، إذ أنّ العلم اليسير منها لا يكفي لتحويل أحد بمهمة التفسير، كما أنّ علوم البلاغة مهمة لمن أراد تفسير الكتاب العزيز،

¹ ينظر: السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، (ص 696)؛ مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، (ص321).

² هو محمد بن أحمد بن فرج القرطبي، أبو عبد الله المتوفى سنة 671هـ، وكتابه الجامع لأحكام القرآن، من أجمل التفاسير وأعظمها نفعاً، طبع عدة طبعات في عشرين مجلداً من الحجم الكبير، (ينظر: مفتاح السعادة (2/ 86)، الأعلام، الزركلي (2/ 552).

³ القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تح: عبد الله التركي، ط1: 1427هـ/2006م، بيروت - لبنان، (1/33).

⁴ السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، المصدر السابق، (ص 701).

⁵ السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، المصدر السابق، (ص 703).

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

فلا بد من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز لمعرفة أسرار البيان، وذلك إذا تصورنا أنّ القرآن من حيث الروعة في الأسلوب، ومن حيث الرصانة في العبارة، ومن حيث الجلال في المعنى الذي يفيض به؛ فهو غاية الإعجاز، ومثل هذه المعاني التي تتدفق من خلال القرآن لا تدرك إلا بهذه العلوم.

ثانيا- علم القراءات: لابد للمفسّر الإحاطة بهذا العلم، بالرغم من أنّ غايته معرفة كيفية النطق بألفاظ القرآن، إلا أنّ المفسّر يحتاج إليه في ترجيح بعض الوجوه المحتملة على بعض؛ بما قد يؤول إلى اختلاف في المعنى أو الحكم، كما أنّه يعين على توجيه المعاني المتعدّدة.

ثالثا- علم أصول الدين: وبه يتمكن المفسّر من الاستدلال على آيات التوحيد وما يجب في حقه سبحانه وتعالى وما يستحيل، كما يمكنه من النظر في الآيات المتعلّقة بالإلهيات والسمعيات وما شابه ذلك.

رابعا- أصول الفقه: لأنّ معرفة قواعد أصول الفقه، تعين على استنباط الأحكام من الآيات القرآنية.

خامسا- معرفة أسباب النزول: فهي من أعظم الطرق في فهم معنى الآية، وكثيرا ما يعين معرفة سبب النزول؛ على فهم المراد وإزالة الغموض، فهو بذلك يمهد للوقوف على المعنى الحقيقي للنص القرآني، يقول شيخ الإسلام -ابن تيمية-: "معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإنّ العلم بالسبب يورث العلم بالمسبّب"¹.

سادسا- علم الناسخ والمنسوخ: فهو ضروري للمفسّر أن يحيط به "ليعلم المحكم من غيره"².

سابعا- أن يكون عالما بأحكام الشريعة من العبادات والمعاملات، والسنن الواردة فيها ليضع الآيات التي تنتظم هذه الأحكام مواضعها³.

¹ - أمير عبد العزيز: دراسات في علوم القرآن، المرجع السابق، ص 80.

² - السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، المصدر السابق، ص 704.

³ - فائقة إدريس عبد الله: التفسير في القرن الأول الهجري، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، إشراف الأستاذ الدكتور: عبد الباسط إبراهيم ببول، عام 1404/1405هـ.

وأضاف الشيخ محمد عبده¹ :

ثامنا- العلم بأحوال البشر في مختلف أطوارهم، ومعرفة السنن الإلهية الكونية في تطور الأمم واختلاف أحوالهم، من قوة وضعف، وعزّ وذل، وكفر وإيمان، وهذا لا يتأتى إلا بمعرفة فنون وعلوم كثيرة منها: علم التاريخ، علم النفس، علم الاجتماع البشري.

وقد أشار ابن باديس إلى حقيقة عظيمة بهذا الصدد، ألا وهي ارتباط التفسير ببيئة المفسّر وأحوالها الاجتماعية وظروفها المعاشية وأبعادها السياسية والثقافية إذ يقول: "وكل عالم إنّما يعطي صورة زمانه بعد أن يكيّف به نفسه"².

وهنا نلمح عاملين أساسيين في التأثير؛ العامل الأول يتمثل في تأثير الواقع على المفسّر وكيفية انسجامه معه وتمازجه فيه، لينتج عنه العامل الثاني وهو انعكاس ذلك الواقع على التفسير، فبواسطته نتمكن من رؤية الصورة العاكسة لزمان المفسّر، والمؤثرة على القارئ في زمان آخر.

تاسعا- العلم بوجه هداية البشر كلهم بالقرآن، فيتوجب على المفسّر أن يعلم ما كان عليه الناس في عصر النبوة من العرب وغيرهم، وأنّ النبي ﷺ بعث به هدايتهم وإسعادهم.

عاشرا- العلم بسيرة النبي ﷺ وأصحابه وما كانوا عليه من علم وعمل وتصرف في الشؤون دنيويها وأخرويها³.

1- محمد عبده بن حسن خير الله من آل التركماني، فقيه مفسّر، متكلم حكيم أديب لغوي، كاتب صحافي سياسي، ولد في شبرا من قرى الغربية بمصر سنة 1266هـ، تولى منصب القضاء، ثم مستشارا بمحكمة الاستئناف، ثم مفتيا للديار المصرية، توفي سنة 1895م، من تصانيفه: تفسير القرآن الحكيم لم يتمه، رسالة التوحيد وغيرها، (ينظر: معجم المؤلفين: 272/4، الاتجاهات الفكرية عند العرب ص 300).

2- ابن باديس: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص 411.

3- ينظر: محمد رشيد رضا: تفسير القرآن الحكيم للشيخ محمد عبده، ط2: 1366هـ/1947م، دار المنار بالقاهرة- مصر، (ص 22-24).

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

الفرع الثالث- ما يتعلق بمنهجية التفسير:

أولاً- أن يطلب تفسير القرآن بالقرآن؛ فما أجمل منه في موضع، فقد فصل في موضع آخر، وما اختصر في موضع فقد بسط في موضع آخر، وما أطلق في موضع قيد في موضع آخر¹، فالقرآن كثيرا ما يفسر بعضه بعضا؛ وهو أصدق مصدر يعتمد عليه العلماء لفهم ما يراد من الآيات، " وقد أجمع العلماء على أن من أراد تفسير القرآن الكريم طلبه أولا من القرآن " ².

ثانياً- أن يطلب تفسير القرآن بالسنة النبوية الشريفة، "لأنها مبيّنة له وشارحة لمعناه"³، فهي من أعظم المصادر التي يحتاج إليها طالب التفسير؛ ليتمكن من الوقوف على معاني الآيات والسور، وما تحمله من مقاصد وأحكام، فقد وردت في القرآن على نحو من العموم والشمول، فجاءت السنة موضحة لكتاب الله ومفسرة لما جاء فيه من إجمال، كما عليه أن يعتمد على النقل الصحيح فيما روي عن النبي ﷺ.

ثالثاً- الرجوع لأقوال الصحابة؛ ممن اشتهروا بتفسير كتاب الله، فهم أدري بعلمه ومعانيه، لما شاهدوه من القرائن والأحوال فقد عايشوا نزوله، "ولما خصوا به من العلم الصحيح والفهم التام"⁴، كما أنه نزل بلغتهم فهم أفقه له وأعلم به.

رابعاً- الرجوع لأقوال التابعين فهم أول من أخذ علم الصحابة ﷺ.

خامساً- الرجوع إلى مصادر اللغة: ذلك أن القرآن نزل بلغة العرب، ويتوقف فهم المفردات على معرفة مدلولاتها من مظاهرها الأولى بحسب ما وضعت له.

سادساً- فهم عادات العرب ومعتقداتهم في الجاهلية وقد أبطلها الإسلام.

¹ - ينظر: السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، المصدر السابق (ص 695)؛ منع القطان: مباحث في علوم القرآن، المرجع السابق، ص 321؛ مجموعة الفتاوى لابن تيمية، (100/5).

² - عبد الرحمن العك: أصول التفسير وقواعده، ص 79.

³ - ينظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن، المصدر السابق (2/292)؛ السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، (ص695)؛ عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان (13/2).

⁴ - الزركشي: البرهان في علوم القرآن، المصدر السابق (2/173)؛ السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، المصدر السابق (ص 696).

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

هذه أهم الشروط التي أجمع أغلب العلماء على وجوب توفرها؛ لمن أراد أن يفسّر كتاب الله، لتحصيل أعلى مراتب التفسير، وإن كان بعضهم قد ذكر كل العلوم، بينما اكتفى البعض الآخر بذكر أهمها، وليس ما أثبتناه هنا حصراً لجميع العلوم التي يحتاجها المفسّر بقدر ما هي إطلاع على أغلبها، فعلم القرآن فضاء مفتوح يتجدّد ويتطوّر على مدى الأيام، مفتوح على كلّ ميادين العلوم والمعارف. جاء في الإتقان: " فهذه العلوم التي هي كالآلة للمفسّر؛ لا يكون مفسّراً إلا بتحصيلها، فمن فسّر بدونها كان مفسّراً بالرأي المنهي عنه، وإذا فسّر مع حصولها لم يكن مفسّراً بالرأي المنهي عنه " ¹.

¹ - السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، المصدر السابق (ص 705).

المبحث الثالث: مناهج التفسير واتجاهاته

إنّ الحديث عن اتجاهات التفسير ومناهجه، موضوع متشعب الأطراف متعدد المناحي، ذلك لأنه مرتبط بالنص القرآني الذي يختلف عن بقية النصوص، فله سمات معينة يمتاز بها تسوغ خصوصيته، فالمعاني مفتوحة والعقول المتدبرة تجد فيه كل حين حاجتها، ثم إنّه يتعلق بتعدد المناهج التي سار عليها المفسرون الأوائل والمحدثون في استنباط الأسرار القرآنية، وفي هذا المبحث سأحدّد مفهوم المنهج والاتجاه وما يقربهما من مصطلحات، وسأحاول أن أرسم الاتجاهات التفسيرية لأخذ نظرة شاملة عليها، قبل الولوج في موضوع التفسير البياني، وقبل استكناه مفهومه وخصائصه.

المطلب الأول: تعريف المنهج والاتجاه

يتداول الكثير من العلماء في التفسير؛ مصطلحات مهمة نذكر منها: الاتجاه والمنهج والأسلوب والطريقة، ولا نكاد نجد لها ذكرا عند القدماء، إنما هي مصطلحات مستحدثة، شاعت على ألسنة الباحثين حديثا؛ وحتى المحدثون أنفسهم لا يتفقون على معنى واضح لكل منها، ومن هنا كان لزاما علينا أن نتعرض لها، لنحاول التعرف عليها، ومعرفة الفروق الجوهرية بينها، والتقريب بين آراء الباحثين بخصوصها للخروج بمفهوم دقيق لها.

الفرع الأول- تعريف المنهج:

أولا- لغة: إنّ كلمة (منهج) مشتقة من الثلاثي (نَهَجَ)، قال ابن فارس عنها: " النهج: الطريق، ونَهَجَ لي الأمر أوضحه، وهو مستقيم المنهاج، والمنهَجُ: الطريق والجمع (المناهج)"¹.

وقال الراغب الأصفهاني في المفردات: " النهج: الطريق الواضح، ونَهَجَ الأمر، وأنهَجَ: وضح، ومنهج الطريق ومنهاجه، قال تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (المائدة: 48)"².

والجمع نهجات ونهج ونهوج، ومنهج الطريق وضحها والمنهاج كالمنهج، وتأتي مادة نهج أيضا في صيغة الفعل الرباعي (أنهَج).

¹ - ابن منظور: لسان العرب، المصدر السابق، ج14 ص 287.

² - الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، ص 825.

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

جاء في لسان العرب: "وأتهج الطريق: وضع واستبان، وصار تهجا واضحا بيّنا... والمنهاج الطريق الواضح، فلان ينهج سبيل فلان أي يسلك مسلكه"¹.

نستخلص من خلال ما سبق، أنّ كلمة المنهج في اللغة، تعني الطريق والمسلك، أو السبيل الواضحة البيّنة المتبعة، ويكون على هذا الأساس استعمال حقيقي للفظه، وقد نستعمله مجازا لنطلق هاته اللفظة على الخطة العلمية التي يسير عليها الباحث وفق قواعد وأسس، حتى لا تحيد دراسته عن المنهجية الصحيحة، قال أحد الباحثين: "أما المنهج في اللغة، الطريق الواضح في أمر ما؛ من علم أو عمل"².

ثانيا- اصطلاحا: إن دلالة المنهج في الاصطلاح العلمي مسألة اختلفت فيها الأنظار، وتضاربت فيها الأقوال، فلا نكاد نجد اتفاقا حول تعريف المنهج، ويعود سبب ذلك من وجهة نظرنا؛ إلى اختلاف المعيار الذي أسس عليه كل أحد مفهومه للمصطلح، فعدم توضيح الضوابط وزاوية النظر التي يبني عليها كل باحث تعريفه للمصطلح، هذا ما جعل الاختلاف بيّنا ووجهات النظر متضاربة، رغم اتفاقهم على أنّه مجموع آليات وقواعد منظّمة محدّدة توصل الباحث إلى هدفه وغايته.

قال أحد الباحثين بهذا الصدد: "ليس هناك اتفاق بين المؤلفين في مفهوم المنهج، ومع هذا فقد استعمل المنهج ليميّز الأساليب المختلفة في مستويات متعددة"³.

وقال غيره: "هو الطريق الواضح في التعبير عن شيء أو في عمل شيء أو في تعلّم شيء طبقا لمبادئ معينة، وبنظام معين، بغية الوصول إلى غاية معينة"⁴.

وخلاصة الأمر يمكننا القول أنّ المنهج هو مجموعة القواعد النظرية التي يتبعها الباحث في تقصيه للحقائق العلمية في أي فرع من فروع المعرفة.

¹ - ابن منظور: لسان العرب، المصدر السابق، ج14 ص 288.

² - خالد السعيداني: نماذج من مساهمة علماء المسلمين في المنهج الاستراديي، مقال الكتروني، تحميل يوم:

2017/10/18، على الساعة- 19:09.

³ - علي إدريس، مدخل إلى مناهج البحث العلمي لكتابة الرسائل الجامعية، (د ت ط)، الدار العربية للكتاب؛ دار القلم،

تونس- 1985م، ص 47.

⁴ - محمود النقراشي السيد علي: مناهج المفسرين من العصر الأول إلى العصر الحديث، ط1: 1407هـ/1986م، مكتبة

النهضة- القصيم - مصر، (ج1 ص 13).

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

هذا فيما يخص المنهج بصفة عامة في كل المجالات؛ فمنهج الدراسة هو الخطة المرسومة المحددة، أما فيما يخص منهج التفسير، فقد قال عبد الفتاح الخالدي: " هو الخطة المحددة التي وضعها المفسر عند تفسيره للقرآن الكريم، والتي انعكست على تفسيره الذي كتبه، وصارت واضحة فيه، هذه الخطة تقوم على قواعد وأسس، تتجلى في أساليب وتطبيقات"¹.

وعرّف أحدهم المنهج بقوله: " السبيل التي تؤدي إلى الهدف المرسوم"².

نلاحظ أنّ الباحث وظّف المعنى اللغوي لكلمة المنهج توظيفا جيدا، مما جعل تعريفه واضحا دقيقا.

وهناك من عرّف المنهج قائلا: " هو الاستفادة من الوسائل والمصادر الخاصة في تفسير القرآن، والتي يمكن من خلالها تبين معنى ومقصود الآية، والحصول على نتائج مشخصة"³. وبالتالي صاحب هذا التعريف لخص هدف الباحث في الكيفية التي يعتمد عليها لكشف واستخراج معاني ومقاصد آيات القرآن، حيث تتضمن تلك الكيفية مجموعة المصادر التي يستقي منها مفهوم الآية ويستعين بها لتوضيح معناها.

وبحسب ما نرى فإنّ تلك المصادر هي وسائل تعين على فهم الآية، لكنّها لا تعتبر منهجا يسير وفقه الباحث، وبالتالي يمكننا القول أنّ تعريف الخالدي أدق من هذا التعريف.

وبعد أن عرفنا معنى المنهج، هناك مصطلح آخر يفترض بنا الوقوف عنده؛ لتعلقه به وهو الطريقة، فلقد رأى الخالدي وجوب التفريق بينهما، لأنّ معظم الباحثين يخلطون بينهما، ويجعلونهما كلمتين مترادفتين، وانعكس هذا على دراساتهم وأبحاثهم فكانت غير واضحة ولا محدّدة.

وبما أنّ التفريق ضروري في مختلف الدراسات النظرية، فإنّه أكثر ضرورة في الدراسات الإسلامية، إذ أنّها تتحدث عن علمائنا ومفكرينا في مختلف ميادين العلوم الإسلامية، ولقد أوضح الخالدي الفرق بينهما، فالمنهج في نظره هو الخطة المرسومة المحدّدة؛ والتي تتمثل في مجموعة القواعد والأسس التي ينطلق

¹ عبد الفتاح الخالدي: تعريف الدارسين بمنهج المفسرين، المرجع السابق، ص 17.

² فهد الرومي: بحوث في أصول التفسير ومنهجه، ط4: 1419هـ، مكتبة التوبة، الرياض - السعودية، ص 55.

³ محمد علي الرضائي: منهج التفسير واتجاهاته - دراسة مقارنة في مناهج تفسير القرآن الكريم - ترجمة: قاسم البيضاني،

ط1: 2008م، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ص 15.

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

منها المفسّر في فهمه للآيات القرآنية، وهي بمثابة الضوابط التي التزم بها في تفسيره، فسار عليها ولم يخالفها.

أما الطريقة فهي الأسلوب الذي يسلكه المفسّر؛ أثناء توضيحه لمعاني الآيات القرآنية¹.

وخلاصة الأمر من زاوية نظرنا؛ المنهج هو عبارة عن الجزء النظري للمفسّر، فهو مجموعة القواعد التي رسمها لنفسه وقرّر السير عليها، أما الطريقة فهي الجزء التطبيقي؛ الذي يتمثل في الشكل العام الذي عرض فيه المفسّر تفسيره، أو هو المرآة التي تعكس لنا منهج المفسّر إن صحّ التعبير.

فالطبري مثلا كان من منهجه ذكر الأقوال المأثورة بالأسانيد المختلفة، وعرفنا ذلك من خلال تتبعنا له في تفسيره، فطريقته في تحليل الآيات وعرضها بشكل معين؛ هو ما جعلنا نستنبط الخطوط العريضة لمنهجه الذي سار عليه، وعلى هذا الأساس يكون مصطلح المنهج لا يساوي الطريقة.

الفرع الثاني - تعريف الاتجاه:

أولا - لغة: جاء في لسان العرب²، اتجاه من (الْوَجْه) قال تعالى: ﴿وَقَالَتْ طَافِيَةٌ مِّنْ أَهْلِ

الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَىٰ وَجْهِ النَّهَارِ وَكَفَرُوا بِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (72) (آل عمران: 72).

ووجه النجم: ما بدا لك منه، ووجه الكلام: السبيل الذي تقصده به، وجهة الأمر وجهته ووجهته ووجهته ووجهته. الاسم (الوجهة، والوجهة) بكسر الواو وضمها، والجهة والوجهة جميعا: الموضع الذي تتوجه إليه وتقصده، واتجهت إليك، أُنجّه أي توجهت لأن أصل التاء فيهما واو، وتوجه إليه: ذهب وتجهت إليك أتجه: أي توجهت لأن أصل التاء فيهما واو.

وورد في المعجم الحديث: اتجاه: مصدر اتجه، وهو الإقبال على الشيء بالوجه، اتجه اتجاهها: قصد، أقبل على، تقول اتجه إليه: أقبل عليه³.

¹ - المرجع نفسه، ص 18.

² - ابن منظور: لسان العرب، المصدر السابق، ج14/15، ص 216 - 217 - 218.

³ - يوسف محمد رضا: معجم العربية الكلاسيكية والمعاصرة (معجم ألفبائي موسع في اللغة العربية) ط1: 2006، مكتبة لبنان

ناشرون، بيروت - لبنان، ص 18.

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

ثانياً- اصطلاحاً فهو:

1- تأثير الاعتقادات الدينية، الكلامية، الاتجاهات العصرية، وأساليب التفسير التي تعكس عقيدة وذوق وتخصص المفسر¹.

2- مجموعة الآراء والأفكار والنظرات التي تشيع في عمل فكري بصورة أوضح من غيرها، فهي تعكس مصدر الثقافة التي تأثر بها المفسر².

3- هو الهدف الذي يتجه إليه المفسرون في تفاسيرهم ويجعلونه نصب أعينهم وهو يكتبون³.

من خلال هذه التعريفات نرى أنّ كل باحث يحاول أن يضع حداً دقيقاً للمصطلح، وكل يراه من زاويته الخاصة ويعرفه بناءً على محصوله المعرفي، والعجيب أنّهم لا يتفقون فيها، فأحد يرى أنّ المنهج والطريقة مترادفين والآخر يرى عكسه تماماً، وكل يضرب مثالا لتأكيد وجهة نظره.

ولا أود أن أكون كحاطب ليل ألخص للقارئ الكريم كلامهم دون أن أساعده على استيعاب المصطلحات، فربما لو نقلت له ما اطّعت عليه، لالتبس عليه الأمر وانغلق الفهم؛ فقد كدت أغرق في زحمة الأنظار المتشعبة في مؤلفات عديدة في هذا المضمار، وأوشكت أن أضيع في خضم آراء عديدة متباينة، لولا لطف الله وعونه، فجمعت نفسي وقررت أن أحسم الأمر معتمدة على ما بلغه فهمي، واستقرّ في نفسي، واطمأنّ به قلبي، وقد سكنت نفسي إلى ما أورده الخالدي وسأيرته في شوط كبير، منها اعتباره أنّ كل مصطلح له معناه الخاص، فالطريقة في نظري لا ترادف المنهج أو الاتجاه، ولعلي أصوّر العملية التفسيرية كأنّها تجربة علمية، أول ركنة فيها هو الوسط الحيوي الذي يحتضن التجربة ويضمن نجاحها؛ ويقابله في العملية التفسيرية اتجاه المفسر وفكره وتوجهه؛ فكأنّ الوعاء الذي يعكس لنا ثقافته ومعرفته، ولدينا مواد التفاعل التي تتأثر ببعضها وتتفاعل؛ وهي المفسر والنص القرآني الذي سيتفاعل معه، ثم إنّ التفاعل الحاصل من التجربة هو ما نسميه بطريقة التفسير ومراحل سيرورتها، ومع مراقبتنا للتجربة وأطوار تغييرها لتسجيل أهم الملاحظات النظرية والنتائج؛ هو ما سيكون بالضبط منهج

¹ - مناهج التفسير واتجاهاته، المرجع السابق، ص 16.

² - فضل حسن عباس: التفسير أساسياته واتجاهاته، ط1: 1426هـ/2005م، مكتبة دنديس، عمان- الأردن، ص 44.

³ - فهد الرومي: بحوث في أصول التفسير ومناهجه، المرجع السابق، ص 55.

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

المفسّر الذي نستنبطه من خلال تفسيره، وإن كان إنزيم التفاعل هو ما ينشط المتفاعلات في التجربة العلمية؛ والذي يقابله أسلوب المفسّر، حيث يعكس لنا اختياره في تناول الآيات القرآنية وذوقه العلمي.

المطلب الثاني: الاتجاهات العامة للتفسير

لقد أوضحت الكتابة حول اتجاهات التفسير من أغزر المواضيع التي يتعاطاها الباحثون في العصر الحديث، وكثرت المؤلفات والرسائل العلمية¹؛ لدرجة كبيرة لا يمكن إحصاؤها، كما وقد عرّج لهذا الموضوع كل من تناول علم التفسير بالدراسة²، لذلك قسّمت الاتجاهات التفسيرية إلى أقسام متعدّدة من جهات مختلفة، ولا أراني في حاجة الوقوف عندها، لأنّ الحديث يطول وليس له حدّ؛ فوجهات النظر مختلفة، والمعايير التي يبني عليها كل باحث تقسيمه -أحياناً- غير دقيقة، وما على القارئ الكريم إلا الرجوع إلى الكتب في مظانها، وسأكتفي بإيراد التقسيم الذي أخترته؛ وفق المعايير التي ارتأيت وضعها، بهدف دراسة الموضوع وفق نظام منطقي، فالاتفاق على المعايير المحدّدة المعالم؛ يساعد على سير الموضوع بشكل أوضح.

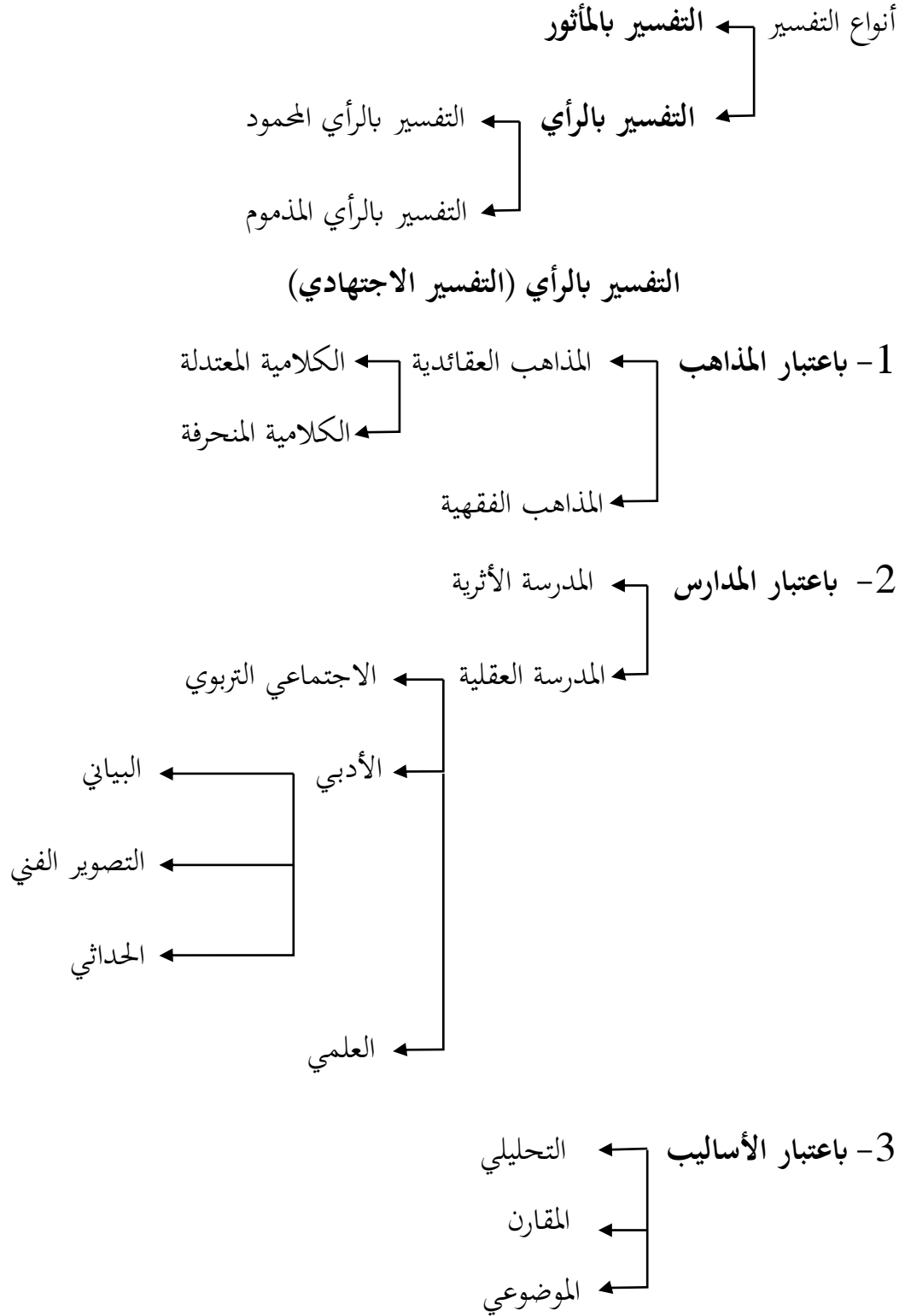
وسنبدأ من حيث وصل إليه علماؤنا الأفاضل من تقسيم للتفسير؛ شمل نوعين اثنين، هما: التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي، ليكون تقسيمنا للاتجاهات التفسيرية، في مخطط كالآتي:

1 - منها على سبيل المثال لا الحصر: فهد الرومي (اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري)؛ عفت الشرقاوي

(اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث)؛ إبراهيم الشريف (اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر في القرن العشرين)؛ عبد المجيد المحتسب (اتجاهات التفسير في العصر الراهن).

2 - ينظر: حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، (ج 1، ص 255 - 284)؛ خالد العك: أصول التفسير وقواعده، (ص 107-261).

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير



الشكل رقم (01): مخطط الاتجاهات العامة للتفسير

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

لقد انطلقنا من تقسيم التفسير المتفق عليه، إذ يعدّ التفسير بالمأثور من أقدم المناهج التفسيرية، وهو أوّل خطوة في طريق أي اتجاه تفسيري، إذ على المفسّر؛ الذي يتبغى سلوك المنهج القويم أن يتعرّض أولاً؛ لاستنباط المعاني من الآيات القرآنية الأخرى، ثم لما ورد من روايات مأثورة، ولذلك سمي بالتفسير الروائي والأثري والتفسير بالرواية؛ ويقابله التفسير بالدراية أو بالرأي والاجتهاد، وهذا هو الذي تضاربت فيه الفهوم واختلفت فيه وجهات النظر، بين مجيز بقيود وتحفظ، وبين مانع بإطلاق ومانع بشروط، وقد أشرنا إليه من قبل، ويكفي القول أنّه عماد الاتجاهات التفسيرية المتعدّدة، سواءً الأثرية التي تخللتها بعض الترجيحات العقلية، أو العقلية التي امتزجت بالروايات النقلية، فلا شك أنّ معظم التفاسير -أو كلها بوجه أصحّ- تحتوي على الرواية والدراية معاً، فانتقاء المرويات وتمحيصها والتعقيب عليها هو وجه من وجوه أعمال الفكر والعقل، ثم إنّ كليهما يصب في مصب واحد؛ هو محاولة استجلاء المعاني في الخطاب الرباني.

إنّما نقصد من وراء دراسة الاتجاهات التفسيرية وتحديدتها بدقة، هو معرفة النمط الغالب على التفسير، لإدراك خصائصه وتببع مميزاتة تسهيلاً للفهم. وقد وضعت ثلاث معايير رئيسية يمكن بواسطتها تحديد الاتجاهات، فاعتبار المذاهب يحدّد لنا الوجهة الصحيحة التي يجب علينا انتقاء التفسير من أجلها، واعتبار المدارس يساعدنا في فهم الاتجاهات التابعة للمدرسة الأثرية، أو اتجاهات المدرسة العقلية الحديثة؛ التي بدأت بتفسير المنار، ثم انبثق عنها الاتجاه الأدبي، وشمل التفسير البياني، والتصوير الفني، ثم التفسير الحدائثي، وستكون لنا عنده وقفة في الفصول المقبلة الخاصة بتطور هذا اللون من التفسير.

وكذلك التفسير العلمي الذي نشأ في أحضان المنهج التجريبي، وظهر في التفاسير القديمة، وأبرزها (مفاتيح الغيب) في القرن السابع الهجري، ولحد اليوم ما زال بين أخذ ورد بخصوص جوازه أو معارضته، أما المعيار الثالث فهو يتعلق باعتبار الأساليب، حيث يعكس الجانب التطبيقي؛ الذي سار عليه المفسّر في تناوله للآيات القرآنية، فقد يتخذ الطريقة التحليلية لكل آية يعرض لها ويظهر كل ما يتعلق بها من سبب نزول، وشرح لغوي، وتعليل نحوي وبلاغي وهكذا.

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

وقد يكتفي بإظهار المعنى الإجمالي للآية، وقد يتناولها من خلال مقارنتها بآيات أخرى، أو جعل آية قرينة على فهم الآيات الأخرى، ثم الخروج برأي نهائي حول الموضوع القرآني المعالج، وهذا الأسلوب مستنبط من طريقة تفسير القرآن بالقرآن، وسمي حديثا بالتفسير الموضوعي، إذ قد يختار المفسر موضوعا معيناً¹، ويجمع كل الآيات المتعلقة به، ويبسطها بالشرح والفهم.

وترجع أسباب نشوء تلك الاتجاهات والمناهج التفسيرية على مَرِّ العصور، إلى عوامل عدّة منها ما هو مباشر، ومنها ما هو غير مباشر؛ لكنه يؤثر بطريقة أو بأخرى، فالأوضاع السياسية وقضايا الحكم والسلطة لها تأثير واضح وجلي على اتجاهات التفسير واختيارات المفسرين وآرائهم العقديّة والفقهية.

وقد يتساءل أحد، لماذا هذا الاختلاف والقرآن واحد، ألا يفترض أن يكون منهجا واحدا واتجاها واحدا، والحقيقة لو استعرضنا خلافاً للمفسرين لوجدناها بعيدة عن الأمور المجمع عليها في العقيدة والأحكام والأخلاق، إنّما يعود الاختلاف لتعدد التأويلات والقراءات، فمنها ما يعود للغة فهي حمالة أوجه، ومنها ما يعود لعقول المتعاطين للنص القرآني، فالله يفتح أبواب الفهم والإدراك لمن يشاء من خلقه، ولذا نجد بعضهم يرد أقوال بعض، وقد يرجح قولاً كان مرجوحاً عند كثير من المفسرين، وقد يفتح الله للمتأخر ما لم يفتح به لمتقدم، لكننا لسنا ملزمين بكل ما جاء في كتب التفسير من أقوال، خاصة الأقوال الخلافية التي لا علاقة لها بجوهر التفسير، فذاك شأن آخر، وليس هذا مقام التحدث فيه، كما قال القائل:

وليس كل خلاف جاء معتبرا إلا خلافا له حظ من النظر

بل نقصد خلاف التنوع لا خلاف التضاد، وهنا لا شك يكون الاختلاف أمراً إيجابياً، إذ فيه ثراء للفكر وغناء للمعنى، يعكس لنا حركة علمية دؤوب عبر مَرِّ السنين، بدأت مع القدامى ونضجت، واستمرت مع المحدثين وتجددت، وسيبقى تفسير القرآن أهدى الدهر معينا لا ينضب، إذ هو علم لم ينضب ولم يحترق، وسيظل خالدًا بخلود القرآن، فكتاب الله لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه.

وفي نهاية المطاف نقول أنّ التراث الإسلامي فيما يخص التفسير؛ أشبه ما يكون بألوان الطيف، كلّما تنوع وتعدّد، كلّما ازدهر وازدان، ولا يحق لنا جعله لوناً جواً واحداً؛ بين بياض أو سواد، فلا نذهب مع الفريق الذي يطالب بالتجديد حد المغالاة، ولا نسلك مسلك الفريق؛ الذي يرفض التجديد في كل

1 - كما فعل الشيخ يوسف القرضاوي حفظه الله في موضوع الصبر.

الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير

شيء، بل علينا الرجوع لتراثنا والاعتزاز بمرجعيتنا وتمحيص موروثنا التفسيري من جهة، ومواجهة الوافد بأدوات قويمية تعين على غربلته؛ للإفادة من خيره ودحض غيره من جهة أخرى، فإذا التزمنا بهذا الأمر أصبح من حقنا خوض غمار التفسير، واستثمار الخلاف فيه، فالاختلاف الفكري حق مشروع وحقيقة قائمة لا مفر منها، وصحة اتجاهات التفسير وسلامتها وبراعتها؛ تكمن في تنوعها الذي يعكس قداسة النص القرآني وأسراره العجيبة، ويعكس لنا الجهود المبذولة من طرف متذوقيه؛ لاستخراج كنوزه وآلئه.



الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر

المراحل الزمنية

المبحث الأول: استقراء لفكرة البيان ومشتقاتها في القرآن

المبحث الثاني: مفهوم البيان في اللغة والاصطلاح

المبحث الثالث: ملامح التفسير البياني من القرن الأول إلى

القرن السابع الهجري

المبحث الرابع: التفسير البياني من القرن الثامن إلى القرن

الرابع عشر الهجري



الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

لما كان موضوع بحثنا ينطلق من القرآن الكريم ويعود إليه، ويبحث في ماهية (البيان) في التراث الأدبي الإسلامي على وجه العموم؛ وفي القرآن الكريم على وجه الخصوص، فإنّ إحصاء وجرد كلمة (البيان) في القرآن الكريم وتسجيل مواضعها من السور والآيات بات أكثر من ضرورة تتطلبها مسيرة البحث، كما سنتبع ملامح التفسير البياني عند رواده الذين ساهموا في بلورته وتشكيل معالمه، وذلك من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول: استقراء لفظة (البيان) ومشتقاتها في القرآن

لمعرفة دلالة البيان في القرآن، علينا استقراء مواضعها، باختلاف سياقاتها في القرآن الكريم، فقد وردت مشتقاتها في 54 سورة، من 213 موضع، وقد أجاد الباحث -عمار ساسي¹- في تتبعها، واستدركنا عليه المواضع التي غفل عنها، وسنعمد على استقراء آخر، وهو تصنيف لفظة (البيان) بحسب السور المكيّة والمدنيّة، لنذكر إن كان هناك تغيّر في دلالة المصطلح بين الأسلوب المكي والمدني، أم حافظ على دلالاته رغم اختلاف خصائص الأسلوبين.

وقد استعنت في شرح دلالات المشتقات على لسان العرب؛ وتفسير الإمام الطبري؛ الكشف؛ صفوة التفاسير؛ التحرير والتنوير؛ وما قدّمه الباحث بهذا الصدد.

المطلب الأول: استقراء المواضع في السور المكيّة:

جاءت مشتقات (البيان) في ست وثلاثين (36) سورة مكيّة هي كالاتي:

الأنعام - الأعراف - يونس - هود - يوسف - إبراهيم - الحجر - النحل - الإسراء - الكهف - مريم - طه - الأنبياء - المؤمنون - الشعراء - النمل - القصص - العنكبوت - الروم - لقمان - سبأ - فاطر - يس - الصافات - الزمر - غافر - الدخان - الجاثية - الأحقاف - الذاريات - الطور - الملك - نوح - القيامة - التكوير - البيّنة.

¹ - هو عمار ساسي من مواليد سبتمبر 1958 بالبلدية، أستاذ التعليم العالي في قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب والعلوم الاجتماعية جامعة سعد دحلب البليدة، دكتوراه دولة في اللسانيات وعلوم اللغة العربية، له أبحاث ودراسات متخصصة منشورة، يشرف على رسائل جامعية ماجستير ودكتوراه في التخصص، يحسن اللغة العربية الفرنسية والألمانية. (ينظر: عمار ساسي: الإعجاز البياني في القرآن الكريم، ط1: 1423هـ/2003م، دار المعارف، بوفاريك - الجزائر، ج1، ص 129 وما بعدها).

أ-وردت فيها صيغة (مبين) خمس مرات، من قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿7﴾ أي يقولون تعنتا وعنادا هو سحر بين رغم ظهور الحق ووضوحه؛ وقال تعالى: ﴿مَنْ يُضَرْفُ عَلَيْهِ يَوْمَئِذٍ فَقَدَرَجَمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿16﴾

أي تلك هي النجاة الظاهرة الواضحة؛ وقال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَةٍ إِلَّا يَافِسُهَا إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿59﴾ وقد ذكر الباحث أنّها بمعنى "كتاب واحد وهو علم الله أو اللوح الواضح"¹، لكن المعنى غير مستساغ لحد ما، إذ لو اعتبرنا أنه جنح لتقدير الكتاب بمعنى مجازي وهو علم الله، فكيف يكون كتابا واحدا ثم يقرنه باختيار مغاير؛ هو ما جاء في اللوح المحفوظ الواضح، وربما تكون العبارة خاطئة وربما الدلالة مركبة وتحتاج لمزيد تدبر وتأمل، أما صاحب التحرير والتنوير فقد قال: "والمراد بالكتاب المبين العلم الثابت الذي لا يتغير، وما عسى أن يكون عند الله من آثار العلم من كتابة أو غيرها لم يطلعنا على كنهها"²، ونظير هذا المعنى جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ (البقرة- آية: 255). ولفظة (مبين) إما من أبان المتعدي، التي تعني أنّ هذا الكتاب مبين لما جاء فيه، وهو المعنى الذي ترجح لدينا بعد استقراء لفظة (الكتاب المبين) في القرآن الكريم، فمعناها يقتصر على دالتين؛ إما اللوح المحفوظ أو القرآن المجيد، ويستقيم المعنى اللغوي في الدلالة الثانية فقد جاء القرآن الكريم؛ مُظهر ومُبين لما جاء فيه من أحكام وحدود ومعاملات، وسنقف على الآيات في مواضعها في السور اللاحقة، أما اللوح المحفوظ، فقد وجد لها الشيخ الطاهر بن عاشور تحريجا لغويا حينما قال: "أي مبين لبعض مخلوقاته ما يريده كالملائكة"³، إذ الصيغة تقتضي أن تكون الصفة مبيّنة،

¹ - عمار ساسي، الإعجاز البياني في القرآن الكريم، ص 133.

² - طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 7 ص 273.

³ - المصدر نفسه، ص 274.

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

وإن كانت من لفظة (بان) أي بين " فصل بما لا احتمال فيه ولا تردد "1، وذكر الطبري " أنه يبين عن صحة ما هو فيه بوجود ما رسم فيه على ما رسم "2.

وفي الموضع الثالث قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ مَا زَرَ اتَّخَذَ أَصْنَامًا - إلهةً إني أرىك وقومك في ضلالٍ مبينٍ ﴿74﴾ أي في شرك قبيح ظاهر بين؛ وقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿142﴾ أي أن عداوته ظاهرة بيّنة لا اختلاف فيها.

ب- وردت فيها صيغة (تستبين) من قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ ﴿55﴾ أي لتستوضح سبيلهم فتعاملهم بما يجب أن يعاملوا به.

ج- وردت فيها صيغة (بيّنة) مرتين، من قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِنْدِي مَاتَسْعَاجِلُونَ بِهِ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿57﴾ أي إني على معرفة من ربي، وعندني حجة واضحة معلومة ظاهرة؛ وقال تعالى: ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجِرِبُ الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿157﴾ أي فقد جاءكم برهان ساطع وحق ظاهر وكتاب واضح كما أردتم أن ينزل لكم.

د- وردت فيها صيغة (بيّنه) مرة واحدة من قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِيُقُولُوا دَرَسْتَ وَإِنِّي لَأَعْلَمُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿105﴾ أي نوضح لكم الآيات القرآنية.

2- سورة الأعراف:

أ- وردت فيها صيغة (مبين) أربع مرات، قال تعالى: ﴿وَفَادٍ لَهُمَا رَبُّهُمَا - إله أنهما عما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين ﴿22﴾ أي عداوته ظاهرة وشديدة وجليّة؛ وقال تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرِيكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿60﴾ أي نراك في ضلال ظاهر واضح؛ وقال تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰ

¹ - المصدر نفسه، ص 274.

² - الطبري: المصدر السابق، ج9، ص 284.

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ أي ثعبان ظاهر عظيم وجلي؛ وقال تعالى: ﴿أَوْلَمْ يَنْفَكِرُوا مَا بَصَحِبِهِمْ مِنْ جَنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أي منذر من الله، رسالته واضحة.

ب- وردت فيها صيغة (بينات) مرة واحدة من قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الْأَقْرَبَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾ أي جاءتهم رسلهم بالمعجزات الحسية الظاهرة للعيان.

ج- وردت فيها صيغة (بينه) مرتين، قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ شَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴿١٠١﴾ أي قد جئتكم بمعجزة حسية ظاهرة تدل على صدق نبوتي، ونفس المعنى من قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴿١٠١﴾.

3- سورة يونس:

أ- وردت فيها صيغة (مبين) مرتين، قال تعالى: ﴿قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾

أي سحر ظاهر جلي، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾ أي في كتاب يوضحها ويبينها، والسياق هنا أيضا يتعلق بالأمر الغيبية التي استأثر الله علمها.

ب- وردت فيها صيغة (بينات) ثلاث مرات، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونََ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ أي بالمعجزات والدلائل الواضحة؛ وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بِبَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آتِنَا بِشْرًا إِنَّا غَيْرُ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدِّلَهُ مِنْ تَلَقَّاءٍ نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُؤْتَىٰ إِلَيَّ وَإِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ أي تتلى عليهم آياتنا القرآنية، فأنكروها وكفروا بها، وقال

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ ﴾ أي فجاءوهم بالدلائل والمعجزات الواضحة.

4- سورة هود:

أ- وردت فيها كلمة (مبين) مرتين، من قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (6) أي ما من دابة في الأرض إلا ورزقها معلوم واضح في اللوح المحفوظ، وقال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْحَرٌ مُبِينٌ ﴾ (7) أي أن الأمر واضح لا مرأى فيه، معلوم بالنسبة لهم.

ب- وردت فيها صيغة (بيّنة) أربع مرّات، من قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَءَايَاتِنِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعِمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنْزِلْ مَكْمُومَهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَاذِبُونَ ﴾ (28) أي على برهان ودليل من ربي؛ وقال تعالى: ﴿ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (53) أي ما جئت بمعجزة ودليل على صدق دعواك ﴿ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَءَايَاتِنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴾ (63)

أي على برهان ومعجزة واضحة من ربي، ونفس المعنى أيضا من قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَ فِكْرَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَيْتُكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (88).

5- سورة يوسف:

أ- وردت فيها صيغة (مبين) أربع مرّات من قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْكُتُبَ الْمُبِينَةَ ﴾ (1) أي آيات واضحة بيّنة؛ وقال تعالى: ﴿ قَالَ يَبْنَئِي لَا تَقْصُصْ رُءُوسَكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ (5) أي ظاهر العداوة، شديد الوسوسة فيحملهم على الحسد والمكر. وقال تعالى: ﴿ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ غُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (8) أي في

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

ضلال واضح معلوم، ويُعد عن الصواب؛ ونفس المعنى من قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرْوَدُ فَتَنْهَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿30﴾

6- سورة إبراهيم:

أ- جاءت فيها صيغة (بيّن) من قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أي يوضح لهم رسالة ربه؛ التي بعث لهم بها بلغتهم فلا يكون لهم على الله حجة.

ب- جاء فيها صيغة (بيّنات) من قوله تعالى: ﴿الْقُرْيَاتِ كُمْ بِنُؤَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمٌ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿9﴾ أي بالمعجزات الحسيّة الواضحة التي لا مرأى فيها، الشاهدة على صدق دعواهم.

ج- جاء فيها صيغة (تبين) من قوله تعالى: ﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِينِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ﴿45﴾ أي وظهر لكم بوضوح مساكنهم، وشاهدتم عقابهم وجزاء ظلمهم.

7- سورة الحجر:

أ- وردت فيها صيغة (مبين) أربع مرّات، من قوله تعالى: ﴿الرَّبِّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ ﴿1﴾ أي كتاب واضح في معجزته، وقال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ إِسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ ﴿18﴾ أي ظاهر للمبصرين، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لظَالِمِينَ ﴿78﴾ فأنقمنا منهم وإنا ليامر مُبِينٍ﴾ أي بطريق واضح، فالإمام اسم لما يؤتم به فسمي به الطريق.

وقال تعالى: ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿89﴾ أي أنذركم ببيان وبرهان من ربكم.

أ- وردت فيها صيغة (مبين) أربع مرات، من قوله تعالى: ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ٤ ﴾ أي مبين لحجته بعدما كان نطفة لا حس بها ولا حركة، وتحمل دلالة الجحود والنكران من الإنسان؛ الذي لو تدبّر في خلقه لآمن بوحداية الله دون عناد وخصام، وقال تعالى: ﴿ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴾ أي أنّ مهمته تكمن في تبليغ الحق وإظهار الشرك، ونفس المعنى من قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ الْمُبِينُ ٨٢ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعَلُمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانٌ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجِبُوا وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ١٠٣ ﴾ أي لسان ذو بيان وفصاحة.

ب- جاءت فيها صيغة (بيّن) من قوله تعالى: ﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كٰذِبِينَ ٣٩ ﴾ ليوضح ويفصّل لهم الذي اختلفوا فيه بالدليل القاطع؛ ونفس المعنى من قوله تعالى: ﴿ وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ٩٢ ﴾.

ج- جاءت فيها صيغة (تبين) من قوله تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُرُونَ ﴾ لتبليغ بوضوح ما جاء في الكتاب من أوامر ونواهي، وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ٦٤ ﴾ أي لتوضح لهم الأمر الذي اختلفوا فيه.

د- جاءت فيها صيغة (بينات) من قوله تعالى: ﴿ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا يُؤْمِنُونَ فَاسْتَأْذِنُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ٤٣ ﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ﴾ أي بالمعجزات الظاهرة والقرآن والكتب السماوية الواضحة والدلائل الشاهدة.

هـ- جاء فيها صيغة (بيان) من قوله تعالى: ﴿ وَزَوَّلْنَا عَنْكَ الْكِتَابَ تَيِّدًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ٨٩ ﴾ أي أنّ الكتاب فيه توضيح لكل شيء.

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

9- سورة الإسراء:

أ- وردت فيها صيغة (مبين) من قوله تعالى: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ
بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ٥٣ ﴾ أي ظاهر العداوة.

ب- وردت فيها صيغة (بينات) من قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسْتَلَبَ بِهِنَّ
إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُمْ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا ١٠١ ﴾ أي تسع معجزات واضحة تدل
على صدق دعوته.

10- سورة الكهف:

أ- جاءت فيها صيغة (بين) من قوله تعالى: ﴿ هَتُوْا لَهُمْ قَوْمًا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا
يَأْتُونَ عَلَيْهِمُ السُّلْطَانُ بَيِّنَاتٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ إِفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ١٥ ﴾ أي بحجة ظاهرة بيّنة.

11- سورة مريم¹:

أ- جاءت فيها صيغة (مبين) من قوله تعالى: ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ
مُّبِينٍ ٣٨ ﴾ أي ضلال واضح محسوم أمره لا تراجع فيه.

ب- جاءت فيها صيغة (بينات) من قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ
آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ٧٣ ﴾ أي تتلى عليهم الآيات القرآنية.

12- سورة طه:

أ- جاءت فيها صيغة (بينات) من قوله تعالى: ﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْتِيَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا
فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ٧٢ ﴾ أي المعجزات الظاهرة الدالة على صدق نبوة سيدنا
موسى عليه السلام.

¹ ذكر الدكتور عمار ساسي أنّ السورة لا تحتوي على صيغة من صيغ مشتقات البيان، واستدركنا عليه الموضعين، ص 138.

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

ب- جاءت فيها صيغة (بينة) من قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِمْ أَوْلَمْ تأتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي

الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ برهان ما في سائر الكتب المنزلة ودليل على صحتها.

13- سورة الأنبياء:

أ- جاءت فيها صيغة (مبين) من قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَشْرَكَاءَ آبَاؤَكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾

في ضلال ظاهر لا يخفى على أحد.

14- سورة المؤمنون:

أ- جاءت فيها صيغة (مبين) من قوله تعالى: ﴿ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿

أي حجة ظاهرة بيّنة.

15- سورة الشعراء:

أ- جاءت فيها صيغة (مبين) ست مرات، من قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ الكتاب

الظاهر الواضح؛ وقال تعالى: ﴿ قَالَ أُولُو حِجَّتِكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ أي بمعجزة ظاهرة تدل على صدق

كلامي؛ وقال تعالى: ﴿ قَالَ فَاتِّبِعْهُمْ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصّٰدِقِيْنَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾

أي ثعبان ظاهر تراه رأي العين؛ وقال تعالى: ﴿ تَاللّٰهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ أي ضلال واضح

وبيّن؛ وقال تعالى: ﴿ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿ أنذركم إنذاراً بيّناً بالبرهان الصحيح الذي يتميز به الحق عن

الباطل؛ وقال تعالى: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ أي بلسان فصيح بيّن.

16- سورة النمل:

أ- جاءت فيها صيغة (مبين) ست مرات، من قوله تعالى: ﴿ طَسَّيْتَ تِلْكَ آيَاتِ الْقُرْآنِ وَكِتَابِ

مُبِينٍ ﴿١﴾ أي كتاب واضح بيّن ما فيه من أحكام وآداب وعلوم؛ وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ هَوِّنَا مَبْصُرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ أي واضح ظاهر كما يزعمون، وقال تعالى على لسان سيدنا

سليمان عليه السلام: ﴿ وَقَالَ يَأَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

الفضل الواضح الظاهر للعيان، وقال تعالى أيضا على لسانه: ﴿وَتَقَدَّ الظَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدَىٰ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَايِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِيَنِي بِسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾﴾ أي يأتيني بحجة له فيها عذر واضح على غيبته؛ وقال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ غَآبَةٍ فِي السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾﴾ أي وما من أمر إلا هو في اللوح المحفوظ ، هذا ما هदानا إليه استقراءنا للفظة في هذا السياق، مع أنّ الباحث قد جنح لمعنى " الظاهر البين لمن ينظر فيه " ¹ ؛ وقال تعالى: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾﴾ أي إنّك على الحق الأبلج والدين الواضح الذي لا شك فيه، وفيه بيان بالوثوق بالله وبنصرته.

17- سورة القصص:

أ- جاءت فيها صيغة (مبين) ثلاث مرات، من قوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾﴾ كتاب واضح ظاهر فيه بيان الأحكام، وقال تعالى على لسان سيدنا موسى عليه السلام: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾ أي ضال في الرشد ظاهر الغواية؛ وقال تعالى: ﴿قُلْ رَبِّيَ أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾﴾ أي في شرك ظاهر بين.

ب- جاءت فيها صيغة (بينات) من قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنٰتٍ قَالُوا مَا هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهٰذَا فِي ءَابَآئِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾﴾ أي المعجزات الظاهرة المحسوسة.

18- سورة العنكبوت:

أ- جاءت فيها صيغة (بينه) من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا ءَايَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١﴾﴾ أي تركنا آثارا واضحة بينه وجلية وشاهدة.

ب- جاءت فيها صيغة (تبين) من قوله تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسٰكِنِهِمْ وَزَيِّنَ لَهُمُ الشَّيْطٰنُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾﴾

¹ - عمار ساسي: المرجع السابق، ص 140.

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

يعني ظهر وبان واتضح ما وصفه من إهلاكهم.

ج- جاءت فيها صيغة (بينات) من قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَبْدُتُ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَحْكُدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ (49) أي آيات قرآنية واضحة.

د- جاءت فيها صيغة (مبين) مرتين؛ من قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (50) أي يبين لكم أحكام الشريعة الواضحة، ونفس المعنى في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ (18).

19- سورة الروم:

أ- جاءت فيها صيغة (بينات) مرتين؛ من قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُظْلَمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (9) أي المعجزات الحسية الظاهرة والدلائل الواضحة الشاهدة على صدق دعواهم، ونفس المعنى في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَاَنْفَقْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرُومُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (47).

20- سورة لقمان:

أ- جاءت فيها صيغة (مبين) من قوله تعالى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ بل الظالمون في ضلالٍ مبينٍ (11) أي ضلال واضح ظاهر لا شك فيه.

21- سورة سبأ:

أ- جاءت فيها صيغة (مبين) ثلاث مرات؛ من قوله تعالى: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْفَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (3) أي في اللوح المحفوظ، أو كتاب واضح ومبين لأحكامه؛ وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْيَاكُمْ لَعَلِيَّ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (24) أي ضلال صريح وواضح الدلالات؛ وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (43) أي سحر واضح على حسب زعمهم.

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

ب- جاءت فيها صيغة (تبين) من قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا خُرَّ تَبَيَّنَتْ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ١٤ ﴾ أي ظهر لها واتضح الأمر.

ج- جاءت فيها صيغة (بينات) من قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا نُتِلُّ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بِتَنَتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانْتُمْ بَعْدَ آبَائِكُمْ ﴾ أي الآيات القرآنية الواضحة المعجزة الدالة على صدق نبوته.

22- سورة فاطر:

أ- جاءت فيها صيغة (بينات) مرتين؛ من قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ٢٥ ﴾ أي بالمعجزات الظاهرة، وقال تعالى: ﴿ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَاتٍ مِنْهُ بَلِ إِنَّ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ٤٠ ﴾ أي فهم على حجة وبرهان من ذلك الكتاب.

23- سورة يس:

أ- جاءت فيها صيغة (مبين) ست مرات؛ من قوله تعالى: ﴿ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ١٧ ﴾ أي التبليغ الظاهر المكشوف بالآيات الشاهدة بصحته، وقال تعالى: ﴿ إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ٢٤ ﴾ أي ظاهر بين؛ وقال تعالى: ﴿ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ٤٧ ﴾ أي ضلال واضح صريح.

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدِ إِلَيْكُمْ بِبَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ٦٠ ﴾ أي ظاهر العداوة؛ وقال تعالى: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴾ قرآن واضح بين يوعظ به الإنس والجن؛ وقال تعالى: ﴿ أَوْلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ٧٧ ﴾ أي بين الخصومة.

24- سورة الصافات:

أ- جاءت فيها صيغة (مبين) أربع مرات؛ من قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْحَرُ مُبِينٌ ١٥ ﴾ أي قالوا سحر ظاهر على حسب ما يزعمون؛ وقال تعالى: ﴿ إِنَّكَ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ١٠٦ ﴾

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

أي الاختيار البين الذي يتميز فيه المخلصون من غيرهم؛ وقال تعالى: ﴿وَنَزَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ (113) أي ظاهر واضح؛ وقال تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ﴾ (156) حجة نزلت عليكم من السماء واضحة وشاهدة.

ب- جاءت فيها صيغة (مستبين) من قوله تعالى: ﴿وَصَرَفْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْفٰلِغِينَ﴾ (116) وءاينتهما الكتّب المستبين (117) الواضح في أحكامه وشرائعه وآدابه.

25- سورة الزمر:

أ- جاءت فيها صيغة (مبين) مرتين؛ من قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْخٰسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ أَلَا ذٰلِكَ هُوَ الْخٰسِرَانُ الْمُبِينُونَ﴾ (15) أي الواضح الحقيقي البين لكم؛ ونفس المعنى من قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقٰسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولٰٓئِكَ فِي ضَلٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (22) ¹.

26- سورة غافر:

أ- جاءت فيها صيغة (بينات) أربع مرات؛ من قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنَ آلِ فِرْعٰوْنَ يَكْتُمُ إِيمٰنَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ أي بالمعجزات الظاهرة والبراهين الواضحة الشاهدة على الحق، ونفس المعنى من الآيات التالية، من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلِ بِالْبَيِّنٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُمْ بِهِ﴾

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا أَوْلَمْ تَأْتِكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنٰتِ قَالُوا بَلَىٰ فَاذْعَبُوا وَمَا دُعَاؤُا الْكٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلٰلٍ﴾ وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنٰتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ (83).

¹ - لم يشر الدكتور عمار ساسي إلى هذه الآية، واستدركنا عليه هذا الموضع أيضا.

أ- جاءت فيها صيغة (مبين) أربع مرات؛ من قوله تعالى: ﴿جِيءَ ۙ بِمِثْقَالِ ذَرَّةٍ وَالْكَتَابِ الْمُبِينِ ۝٢﴾

الواضح المبين لأحكامه وآدابه وحدوده؛ وقال تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝١٩﴾

ظاهر واضح لا يشك أحد في كونه دخان يظهر للعيان؛ وقال تعالى: ﴿وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ

بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۝١٩﴾ بحجة واضحة دالة على أي رسول الله؛ وقال تعالى: ﴿وَأَتَيْنَهُمْ مِنَ آيَاتِنَا مَا فِيهِ

بَلْتَوْا مُبِينًا ۝٢٠﴾ نعمة ظاهرة أو اختيار ظاهر لننظر كيف يعملون.

أ- جاءت فيها صيغة (بينات) مرتين؛ من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ

وَالنَّبُوءَةَ وَرَزَقْنَهُمْ مِمَّا رِزَقْنَا يَتِيمَاتٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ۝١٦﴾ وَأَتَيْنَهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ ۝١٧﴾ آيات ومعجزات؛

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَيُّتُوتُنَا آيَاتًا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝٢٥﴾

أي الآيات القرآنية الواضحة في أحكامها وآدابها.

ب- جاء فيها صيغة (مبين) من قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي

رَحْمَتِهِ ۝٣٠﴾ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ۝٣١﴾ أي الفوز الحقيقي الواضح والدائم، جزاء بما كنتم تعملون.

أ- جاءت فيها صيغة (بينات) من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ۝٣٢﴾ أي الآيات القرآنية

الواضحة.

ب- جاءت فيها صيغة (مبين) مرتين؛ من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا

لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧﴾ أي ظاهر أمره وباطل كما يزعمون؛ وقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَا يُحِبِّ دَاعِيَ

اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝٣٢﴾ أي ضلال ظاهر بين

واضح.

أ- جاءت فيها صيغة (مبين) ثلاث مرات؛ من قوله تعالى: ﴿ وَتَرْكَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ۝٣٧ ﴾ وفي مؤمنين إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۝٣٨ ﴿ أي الحجة الواضحة، وهي اليد والعصا؛ وقال تعالى: ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٤٩ ﴾ فَفَرُّوْا إِلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠ ﴿ أي نذير حق من عند الله ومبين لكم بالحجة الظاهرة صدق الدعوة والبلاغ. ونفس المعنى من قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنَّ لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥١ ﴾.

أ- جاءت فيها صيغة (مبين) من قوله تعالى: ﴿ لَهْم سَامِعٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَاثِمْسْتَمِعْهُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ أي بحجة واضحة وبرهان ساطع.

أ- جاءت فيها صيغة (مبين) مرتين؛ من قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعْلَمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢٦ ﴾ أي أبلغ لكم رسالة الله وأبين لكم الشرائع؛ وقال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسْتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝٢٩ ﴾ أي ضلال واضح وصريح لا مرأ ولا جدال فيه.

أ- جاءت فيها صيغة (مبين) من قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَقَوْمِ إِنَّ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢ ﴾ أي أبين لكم رسالة ربي لتعبده.

¹ - استدركتنا هذا الموضوع أيضا.

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

34- سورة القيامة:

أ- جاءت فيها صيغة (بيانه) من قوله تعالى: ﴿لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَتَّعَلَّ بِهٖ﴾ (16) ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (17) ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَانصَبْ قُرْآنَهُ﴾ (18) ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (19) أي توضيحه إذا أشكل عليك شيء من معانيه.

35- سورة التكوير:

أ- جاءت فيها صيغة (مبين) من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ (23) أي بمطلع الشمس الواضح.

36- سورة البينة:

أ- جاءت فيها صيغة (بينة) مرتين؛ في قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفِكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ (1) أي الحجة الواضحة؛ وقوله تعالى: ﴿وَمَا نَفَرَقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ﴾ (4) الرسالة الشاهدة والحجة الواضحة على صدق الرسول في دعواه.

المطلب الثاني: استقرار المواضع في السور المدنية:

وردت مشتقات البيان في ثمانية عشرة (18) سورة مدنيّة هي كالاتي:

البقرة- آل عمران- النساء- المائدة- الأنفال- التوبة- الحج- النور- الأحزاب- محمد- الفتح- الحجرات- الرحمن- الحديد- الصف- الجمعة- التغابن- الطلاق.

1- سورة البقرة:

أ- وردت فيها لفظة (بيّن) في ثمانية مواضع، منها ثلاثة مواضع، على لسان قوم موسى؛ في صفات البقرة، كقوله تعالى: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ (البقرة- آية: 68)

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفَرَاءُ فَاقِعٌ لَوُثُهَا سُرٌّ النَّظِيرِينَ﴾ (البقرة- آية: 69).

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾ (البقرة- آية: 70)

وخمسة مواضع أخرى في سياق تبين الآيات الإلهية، سواء أكانت آيات معجزات وعلامات يبرصونها، أو آيات معجزات من الكتاب المقدس، منها قوله تعالى: ﴿ وَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْمَعْفَىٰ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (219) وآية رقم: 221، 230، 242، و266 وفي كل دالاتها تعني الإظهار والإيضاح والكشف¹.

ب- وردت فيها لفظة (البينات) في ثمانية مواضع، منها أربعة مواضع تدل فيها الكلمة على المعجزات الظاهرات، " وإنما سماها الله (بينات) لتبينها للناظرين إليها"² منها قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴾ (سورة البقرة آية: 92). ومثلها آيات³: 87- 213-253.

والمواضع الباقية تدل على آيات الكتاب العظيم والقرآن المجيد، منها قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴾ (99) وهي تدل على الآيات القرآنية، ومنها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكُتُبِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ

1 - ﴿ وَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْمَعْفَىٰ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (219) ﴿ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى الْبَارِ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (221) ﴿ فَإِنْ طَلَقَهَا فَلَا جُلُودَ لَهَا مِنْ بَعْدِ حَتَّىٰ تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ طَلَقَا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (230) ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (242) ﴿ أَيُّدٌ أَحَدُكُمْ بِأَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضَعُفَاءٌ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (266)

2- ابن جرير الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، المصدر السابق، ج 2، ص 355.

3 - ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (213) ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ﴿١٥٩﴾ وهي تدل على آيات التوراة التي تشير إلى صدق دعوة محمد ﷺ وكتبتها اليهود بعد أن أظهرها الله وبيّنها للناس بقرآنه الكريم، فعبر عنها الخطاب القرآني بالبيّنات رغم وجودها في التوراة، اعتدادا بالأصل وكونها آيات تابعة لمعجزة خاتم الأنبياء، فجاءت بنفس الكلمة مثل قريناتها في هذا السياق والاستعمال، والموضع الثالث أيضا يشير إلى أنّها آيات الذكر الحكيم، قال تعالى: ﴿فَإِنْ زَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَاَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ الآية: 209.

ويبقى الموضع الرابع الذي يحتاج لمزيد تأمل وتدبر، في قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ أَنْ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ فذهب إمام المفسرين إلى أنّ (بيّنات) بمعنى واضحات (من الهدى) يعني من البيان الدال على حدود الله وفرائضه وحلاله وحرامه¹ واختار هذا المعنى صاحب كتاب (الإعجاز البياني في القرآن الكريم).

أما الزمخشري فقد قال: ﴿هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ﴾ نصب على الحال، أي أنزل وهو هداية للناس إلى الحق، وهو آيات واضحات مكشوفات مما يهدي إلى الحق، ويفرق بين الحق والباطل، فإن قلت: ما معنى قوله ﴿وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى﴾ بعد قوله ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾ قلت: ذكر أولاً أنّه هدى، ثم ذكر أنّه بيّنات من جملة ما هدى به الله، وفرّق بين الحق والباطل من وحيه وكتبه السماوية الهادية الفارقة بين الهدى والضلال².

نلاحظ أنّ صاحب الكشاف، حاول أن يفرّق بين دلالة الهدى الأولى والثانية، فجعل الهدى الأولى واضحة، وتابع الإمام الطبري في اعتبار أنّ بيّنات هي الموضحات، ومن حيث كون الهدى الثانية بعض وجزء من الهدى الأولى، وربط الهدى الثانية بدلالة الفرقان، وأنّ القرآن يشترك مع الكتب السماوية في التفريق بين الحق والباطل، ومع ذلك لم يصل إلى إيجاد لمحة بيانية تفرّق بين دلالة الهدى في الموضعين، أو توضح دلالة البيّنات بتأويل نطمئن إليه.

¹ - الطبري: ابن جرير، المصدر السابق، ج 3، ص 448.

² - الزمخشري: جار الله، المصدر السابق، ج 1، ص 383.

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

وبالنسبة لصاحب التحرير والتنوير، فقد التفت إلى الفرق بين الهدى الأولى والثانية قائلاً:

﴿ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ ﴾ حالان من القرآن، إشارة بهما إلى وجه تفضيل الشهر

بسبب ما نزل فيه من الهدى والفرقان.

والمراد بالهدى الأول: ما في القرآن من الإرشاد إلى المصالح العامة والخاصة التي لا تنافي العامة، وبالبيّنات من الهدى: ما في القرآن من الاستدلال على الهدى الخفي الذي ينكره كثير من الناس، مثل: أدلة التوحيد وصدق الرسول ﷺ وغير ذلك من الحجج القرآنية، والفرقان مصدر فرق، وقد شاع في الفرق بين الحقّ والباطل، أي إعلان التفرقة بين الحق الذي جاءهم من الله وبين الباطل الذي كانوا عليه قبل الإسلام، فالمراد بالهدى الأول: ضرب من الهدى غير المراد من الهدى الثاني، فلا تكرار.

من خلال ما سبق يمكننا القول أنّ ما ذهب إليه إمام المفسرين؛ من كون (البيّنات) تعني الواضحات، حيث ربطها بالهدى الأولى، وكأنّ البيّنات صفة تابعة لها، هو أمر لا يمكن استساغته، فلو كان هذا المعنى مقصوداً، لقال الله سبحانه وتعالى (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس بينات) هنا سيكون معقولاً أن تكون بينات تعني واضحات، لكن ما جاء به الخطاب القرآني لا يمكن حمله على هذا المعنى، فالبيّنات جاءت بعد الواو التي تفيد المغايرة، وتكون استثنائية تحمل معنى جديداً يرتبط بما بعدها؛ وإن كان له تعلق بما قبلها، وعليه فالبيّنات تابعة للهدى الثانية التي جاءت بعدها، وهو معنى خاص يتفرّع من المعنى الأول العام، وما جاء به إمام المفسرين وتابعه فيه الزمخشري من المتقدمين والباحث عمار ساسي من المحدثين، مستبعد من وجهة نظرنا.

ولعلنا نستعين بالسياق الكامل للآية من جهة، وبما سقناه من قبل؛ في دلالة لفظة (البيّنات) عند استقراء مواضعها في القرآن الكريم من جهة أخرى، لنحاول استنباط توجيه لها فنقول: أنّ الهداية في القرآن الكريم تدل على معنى عام ومعنى خاص، فالمعنى العام الذي يدور في خلدنا هو الهداية المطلوبة التي يشترك في طلبها الناس جميعاً، ويتساوى في إدراكها البشر كلهم، بيانها من الله تعالى لهم، فالحق أبلج، والباطل لجلج، والهداية الربانية للبشر هي رسالة الأنبياء والمرسلين جميعاً، لتحقيق التوفيق والنجاة والسعادة في الدارين، وزاد تثبيتها في القرآن الكريم؛ فاقترن وصفه الأول بالهدى، أما الهداية الخاصة التي جاء ذكرها مقترناً بالبيّنات، فقد قلنا سابقاً أنّ كل المواضع التي ترد فيها هذه الصيغة فهي تدل على معنيين، إما المعجزات الحسية الخاصة بالأنبياء، أو الآيات القرآنية، وهي في هذا السياق تعني الآيات القرآنية، فالصفة تقوم مقام الاسم، مثل لفظة (الحسنة) التي كانت صفة في الأصل، فنقول العمل الحسن

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

والفعل الحسنة، ثم أصبحت الصفة تقوم مقام الاسم وتدل هي عليه، من باب أنّ الصفة الغالبة تنوب عن الاسم، ولفظة (بينات) كذلك قامت مقام الاسم الذي يدل على أنّها الآيات القرآنية، أي آيات قرآنية تحمل بعضاً من الهداية العامة، ومع ذلك فهي هداية خاصة لا يدرك كنهها الناس جميعاً، فهي غير متاحة لهم، لكن يفهمها الخواص منهم فقط، كما قال تعالى (هدى للمتقين) فقد تكون آيات تدل على تمييز الحق من الباطل، كما جاء عطفها على لفظة الفرقان، وقد تعود لأمر متعلّقة بالمقام والمناسبة والمعنى الذي جاء في هذا السياق، فقد جاء مقروناً بالصيام، لما يحدث فيه للإنسان من شعور بالراحة والطمأنينة والانشراح، ولارتباط القرآن بشهر الصيام. وحكمة نزوله في هذا الشهر العظيم؛ له من المقاصد الظاهرة ما يؤكد هذا المعنى، ومن المقاصد الخفية ما لا يعرفه منا أحد، إلا من فتح الله عليه بكشف أسرارها وتدوّق حلاوتها، فكانت لفظة (البيّنات) هنا اسم مستقل يحمل معنى قائماً بذاته، لا يحتاج معه لصفة، بل قامت مقامه ونابت عنه؛ في هذا الموضوع، ومما يزيد به تعصيماً لهذا التوجيه، هو أنّ كل القراءات العشر المتواترة جاءت فيها الواو مثبتة، ولم نجد أي قراءة بحذف الواو يمكننا أن نخرج بها اختيار الإمام الطبري ومن تابعه، لنخلص في الأخير لتوجيه نظمنا إليه، أنّ لفظة (البيّنات) تدل في كل سياقاتها في القرآن على مدلولين ظاهريين واضحين؛ دلالة حسية تتمثل في المعجزات الملاحظة بالعين المجردة من قبل البشر، ودلالة معنوية تتمثل في الآيات القرآنية، وهي دلالة واضحة بيّنة كذلك؛ وإن كانت معنوية في أصل إعجازها.

ج- وأيضاً تأتي صيغة (بيّنات) بنفس المعنى - أي الآيات القرآنية - في سياق المنكرين للدعوة، المطالبين رسول الله ﷺ بتكليم الله لهم، أو إتيانه بآية، وهو قول من كان قبلهم من بني إسرائيل، فرد عليهم سبحانه وتعالى بقوله: ﴿قَدْ بَيَّنَّا آيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ آية: 118.

د- وردت فيها صيغة (بيّنة) مرّة واحدة في قوله تعالى: ﴿سَلِّ بِنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ آية: 211.

وفي هذا الموضوع قد تحمل المعنيين معاً، فقد تكون المعجزات الظاهرة، وقد تعود على آيات التوراة، وفي كلا المعنيين هي آيات واضحة مكشوفة.

هـ- جاءت ثلاث صيغ للبيان في سياق واحد؛ يتحدّث عن كتمان بني إسرائيل، لتلك الآيات البيّنات الدالة على صدق خاتم الرّسل ﷺ، من بعد ما بيّنها الله للناس، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٥٩﴾
إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾

(فالبينات) هنا تعني الآيات التي جاءت في التوراة لتدل على صدق دعوة محمد ﷺ، وانفق المفسرون على أن (بيناه) أتت بمعنى كشفناه وأوضحناه، إنما اختلفوا في الموضع الثالث في صيغة (وبينوا) فذهب إمام المفسرين أن من زعم (بينوا) هو تبين التوبة بإخلاص العمل، هو مخالف لظاهر الكتاب، لأنَّ القوم إنما عوتبوا قبل هذه الآية؛ على كتمانهم ما أنزل الله تعالى ذكره وبينه في كتابه، في أمر محمد ﷺ ودينه، ثم استثنى منهم تعالى ذكره، الذين يبينون أمر محمد ﷺ ودينه، فيتوبون مما كانوا عليه من الجحود والكتمان، فأخرجهم من عداد من يلعنه الله، ويلعنه اللاعنون، ولم يكن العتاب على تركهم تبين التوبة¹.

أما صاحب التحرير والتنوير، فقد اعتبر أن قوله: (إلا الذين تابوا) استثناء من (الذين يكتمون) أي فهم لا تلحقهم اللعنة، وهو استثناء حقيقي منصوب على تمام الكلام من (الذين يكتمون ما أنزلنا)، فشرط التوبة أن يصلحوا ما كانوا أفسدوا، بإظهار ما كتموه وأن يبينوه للناس. وإنما زاد بعده (وأصلحوا وبينوا) لأن شرط كل توبة، أن يتدارك التائب ما يمكن تداركه مما أضره بفعله الذي تاب عنه، وعطف وبينوا على أصلحوا عطف تفسير من وجهة نظره.

إنَّ الرأي الذي جنح إليه إمام المفسرين، رأي وجيه يعضده السياق الذي جاءت فيه صيغة (بينوا) فالأقرب للمعنى هو تبين الآيات وليس تبين التوبة، لكن اللمحة اللطيفة التي أتى بها صاحب التحرير والتنوير، لمحة دقيقة تجمع بين التوبة وتوضيح الآيات، فالتوبة تقتضي منهم أن يظهروا ما كتموه أيضا من الآيات البينات، فلا يكفي توبتهم وحدها، ولا يكفي إظهار الآيات وحدها، بل العمل الذي ينجيهم من لعنة الله هو فعل الأمرين معا، وأن يعدلوا عما كانوا يفعلون.

و- وردت كلمة (تبيّن) في ثلاث مواضع ﴿ وَذَكَرْنَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنَّا بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾ الآية 109.

¹ - الطبري، المصدر السابق، ج2، ص 260.

والموضع الثاني ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ الآية: 256.

والموضع الثالث ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُمْ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ الآية: 259.

وتشترك الكلمة في دلالة واحدة هي الظهور والإيضاح كما جاء عند المفسرين، كما يظهر لي فيها ملحظ آخر، وهو أن دلالة (تبيّن) إنما دلت على التجربة الملاحظة بالعين، والمتيقنة بالإدراك المحسوس عيانا وليس استدلالا فقط، وإن كان في المعاني المحسوسة كالرشد والضلال فمرد ذلك؛ أن ما يدل عليها هو الأشياء الملحوظة، والأفعال التي تقول لطريق الصلاح والرشد والدّين الأقوم، أو الطريق الضال المنحرف.

ي- وردت فيها أيضا صيغة (مبين) ¹، في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (208) فيذهب صاحب التحرير والتنوير، إلى أن معنى (المبين) ظاهر العداوة من أبان؛ الذي هو بمعنى بان، وليس من أبان الذي همزته للتعدية بمعنى أظهر، لأنّ الشيطان لا يُظهر لنا العداوة بل يلبس لنا وسوسته في لباس النصيحة، أو جلب الملائم، ولذلك سماه الله وليّا، ولأنّ عداوته أمر خفي عرفناه من آثار أفعاله ².

وتلك اللمحة البيانية من صاحب التحرير والتنوير، قيّمة في بابها، مستساغة في موضعها، فلقد اكتشف هذا الملحظ الرائع، رغم أنّ أشهر لغوي اعتبر أنّ أبان وبان بمعنى واحد ³.

إلا أنّنا لا نجاريه في فكرة أنّ عداوة الشيطان خفية غير ظاهرة، فقد أعلن عداوته منذ بدأ الخليقة الأولى، حينما قتله الحسد، وأعماه الكبر؛ على أن يسجد لسيدنا آدم عليه السلام كما أمره الله سبحانه وتعالى، فصرّح بعداوته لبني البشر أمد الدهر، قائلا: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ (12) قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَّكِبَ فِيهَا فَخُذْ مِنْهَا مَا يَخْرُجُ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (13) قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (14) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ

¹ - وجاء في السورة أيضا في موضع آخر ﴿يَتَأَيَّمُوا أَنفُسَهُمْ فِي الْأَرْضِ حَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (168).

² - ينظر: الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج2، ص 104.

³ - وهو الزجاج، ينظر: ابن منظور: لسان العرب، المصدر السابق، ج1، ص 544.

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

الْمُنْظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فِيمَا أُغْوِيْتَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُهُمُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَخْرَجْنَا مِنْهَا مَذْمُومًا مَذْحُورًا لَمَنْ يَبْعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ (الأعراف: 18)

إنّ الكثير من الآيات المكية، ساقط الحديث عن عداوة الشيطان للإنسان، بإعلانه كان ظاهراً وجلياً، ومعظم الآيات المكيّة ورد فيها ذلك، مثل: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (سورة الأنعام- الآية: 142). والعديد من الآيات الأخرى، التي حذر الله فيها الإنسان، من خلال قصة أبينا آدم عليه السلام قال تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَثَرًا مَعَ زَوْجِكَ الْجَنَّةَ فَمَنْ تَقَّبَىٰ فَإِنَّ لَكَ الْآثَانَ فِيهَا وَلَا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَإِنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَبُ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرٍ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾ (سورة طه- الآية: 120).

إنّ ذلك التفسير الذي ساقه صاحب التحرير والتنوير في الآية المدنية، قد سبقها من الآيات المكية ما يفسرها، والأمر الذي حمّله على إيراد ذلك المعنى في تلك الآية، هو كونها أول ما تعرّض له من التفسير بحكم الترتيب في المصحف، وربما غاب عليه أن يربط تفسير معناها وفق الآيات التي تسبقها في التنزيل المكي، فقد أوضح الله فيها إظهار الشيطان لعداوته إظهاراً بيّناً معروفاً من لدن الأنبياء السابقين، وقد جاء أنّ العرب كانوا يرحمون الشيطان في موسم الحج، لأنهم يدركون عداوته لهم، ولقد سماه الراغب الأصفهاني ببيان الحال، فيما سنراه فيما بعد، فتعبير القرآن بكلمة (مبين) التي توحى بعداوته الظاهرة التي يعرفها البشر، هي ما جاء القرآن لتأكيدده، وما أتى به صاحب التحرير والتنوير من لحة دقيقة وملحة رقيقة، كونها وسوسة داخلية؛ هي لطيفة رائعة في مجالها .

2- سورة آل عمران:

أ- وردت فيها صيغة (بينات) أربع مرات، وهي تشير إلى المعجزات والعلامات والبراهين الواضحة، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبْرَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴿٩٧﴾﴾ وآية ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ وآية ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عٰهَدَ إِلَيْنَا آلَا نُؤْمِنُ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِينَا بَقْرَانِ

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

تَاكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَإِلَّا لَكُم مِّن قَبْلِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ؟ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٣﴾ وآية ﴿١٨٤﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾

ب- وردت فيها صيغة (بيِّن) مرة واحدة من قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ الْأَنْبَارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ﴿١٠٣﴾.

ج- وجاء فيها ثلاث صيغ مختلفة (بيان) (لتبينه) (بيننا)، كلها بمعنى الإيضاح والكشف والإرشاد ﴿قَدْ خَلَّتْ مِّن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَنَسِيْرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ ﴿١٣٧﴾ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَيَسَّ مَا يَشْتَرُونَ﴾ ﴿١٨٧﴾ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ﴿١١٨﴾.

3- سورة النساء:

أ- وردت فيها صيغة (مبيِّنة)¹ مرة واحدة، وتعني واضحة، وهذا في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَمْتَلُوهُنَّ لَتَذَهَبُوا بِبَعْضِ مَآءِ تَيْبُهُنَّ إِلَّا أَن يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُنَّ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ ﴿١٩﴾.

ب- وردت صيغة (مبيِّنا) ثماني مرات، جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِن أَرَدْتُمْ بِاسْتِبْدَالِ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمُوهُنَّ فَطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُبَيِّنَاتٌ﴾ ﴿٢٠﴾.

¹-وردت في كتاب عمار ساسي (الإعجاز البياني في القرآن الكريم) ص 131، بصيغة (بينة) وأظنها خطأ مطبعي، لأن قراءة حفص عن عاصم والتي يحتمل أن يعتمد عليها المؤلف كانت بصيغة (مبيِّنة) أيضا.

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

أي بيّننا، وقال تعالى: ﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَيْبَ وَكَيْفَ بِهِ إِثْمًا مُبِينًا ۝٥٠ ﴾ أي واضحا، وكفى به إثما ظاهرا بيّنا، وقال تعالى: ﴿ سَتَجِدُونَ ءآخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوْا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ وَيَكْفُوا أَيَدِيَهُمْ فَحُدُّوهُمْ وَاقْلُوبَهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطٰنًا مُّبِينًا ۝٩١ ﴾ أي حجة واضحة تبيح لكم قتلهم.

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِذْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكٰفِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ۝١٠١ ﴾ أي أنّ عداوتهم ظاهرة فاحذروا منهم، وجاء في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرَوْهَا فِي بَرِيئَةٍ فَقَدْ بَرِيئًا فَقَدْ إِحْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝١١٢ ﴾ أي ذنبا ظاهرا واضحا، وجاء في قوله تعالى على لسان إبليس ﴿ وَلَا ضَلٰلَنَّهُمْ وَلَا مَنِينَنَّهُمْ وَلَا مُرْتَدَّهُمْ فَلَيُبَدِّلْنٰ أَذَاتَ الْآلِئِمِّ وَلَا مُرْتَدَّهُمْ فَلَيَغْيِرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرٰنًا مُّبِينًا ۝١١٩ ﴾ أي خسرانا واضحا وظاهرا وجليا وعظيما، وجاء في قوله تعالى: ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكٰفِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُونَ أَنْ يُجْعَلُوا إِلٰهَ عَلَيْهِمْ سُلْطٰنًا مُّبِينًا ۝١٤٤ ﴾ وقال تعالى: ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتٰبِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتٰبًا مِّنَ السَّمَآءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا آلِهَةً جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الضَّعْفَةُ بِظَلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَلِكَ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطٰنًا مُّبِينًا ۝١٥٣ ﴾ أي حجة واضحة ظاهرة من خلال المعجزات الحسية والبيّنات المادية.

ج- وردت فيها صيغة (بيّن) من قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٢٦ ﴾ بمعنى يريد الله ليوضح لكم أموركم من عبادات ومعاملات وغيرها، وقال تعالى: ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلٰلَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وٰلِدٌ وَلَا ءُخْتُ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُنْ لَهَا وٰلِدٌ فَإِن كَانَتَا إِثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَنِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوْا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝١٧٦ ﴾ أي يوضح الله لكم أموركم لئلا تضلوا.

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

د- وردت فيها صيغة (تبيّن) مرة واحدة، من قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ سَاءَتْ مَصِيرًا ۝١١٥﴾ أي بعد وضوح الدليل وظهور طريق الرشد.

هـ- وردت فيها صيغة (تبينوا) من قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ ءَلْفَاحٌ إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا ۝٩٤﴾ أي تحققوا وتثبتوا.

4- سورة المائدة:

أ- وردت فيها صيغة (مبين) ثلاث مرات، قال تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ۖ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ۝١٥﴾ أي الكتاب الواضح ويقصد به القرآن الكريم فهو نور يخرجكم من الظلمات. وفي الموضع الثاني قال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ءَلْبَغُ الْعَمِينِ ۝٩٢﴾ أي البلاغ الواضح الظاهر.

وفي الموضع الثالث ﴿ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذِ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِن هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝١١٠﴾ أي جنتهم بالمعجزات والدلائل الحسية الواضحة، لكن قالوا هذا سحر واضح معلوم.

ب- وردت فيها صيغة (بيّن) من قوله تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِنَ الرَّسُلِ أَنَّ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١٩﴾ أي جاءكم رسولنا يوضح لكم الشريعة، وقال تعالى: ﴿ فَمَنْ لَّمْ يَحْدِثْ صِيَامًا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّرةٌ أَيْمَنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۖ وَاحْفَظُوا أَيْمَنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ ۗ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٨٩﴾ أي يوضح الله لكم أمور عبادتكم التي نصت عليها آيات القرآن الكريم.

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

ج- وردت فيها (تبيين) مرة واحدة من قوله تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَّا بِكُلِّنٍ أُنظِرَ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أُنظِرَ أَنَّى يُؤفَكُونَ ﴿75﴾﴾ أي انظر كيف نوضح لهم الآيات الواضحات، ومع ذلك ينكرون وقال الباحث " أي الأعلام الدالة الظاهرة على بطلان قولهم"¹.

لكن الآيات في هذا السياق تعود على ما جاء قبلها، من تذكير ببشرية المسيح ﷺ وأمه، وبطلان قولهم يتعلق بالإنكار بعد المشاهدة الحسية للدلائل الواضحة التي لا تحتمل الإنكار.

د- وردت فيها صيغة (بينات) مرتين من قوله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿32﴾﴾ أي جاءتهم رسلهم بالمعجزات الواضحات والبراهين الساطعات، وفي موضع آخر ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذِ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْحَرٌ مُّبِينٌ ﴿110﴾﴾ أي المعجزات والدلائل الواضحة الحسية.

5- سورة الأنفال:

أ- وردت فيها صيغة (تبيين) في قوله تعالى: ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿6﴾﴾ بمعنى ظهر ووضح.

ب- وردت فيها صيغة (بينة) مرتين من قوله تعالى: ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاحْتِلَافْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْنَتِهِ وَيُحْيِي مَنْ حَيَّى عَن بَيْنَتِهِ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿42﴾﴾ أي يهلك عن وضوح ويقين، ويحي عن وضوح ويقين.

¹ - عمار ساسي، المرجع السابق، ص 133.

أ- وردت فيها صيغة (تبيّن) ثلاث مرات، منها قوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنَتْ لَهُمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكٰذِبِينَ﴾⁽⁴³⁾ حتى يتميز ويتضح لك الصادق.

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلِيٰ قُرْبٰبٍ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَتَمُّوا أَسْحٰبُ الْجَحِيْمِ﴾⁽¹¹³⁾ من بعد ما ظهر لهم وبان لهم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرٰهِيْمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرٰهِيْمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيْمٌ﴾⁽¹¹⁴⁾ أي ظهر له أنه عدو لله فانقطع رجائه منه.

ب- جاءت فيها صيغة (بيّن)¹ مرة واحدة من قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمٌ﴾⁽¹¹⁵⁾ أي حتى يظهر الله لهم أمره الذي يتقى ويتجنب.

أ- وردت فيها صيغة (نبيّن) مرّة واحدة من قوله تعالى: ﴿يٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَاِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ﴾ أي نوضح لكم كمال قدرتنا وعجائبنا في الخلق.

ب- وردت فيها صيغة (مبين) مرة واحدة من قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَّعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْفَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذٰلِكَ هُوَ الْخَسِرَانُ الْمُتَيْمِنُ﴾⁽¹¹⁾ أي ذلك الخسران الواضح الظاهر الشديد.

¹ - أوردها الدكتور عمار ساسي في كتابه بصيغة (يتبين) ص 113 وهو خطأ أيضا، لأنها جاءت في رواية حفص عن عاصم بصيغة (يبيّن).

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

ج- وردت فيها صيغة (بينات) مرتين من قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِيَ مَنْ يُرِيدُ﴾ أي آيات قرآنية واضحة، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ ذَلِكُمْ النَّارُ وَعَدَّهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَسِ الْمَصِيرُ ﴿72﴾ أي تتلى عليهم آياتنا القرآنية الواضحة البينة الظاهرة.

8- سورة النور:

أ- وردت فيها صيغة (بينات) مرة واحدة من قوله تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ورجح عمار ساسي أنّ المعنى فيها هي دلائل واضحة، لكن استقرأنا للمفردة في السياق القرآني، يجعلنا لا نطمئن لهذا المعنى، ونرجح أنّها آيات قرآنية بمعناها الحقيقي.

ب- وردت فيها صيغة (بين) أربع مرات، من قوله تعالى: ﴿يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿17﴾ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿18﴾ أي يظهر لكم الآيات القرآنية التي جاءت بأحكام الشريعة الواضحة؛ وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿58﴾ أي أنّ الله أوضح لكم الأحكام والشرائع من خلال الآيات القرآنية المنزلة على سيدنا محمد ﷺ وقال تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَذِنُوا كَمَا اسْتَذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿59﴾ أي يوضح الله لكم أحكام الشريعة الإسلامية بواسطة الآيات القرآنية المنزلة على سيدنا محمد ﷺ ونفس المعنى من قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿61﴾

ج- وردت فيها صيغة (مبينات) مرتين، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴿34﴾ أي آيات بينات أوضحت الأحكام والحدود التي جاءت في السورة؛ وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿46﴾ أي آيات قرآنية توضح أحكام الشريعة الإسلامية.

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

د- وردت فيها صيغة (مبين) ثلاث مرات، من قوله تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾⁽¹²⁾ أي كذب ظاهر واضح، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُؤْفِكُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾⁽²⁵⁾ ذكر الباحث أنّ المعنى فيها؛ هو الحق ذو البيان الشامل للأحكام والشرائع والأخبار والقصص والآداب، لكن السياق يحتمل معنى آخر أكثر جلاءً من ذلك، وهو أنّهم يدركون أنّ الله ويوم الحساب حق ظاهر بيّن؛ لا نزاع ولا اختلاف فيه، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾⁽⁵⁴⁾ أي أنّ مهمة الرسول تكمن في التبليغ الظاهر الواضح.

9- سورة الأحزاب:

أ- وردت فيها صيغة (مبينة) من قوله تعالى: ﴿يُنَسِّئُ النَّجْءَ مِنْ بَآئِاتٍ مِنْكَ يَفْلَحُشَّةٌ مُّبِينَةٌ يُضَعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾⁽⁵⁰⁾ أي فاحشة ظاهرة واضحة بيّنة.

ب- وردت فيها صيغة (مبين) مرتين¹ من قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾⁽³⁶⁾ أي ضل ضلالاً بيّناً واضحاً ظاهراً، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيٍ مَا ابْتَغَسَبُوا فِئْدَةً يَحْتَمَلُوا بِهْتَانًا وَإِنَّمَا مُّبِينًا﴾⁽⁵⁸⁾ أي إنّما ظاهراً بيّناً واضحاً.

10- سورة محمد:

أ- وردت فيها صيغة (مبينة) من قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَتِيمَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَا كُنَّ زُفَيْرٌ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِمُ وَالْبَعُولُ أَهْوَاءَهُمْ﴾⁽¹⁴⁾ أي أنّه على حجة وحق، يؤمن بالله تعالى وبقرآنه الكريم ومعجزاته البيّنة.

ب- وردت فيها صيغة (مبين) مرتين من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾⁽¹⁴⁾ أي من بعد ما ظهر لهم الحق والهدى والرسول ﷺ،

¹ - لم يقف الدكتور عمار ساسي على هاته الصيغة من الموضوعين.

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

ونفس المعنى في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ نُضْرُوا بِاللَّهِ شَيْئًا وَسَيُحِيطُ أَعْمَالُهُمْ ۗ ﴾ (32)

11- سورة الفتح:

أ-وردت فيها صيغة (مبين) من قوله تعالى: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۗ ﴾ (1) أي فتحنا لك فتحا ظاهرا بيّنا، قد فسّره العلماء بفتح مكة المكرمة.

12- سورة الحجرات:

أ- وردت فيها صيغة (تبيّنوا) من قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَلَةٍ فَتُصْحِرُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ۗ ﴾ (6) أي فتوقفوا واستظفروا عليه واطلبوا بيان الأمر وتوضيحه.

13- سورة الرحمن:

أ - وردت فيها صيغة (البيان) من قوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ ۙ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۗ (2) خَلَقَ الْإِنسَانَ ۙ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۙ (4) ﴾ يقول صاحب الكشاف "المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير" ¹.

14- سورة الحديد:

أ-وردت فيها صيغة (بينات) مرتين؛ من قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۗ ﴾ (9) أي ينزل على رسوله آيات قرآنية ظاهرة لكم، وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۗ ﴾ أي أرسلنا رسلنا بالمعجزات الحسية الظاهرة لكم.

ب- وردت فيها صيغة (بيّنا) من قوله تعالى: ﴿ إِعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُمِيطُ الْأَرْضَ بِمَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۗ ﴾ (17) أي قد أوضحنا لكم وأظهرنا لكم الدلائل والعلامات.

¹ - الزمخشري: الكشاف، (ج6، ص5).

أ- وردت فيها صيغة (مبينات) و (مبين) من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿6﴾ أي لما جاءهم رسولنا بالآيات القرآنية الواضحة والمعجزات الحسية الظاهرة، وقد أخبرهم بذلك رسولهم، لكنهم قالوا هذا سحر ظاهر واضح.

أ- وردت فيها صيغة (مبين) من قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿2﴾ أي في ضلال واضح وكفر وجهالة ظاهرة.

أ- وردت فيها صيغة (بينات) من قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشْرِهِمْ ذُنُوبًا فَكْفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَعْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَفِيٌّ حَمِيدٌ ﴿6﴾ أي تأتيتهم رسلهم بالمعجزات الحسية الواضحة التي يرونها رأي العين.

ب- وردت فيها صيغة (مبين) من قوله تعالى: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿12﴾ أي فإن مهمة رسولنا تتمثل في التبليغ الظاهر، وتوضيح ما جاء في القرآن الكريم.

أ- وردت فيها صيغة (مبينة) من قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُّبِينَةٍ ﴿1﴾ أي فاحشة ظاهرة معلومة بينة.

- ورد لفظ البيان ومشتقاته في السور المكية في مائة وسبع وعشرين (127) موضع.
- انفردت عشر (10) سور بلفظة (مبين) وهي: سورة يوسف - الحجر - الشعراء - النمل - يس - الصافات - غافر - الدخان - الذاريات - الملك.
- وردت لفظة (المبين) في السور المكية: اثنان وثمانين (82) مرة.
- إذا جاءت لفظة (المبين) متعلقة بسياق الغيبيات وقدرات الله عزّ وجل، فإنها تدل على اللوح المحفوظ فهو كتاب مبين.
- تدل لفظة (المبين) على الأمر الواضح، إذا قرنت بالصفات والهيئات.
- اقترنت دلالة لفظة (المبين) بمعاني تطلق على صفات سيئة؛ أكثر من الحسنة، فقد وردت في سياقات متعددة منها: العذاب - الثعبان - العدو، بالمقابل نجدتها ارتبطت بالفوز في مواضع معدودة من القرآن.
- وردت لفظة (البيئات) في ثلاث وعشرين (23) موضع من السور المكية.
- تدل لفظة (البيئات) في كل السياقات على معنيين اثنين؛ إذا جاءت في سياق قصص الأنبياء فإنها تدل على المعجزات الحسية الظاهرة الواضحة، وإن كانت في سياق الجحود من الكفار والمشركين فإنها تدل على الآيات القرآنية المنزلة على سيدنا محمد ﷺ.
- جاءت مشتقات (البيان) في ست وثمانين (86) موضعا من السور المدنية.
- وردت لفظة (بيئات) في السور المدنية ثلاثا وعشرين (23) مرة.
- وردت لفظة (مبين) في السور المدنية ثلاثا وعشرين (23) مرة أيضا.
- جاءت لفظة (يبين) وما يرادفها من معنى مثل (نبين) و (بيّن) ثلاثا وعشرين (23) مرة أيضا في السور المدنية.

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

وعليه ما يمكن استخلاصه من هذا الجرد الكامل لصيغة مصطلح البيان ومشتقاته في القرآن الكريم، وما يمكن ملاحظته من الترتيب المعتمد بين السور المكية والمدنية؛ أنّ مشتقات البيان كانت أكثر ورودا في السور المكية، وإن كان من خصائص القرآن المكي أنّه يعنى بثبوت العقيدة وترسيخ الإيمان بالله وحده، وترك عبادة الأوثان، لذلك فقد ترددت لفظة (المبين) في سياقات متعددة تحمل دلالات الإنكار والجحود وجزاء الظالمين والكفار، وانفردت عشر سور مكية بهاته المفردة، وتميز القرآن المكي بتناسقه في ورود صيغ البيان، كما تميزت لفظة (البيّنات) بتناسق ورودها بين السور المكية والمدنية، وجاءت لفظة (البيان) في موضعين من القرآن الكريم، أحدها في سورة الرحمن؛ التي انفردت بالمعنى الاستثنائي المختص بالإنسان الذي فضله الله على سائر خلقه بهاته النعمة، وموضع في سورة آل عمران الذي دلّ على الكشف وتعلق بآيات القرآن الكريم التي جعلت هداية للناس وموعظة.

كما وقد كانت معظم المشتقات تدل على الكشف والوضوح والظهور وهذا يدل على شمولية المصطلح وتوسعه لاحتماله كل تلك المعاني الواردة، فمقتضى بيان الإنسان هو توضيحه للمعاني التي تجول بخاطره، ومقتضى معجزات الأنبياء هي كشف القدرات التي أكرمهم الله بها لتدل على صدق دعواهم، فيبين لهم رسالة ربهم ليتبعوه على بينة، وبالتالي كل الدلالات لم تخرج عن معنى الكشف والوضوح.

وإن كنا لا نذهب بعيدا مع الإعجاز العددي للقرآن الكريم، إلا أنّ تناسق الصيغ وتناسبها لافت للنظر وموجب للتمعن، ونأمل أن يكون هذا الجرد بداية لبحث قائم بذاته يزيد الأمر جلاءً ووضوحا.

سنتناول في هذا المبحث مفهوم (البيان) في اللغة، وكذلك في الاصطلاح؛ عند أرباب البلاغة الذين ساهموا في بلورة المفهوم، وإعطائه صورة متناسقة تطورت عبر الزمن.

المطلب الأول - البيان في اللغة:

جاء في لسان العرب: البيان: ما بُيِّنَ به الشيء من الدلالة وغيرها، وبان الشيء بيانا: اتضح فهو بيّن، والجمع أبيناء، مثل هيّين وأهيناء، وكذلك أبان الشيء فهو مبين.
قال الشاعر:

لو دب ذر فوق ضاحي جلدها ***** لأبان من آثارهن حدور

قالوا بان الشيء واستبان وتبين وأبان ويّين بمعنى واحد، ومن قوله تعالى (آياتٍ مبينّات) بكسر الياء وتشديدها، بمعنى متبيّنات، ومن قرأ مُبَيِّنَات بفتح الياء فالمعنى أنّ الله تعالى بيّنها. وفي المثل: قد بين الصبح لذي عينين، أي تبين.
وقال آخر:

وللحبّ آيات تبين للفتى شحو ***** با وتعري من يديه الأشاحم

ويروى: تبين بالفتى شحوب، والتبين الإيضاح، والتبين أيضا الوضوح، قال الشاعر:

إلا الأواري لأيا ما أبينها ***** والنوي كالحوض بالمظلومة الجلد

يعني: أتبينها، والبيان: الفصاحة واللسن، وكلام بيّن فصيح، والبيان: الإفصاح مع الذكاء، والبيّن من الرجال: الفصيح؛ البيّن من الرجال، السّمح اللسان الفصيح الظريف العالي الكلام القليل، روى ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: (إنّ من البيان لسحرا وإنّ من الشعر لحكما)¹.

¹ - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب الخطبة، رقم الحديث: 5146، ص 656.

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

قال: البيان إظهار المقصود بأبلغ لفظٍ، وهو الفهم ودكاء القلب مع اللّسن، وأصله الكشف والظهور¹.

يقال: بان الحق يبين بيانا فهو بائن وأبان يبين إبانة، فهو مبين لمعناها، ومنه قوله تعالى:

﴿ جَمِّ ① وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ② ﴾ (سورة الدخان، الآية: 1- 2) أي والكتاب البين، وقيل معناه: المبين الذي أبان طرق الهدى من طرق الضلالة، وأبان كل ما تحتاج إليه الأمة، فيقال بان الشيء وأبنته، " فمعنى مبين أنه مبين خيره وبركته أو مبين الحق من الباطل والحلال من الحرام، ومبين أنّ النبوة في محمد ﷺ حق ومبين قصص الأنبياء "2.

والاستبانة تكون بمعنى المبين، ويقول: استبنت الشيء إذا تأملته حتى يتبين لك، ويقال بينت الأمر: أي تأملته وتوسمته، قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ ⑤٥ ﴾ (سورة الأنعام: 55) والمعنى: ولتستبين أنت يا محمد ﷺ سبيل المجرمين؛ أي لتزداد استبانة، وإذا بان سبيل المجرمين، فقد بان سبيل المؤمنين.

وفي الحديث: أنّ النبي ﷺ قال: (الحياء والعي شعبتان من الإيمان، والبذاء والبيان شعبتان من النفاق)³. فالبيان إنما أراد منه بالذم، التعمق في النطق والتفصيح وإظهار التقدم فيه على الناس وكأنّه نوع من العجب والكبر، ولذلك قال في رواية أخرى: البذاء وبعض البيان، لأنه ليس كل البيان مذموما. قال أحمد بن فارس: " الباء والياء والنون أصل واحد، وهو بعد الشيء وانكشافه، فالبين الفراق، يقال: بان يبين بينا وبينونة والبيون، البئر البعيدة القعر، والبين قطعة من الأرض قدر مد البصر... وبان الشيء وأبان إذا اتضح وانكشف، فلان أبين من فلان؛ أي أوضح كلاما "4.

وقال الإمام الزمخشري في أساس البلاغة بان لي الشيء، وتبين وبين وأبان واستبان وبينته وأبنته وتبينته واستبنته، وجاء ببيان ذلك وبينته؛ أي بحجته، ومن بينات الكرم التواضع، ورجل بين فصيح ذو

1 - ابن منظور: لسان العرب، المصدر السابق، ج 1: ص 543 - 544 - 545.

2 - عمار ساسي: الإعجاز البياني في القرآن الكريم، ط 1: 2003م، المرجع السابق، ص 121.

3 - أخرجه الترمذي في سننه، باب ما جاء في العي، رقم الحديث: 2146، (مج 1 ص 252).

4 - أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، ج 1، ص 327-328.

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

بيان، وما أبينه، وما رأيت أبين منه، وقوم أبناء، وهذه مباين الحق ومواضحة، وظهرت أمارات الخير وتباينه، وتبين في أمرك: تثبت وتأن¹.

جاء في المعجم الحديث: بيان: مصدر بان بمعنى الظهور والكشف، التبيين، الإيضاح، جاء في قوله تعالى: ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (سورة آل عمران: 138).
ثانيا- يأتي بمعنى الحجة.

ثالثا- المنطق الفصيح المعبر عما في الضمير ﴿ الرَّحْمَنُ ① عَلَّمَ الْقُرْآنَ ② خَلَقَ الْإِنْسَانَ ③ عَلَّمَهُ ④ الْبَيَانَ ④ ﴾ (سورة الرحمن: 4).

رابعا- الإثبات بالدليل، كالقول المشهور (من ادعى فعليه البيان)².

خامسا- الكلام يكشف عن حقيقة حال، أو يحمل في طياته بلاغا³.

ومن خلال ما سبق، نستخلص أنّ مادة البيان في اللغة، تدور حول معاني الكشف والوضوح والإظهار، فهذا هو الأصل الذي يجمع الدلالات الأخرى، كما أنّ له مسارب أخرى، والسياق هو الذي يتكفل بتحديد مساقها ووجهتها، فهو يدل على الفصاحة والتأمل والتثبت والتأني والحجة، كما هو شامل لكل ما تتبين به الأشياء من مختلف الدلالات، ومع ذلك لا يقتصر الأمر على التوضيح العابر، بالدلالات العادية المتداولة، بل يتجاوز معناه الإيضاح بالإفصاح الهادف البليغ، وهذا نستشفه من عبارة النبي ﷺ في إطلاق مصطلح البيان على الأسلوب البليغ الذي يسحر السامع ويسلب لبه ويؤثر فيه، ويستشف من قول ابن عباس ؓ حينما جعل البيان إظهار المقصود بأبلغ لفظ.

إذن فدلالة المصطلح تحمل معنى عاما شاملا؛ وهو التعبير عن المعاني والمقصود بأي دلالة ووسيلة، ويحمل معنى خاصا يدل على إظهار المقصود بأجمل أسلوب، وأبلغ لفظ. والإيضاح والظهور؛ هو القاسم المشترك بين مختلف الدلالات.

¹ - الزمخشري: جار الله، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، ط2: 2010، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، مج

1، ص 88.

² - وهو قول مستنبط من الحديث النبوي الشريف (البينة على المدعي واليمين على من أنكر)

³ - يوسف محمد رضا، معجم العربية الكلاسيكية والمعاصرة، المرجع السابق، ص 300.

المطلب الثاني: البيان في الاصطلاح:

لعلّ أول تعريف للبيان وصل إلينا، هو تعريف حبر الأمة؛ ابن عباس رضي الله عنهما أنه " إظهار المقصود بأبلغ لفظ "1. وهذا المعنى ألمح إليه النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكرنا ذلك سابقا.

ومن أهم الدراسات القديمة التي اهتمت بالبيان؛ كتاب الجاحظ² (ت 255هـ) المعنون ب: (البيان والتبيين) فقد عرفه بقوله: " والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي، هو البيان الذي سمعت الله عزّ وجل يمدحه ويدعو إليه ويحث عليه، بذلك نطق القرآن وبذلك تفاخرت العرب وتفاضلت أصناف العجم "3.

إذن فالبيان عند الجاحظ؛ هو الدلالة الظاهرة على المعنى الخفي، ويدل هذا التعريف أيضا على أنّ كل دلالة عنده هي بيان، لأن الغاية عنده هي الفهم والإفهام، وكل دلالة على المعنى سواء أكانت من لفظ أم غيره، إنّما تنقسم إلى خمسة أقسام:

أولها- الدلالة اللفظية: وهي ما يتميز به الإنسان عن سائر الخلق، كما ورد في حدّه عند المناطقة بأنّه: الحيّ الناطق المبين.

ثانيها- الدلالة الإشارية: وتستخدم فيها وسائل تحلّ محلّ الألفاظ لتؤدي غاية البيان، وهي الإفهام، ومن هذه الوسائل: اليد والرأس والعين والحاجب والمنكب والسيف والثوب وغيرها، وتشارك الإشارة مع اللفظ في أنّها تكون معينا له، تترجم ما يحتويه وتنبؤ عنه.

1 - ابن منظور: لسان العرب، المصدر السابق، ج1، ص 545.

2- هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناي الجاحظ، كان ميلاده سنة (163هـ)، ولد بالبصرة وحظي باهتمام الدارسين، يعدّ علما بارزا من أعلام الأدب والنقد، قد استقطب ثقافة عصره، كان معتزلا متكلمًا بارزا، عدّ في الطبقة السابعة من طبقات المعتزلة، جمع بين التفكير العلمي والحس الأدبي، أشهر ما ألف: (البيان والتبيين) و (الحيوان)، وأهم الكتب التي ألفها في البيان القرآني: (نظم القرآن) و(حجج النبوة) و(مسائل القرآن) وكان بارعا في الردّ على منكري الإعجاز والنبوة من الملاحدة والزنادقة) ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 11، ص 526).

3 - الجاحظ: أبي عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، ط1: 1418هـ/1998م، مكتبة الخانجي بالقاهرة - مصر، ج1، ص 75.

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

ثالثها- الدلالة الخطية: وقد أكد القرآن الكريم قيمة هذا اللون الدلالي؛ في كثير من الآيات التي يمتدح فيها القراءة ويظهر منافعها، حيث قال عز وجل: ﴿إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ¹ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ²﴾ ﴿إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ³ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ⁴﴾ (سورة العلق- الآية: 5).

وأقسم سبحانه بالقلم، وأثر عن العرب قولهم: القلم أحد اللسانين، فهو أبقى أثرا، واللسان أكثر هذرا.

رابعاً- الدلالة الحسائية: أو كما سماها الجاحظ الدلالة بالعقد، وتكون بالحساب دون اللفظ والخط والإشارة، وقد حث القرآن الكريم على قيمة هذه الدلالة، وعظم قدرها للانتفاع بها وذلك في قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ (سورة يونس- الآية: 5). وقوله تعالى ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعِلْ لَيْلٍ سَكَنًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ⁹⁶﴾ (سورة الأنعام- الآية: 96).

خامساً- الدلالة الحالية: وقد سماها النُصبة، وهي تعني دلالة المقام على الحال وتكون بغير اللفظ ولا الإشارة، وذلك ظاهر في خلق السماوات والأرض وفي كل صامت وناطق وجامد ونام ومقيم وطاقن وزائد وناقص، فالدلالة التي في الموات الجامد كالذلة التي في الحيوان الناطق، فالصامت ناطق من جهة الدلالة، والعجماء معربة من جهة البرهان، ولذلك قال الأول: سل الأرض فقل من شقّ أنهارك وغرس أشجارك وجنى ثمارك؟ فإن لم تجبك حوارا، أجابتك اعتبارا.¹

إنّ هذه الدلالات يستعين بها الجاحظ في تقريب معنى البيان وغاياته عنده هي السعي إلى كشف مكونات النفس لتحصيل الفهم والإفهام، فالبيان عنده "اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محموله؛ كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أيّ جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجرى القائل والسامع؛ إنّما هو الفهم والإفهام، فبأيّ شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضوع"².

¹ - ينظر: الجاحظ: البيان والتبيين، المصدر السابق، ج1، من ص 76 إلى 80، بدوي طبانة: علم البيان، ط6:

1396هـ/1976م، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، من ص94 إلى 97، مختار عطية: علم البيان وبلاغة التشبيه في المعلقات

السبع، دار الوفاء لعنيد الطباعة والنشر، 2004، الإسكندرية- مصر، ص 15-16.

² الجاحظ: المصدر السابق، ص 76.

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

من خلال هذا التعريف نلاحظ أنّ الجاحظ التفت إلى المعنى اللغوي للبيان؛ الذي هو عندهم انكشاف الأمر ووضوحه، يقال: فلان أبين من فلان؛ أي أفصح منه وأوضح بيانا.

ومع أنّ الجاحظ يعدّ تلك الدلالات من البيان، إلا أنّه لا يعتبرها من البيان الأدبي؛ يقول معقبا على كلامه السابق، أنّ من زعم أنّ البلاغة أن يكون السامع يفهم معنى القائل، و يشير للعتابي¹ حين زعم أنّ كل من أفهمك حاجة فهو بليغ، فقد جعلوا بذلك، الفصاحة واللكنة، والخطأ والصواب، والإغلاق والإبانة، والملحون والمعزّب، كلّه سواء وكلّه بيانا، وهذا خطأ من وجهة نظره، وإتّما عنى العتابي على حسب اعتقاده، إفهامك العرب حاجتك على مجاري كلام العرب الفصحاء، وهذا هو خير كلام، لأن سنن فصحاء العرب معروف الشعر والنثر، وهو أدبهم الذي يفخرون به، وبيّانهم الذي به يباهون.

ولقد رأى أحد الباحثين²، أنّ الجاحظ في توسيع دلالة البيان أفاد من ابن المقفّع³ (ت 143هـ) الذي عرّف البلاغة؛ بأنّها اسم جامع لمعان يجري في وجوه كثيرة، فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون الاحتجاج، ومنها ما يكون جوابا، والفرق بين عمل ابن المقفّع والجاحظ من وجهة نظره، أنّ الجاحظ أطلق مدلول (الاسم الجامع) على البيان، وكان ابن المقفّع يطلقها على البلاغة، وهذا يدل على تداخل المصطلحين (البيان والبلاغة) منذ زمن مبكّر.

إنّنا نلمح هذا المعنى من خلال كلام الجاحظ سابق الذكر؛ فما أطلقه ابن المقفّع على البلاغة يوافق البيان عند الجاحظ، لكن الجاحظ فرّق بين (البيان) و(البلاغة) فغاية البيان عنده الفهم والإفهام بأي دلالة، أما البلاغة تعني الأدب والتعبير بكلام بليغ، وانطلاقا من فكرته فالبيان أعمّ من البلاغة، وإن بدا لنا تزامن المصطلحين عنده في أول وهلة، لكثرة ورودهما في كتابه.

1 - أبو عمرو (أو أبو علي) كلثوم بن عمرو بن أيوب العتابي التغلبي (135 هـ / 752 م - 220 هـ / 835 م)، كاتب وشاعر عربي من العصر العباسي. (ينظر: موقع ويكيبيديا).

2 - محمد كريم الكوازي: أبحاث في بلاغة القرآن الكريم، ط1: 2006، الإنتشار العربي، بيروت- لبنان، ص 37.

3 - عبد الله بن المقفّع صاحب الرسائل البديعة والبلغية، ولد في العراق سنة 106هـ، وهو من أهل فارس، والده هو ذادويه، وقد ولي خراج فارس للحجاج، فخانه فعذبه، فتفقت يده، ولهذا سمي " بابن المقفّع "، وقيل: بل كان والده يعمل قفّاع الخوص، وهي كالفقة، هو من أئمة الكتاب وأول من عني بالإسلام في ترجمة كتب المنطق، وقد كان خطيبا فارسيا، وكان كاتب أبي جعفر المنصور توفي سنة 142هـ، وقد عاش 35 سنة فقط. (ينظر: الأعلام ج4 ص 140؛ سير أعلام النبلاء: ج6 ص 208).

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

وعرّف صاحب العقد الفريد (ت 328هـ) البيان بقوله: "كل شيء كشف لك قناع المعنى الخفي، حتى يتأدّى إلى الفهم ويتقبّله العقل، فذلك هو البيان الذي ذكره الله في كتابه، ومنّ به على عباده، فقال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ ① عَلَّمَ الْقُرْآنَ ② خَلَقَ الْإِنْسَانَ ③ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ (سورة الرحمن الآية: 04). ثم يضيف قائلاً: وقال صاحب المنطق حدّ أرسطو¹ الإنسان الحي الناطق المبين².

وقد أفاد من الجاحظ في ذكر هذا المعنى، لكنه قصر معنى البيان على دلالة معيّنة، وهي ارتباط خلق الإنسان وتمييزه بالبيان.

وبعد أن أطبقت شهرة كتاب (البيان والتبيين) الآفاق؛ فهو أول مؤلّف يخص هذا الجانب بالتصنيف، وقد كانت من قبل لفظة البيان تستعمل وتتداول على الألسنة، لكن لم تنفرد بدراسة خاصة، على خطى ذلك ألف بن وهب الكاتب³ (ت بعد 328هـ) كتابه المسمّى (البرهان في وجوه البيان) محاولاً استدراك ما فات الجاحظ، من عدم وصف البيان وذكر أقسامه، مستهلاً كتابه بما فضّل الله به الإنسان، على سائر الحيوان، والمتمثّل في العقل الذي فرّق به بين الخير والشر، والنفع والضّر، وأدرك به ما غاب عنه وبُعِد منه، وهو حجّة الله على خلقه، والدليل لهم إلى معرفته.

وأتابع ذلك باباً تحدّث فيه عن قسمة العقل إلى موهوب ومكسوب، فالأوّل ما جعله الله في جبلة خلقه، والثاني ما أفاده الإنسان؛ بالتجربة والعبر وبالآداب والنظر، فالأوّل أصل والثاني فرع، والأشياء بأصولها، فإذا صحّ الأصل صحّ الفرع، وإذا فسد فسد. "ولعلّه تعرّض للعقل أوّلاً وقسمته، لأنّه هو الذي تصدر عنه أعمال الإنسان، وسلوكه في الحياة، كما يصدر عنه منطقته وبيانه"⁴.

¹ - أرسطو (384 ق.م - 322 ق.م) هو فيلسوف يوناني وتلميذ أفلاطون ومعلم الإسكندر الأكبر. وهو مؤسس مدرسة ليسيوم ومدرسة الفلسفة المشائية والتقاليد الأرسطية، وواحد من عظماء المفكرين. (ينظر: موقع ويكيبيديا).

² - أبو عمرو أحمد بن محمد بن عبد ربه: العقد الفريد، تح: أحمد أمين وآخرين، لجنة التأليف والترجمة والنشر 1953م، القاهرة- مصر، ج02، ص 02.

³ - أحمد بن سليمان بن وهب، أبو الفضل: كاتب له شعر، من أهل بغداد، من بيت وزارة وفضل، تقلد أعمالاً منها النظر في جباية الأموال، له (ديوان شعر) و(ديوان رسائل). (ينظر معجم المؤلفين ص: 132).

⁴ - بدوي طبانة: البيان العربي، ص 110.

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

فالعقل والبيان هما مقومان للإنسان، وبكليهما امتنَّ الله على عباده، وبهما مناط التكليف والتمييز،¹ فهما متكاملان ومتداخلان، ومن هنا ستكون وجوه البيان، هي نفسها تجليات العقل ومظاهر نشاطه¹.

وإذا كان الجاحظ قد أحصى أصناف الدلالات، وجعلها في خمس دلالات كما رأينا سابقاً، هي دلالة اللفظ والإشارة والخط والعقد والنسبة، فإن ابن وهب الكاتب يجعل وجوه البيان في أربعة أقسام هي:

أولاً- بيان الاعتبار: وهو بيان الأشياء بذواتها، وإن لم تبين بلغاتها، فالأشياء تبين للناظر المتوسّم والعاقل المتبيّن بذواتها، وبعجيب تركيب الله فيها، وآثار صنعته في ظاهرها، كما قال عز وجل: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ﴾ (سورة الحجر- الآية: 75). وقال: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (سورة العنكبوت: 35).

ولذلك قال بعضهم: (قل للأرض: من شقّ أنهارك، وغرس أشجارك، وجنى ثمارك؟ فإن هي أجابتك حواراً، وإلاّ أجابتك اعتباراً) فهي وإن كانت صامتة في أنفسها، فهي ناطقة بظواهر أحوالها، وعلى هذا النحو استنطقت العرب، وخاطبت الطلل، ونطقت عنه بالجواب، على سبيل الاستعارات في الخطاب.

ثانياً- بيان الاعتقاد: وهو البيان الذي يحصل في القلب عند إعمال الفكرة واللّب، وهو نتيجة البيان الأوّل، لأنّه إذا حصل للإنسان صار عالماً بمعاني الأشياء، وكان ما يعتقد من ذلك بيانا ثانياً غير البيان الأوّل، وخصّ باسم (الاعتقاد).

وهو على ثلاثة أضرب: حقّ لا مرأى فيه، ومشتبه يفتقر إلى الإثبات، وباطل، وينبغي أن نصدّق الأوّل ونكذب الثالث، أما الثاني، فنحتاط إزاءه حتى يتبيّن لنا صدقه أو كذبه.

ثالثاً- بيان العبارة: الذي هو نطق باللسان، لأنه بيان القلب أو الاعتقاد يحصل في نفس المعتقد، ولا يتجاوزه إلى غيره، ولما كان الله عز وجل قد أراد أن يتم فضيلة الإنسان، خلق له اللسان وأنطقه بالبيان، ومن وجهة نظره؛ بيان الاعتبار وبيان الاعتقاد خاص بالإنسان وحده.

¹ - محمد كريم الكوازي: أبحاث في بلاغة القرآن الكريم، المرجع السابق، ص 40.

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

ويقسّم بيان العبارة إلى صنفين: صنف يتساوى أهل اللغات في العلم بها، وصنف تختص اللغة العربية به، وموضوع البحث في الصنفين معاً، ليس البيان الظاهر الذي لا يحتاج إلى تفسير، بل البيان هو الباطن المحتاج إلى تفسير، وعلى هذا الأساس وقف طويلاً عند أساليب التعبير في اللغة العربية، ففهم الخطاب الشرعي يتوقف على معرفتها، فمنها ما هو عام للسان العرب وغيرهم، ومنها ما هو خاص له دون غيره، ويجمع ذلك في الأصل، الخبر والطلب.

رابعاً- البيان بالكتاب: وهو الذي يبلغ من بُعد أو غاب، لأن بيان اللسان مقصور على الشاهد دون الغائب، وعلى الحاضر دون العابر، وقد أراد الله أن يعمّ بالنفع جميع أصناف العباد وسائر آفاق البلاد، فألهم عباده تصوير كلامهم بحروف اصطلاحوا عليها، فخلّدوا بذلك علومهم لمن بعدهم، وعبروا به عن ألفاظهم، ونالوا به من بُعد عنهم، وكملت لذلك نعمة الله عليهم، وبلغوا الغاية التي قصدها الله في إفهامهم، وإثبات الحجّة عليهم. ولولا الكتاب الذي قيّد على الناس أخبار الماضين، لم تجب حجّة الأنبياء على من أتى بعدهم، ولا كان النقل يصحّ عنهم، ولذلك صارت الأمم، التي ليس لها كتاب، قليلة العلوم والآداب¹.

نلاحظ أن ابن وهب الكاتب، أفاد من الجاحظ في كثير من وجوه بيان الدلالات، فالنصبة عند الجاحظ، هي ما توافق بيان الاعتبار عند ابن وهب، فمعناها عند الجاحظ هو نفس معناها عند ابن وهب، كما أنه ساق نفس المثال الذي استدّل به الجاحظ؛ وهو: (قل للأرض من شقّ أنهارك)، وكذلك دلالة اللفظ عند الجاحظ، هي بيان العبارة؛ الذي هو نطق اللسان عند ابن وهب، ودلالة الخط هي ما يوافق البيان الرابع، وهو بيان الكتاب كما سّماه ابن وهب، وكلاهما عرّج لأهميّة بيان الخط والكتابة، فابن وهب أفاد من قول الجاحظ بهذا الصدد: "وقالوا: اللسان مقصور على القريب الحاضر، والقلم مطلق في الشاهد والغائب، وهو للغاير الحائن²، مثله للقائم الرّاهن³".

¹ - ينظر: ابن وهب الكاتب: البرهان في وجوه البيان، تح: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، ط1: 1967م، مطبعة العاني، بغداد- العراق، ص 44 وما بعدها؛ شوقي ضيف، البلاغة تطوّر وتاريخ، ط9، دار المعارف، القاهرة- مصر، ص 96 وما بعدها؛ بدوي طبانة، البيان العربي، المرجع السابق، ص 109 وما بعدها.

² - الحائن: الهالك.

³ - الجاحظ: المصدر السابق، ج، ص 80.

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

لكنهما لم يذكرنا أنّ الأمة العربية الأولى ما اعتمدت على الكتابة بقدر ما اعتمدت على الحفظ في الصدور، والمشافهة باللسان، وما نشأت الكتابة إلا في وقت متأخر، ولذلك ضاعت الكثير من علومهم ومحفوظاتهم كما قال ابن وهب. وتبقى دلالة الإشارة ودلالة العقد، لم يجعل لهما ابن وهب تصنيفاً خاصاً، إنّما اكتفى بالإشارة إليهما، في غضون كلامه عن الوحي، وحديثه عن القياس.

مما لا شك فيه أن ابن وهب الكاتب رغم إفادته من الجاحظ، إلا أنه تميّز عليه بحسن التقسيم والتصنيف، وإجادة التبويب والتعريف، ودقّة التحليل والاستدلال؛ بطريقة منطقية تعكس سعة تطلّعه، وموسوعية معارفه، من علم بالأدب والفقه وأصول التشريع، مشكّلاً بتلاقح تلك المعارف فلسفة للأدب، وذلك لأنّ عقلية ابن وهب، عقلية علمية فلسفية، أمّا الجاحظ فإنّ الناحية الأدبية المتمثلة في تحقيق الحسن الأدبي، بتجديد العبارة وتقوية المعنى، والمبالغة فيه وتحميله بفنون الصناعة، هي أبرز ما يلحظ في كتابه، ويغلب على تأليفه. حيث نحى البيان من بعده منحى فلسفياً مغايراً لبيان الجاحظ الأدبي¹.

أما البيان عند الرّماني² (ت 386هـ) فقد جعله باباً من أبواب البلاغة العشرة، وعرفه تعريفاً عاماً، بأنه الإحضار لما يظهر به تميّز الشيء من غيره في الإدراك، وذكر أربعة من أقسامه هي: البيان بالكلام، والبيان بالحال، والبيان بالإشارة، والبيان بالعلامة³.

إنّ تقسيم الرّماني لوجوه البيان، لا يبعد عمّا أتى به الجاحظ، إنّما اختلف معه في إطلاق المسمّيات لا غير، هذا ما جعل الباحث يقول: كأنّ البيان عند الرّماني يلتقي بالدلالة⁴، ومع ذلك فقد أضاف فكرة أنّ البيان ما كان يتعلّق بميزة معيّنة في الإدراك، فهو إذن بيان خاص من وجهة نظره، وهو وإن كان يحوم حول معنى أتى به الجاحظ، إلا أنّ وصفه اتسم بالدقّة، وحسن تصويب الهدف؛ في التعبير عن البيان.

¹ - ينظر: بدوي طبانة: البيان العربي، ص 120؛ محمد كريم كواز: أبحاث في بلاغة القرآن الكريم، المرجع السابق، ص 43.

² - أبو الحسن علي بن عيسى بن عبد الله الرّماني (296هـ/909م - 384هـ/994م) هو مُفسّر وفيلسوف معتزلي، ومن كبار النحاة، كان مُتبحراً في علوم الفقه واللغة والكلام والفلك، ألّف ما يقارب مائة كتاب. عاصر أبي علي الفارسي وأبي سعيد السيراني. له الجامع في القرآن. وقيل في أسلوبه كان يمزج النحو بالمنطق. كان من تلاميذه أبو حيان التوحيدي. (ينظر: موقع ويكيبيديا).

³ - الرّماني: علي بن عيسى، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح: محمد خلف الله ومحمد زغلول

سلام، دار المعارف - بمصر، ص 106.

⁴ - شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، المرجع السابق، ص 107.

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

ثم إنَّ الرُّماني جعل الكلام على وجهين: كلام يظهر به تميّز الشيء من غيره فهو بيان، وكلام لا يظهر به تميّز الشيء فليس ببيان، كالكلام المخلّط والمحال الذي لا يفهم به معنى، وليس كل بيان يفهم به المراد فهو حسن، وليس يحسن أن يطلق اسم بيان، على ما قبح من الكلام... ولكن إذا قيّد بما يدل على أنّه يعنى به إفهام المراد جاز¹.

وعلى هذا الأساس، فالبيان عند الرُّماني، يصنّف تحت ثلاث مراتب:

أولاً: البيان بالكلام القبيح الفاسد

ثانياً: البيان المقيّد بإفهام المراد

ثالثاً: البيان المفهم للمراد؛ الجاري على سنن الكلام العربي الفصيح، والمتميّز في الإدراك عن غيره. وباعتبار هذا التقسيم نجد الرُّماني؛ قد جعل أفضل بيان هو الذي يتميّز في الإدراك، وهو بهذا التقسيم، أوّل من رتّب التفاوت في البيان، فأعلاه مرتبة ما جمع أسباب الحسن في العبارة، حتى يحسن في السمع، ويسهل على اللسان، وتتقبّله النفس، وحتى يأتي على مقدار الحاجة فيما هو حقّه من الرتبة، ولا شك أنّه يعني بأعلى مرتبة للبيان، هو البيان القرآني المعجز، فهذه المرتبة هي التي تجمع أسباب الحسن في العبارة.

ثم بيّن حقيقة البيان، وقسمه إلى أربعة أقسام هي:

1- دلالة الاسم كدلالة (شجرة)

2- دلالة الصفة كدلالة (طويل)

3- دلالة التأليف كدلالة (غلام زيد) على الملكية

4- دلالة الاشتقاق كدلالة (قاتل) على (مقتول وقتل).

فأمّا الدالتان الأوليان فهما متناهيّتان، من حيث أنّهما لا تصلحان لأن يتفاضل فيهما النَّاس، أي إنّ معرفة زيد من الناس بالشجرة، لا تزيد على معرفة عمرو، من حيث تدل الألفاظ على معانيها، التي

¹ - ينظر: الرُّماني: النكت في إعجاز القرآن، المصدر السابق، ص 106.

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

هي موضوعة بإزائها، كدلالة الحجر والسماء والأرض على مسمياتها، وهذه الدلالة خارجة عن الإعجاز، لأنّ ألفاظ القرآن المفردة هي ألفاظ العرب. وأمّا دلالة التأليف، أي أنّ إضافة (غلام) إلى (زيد) تدل على علاقة مخصوصة بينهما، أظهرها التركيب دون استخدام اللفظ الخاص بتلك العلاقة، ومثلها دلالة الاشتقاق، كقولك قاتل، فهو يدل على مقتول وقتل، من غير ذكر اسم أو صفة لواحد منهما، ولكن المعنى مضمّن بالصّفة المشتقة، وإن لم تكن له، فهي غير متناهية، بمعنى أنّنا نستطيع أن نؤلف من الأسماء والصّفات أشكالاً وتراكيب كثيرة، بحسب المعاني التي نروم التعبير عنها، كما أنّ تأليف الأعداد ليس له نهاية، وعليه فدلالة الأسماء والصفات متناهية، وأمّا دلالة التأليف، فليس لها نهاية، ولهذا صحّ التحديّ بها لتظهر المعجزة¹.

من خلال ما سبق، يمكننا القول أنّ ما أتى به الرّماني، هو دراسة قيمة تنمّ على عبقرية فذة، فقد استخلص زبدة كلام الجاحظ، وأعاد بلورتها في تقسيم جديد، كان أفضل من تقسيم الجاحظ لدلالات البيان، وتقسيم ابن وهب، فتقسيم الرّماني تميّز بدلالة التأليف التي تعدّ الركيزة الأولى لنظرية النظم، فلقد برزت الفكرة عند الجاحظ؛ كومضات وإشارات، لكن الرّماني ألمع إليها بتفصيل يتّسم بالدقة وحسن التحليل، فأقامها على أساس منطقي بديهي يتساوى في إدراكه كلّ الناس، فاعتماده على خاصية الأعداد غير المتناهية، يلائم طبيعة المعجزة القرآنية اللامتناهية، فإعجازه ما اقتصر على ألفاظه المفردة، ولا معانيه المجردة، بل كان إعجازه باجتماعهما معاً، في حسن تأليف ونظم.

إنّ تحديد هذا الفرق الجوهرى بين الدلالة والبيان، واكتشاف هذا الملحظ المتميّز منه، سيحوّل مصطلح البيان لوجهة أخرى، تدفع بعجلة البحث في الإعجاز قدماً، فإشارته هاته " تلائم الكيفية التي دخل بها البيان في حيّز الإعجاز، وتدل على ماهيته أصلاً"²، فلقد نزل القرآن الكريم بلغتهم، يحاكي أساليبهم، ويوازي بيانهم، ومع ذلك عجزوا عن الإتيان بآية مثله، وانبهروا أمام سحر نظمه، لا لغموضه أو صعوبته، بل لأنّ التفاوت في البيان هو الفيصل في مسألة التفاضل.

1 - ينظر: الرّماني، المصدر السابق، ص 107.

2 - محمد كريم كواز: أبحاث في بلاغة القرآن الكريم، المرجع السابق، ص 46-47.

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

وإذا كان البيان يلتقي بالدلالة عند الرُّماني، فإنه عند ابن رشيق القيرواني¹ (ت 456هـ) يختلف عنه، فقد أشار إلى الفرق بينهما، فالبيان من وجهة نظره هو إحضار المعنى للنفس بسرعة إدراك، وقيل ذلك، لئلا يلتبس بالدلالة، لأنّ الدلالة إحضار المعنى للنفس، وإن كان بإبطاء² " والبيان من وجهة نظره: الكشف عن المعنى حتى تدركه النفس من غير عُقلة، وإتّما قيل ذلك، لأنّه قد يأتي التعقيد في الكلام الذي يدل، ولا يستحق اسم البيان.

وابن رشيق فيما نرى، قد ذهب بالبيان إلى معنى الإيضاح البسيط الخالي من التعقيد واللبس، على خلاف الدلالة التي قد تفصح عن المعنى، لكن بصعوبة أو تعقيد.

وبالنسبة لسُلطان البلاغة عبد القاهر الجرجاني³ (ت 471هـ) فلم يهتم بوضع تعريف محدّد للبيان، بقدر ما عدّد فوائده، وأجلى قيمته، وبيّن أهميته، ليكون تعريفه ضمّنيا في وصفه، قائلا: " ثم إنك لا ترى علما هو أرسخ أصلا، وأبسق فرعا، وأحلى جنى، وأعذب وردا، وأكرم نتاجا، وأنور سراجا؛ من علم البيان الذي لولاه لم تر لسانا يحوك الوشي، ويصوغ الحلبي، ويلفظ الدرّ، وينفث السحر ويقري الشهد، ويريك بدائع من الزّهر، ويجنيك الحلو اليانع من الثّمّر، والذي لولا تحفيه بالعلوم وعنايته بها، وتصويره إياها لبقيت كامنة مستورة، ولما استبنت لها يد الدهر صورة، ولا استمرّ السرار بأهلتها واستوى الخفاء على جملتها، إلى فوائده لا يدركها الإحصاء ومحاسن لا يحصرها الاستقصاء"⁴.

² - أبو علي الحسن بن رشيق المعروف بالقيرواني، أحد الأدباء والبلغاء، ولد سنة 390هـ، بمدينة المسيلة بالمغرب العربي (في دولة الجزائر حاليا) ونشأ بها وتعلم هناك، ثم ارتحل إلى القيروان سنة 406هـ، ثم انتقل إلى جزيرة صقلية إلى أن توفي بها سنة 456هـ، من أشهر مؤلفاته: العمدة في محاسن الشعر وآدابه (ينظر: معجم المؤلفين ص: 139).

² - ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تح: مجموعة من الباحثين، ط2: 2013م، دار مدار، قسنطينة- الجزائر، ج1، ص 404.

³ - هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، نسبة إلى جرجان؛ المدينة الفارسية التي تقع بين طبرستان وخرسان، توفي سنة 471هـ، واختلف في تاريخ مولده، كان أشعريا شافعيا، متكلمًا ونحويا وفقهيا ومفسرا وشاعرا ونحويا بيانيا، له مصنفات عديدة في كثير من الفنون، أشهرها كتاباته البلاغية (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة) و(الرسالة الشافية)، كانت فكرة الإعجاز من القضايا التي اشتغل بها وأوقف عليها أهم مؤلفاته. (ينظر: الزركلي، الأعلام، ج1، ص 214).

⁴ - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، قرأه وعلّق عليه: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة- مصر، ص 5-6.

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

ويورد الراغب الأصفهاني تعريفا للبيان؛ بقوله: "هو الكشف عن الشيء، وهو أعمّ من النطق، مختص بالإنسان ويسمى ما بيّن به بيانا، ويكون على ضربين؛ أحدهما بالتنجيز، وهو الأشياء التي تدلّ على حال من الأحوال من آثار صنعه، والثاني بالاختبار، وذلك إمّا أن يكون نطقا أو كتابة أو إشارة.

فمّمّا هو بيان بالحال؛ قوله تعالى: ﴿وَلَا يَصُدُّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُرْهُدٌ مُّبِينٌ﴾ (سورة الزخرف- الآية: 62) أي كونه عدّوا بيّن في الحال، وما هو بالاختبار قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا يُوحِي إِيَّاهُمْ فَسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾⁽⁴³⁾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُّوْنَ﴾ (سورة النحل: 44)، وسمّي الكلام بيانا لكشفه عن المعنى المقصود إظهاره نحو ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾⁽¹³⁸⁾ (سورة آل عمران، الآية: 138)، وسمّي ما يشرح به الجمل والمبهم من الكلام بيانا نحو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (سورة القيامة، الآية: 19)¹.

فالراغب الأصفهاني أفاد من التعريف اللغوي، - أي الكشف والظهور-، لبلورة المعنى الاصطلاحي للبيان، وجعله في أضرب تختص بالإنسان ليس لكونه ناطقا، بل لأنّه يكشف ببيانه عن حال من الأحوال.

أمّا صاحب الكشاف (ت 538هـ) فقد تحدّث عن البيان في معرض تفسيره لآية الرحمن قائلا إنّ الله " ذكر ما يميّز به الإنسان عن سائر الحيوان من البيان، وهو المنطق الفصيح المعرب عمّا في الضمير"².

نجد الزمخشري يربط البيان بقدرة الكلام الفصيح المبين لما في النفس، والأمر ليس له علاقة بحدّ المنطق الذي جاء به أرسطو طاليس؛ كما فهم الباحث³ فيبدو أنّه تكلف حينما ربط قول الزمخشري

¹ - الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، تح: محمد سيد كيلاني، مطبعة مصطفى البابي، 1961، القاهرة- مصر ص 69.

² - محمود بن عمر الزمخشري: الكشاف عن عيوب الأقاويل في وجوه حقائق غوامض التنزيل والتأويل، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود؛ الشيخ علي محمد معوض، ط1: 1418هـ/1998م، مكتبة العبيكان، الرياض- السعودية، ج 6، ص 4-5.

³ - يقول الباحث معقبا على كلام الزمخشري: ويتضح من هذا التعريف، أنّ البيان يقابل العقل في التعريف الأرسطي المشهور (الإنسان حيوان ناطق- عاقل)، فقد يكون الإنسان عاقلا لكنه أبكم لا يستطيع الإبانة عن مراده بالكلام؛ ينظر: المنهج البياني في تفسير القرآن الكريم - بنت الشاطي نموذجاً - مذكرة لنيل شهادة الماجستير في القرآن والدراسات الأدبية، من إعداد الطالب: باب العياض نور الدين، تحت إشراف الدكتور: الجليلي سلطاني، جامعة وهران، السنة الجامعية: 2006/2007م، ص 33.

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

بتعريف حدّ المنطق العقلي، فكلمة (المنطق)¹ التي عبّر بها الزمخشري عن مقصوده بالنطق، هي كلمة صحيحة لغويا ومعنويا في هذا السياق.

ثم جاء السكاكي سراج الدين الخوارزمي² (ت 626هـ) فألّف كتابه (مفتاح العلوم) والذي دعاه إلى تأليفه؛ هو التمكّن من فهم مراد الله في كلامه، وذلك بطريق علم الأدب الذي لا يقتصر على اللغة والنحو، ولا يكون الخوض فيه لمجرد الاصطلاحات، بل ارتأى فهم الأدب والخوض فيه، لمهمّة الاحتراز من الخطأ في العربية، وسلوك جادة الصواب فيها لشغف فهم مراد الله، فاستودع في هذا الكتاب إشارات مفيدة، ولطائف فريدة، وكان ممّا دفعه إلى تحقيق ذلك، طلب بعض الفضلاء.

يستهل السكاكي كتابه قائلا: "ورأيت أدكيا زماني الفاضلين، الكاملي الفضل قد طال إلحاحهم علي، في أن أصنّف لهم مختصرا يحظيهم بأوفر حظ منه، وأن يكون أسلوبه أقرب أسلوب من فهم كل ذكي، صنفت هذا المصنّف، وضمنت لمن أتقنه أن يفتح عليه جميع المطالب العلمية، وسميته (مفتاح العلوم) وجعلت هذا الكتاب، ثلاثة أقسام؛ القسم الأوّل في علم الصرف، والقسم الثاني في علم النحو، والقسم الثالث في علم المعاني والبيان"³.

يعدّ السكاكي أوّل من صنّف علوم الأدب وفق تقسيمات منطقية، تتمثل في علم النحو والصرف والبلاغة، وأوّل من قسم علوم البلاغة إلى معاني وبيان وبديع، وحينما يتعرّض لعلم البيان يرى أنّ الخوض فيه، يستدعي التمهيد لقاعدة مهمة في نظره، ألا وهي أنّ محاولة إيراد المعنى الواحد، بطرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه والنقصان بالدلالات الوضعية غير ممكن.

ثم يستطرد في الكلام شارحا مقصده من كلامه، مستعينا بعلم الدلالات كما فعل البلاغيون من قبله، أمثال الجاحظ وابن وهب، فمن وجهة نظره، إن أراد المتكلم تشبيه الخد بالورد في الحمرة، وقال:

1 - جاء في لسان العرب، وقد أنطقه الله واستنطقه؛ أي كلّمه وناطقه، وكتاب ناطق بيّن، وكلام كل شيء: منطقه، ومنه قوله تعالى (علمنا منطق الطير)، وتناطق الرجلان: تقاولا، وناطق كل واحد منهما صاحبه: قاوله (ينظر: ابن منظور: لسان العرب، المصدر السابق، ج 15/14، ص 179).

2 - يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي أبو يعقوب السكاكي، قال عنه أبو حيان في الارتشاف: من أهل خوارزم، كان علامة بارعا في فنون شتى خصوصا المعاني والبيان، وله كتاب مفتاح العلوم، فيه اثني عشر من علوم العربية، إمام في النحو والتصريف والمعاني والبيان ولاستدلال والعروض والشعر، وله النصيب الوافر في علم الكلام وسائر الفنون، ومن رأى مصنّفه علم تبخره ونبهه وفضله، (ينظر، بغية الوعاة، ص 364).

3 - السكاكي: سراج الدين، مفتاح العلوم، المطبعة الميمنية، نشر الباوي الحلبي وأخويه، مصر، ص 3.

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

خد يشبه الورد، امتنع أن يكون كلام مؤد لهذا المعنى بالدلالات الوضعية، أكمل منه في الوضوح أو أنقص.

فالسامع إن كان عالما بكونها موضوعة لتلك المفهومات، كان فهمه منها كفهمة من تلك، من غير تفاوت في الوضوح، وإلا لم يفهم شيئا أصلا، وإتاما يمكن ذلك في الدلالات العقلية، مثل أن يكون لشيء تعلق بآخر ولثان ولثالث، فإذا أريد التوصل بواحد منها إلى المتعلق به متى تفاوتت تلك الثلاثة في وضوح التعلق وخفائه، صحّ في طريق إفادته الوضوح والخفاء.

ثم نجدّه يشير إلى أمر مهم، وهو أنّ صاحب علم البيان، يحتاج إلى التعرّض لأنواع دلالات الكلام، فالدلالات الموضوعية تشير لمعنى اللفظة دون شبهة في ذلك، من غير زيادة ونقصان بحكم الوضع، ويسمّيها دلالة المطابقة ودلالة وضعية، ثم إن تعلق هذا المفهوم الأصلي بمفهوم آخر أمكن أن تدل عليه، بواسطة ذلك التعلق بحكم العقل، كان ذلك المفهوم الآخر داخلا في مفهومها الأصلي، ويسمّيها دلالة الالتزام، والدلالة العقلية، ثم يستفيض في الشرح، وذكر الشواهد والأمثلة للتشبيه والمجاز والكناية والاستعارة، جاعلا تلك الأغراض لبّ علم البيان¹.

لقد اتخذت البلاغة شكلا جديدا على يد أبي يعقوب السكاكي، فقد جعل علم البيان، مقتصرًا على أغراض محدّدة لإيراد المعنى الواحد؛ بطرق وأساليب متعدّدة، لهدف مطابقة الكلام للمراد منه، ورغم جهوده القيّمة في هذا المجال، إلا أنّه لم يسلم من النقد الذي كان جلّه يصب في اتهامه بالتعقيد وحب المنطق، والميل إلى الإكثار من التحديدات والتفريعات، ممّا أدى إلى جمود الدرس البلاغي وركوده، ولكننا نعتبر تقسيم السكاكي مهم في الطريقة التعليمية للبلاغة، وخاصة في المراحل الأولى، فعندما تلقينا البلاغة السكاكية في الأطوار الأولى من تعليمنا، كان أهدى لنا لفهمها وضبطها بصورة دقيقة، محصورة في أغراض محدّدة، قبل أن نتلقى البلاغة الجرجانية، التي امتزجت فيها علوم البلاغة ببعضها، بل وارتبطت بالعلوم اللغوية الأخرى، وعلى حسب ما نعتقد فقد كان مقصد السكاكي من تأليف كتابه، هو تحقيق هذا الهدف، الذي ألمح له في حديثه عن غرض تأليفه، ألا وهو تنظيم علوم الأدب وضبطها، ونحن بذلك لا ندافع عليه دون بيّنة أو لأجل المخالفة، بل إنّ المتأمل في ذلك، يرى أنّ لكل مرحلة فنونها الخاصة، ولكل فئة استيعابها الخاص، كما أنّ تقسيمه وتأليفه هذا له ما يبرّزه، فقد أعلن في مقدمة كتابه؛ أنّه صنّفه لطائفة معينة، وبأسلوب خاص يوازي فهمهم الذكي، وهو بذلك خاطبهم

¹ - ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم، المصدر السابق، ص 140 - 141.

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

من جنس ما يتقنون، وبما يتماشى مع فهمهم العالي، ضامنا لمن أتقن أسلوبه؛ الفهم وفتح العلم، ومما يجدر بنا الإشارة إليه هاهنا، أنّ السكاكي ليس هو الوحيد الذي قصر علم البيان في أغراض محدّدة، فقد ألفينا صاحب الكشاف، يطلق لفظ البيان أيضا ويريد به الاستعارة¹، فقد جاء معناه بمثل ذلك عند من قبله، وحاز السكاكي على سبق بسطه وفصله؛ عن العلوم البلاغية الأخرى.

إنّ ما جعل البلاغة تؤول للركود؛ من وجهة نظرنا، ليست تقسيمات السكاكي، ولا شروحات القزويني² (ت 739هـ)، بل هي كثرة الحواشي المتماثلة، والتلخيصات العقيمة؛ الخالية من روح الإبداع والتجديد، هذا ما طمس معالم البلاغة القديمة؛ التي ولدت من رحم الإبداع القوي، ونمت في أحضان التعقيب النقدي.

ثم إنّنا نجد ابن الزملاكي³ (ت 651هـ) يربط البيان بالبلاغة قائلا: إنّ الغرض من علم البيان معرفة البلاغة، وما بين العبارتين المشتركتين في أصل المعنى، من الميز عند أهل البراعة، نحو ما نجده في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأَوَّلُونَ آلَاءَ لَبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾⁴. مع قولهم: القتل أنفى للقتل⁵.

¹ - فعند تفسيره لقوله تعالى ﴿صُمُّوا لَكُمْ عَمَىٰ فَهْمٌ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (البقرة: 18) يقول الزمخشري: فإن قلت: كيف طريقته عند علماء البيان؟ قلت: طريقة قولهم (هم ليوث) للشجعان، وبحور للأسخياء، إلا أنّ هذا في الصفات وذاك في الأسماء، وقد جاءت الاستعارة في الأسماء والصفات والأفعال جميعا (ينظر: الكشاف، المصدر السابق، ج 1، ص 198).

² - هو محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق، ولد بالموصل لكن أصله من مدينة قزوين، من مؤلفاته الإيضاح في علوم البلاغة، ولي القضاء في ناحية بالروم، ثم قضاء دمشق سنة 724 هـ، فقضاء القضاة بمصر (سنة 727) ونفاه السلطان الملك الناصر إلى دمشق سنة 738 ثم ولاه القضاء بها، فاستمر إلى أن توفّي. (ينظر: موقع ويكيبيديا).

³ - هو الشيخ كمال الدين ابن الزملاكي (ت 727 هـ)، من شيوخ الشافعية بالشام، انتهت إليه رئاسة المذهب تدريسا وإفتاءً ومناظرة. (ينظر: موقع ويكيبيديا).

⁴ - سورة البقرة، الآية رقم: 179.

⁵ - ابن الزملاكي: كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم، البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، تح: أحمد مطلوب وخديجة الحديشي، ط1: 1974م، مطبعة العاني، بغداد- العراق، ص 44.

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

وهذا المنحى كان عند السابقين، من أصحاب الإعجاز، الذين أكدوا التفاوت في البيان، وجعلوه لبّ الإعجاز القرآني، مثل الرّماني والباقلاني¹ والجرجاني، وهكذا نشأ البيان في أحضان الدراسات القرآنية.

وكذلك نجد صاحب (المصباح في المعاني والبيان والبديع) ابن الناظم² (ت 686هـ) يقسم كتابه إلى ثلاثة أقسام، فالأول يعرف منه الاحتراز في الإفادة، لتمام المراد من المعنى؛ عن الخطأ في كيفية التركيب، وفي دلالة المركب على قيد من قيودها؛ وهو علم المعاني، والثاني يعرف منه الاحتراز عن الخطأ في التركيب، ممّا دلّته غير وافية، بتمام المراد من وضوح الدلالة أو خفائها؛ وهو علم البيان، والثالث تعرف منه توابع البلاغة، من طرق الفصاحة؛ وهو علم البديع، وهو تقسيم على شاكلة ما جاء عند السكاكي.

ثمّ إنّه يعرف علم البيان قائلاً: "وهو معرفة إيراد المعنى الواحد، بطرق مختلفة بالزيادة؛ في وضوح الدلالة وبالنقصان، ليحترز بذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه"³.

إنّ صاحب المصباح، يقصر تأليفه على نوع من أنواع علوم الأدب، وهو علم البلاغة الذي يطالعك على إعجاز نظم القرآن، ولقد أفاد كثيراً من القسم الثالث؛ من كتاب مفتاح العلوم، فرام في تأليفه التحقيق وحسن التهذيب وجودة الترتيب، فتجنّب الألفاظ من المطوّلات، وتضييق المعاني، وغموض المختصرات، وقد وُقّق لحدّ بعيد في مرمّاه.

¹ - القاضي أبو بكر الباقلاني 338 هـ - 402 هـ، هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم القاضي أبو بكر الباقلاني البصري، الملقب بشيخ السنة، ولسان الأمة، المتكلم على مذهب أهل السنة والجماعة، وأهل الحديث وطريقة أبي الحسن الأشعري، أحد كبار علماء عصره انتهت إليه رئاسة المذهب الأشعري، وإليه انتهت رئاسة المالكية في وقته. (ينظر: الوافي بالوفيات للصفدي: ج 3 ص 177).

² - أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن مالك الطائي 640 هـ - 686 هـ. هو نحويّ من الشام، يعدّه المؤرّخون من رجال المدرسة النحوية في مصر وبلاد الشام، اشتهر بشرح ألفية أبيه ابن مالك، وظلّ ابن الناظم في منصبه حتى تُوفّي في دمشق يوم الأحد الثامن من محرم سنة 686 وهو في الأربعين من عمره. (ينظر: محمد باسل السود، ترجمة ابن الناظم، نُشرّت في مقدمة تحقيقه لشرح ابن الناظم لألفية ابن مالك. دار الكتب العلمية، منشورات على ببيزون - بيروت. الطبعة الأولى، ص 200؛ عمر رضا كحالة. معجم المؤلفين. مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي. الجزء الحادي عشر، ص 239).

³ - ابن الناظم: بدر الدين بن مالك، المصباح في المعاني والبيان والبديع، تح: حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب، مصر، ص 103.

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

ونستبعد أن يكون ابن الناظم أفاد من شروح المفتاح وتلخيصاته التي وصلت إلينا، فزمن وفاته لا يبعد عن زمن وفاة السكاكي، بل كان تلخيصه وشرحه هو أوّل تلخيص للمفتاح وصل إلينا، وإن كنا وجدنا في هوامش المصباح، شواهد نسبت للقزويني، لكن نستبعد أن يكون ابن الناظم أفاد منه لاستحالة الزمن بينهما، فهو أسبق من الخطيب القزويني زمنياً، إنّها إضافات المحقق فقط، لكن هناك أمر ذي رتبة، ففي مقدمة المصباح يشير ابن الناظم لسبب تأليفه؛ كعادة أهل اللغة من السابقين واللاحقين، قائلاً: "على أيّ لم أبلغ بمقدار لفظه حجم أدنى المطوّلات، ولا بالتضييق على معانيه؛ غموض أكثر المختصرات"¹. وهذا القول يشير لوجود مختصرات وشروحات للمفتاح قد رآها ووصلت إليه، والسؤال الذي يطرح نفسه، أين هي تلك الشروحات والملخصات، وقد وصل إلينا شرحه هو الأوّل؟ وهل يعقل أن تسبقه شروحات للمفتاح مع أنّ الفارق الزمني بين وفاته ووفاة السكاكي ستون سنة فقط. مع العلم أنّ ابن الناظم لم يعمر كثيراً، فقد وافته المنية في سن مبكّر؛ لم يتجاوز الأربعين سنة، إنّ هذا يجرنا إلى تخمين، لا ندرك مدى حقيقته، بقدر ما هو تحليل منطقي للقضية، بعد بحث وتنقيب.

وعلى أساس كل هذا نقول: أنّ السكاكي قد ألف المفتاح وتلقته الأمة بالقبول، فشرحوه وخصوه، ومن المحتمل أن يكون الكتاب في آخر حياته، ويحتمل أيضاً أن يكون في بداية عهده في التصنيف، وهذا أجدر منطقياً، لما فيه من متسع الوقت لأصحاب الشروح والتلخيص، مما جعل ابن الناظم في سنّ ما دون الأربعين يضع تلخيصاً للمفتاح، وفي زمن ليس ببعيد عن زمن السكاكي؛ والذي يقدر بعشرين سنة بين وفاة السكاكي وميلاد ابن الناظم، وإذا اعتبرنا أنّ ابن الناظم ألف هذا الكتاب في آخر حياته، وقد دامت حياته أربعون سنة فقط، وألف السكاكي المفتاح في آخر حياته أيضاً، إذن فالزمن بينهما ليس ببعيد، وعليه فالزمن الذي استغرقت فيه التلخيصات والشروحات قبل ابن الناظم، تقدّر حوالي ثلاثين أو أربعين سنة على أكثر تقدير، فنجد ابن الناظم يعيد تلخيصه بناءً على ما وجد في الساحة، من تلخيصات وشروحات.

¹ - ابن الناظم، المصدر نفسه، ص 3.

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

ومن ثم فإننا نقرّر أنّ ابن الناظم ليس هو أول من أفاد من المفتاح؛ كما ذكر ذلك بدوي طبانة¹، فما صرّح به ابن الناظم في مقدمته، يجعلنا ننفي رأي الباحث، والحقيقة أنّ الكثير من مؤرخي² البلاغة؛ لم يقفوا عند عمل ابن الناظم، موقف تحليل وتنقيب، وما التفتوا لهذه القضية، وحتى محقق المصباح بحد ذاته لم ينتبه لهذا الأمر، وما عرّج لهذه القضية لا من قريب ولا من بعيد؛ والتي نقرّ بأنّها قضية تحتاج لمزيد تأمل وتمحيص، فأين هي الشروحات التي سبقت ابن الناظم؟ وقد صرّح ابن الناظم بأنّه تجنّب طريقته ومسلكتها، هل ضاعت واندثرت؛ وغدر بها الزمن؛ كما ضاع معها كتابه الآخر في البلاغة؟ أم هناك أسباب خفية وراء ذلك ما زلنا نجهلها؟

لقد ذكر أنّ لابن الناظم؛ كتابا آخر في البلاغة، أكبر من المصباح، عنوانه ب (روضة الأذهان) قد ضاع، وما رآه صاحب الوافي بالوفيات، حين تعرّض لترجمة ابن الناظم، ومع أنّ ابن الناظم نفسه؛ لم يشر في كتابه المصباح، لهذا الكتاب الذي نُسب إليه، ولم يُذكر فيه أيضا؛ أنّه اعتمد على مفتاح السكاكي، بل إنّ تصنيفه لعلوم الأدب، وتقسيمه الثلاثي لعلم البلاغة، يوحى بتأثره بالسكاكي، والمحقق اعتمد على ما قيل حول تصنيفاته، وأنّه ألّف المصباح واختصر فيه معاني وبيان المفتاح، كما أنّ له شروحات أخرى، كشرح ألفية والده، وشرحه لكافيته ولاميته، ربما هذا يجعلنا نتوقع شرحه للمفتاح بكل أريحية.

¹ - هو بدوي أحمد طبانة، أحد أبرز علماء اللغة العربية المعاصرين، ولد الدكتور بمدينة الشهداء بمحافظة المنوفية بمصر في الثامن من سبتمبر 1914م، حفظ القرآن الكريم وتخرج من كلية دار العلوم في اللغة العربية وآدابها سنة 1938م، حصل على الماجستير سنة 1951م من جامعة القاهرة في النقد الأدبي والبلاغة، ثم حصل على الدكتوراه في عام 1953م، تقلد عدة مناصب بالجامعة ونال جائزة الدولة التقديرية في الآداب والفنون سنة 1996م، له عدة مؤلفات منها: التيارات المعاصرة في النقد الأدبي؛ قدامة بن جعفر والنقد الأدبي؛ أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية؛ البيان العربي وهو دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها، توفي في شهر فبراير عام 2000م. (ينظر: [موقع ويكيبيديا](#)). ذكر الباحث أن هناك تلخيصات وشروحا للمفتاح، أولها (المصباح في اختصار المفتاح) عندما نسب لابن الناظم كتاب المصباح بهذا العنوان (ينظر: بدوي طبانة: [البيان العربي](#)، المرجع السابق، ص 364).

² - فشوقي ضيف في كتابه (البلاغة تطور وتاريخ) لم يشر لهذا الأمر أيضا، مع أنّه تعرّض للحديث عن ابن الناظم، وكذلك رجب البيومي في كتابه (خطوات التفسير البياني) لم يقف على ابن الناظم أو كتابه.

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

إنَّ محقق المصباح يصرح بأمر ذي بال، وهو أنَّ ابن الناظم توسّع في ذكر شواهد لم يوردها السكاكي في المفتاح، مع اعترافه الكامل بأنَّ مصدر المصباح هو المفتاح، فهل يعقل أن يضع ابن الناظم مختصراً على المفتاح، ثم يورد شواهداً لم يذكرها صاحبه؟

وكذلك يذكر المحقق؛ بأنَّ ابن الناظم تأثر بمن سبقه من العلماء، أمثال قدامة بن جعفر، وابن رشيق القيرواني، وبالعسكري¹ (ت365هـ)، وابن الأثير² (ت673هـ)، وابن أبي الأصعب في تعريفه للمصطلحات، وفي المقابل كان المصباح؛ عمدة ومصدر العلوي³ في كتابه الطراز، واستفاد منه القزويني أيضاً.

وبعد هذا التحليل المنطقي، فإنني أعلن بكل موضوعية، أنَّ الأمر يحتاج لوقفة أكبر، وبحث دقيق، وعمل جاد، وجهد مخلص، للتدقيق في المسألة، فكل هذه الحثثيات تجعلني لا أسلم للأمر بهذه السهولة، فكيف يضع ملخصاً للمفتاح ثم يأتي بشواهد أخرى؟ ثم إنَّ قوله في مقدمته بأنَّه تجنب فيها مزالقات الشروحات، فهل كان يقصد شروحات المفتاح التي سبقته؟ أم كان يعني بها شروحات أخرى لكتاب بلاغي آخر؟ وأين هي تلك الملخصات التي اطّلع عليها ابن الناظم؟ وما هو مصدره الحقيقي في كتابه المصباح؟ هل مصدره المفتاح؟ أم شروح ضاعت للمفتاح؟

1 - الحسن بن عبد الله بن سهيل، أبو هلال العسكري: الأديب اللغوي، تلميذ الحسن بن عبد الله بن سعيد، أبو أحمد العسكري، وله مصنفات جليلة منها، كتاب (الأوائل) وكتاب (الصناعتين) وكتاب (التلخيص) في اللغة، جليل على اختصاره. ينظر، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، ص 148.

2 - أبو الفتح، نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب. ولد في جزيرة ابن عمر سنة 558هـ، وتعلم بالموصل حيث نشأ أخواه المؤرخ علي، والمحدث المبارك. كان قوي الحافظة، من محفوظاته شعر أبي تمام، والمنتبي، والبحري، ومن مؤلفاته: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، والوشي المرقوم في حل المنظوم، والجامع الكبير في صناعة المنظوم والمنثور، توفي سنة 637هـ (ينظر: الأعلام: الزركلي، ج7، ص 31)

3 - هو يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليميني من ملوك اليمن، يتصل نسبه بالحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ولد يحيى بن حمزة العلوي في صنعاء في 27 من صفر سنة 669 هـ واشتغل من أول عمره بتحصيل أنواع العلوم حتى بلغ فيها مبلغاً كبيراً، اشتهر بكثرة التصنيف للكتب في الموضوعات المختلفة في الحديث والأصول والفقه والبلاغة والمنطق والادب واللغة والتصوف، وكانت وفاته في حصن هران، قبلي (2) ذمار سنة 745 هـ. (ينظر: البدر الطالع ج 2 ص 288).

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

وإن كنا بعدها سندعن لرأي من قال أنّ المفتاح مصدر للمصباح، - بتحفظ في القول-، مع يقيننا بوجود ملخصات أخرى، اعتمد عليها ابن الناظم، وبيّنة ذلك عندنا هو قول ابن الناظم نفسه، وهذا دليل قوي، يقطع الشك باليقين.

وعليه فإننا نجد ابن الناظم، يتابع رأي السكاكي؛ حينما ذكر أنّ إيراد المعنى بهذه الطرق، أي بالدلالات الوضعية غير ممكن، وإتّما يمكن بالدلالات العقلية، وقسمها إلى ثلاث أقسام، دلالة الشيء على جزئه، ودلالة الملزوم على اللازم، ودلالة اللازم المساوي على الملزوم، ويعتبر في اللزوم أن يكون مما يثبت العقل، أو اعتقاد المخاطب لعرف أو غيره، وكذا في المساواة، وإقامة اللازم المساوي مقام الملزوم، على وجه لا ينافي الحقيقة، وإقامة ما سواه مقام متعلقه مجازاً. ويقول في موضع آخر من كتابه "هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة، في وضوح الدلالة عليه" ¹.

ثم إنّه بهذا الحدّ يذهب إلى أن علم البيان يقصد منه الاحتراز عن التعقيد المعنوي فلا يطلب فيه إلا وضوح الدلالة، مستلهما هذا من فكرة ابن الرشيقي القيرواني كما عرّجنا عليه سابقاً، وقد تأثر ابن الناظم به كثيراً كما قرّر محقق المصباح، وقد وقفنا عليها الآن في هذا الموضع يقيناً.

ويقول معقّباً: واختلاف الطرق هي التي يتمايز بها البلغاء، فكلّ تركيب بليغ، هو نسيج وحده، أي أنّه نسج من الكلام لا يطابقه نسج آخر، وإن أشبهه في المعنى.

فالبلاغة من زاوية نظره، لها وجوه مرجعها إلى الاحتراز عن الخطأ، كما أنّ لها طرفان، طرف أعلى وهو حدّ الإعجاز وما يقرب منه، وأسفل وهو مبدأ البلاغة والقدر الذي إذا فات الكلام منه شيء التحق بأصوات الحيوانات، وبين الطرفين مراتب تكاد تفوت الحصر²، كما أنّه أشار إلى أمر هام، يعود لاختلاف النسج الذي يتمثل في الأسلوب، وهو الفارق الجوهرى للتمايز في الكلام البليغ عنده، فحتى ولو كان المعنى واحداً فإنّ الأسلوب هو الذي يصنع الفارق.

وحين استقرّت مصطلحات البلاغة، نجد التنوّخي³ (ت692هـ) يتحدث عن البيان بقوله: الفصاحة البلاغة والبيان، ألفاظ تشترك في كثير من المعاني، ويختص كل واحد منها بما ليس للآخر،

¹ - ابن الناظم: المصباح في المعاني والبيان والبديع، المصدر السابق، ص2.

² - ابن الناظم: المصدر السابق، من ص 3 إلى 5.

³ - أبو القاسم علي بن محمد بن داوود بن إبراهيم التنوّخي الأنطاكي (ذو الحجة 287هـ/ 342هـ) هو أديب وكاتب وفقه وشاعر ولغوي عاش في العصر العباسي، في مدينة أنطاكية في شهر ذي الحجة من عام 287هـ، نشأ وتلقّى مبادئ الفقه الحنفي، وكان

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

فالفصاحة أصلها الخلوص من الشوائب. وهي أعمّ من البيان من وجه، والبيان أعمّ من الفصاحة من وجه، لأنّ البيّن قد لا يكون كلاماً، والخالص من الشوائب قد لا يكون بيّناً، وكذلك البلاغة، فهي تتعلّق بالمعنى فقط، وهي أنّ يبلغ المعنى من نفس السامع مبلغه، ومّا يعين على ذلك الفصاحة، فالبيان أعمّ من كلّ واحد من الفصاحة والبلاغة، لأنّ كل واحد منهما من مادته، وداخل في حقيقته، ولذلك قلنا: علم البيان، وتكلّمنا فيه في الفصاحة والبلاغة وغيرهما، ولم يوضع علم للفصاحة ولا علم للبلاغة¹.

يمكننا أن نستشف من خلال كلام التنوخي، أنّ البيان أعمّ من الفصاحة والبلاغة، وتلك حقيقة لها ما يدعمها، وقد أصاب كبد الحقيقة بلا منازع، وحتى وإن كان هناك من يقول بترادفهم، فيطلقون البيان على البلاغة، وذلك لأنّ دلالة المصطلحين تنطلق من منطقة مشتركة، وهي التعبير الفصيح المعرب عمّا في الضمير، ولا شك أنّ للبلاغة بعلمها الثلاثة، علاقة أكيدة بكيفية ذلك التعبير، وهذه القضية كانت وما زالت مثار جدال ونقاش حاد، بين علماء اللغة والبلاغة، فمنهم من يرى بشمولية البلاغة، لأنّها تحمل معنى الإبلاغ، ورأى أحد الباحثين² أنّه رأي الجاحظ في كتابه البيان والتبيين، وتابعه في ذلك تمام حسان³ من المعاصرين، لكننا لا نوافقهما فيما ذهب إليه، فالجاحظ كما رأينا سابقاً؛ جعل البيان شاملاً لكلّ الدلالات، وفرّق بين البيان والبلاغة من خلال إيراد لقول العتّابي وتعقيبه عليه، ومنهم من يرى أنّ البيان أشمل وأوسع، وهو رأي بدوي طبانة في كتابه البيان العربي، مستلهما هذا المعنى من جهود رواد الإعجاز.

ثم إنّنا نجد ضياء الدين بن الأثير لا يبعد عما جاء عند التنوخي، فيرى أنّ علم البيان هو الفصاحة والبلاغة، يقول بهذا الصدد: "إنّ موضوع علم البيان هو الفصاحة والبلاغة، وصاحبه يسأل أحوالهما اللفظية والمعنوية، وهو النحو. يشتركان في أنّ النحوي؛ ينظر في دلالة الألفاظ على المعاني، من جهة الوضع اللغوي، وتلك دلالة، وصاحب علم البيان ينظر في فضيلة تلك الدلالة وهي دلالة خاصة،

علماً بالحدّيث والفقّه والهندسة والفلك واللغة والنحو، تُوفّي أبو القاسم التنوخي في البصرة في شهر ربيع الأوّل من عام 342هـ...
(ينظر: خير الدين الزركلي الأعلام. دار العلم للملايين - بيروت. ط5 - 2002. ج5 ص: 288).

1 - التنوخي: محمد بن محمد، الأقصى القريب في علم البيان، مطبعة السعادة، 1327هـ، القاهرة- مصر، ص 33.

2 - عمار ساسي، الإعجاز البياني في القرآن الكريم، المرجع السابق، ص 158.

3 - عالم نحوي عربي ومؤرخ مصري، ولد في 27 يناير 1918م، صاحب كتاب اللغة العربية معناها ومبناها؛ الذي وضع فيه نظرية خالفت أفكار النحوي الكبير سيبويه، يعدّ أول من استنبط موازين التنغيم وقواعد النبر في اللغة العربية، عميد كلية دار العلوم الأسبق وأستاذ علم اللغة الحائز على جائزة الملك فيصل العالمية في اللغة العربية والآداب عام 2006م، من مؤلفاته: مناهج البحث في اللغة، مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن، توفي في 11 أكتوبر 2011م.

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

والمراد بها أن تكون على هيئة مخصوصة من الحسن، وذلك أمر وراء النحو والإعراب، ومع ذلك فإنه لا يفهم ما فيه من الفصاحة والبلاغة¹.

إن ابن الأثير ساق تعريفه، على حسب طبيعة موضوع مؤلفه، إذ جعل علم البيان صناعة تأليف الكلام من المنظوم والمأثور، فعالم البيان من وجهة نظره؛ هو الأديب الذي ينظم الشعر ويصوغ النثر، عارف بجهات التفاضل، والتفاوت بين أساليب الأدباء، كما أنه يجعل التميز في الدلالة الخاصة، التي يفهمها متذوق البيان، لا في الدلالة العامة؛ التي يجيدها صانع النحو، وعالم البيان هو المتضلع في البلاغة والفصاحة.

وبمثل تلك النظرة الشاملة لمصطلح البيان، تألفها عند العلوي؛ صاحب (الطراز) الذي يقول: " فعلم البيان يقال فيه علم المعاني، ويقال علم البيان، ويقال له علم المعاني وعلم البيان جميعاً، فكل هذه الإضافات جارية على ألسنة علمائه في الاستعمال " ².

ويرى أنّ علم المعاني، هي المقاصد المفهومة من جهة الألفاظ المركبة، لا من جهة إعرابها، لأنّ المعاني إنّما تكون واردة في الكلمة المركبة دون المفردة، فإذا قلنا علم المعاني فالمقصود به علم البلاغة في أساليبها وتقاسيمها، والمفهوم من علم البيان هو الفصاحة، وهي مقصورة على الكلمة المفردة دون المركبة، فعلم المعاني وعلم البيان يرجعان في الحقيقة إلى علم البلاغة وعلم الفصاحة.

إنّ العلوي يجعل علم البيان خاصاً بالمفردة، وعلم المعاني خاصاً بالتركيب، وكلاهما متعلّق بأمر الفصاحة والبلاغة، كما أنّه ربط أمر البلاغة بالإعجاز القرآني، وتابع مسار رواد الإعجاز في ذلك، وهذا برأينا هو أصوب مسلك للبيان في تراثنا الأدبي.

ونلاحظ أنّ التنوخي وابن الأثير والعلوي، عادوا بالبيان لشموليته الأولى، ولعلاقته بالإعجاز، ولم يتابعوا منحى السكاكي ومن جاء بعده، إنّ هذه القفزة المتوثبة لم تلبث أن تغيب في غياهب التقليد، وتتدافع بين أمواج التلخيصات والشروحات؛ فأضحت البلاغة موعودة على مدى قرون متوالية. وأصبح

¹ - ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، (د ت ط)، دار نخضة مصر للطبع والنشر، القاهرة - مصر، ص 37.

² - يحيى بن حمزة العلوي: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ط: 1333هـ، مطبعة المقتطف بمصر، (ج1 ص 09).

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

علم البيان أسيرا لأغراض محدّدة، أجمع علماء البلاغة على حصرها، وتوسعوا في بسط أمثلة عليها، والإتيان بشواهد فيها.

إنّ علم البيان، بوصفه أحد علوم البلاغة الثلاثة، هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه، وهو يضمّ مباحث التشبيه، والحقيقة والمجاز، الاستعارة والكناية. ويتناول علم البيان إيضاح المعنى عن طريق الصورة من تشبيه واستعارة ومجاز وكناية، وهو في ذلك كلّه مراعى لمقتضى الحال، كي تصير المعاني فيه بمثابة الفصاحة في البلاغة، حتى أضحت الغاية الأولى لعلم البيان، هي التعبير عن المراد بصور مختلفة. وتأمل هذه المباحث والأغراض نجد أنّها يجمعها أسلوب المجاز، ذلك أنّ التشبيه يولد معنى متخيلا مجازيا، والاستعارة كذلك، وسائر مباحث البيان؛ إنّما تدور حول الأسلوب المجازي، وربما يتجاذب اللفظة معنيان؛ في كثير من الأحيان، فيكون المعنى في حال حقيقيا، ثم يكون مجازيا في حال أخرى، فمثلا لفظة (طغى) تعني ارتفاع الموج وهذا حقيقة، ثم تطوّر معناها فصار الظلم والتجبرّ واستخدمها القرآن الكريم بهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكِ فِي الْجَارِيَةِ﴾ (الحاقة: 11) فالطغيان هنا حقيقي¹، وكذا قوله تعالى: ﴿إِذْ هَبَّ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ (طه: 24). أي ظلم وتجبّر، وهو معنى مجازي، ويعرف هذا بدوران المجاز، أي: شيوع المعنى الحقيقي في استعمال اللفظة حيناً أو المجاز حيناً آخر.

وتلخيصا لما سبق فإنّ العلماء انطلقوا من المعنى اللغوي لدلالة البيان، وعلى إثرها حاولوا إيجاد حدّ مناسب، يليق بموضوعه ومجاله ووظيفته، فالجاحظ فرّق بين دلالة البيان العامة؛ التي تعني الفهم والإفهام، وبين الدلالة الخاصة؛ التي يكون التعبير فيها بكلام بليغ، فالبيان أعمّ من البلاغة من زاوية نظره، وابن وهب ربط البيان بالعقل، فبكليهما امتنّ الله على عباده، فوجوه البيان عنده؛ هي نفسها تجليات العقل ومظاهر نشاطه، ونجده في بيان العبارة يقف طويلا عند أساليب التعبير في اللغة العربية؛ والتي يقف عليها فهم الخطاب الشرعي، كما أنّ الرّماني أشار لمعنى قيمّ للبيان، يتمثّل في تميّزه في الإدراك، وهو أوّل من طبّق قضية التفاوت في البيان، وإن كان ألمح إليها إمام المفسّرين قبله، لكن ظهرت عنده جليّة واضحة بأدلة صريحة، حيث ربطها بالإعجاز القرآني، بفكرة عبقرية تعود لدلالة التأليف؛ التي تشبه خاصية الأعداد غير المنتهية، المفتوحة على مجال غير محدود، وعلى هذا المنحى سار علماء الإعجاز

¹ - صاحب الكتاب قال مجازي، وأظنه أخطأ سهوا فقط، مختار عطية: علم البيان وبلاغة التشبيه في المعلقات السبع، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2004، الإسكندرية- مصر، ص 18.

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

بعده واقتنوا أثره، واتخذ البيان على أيديهم شكلا آخر، ومفهوما خاصا، كان من بين أهمّ الدلالات التي اتصلت بصيغة البيان من الناحية الإعجازية والإبداعية على حدّ سواء، وبالتالي يعدّ عمله باكورة نظرية النظم؛ التي ترّبع على عرش الدرس البلاغي عند العرب.

وعليه يمكننا القول أنّ مصطلح البيان واسع لغويا، زبقيّ مصطلحيا، يحمل بين طياته شمولا تارة، ودقة تارة أخرى، يجمع دلالاته معنى عاما، كما يتفرع إلى معانٍ خاصة، فكان بحق أكثر المصطلحات العربية؛ تقاطعا وتمازجا في التعريف اللغوي، واستعمالا وتداولاً في المجال العربي، تميّعا وضبابية في الحدّ الاصطلاحي، فلقد أسهم العلماء من مفسّرين وأدباء ولغويين ونقاد وشعراء، عبر مختلف العصور الطوال، في بلورة معناه وضبط دلالاته وفهم مغزاه، وشقّت تلك الجهود القيّمة، طريقا مضيئا نحو فهم هذا العلم؛ الذي يهدف إلى إيصال المعاني بأبلغ صورة، وأنجع وسيلة، في أهيّ حلّة، فهو يبدأ من حيث ينتهي، وينطلق من حيث يقف؛ عند جمال التعبير ودقة العبارة وحسن التأثير.

ودلالة البيان التي تواترت في أذهاننا، وترسّبت في بلاغتنا، واقتصرّت على معنى واحد، باعتباره قسما ينتمي إلى علم البلاغة، ما هو إلا رواج؛ لتصنيف أتى به السكاكي.

المبحث الثالث: ملامح التفسير البياني من القرن الأول إلى القرن السابع الهجري

يستفتح أمين الخولي حديثه عن البلاغة بكلام ذهبي حول وهم سائد، وهو ما درج عليه الأقدمون، من التماس الأوليات، يعينون فيها شخصا أحدث كذا من المعارف، وقد أكثروا فيه حتى أفردوا المؤلفات باسم الأوائل¹، واعتدوا ذلك منهجا تاريخيا سديدا، فعُدوا من مبادئ العلوم تعيين واضح العلم، وراحوا يسمون لكل علم واضعا، يذهب بفضل ذلك كله، ينفرد بحق الابتكار والسبق المتفرد، وتبعهم في ذلك فريق من المحدثين، نقلوا ما أورده نقلا، واطمئنوا إلى فكرة تحديد أعمار العلوم وتعيين عصورها بأعوام يرقمونها وسنين يعدونها، ونسوا أو تناسوا نواميس الحياة، فما تظهر حقيقة من الحقائق في فجاءة، يظفر بها واحد من الناس، أو تنقدح في عقله انقداحا، ولا تتحقق ظاهرة من ظواهر حياة فكرة أو مادة، أو بحث على يد رجل بعينه، في يوم من أيام الله، يعتبر يوم ميلادها على الأرض... لأن ذلك يجري في مسارب خفية مستترة، يكون آخرها هذا الظهور المفاجئ، وذلك الوجود الذي يروونه بداية، على حين قد أجنثها قبل ذلك حنايا الرؤوس، وأنضجها تفاعل العقول، وهياها تعاون الأفكار، طال ذلك أو قصر، حسبما اقتضت الظروف في تدبير الحياة وتعاون القوى².

ومن هذا المنطلق، ومن خلال ما سبق، نقرر أنّ أي منهج خطّه صاحبه في شتى العلوم، ومنها التفسير، لم يكن وليد اللحظة ولا بنات الأفكار، إنّما كان ثمرة بحوث وزبدة عقول، وعلى هذا الأساس فإنّ التفسير البياني هو تطبيق عملي لمنهج خطّه أمين الخولي، وسأجعل هذا المنهج عمدي لاكتشاف الأفكار التي تأثرت فيها بغيره من السابقين؛ ولأستخلص القواسم المشتركة التي توحى بالتأثر قبل الانتقال لخطوة التجديد والتطوير.

لذلك قمت بدراسة كتابه (مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب) بتمعن وتمحيص، فكان نبراسا هاديا استنبطت منه مواطن التأثير لأدرك مراحل النشأة، ووقفت على عناصر التجديد لأدرك لمحات التطور، فكانت - بالنسبة لي - العملية عكسية، إذ درست المنهج الحديث لأفقه جيدا نشأته بدقة في القرون الأولى، فقد رأيت أنّ ما جاء في الدراسات السابقة كان

1 - من ذلك كتاب الأوائل لأبي هلال العسكري، والأوائل للسيوطي.

2 - ينظر: أمين الخولي: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، ص 78 - 79 (بتصرف).

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

جمعا لكل المؤلفات الأدبية، فلا تكاد تفرّق بين نشأة البلاغة ونشأة منهج التفسير البياني، ويعود هذا لعدم التمييز بينهما في الأساس، بينما يقتضي البحث السليم أن نعي الفروق الدقيقة بينهما، ونقف على نشأة هذا المنهج كعلم قائم بذاته، له ما يشترك فيه مع غيره، وله ما يميّزه عنهم.

المطلب الأول: عصر النبوة والصحابة

لقد ألف الدارسون حين يتحدثون عن تأريخ التفسير البياني؛ أن يتخطوا الفترة الأولى من صدر الإسلام إلى ما بعدها من مراحل، مبتدئين بالقرن الثاني الهجري؛ حين تمايزت العلوم ونضجت الفهوم. لكن الحقيقة أنّ القوم من الرعيل الأول إذ فاتهم الوقوف على المصطلحات البلاغية، فلم يفنهم جوهر هذه المصطلحات ومعانيها الدقيقة، فقد عرفوا بفطرتهم السليمة أساليب البيان، وأدركوا مواطن الإيجاز والإطناب، واهتموا بمراعاة مقتضى الحال، وفرّقوا بين الحقيقة والمجاز، وأشادوا بقيمة بلاغة الكلم والخطاب، فميّزوا طبقات الكلام والرجال، ووصفوا الشعراء بالألقاب وجعلوا لهم نقادا، وعقدوا للشعر ندوات وأياما وأسواقا، فاحتفوا بالكلمة الشجية وقدّسوا المعاني الندية.

كل هذا وذاك يؤكّد لنا اهتمام القوم بالبيان؛ قبل أن توضحه التعريفات وتحدّده الأقسام، وهذا ما يدفعنا إلى تلمس أصوله الأولى منذ العصر النبوي؛ حينما نزل القرآن الكريم على سيدنا محمد ﷺ وهو أبلغ القائلين وأبين الناطقين، فقد وكلّ الله إليه مهمة تبين هذا القرآن للناس، وقد قام بتلك المهمة على أتم وجه وأكمل صورة، ووقف عند مواطنه البلاغية؛ منها لما نزل قوله عزّ وجل في آية الصيام: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ فظن عدّي بن حاتم أنّهما الخيطان المعروفان، فقال له ﷺ بأثما سواد الليل وبياض النهار، منتقلا بالمعنى من الحقيقة إلى المجاز .

وحيثما نزل قول الله تعالى في سورة الواقعة: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ (82)

"فسر النبي ﷺ الرزق بالشكر" ¹ ، آخذا ذلك من سياق السورة الكريمة؛ التي تعدّد بعض النعم

التي اختص الله بها عباده، إذ قال تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴾ (58) ﴿ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْمَخْلُقُونَ ﴾ (59)

1 - الشاطبي: الموافقات، تح: أبو عبيدة مشهور آل سلمان، دار ابن عفان، ط1: 1417هـ/1997م، المملكة العربية السعودية، مج2، ص 114.

﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴾ (63) ﴿ ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾ ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴾ (68) ﴿ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴾ (69) ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴾ (71) ﴿ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴾ (72) . إذ أنّ المشركين يجحدون ما يعلمون من هذه النعم فوبخهم القرآن بقوله: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ (82) ، ففسر الرزق بالشكر، وهو من الحجاز المرسل في باب السببية والمسببية.

ولما نزل قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ءُولَئِكَ لَهُمُ ءَالَمُونَ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ (82) فشق ذلك على المسلمين فقالوا: يا رسول الله وأينا لا يظلم نفسه، فقال ﷺ ليس ذلك، وإنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه ﴿ يَبْنِي لَأَشْرِكَ بِٱللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (13) وتفسير الظلم بالشرك على سبيل الحجاز¹.

وعلى هذا الأساس نستطيع القول أنّ النبي ﷺ قد وضع البذور الأولى لهذا اللون من التفسير، كما وقد اعتنى بجمال القول، وأشاد بحسن البيان في الخطاب، فأوصى بإرشادات أدبية ذوقية، فكان ينهى عن التشادق والتفيهق في الكلام، وتكلف الأسجاع كالكهان، ولعل من بين صفات كلامه ﷺ والتي لها صلة بالبيان والتبليغ؛ قوله ﷺ (أوتيت جوامع الكلم)²، لكنها حملت على الإيجاز فقط وكأنّه عين البلاغة، وجمال العبارة وحده، بينما يرى أستاذه بأنّ جوامع الكلم أوسع مدلولاً مما قصرت عليه فهي، "جامعة لكل خصائص الكلام الرائع، والمنطق الرائع، فحديثه ﷺ جامع لصفات الحسن، وقد لفت المرأة حلؤ منطقته، فوصفت جانباً منه وقالت: كان (حلو المنطق، كأنّ منطقته خرزات نظم يتحدرن)"³، ليكون ﷺ قد رسم الخطوط العريضة للمنهج البياني، وهذا ما يدل على النشأة المبكرة لهذا اللون من التفسير.

1 - ينظر: محمد رجب البيومي، خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم، المكتبة الأزهرية: 1391هـ / 1971م، مصر، ص13، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب (الإيمان)، باب (ظلم دون ظلم)، رقم الحديث: 32، ص 6937.

2 - وفي رواية (أعطيت فواتح الكلم وجوامعه وخواتمه) وفي رواية (بعثت بجوامع الكلم) أخرجه البخاري في صحيحه، باب قول النبي بعثت بجوامع الكلم، رقم الحديث: 7273، ص 247.

3 - مصطفى شريقتن: أسلوب الالتفات في القرآن الكريم وأسراره، دار الخلدونية، ط1: 1430هـ/2009م، القبة - الجزائر، ص 62-63؛ أما رواية أم معبد ينظر: المستدرک علی الصحیحین، رقم الحديث: 4274، (ج 3 ص 10).

فإذا انتقلنا إلى الصحابة والتابعين لرأينا بذور التفسير البياني تنمو على يد من عرفوا بسليقتهم السليمة في فهم القرآن الكريم، فقد نزل بلغتهم وهم أعرف الناس به وبأساليبه البيانية التي لا تختلف عن أوجههم في القول- وإن كان القرآن الكريم أعلى طبقة منها- ومن بين القصص التي تؤكد ما ذكرناه، ما روي عن الفاروق أنه سأل عن معنى قول الله تعالى: (أو يأخذهم على تخوف) " فقام شيخ من هذيل ليقول أنّ هذه لغته، وأنّ معنى التخوف التنقص، فسأله عمر عن شاهد من أقوال العرب؛ ينبئ عن ذلك، فأنشد الهذلي قول القائل:

تَخَوَّفَ الرَّحْلُ مِنْهَا تَامِكًا قَرْدًا *** كما تَخَوَّفَ عُودَ النَّبَعَةِ السَّفْنُ¹**

فاستراح الفاروق لما سمع ذلك، وقال لأصحابه عليكم بديوانكم لا تضلوا، قالوا وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية، فإنّ فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم².

وبذلك يكون الفاروق قد رسم أول خطوة للتفسير اللغوي، قبل ابن عباس رضي الله عنه الذي اشتهر بهذا الصنيع، فلقد اعتاد الباحثون في تاريخ التفسير أن يجعلوه أول من قام بالرجوع لكلام العرب في شرح المفردات القرآنية، لكن حبر الأمة اشتهر به لكثرة التطبيقات التي نقلت عنه، والفاروق هو أول من استن ذلك استناداً لتلك الواقعة السابقة. أما فيما يخص تفسير حبر الأمة، فقد جاء في الرواية "بينا عبد الله بن عباس جالس بفناء الكعبة، قد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن، فقال نافع بن الأزرق³ لنجدة بن عويمر، قم بنا إلى هذا الذي يجترئ على تفسير القرآن، بما لا علم له به، فقاما إليه فقالا: إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا وتأتينا بمصادقة من كلام العرب، فإن الله تعالى إنّما أنزل القرآن بلسان عربي مبين، فقال ابن عباس: سلايني عما بدا لكما⁴، فسأله نافع

1 - التامك: السنام، والقرد: الذي تجعد شعره فكان كأنه وقاية للسنام، والنبع: الشجر للقصي والسهم، والسفن: كل ما ينحت به غيره، جاء في حاشية مخطوط الموافقات: يقول إن الرجل قطع من ناقته سناماً سمينا كما قطع القدوم شجرة النبع، ينظر (الموافقات: المصدر السابق، مج2، ص 140).

2 - ينظر: الشاطبي: الموافقات، المصدر السابق، مج2، ص 139-140.

3 - نافع بن الأزرق بن قيس الحنفي البكري. مؤسس فرقة الأزارقة إحدى فرق الخوارج. صحب عبد الله بن عباس أول أمره، ثم ثار على عثمان بن عفان، وأيد علياً بن أبي طالب. (ينظر: موقع ويكيبيديا).

4 - فهد الرومي: إتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري، رسالة لنيل شهادة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين، المملكة العربية السعودية، العام الجامعي: 1404هـ/1405هـ، ج1، ص 967-968.

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

عن أكثر من مئة وثماني وثمانين مسألة، أوردها الإمام السيوطي -رحمة الله تعالى عليه- في الإتيان، كما أوردها بنت الشاطيء¹ في كتابها (الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق).

ومن أمثلة ذلك ما روي أنّ نافع ابن الأزرق سأل ابن عباس رضي الله عنهما عن معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْبِيحُ﴾ فقال ابن عباس: لا تعرق فيها من شدة الحرّ، ولما سأله: وهل تعرف العرب ذلك؟ أجاب: نعم، أما سمعت الشاعر يقول:

رأت رجلاً أمّا إذا الشمس عارضت فيضحى، وأمّا بالعشيّ فيخصر²

والكلمة وحيدة الصيغة في القرآن الكريم، وهي من آية ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلًا بَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١١٨﴾ وَإِنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْبِيحُ ﴿١١٩﴾﴾ (طه: 119).

وسأله عن معنى قوله تعالى (سامدون) ما السمود؟ قال: لاهون، أما سمعت قول الشاعرة العربية³ وهي تبكي عادًا:

قيل قم فانظر إليهم ثم دغ عنك السمودا⁴

والكلمة وحيدة في القرآن مادة وصيغة وهي من آية ﴿أَفَإِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنْتُمْ سَعِيدُونَ ﴿٦١﴾ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴿٦٢﴾﴾ (النجم: 61)

1 - هي عائشة عبد الرحمان المكناة ببنت الشاطيء، الكاتبة المصرية والباحثة والمفكرة والأستاذة الجامعية في الأدب العربي، ولدت في مدينة دمياط في 06 من ذي الحجة 1331هـ الموافق ل 06 نوفمبر 1931م، تخرجت من كلية الأدب وتحصلت على الماجستير والدكتوراه، تزوجت أستاذها في الجامعة الشيخ أمين الخولي، أحد قمم الفكر والثقافة في مصر حينئذ وصاحب الصالون الأدبي والفكري الشهير ب: (مدرسة الأمناء)، لها كتابات قيّمة في الدراسات القرآنية، منها: (الإعجاز البياني للقرآن الكريم ومسائل ابن الأزرق) و (التفسير البياني للقرآن الكريم) و (القرآن وقضايا العصر)، توفيت ديسمبر 1998م؛ (ينظر: الموسوعة العربية، ج16، ص 08).

2 - ينظر: عائشة عبد الرحمن: الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، ص 331-332.

3 - هزيمة بنت بكر.

4 - المرجع السابق، ص 348.

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

ومن بين الشواهد التي تؤكد الوجهة البيانية في تفسير حبر الأمة، ما روى ابن جرير في تفسير قول الله عز وجل ﴿ أَيُّودٌ أَحَدَكُمُ، أَنْ تَكُونَ لَهُ، جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (البقرة: 266). أن عمر رضي الله عنه سأل الناس عن هذه الآية، فما وجد أحدا يشفيه، حتى قال ابن عباس وهو خلفه: يا أمير المؤمنين إني أجد في نفسي منها شيئا فتلفت إليه فقال: تحول هاهنا لم تحقر نفسك؟ قال: هذا مثل ضربه الله عز وجل فقال: أيود أحدكم أن يعمل عمره بعمل أهل الخير وأهل السعادة، حتى إذا كان أحوج ما يكون إلى أن يجتمه بخير، حين فني عمره واقترب أجله، ختم ذلك بعمل أهل الشقاء فأفسده كله، فحرقه أحوج ما كان إليه¹.

ويعتبر هذا الشاهد من باب الاستعارة التمثيلية، وقد ألمع إليها حبر الأمة بقوله البديهي: هذا مثل ضربه الله عز وجل، فقد كان على علم بأوجه الخطاب اللغوي، وإن فاته تقييد المصطلح، فلم يفته معرفة مقصدية الخطاب الرباني، كما أن تفسيره لسورة النصر بانتهاء الرسالة وإعلام الله سبحانه وتعالى لنبيه بانتهاء أجله كان شاهدا على براعته في استخراج الدلالات الحسية الخفية.

وعليه فإن الشواهد البيانية من تفسير ابن عباس رضي الله عنه كثيرة لا يمكن الاسترسال فيها، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على ثقل وزنه في الحقل الدلالي، حيث أن تفسيره كان مهذا لكل التفاسير التي جاءت من بعد، فلا يكاد يخلو أي تفسير من ذكر ابن عباس رضي الله عنه، كما أن تفسيره جمع المأثور والتفسير بالرأي المحمود، لأن أقواله لم تخلو من رأي سديد يستند لفهم قويم ومصدر موثوق، وقد ورث ابن عباس رضي الله عنه تفسيره طائفة من تلاميذه كمجاهد وعكرمة، فجاء مثلا تفسير مجاهد متأثرا بهذا اللون بصفة واضحة، وقد ذكر الباحث جملة منه في كتابه (معجم غريب القرآن) وبذلك يكون ابن عباس رضي الله عنه وتلاميذه؛ قد شكلوا مدرسة تفسير هامة، أصبحت نواة للتجاهات التفسيرية بعد عصر التدوين.

¹ - الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المصدر السابق، ج 5، ص 544/545.

المطلب الثاني: القرن الثاني إلى القرن الرابع الهجري

قبل عصر التدوين وانفراد العلوم بالتقنين، ظهرت ثلة من الأولين ساهموا بشكل فعال في تأصيل الدرس البلاغي العربي عن طريق المحاولات الأولى في الرياضة الأدبية والتذوق الفني والتقدير النقدي، وتلمس خصائص الإعجاز القرآني، أمثال بشر بن المعتمر¹ صاحب الكلام البليغ في الصحيفة، وابن المقفع بممارسته وتوجيهاته الأدبية، علاوة على ابتدائه للترجمة ونزعتة المنطقية النقدية. كل هذه اللمحات الفنيّة والأنشطة الأدبية ساهمت في نشأة البلاغة؛ وقد تشكّلت خصائصها وتبلورت مصطلحاتها في رحلة التنقيب والبحث على ملامح الإعجاز القرآني، لينتهي الأمر إلى استخلاص زبدة كل تلك الأفكار، مجسّدة معاً قضية (النظم) كما تعارف عليه القدماء أو الأسلوب باصطلاح المحدثين.

لم يمض القرن الثاني للهجرة حتى سطع نجم لامع في سماء الأدب الشامخ؛ بمؤلف أطبق شهرته الآفاق، إنّه كتاب (المجاز) لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت 211هـ) علامة أهل البصرة؛ والذي ألفه سنة (188هـ)، وهو كتاب يدور حول الغريب من الكلمات القرآنية، وتفسير هذا الغريب بالشعر وكلام العرب، وكذلك عرّج فيه للمسائل النحوية، "فإذا رجعنا إلى كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة، وجدنا فيه كثيراً من المسائل النحوية؛ التي دارت حول الكثير من الآيات القرآنية، ومن ثم فإننا نعتبر مجاز القرآن مصدر من مصادر النحو القرآني"².

ولنترك الإمام السيوطي يحدّثنا عنه، فيقول: "أول من صنّف في غريب القرآن؛ أبو عبيدة معمر بن المثنى، أخذ ذلك من أسئلة نافع بن الأزرق لابن عباس"³. كما أنّ صاحب (الفهرست) ذكر لأبي

¹ - هو أبو سهل الكوفي ثم البغدادي، شيخ المعتزلة، وصاحب التصانيف، كان من القرامبي الكبار، أخبارياً، شاعراً ومتكلماً، وله كتاب (تأويل المتشابه)، وكتاب (الرد على الجهال) وكتاب (العدل)، مات سنة عشر ومائتين 210هـ. (ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج10/ص: 203).

² - عبد العال سالم مكرم: القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، ط1: 2000، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة- مصر، ص 243، وهو في هذا الرأي يتابع الأستاذ إبراهيم مصطفى في كتابه (إحياء النحو).

³ - السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ص 210.

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

عبيدة كتاب (غريب القرآن) وعلى هذا الأساس رجّح صاحب كتاب (أثر القرآن) أنّ " اسمي مجاز القرآن وغريب القرآن كلاهما لكتاب واحد، هو (المجاز في تفسير غريب القرآن)"¹.

ومما يجدر بنا الوقوف عنده في هذا المقام هو لفظة (المجاز)، فليس المراد منها المجاز البلاغي؛ الذي يقابل الحقيقة، وقد يلتبس الأمر على كل قارئ للكلمة، إنّما كان يقصد بمجاز الكلمة، مدلولها الذي تشير إليه من حقيقة أو مثل أو تشبيه أو كناية، وما تتضمن من ذكر أو حذف أو تقديم أو تأخير، يقول ابن تيمية " وأول من عُرف أنّه تكلم بلفظ المجاز، أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه، ولكن لم يعن بالمجاز ما هو قسيم الحقيقة، وإنّما عنى بمجاز الآية؛ ما يعبر به عن الآية " ².

وتلك إشارة من ابن تيمية، يصنّف فيها كتاب (المجاز) ضمن كتب التفسير، وأما ما شاع على ألسنة المؤلفين³، كونه أوّل كتاب وضع في علم البيان فهو خطأ من دون شك، ونستطيع الاطمئنان لهذا الرأي " لما تشهد به القطعة المحفوظة منه في دار الكتب المصرية، باسم (تفسير غريب القرآن) تحت رقم: 586 تفسير"⁴.

ومما يزيد تأكيداً لهذا، ما يُرى عند إمام قريب العهد بعصر أبي عبيدة، حيث استعمل المجاز في هذا المعنى صريحاً، وهو صاحب كتاب (الكامل)، يقول: " ونذكر آيات من القرآن ربما غلط في مجازها النحويون، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ (البقرة: 185).

والشهر لا يغيب عنه أحد، ومجاز الآية فمن كان منكم شاهداً بلده في الشهر فليصم"⁵، فالمجاز هو ما يعبر به عن الآية، وما تبين به وتفسّر. وبقي هذا الاستعمال بعد ذلك بقرون، حتى تقرّر الاصطلاح البلاغي في كلمة المجاز أنّه قسيم الحقيقة، وما تردّد في كتاب (المجاز) من كلمات الكناية

1 - محمد زغلول سلام: أثر القرآن في تطور النقد العربي، دار المعارف، القاهرة- مصر، ص 38-39، وهو مخطوط مصوّر بكلية الآداب بالإسكندرية تحت رقم 3184، ويتبين لقارئه أنّه يبحث في معاني غريب اللغة واللفظ.

2 - ابن تيمية: الإيمان، ط1: 1325هـ، مكتبة الخانجي، ص 35.

3 - منهم المرحوم عبد العزيز البشري فقد التبست عليه الكلمة وردّ عليه أمين الخولي في مجلة الهلال سنة 1936، وكذلك الدكتور حفني شرف في مقدمة تحقيقه لكتاب (بديع القرآن لابن أبي الأصبغ المصري) سنة 1957.

4 - أمين الخولي: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، المرجع السابق، ص 86.

5 - أبو العباس المبرد: الكامل في اللغة والأدب، ط3: 1417هـ/1997م، دار الفكر العربي، القاهرة - مصر (ج2 ص 300-301).

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

والتشبيه والمثل والاستعارة يقصد بها شموليتها، وتناقلها علماء البلاغة فيما بعد بالتحديد، وهذا يؤكد أنّها عربية أصيلة، قبل أن تتأثر البلاغة بالفلسفة.

وبعد هذا العرض ننتقل لما جاء في كتاب (المجاز)، فعند قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ أُسِّسَ بُيُوتُهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أُسِّسَ بُيُوتُهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَاتَهَارَ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ﴾ (التوبة: 109)، نجد أبا عبيدة تتبّع الآية بالتحليل، وعدّها من مجاز التمثيل، حين قال: "ومجاز الآية مجاز التمثيل، لأنّ ما بنوه على التقوى أثبت أساسا من البناء الذي بنوه على الكفر والنفاق، فهو على شفا جرف وهو ما يجرف من الأودية فلا يثبت البناء عليه"¹، كما وقد اتسعت مقدمته الأولى لكثير من الأمثلة القرآنية؛ التي تعطيك لمحة بيّنة على أساليب العرب في الكلام، يقول: "ففي القرآن ما في الكلام العربي من الغريب والمعاني، ومن المحتمل من مجاز ما اختصر، ومجاز ما حذف، ومجاز ما كف عن خبره، ومجاز ما جاء لفظه الواحد ووقع على الجميع..."².

وبالتالي فقد ضمّ هذا السفر الجليل على معظم أفانين الأسلوب العربي، كما أنّه أقدم مؤلف حفظه التراث خاصا بغريب القرآن، سار فيه صاحبه وفق المنهج القرآني، بحيث تتبّع الآيات القرآنية حسب ترتيبها في المصحف، ليكون عمله فاتحة منهج التفاسير القرآنية فيما بعد، ولعلّ أوّل من أفاد من طريقتة هو إمام المفسّرين - الطبري.

مع نهاية القرن الثاني ومطلع القرن الثالث بدأت مرحلة جديدة، حيث اتسّعت الرقعة الجغرافية بسبب الفتوحات الإسلامية، كما أنّ إقبال معتنقي الإسلام على تعلم لغة القرآن بكل فنونها، قد فتح الباب على مصراعيه للعيش في كنف المجتمع الإسلامي، وكان أوّل مظهر من مظاهر الحياة الجديدة هو ازدهار حركة الترجمة، لينتج عن ذلك تلاقح مختلف العلوم وتمازج المعارف، وقد تأثر البحث البلاغي بتلك الثقافات المختلفة، وخاصة الثقافة اليونانية، فقد ترجموا من تلك الإغريقيات الكثير، وكانت السيطرة للمعلم الأوّل (أرسطو) في اختيار ما نقلوه من كتابي الخطابة والشعر، وكان لهذين الكتابين أثرا واضحا في البلاغة العربيّة.

1 - أبو عبيدة: مجاز القرآن، تعليق: محمد فؤاد سزكين، ط1: 1374هـ/1954م، مطبعة الخانجي بمصر، (ج1، ص 269).

2 - المصدر السابق، ص 48.

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

فأما كتاب الخطابة، يذكر أنه نُقل إلى العربية في منتصف القرن الثاني للهجرة، ويقال أن إسحاق بن حنين¹ (ت 298هـ) هو من ترجمه إلى العربية، وإن كان للكتاب نقل قديم قبل نقل إسحاق، فيكون الكتاب قد نقل إلى العربية في منتصف القرن الثاني الهجري، أو على الأكثر أواخره تزامنا مع كتاب (المجاز) لأبي عبيدة، على أكثر تقدير.

أما كتاب (الشعر) فمتأخر عن ذلك في النقل، إذ ترجمه أبو بشر² متى بن يونس (ت 328هـ) فهو إذن من منقولات القرن الرابع الهجري، أو بأصح تقدير من منقولات أواخر القرن الثالث للهجرة. وهو ضمن ما لخص ابن سينا³ في كتابه (الشفاء) من فلسفة أرسطو، وفي جزئه الخامس يقع هذان القسمان.

وبالرجوع إلى خطابة أرسطو، نجد أنه تصدّى لأبحاث بلاغية كثيرة، تكاد تكون جمهرة ما بأيدينا في درسنا البلاغي، فقد ذكر أنواعا كثيرة من فنونها الثلاثة، إلى جانب ذلك أبحاث في الأسلوب - بنسختها الأصلية- وهذه الأخيرة مفقودة من التلخيص العربي لابن سينا، وقد بين فيه قيمة الأسلوب وصفاته الخاصة، كل هذه الأبحاث وأشباهاها كانت بين يدي القوم فيما يتدارسونه باسم المنطق في آخر القرن الثاني الهجري، وهذا كاف وحده -دون تعليق ما- لبيان تأثير هذا المنطق في البلاغة ونشأة فنونها⁴، وبالتالي فقد أثرت الفلسفة بمنطقها في نشأة البلاغة، وقد كان أشدّ الناس عناية بالمنطق والفلسفة عامة أولئك المتكلمون، حيث انحصر عملهم بخلق المصطلحات البلاغية ضمن مناقشة مسائل الإعجاز.

¹ - ينتمي لقبيلة عباد العربية المسيحية. واعتنق الإسلام لاحقا وقد قال عنه البيهقي: «كان إسحاق بن حنين من ندماء المكتفي (289 . 295)، وقد حسن إسلامه، أصيب آخر أيامه بالشلل (الجالج) وتوفي في أيام الخليفة المقتدر بالله. (ينظر: موقع ويكيبيديا).

² - مترجم وفيلسوف نسطوري نصراني عاش في بغداد في زمن الخليفة الراضي بالله، وهو من أهل دير قنا الذي يبعد 94 كيلاً عن بغداد. انتهت إليه رئاسة المنطق في عصره، وتخرج على يديه يحيى بن عدي الفيلسوف المنطقي التكريتي -نزير بغداد- الذي أخذ مكانه في رئاسة المنطق بعد وفاته. (ينظر: موقع ويكيبيديا).

³ - أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا البلخي ثم البخاري المعروف بابن سينا، عالم وطبيب مسلم، اشتهر بالطب والفلسفة واشتغل بهما. ولد سنة 370 هـ (980م) وتوفي في همدان (في إيران حاليا) سنة 427 هـ (1037م). (ينظر: موقع ويكيبيديا).

⁴ - ينظر: أمين الخولي: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، المرجع السابق، ص 118.

ومن أشهر مؤلفات القرن الثالث الهجري، هو كتاب (البيان والتبيين) للجاحظ (ت 255هـ) وقد كانت لنا عنده وقفة سابقة، حينما أشرنا إلى مفهوم البيان من منظور البلاغة الجاحظية، يقول عنه أحد الباحثين "وخصّ الجاحظ في آخر حياته الأدب العربي بكتابه الثاني في الأدب: البيان والتبيين، وهو اختيارات أدبية صرف تحاول أن تتخذ صفة كتاب في البلاغة، وهي فعلا كتاب في البلاغة إلا أنّها جد فنية وغير منضبطة"¹، ولهذا يبدو كتاب (البيان والتبيين) موسوعة أدبية جمعت الكثير من المعارف، فكل قارئ ينهل منه ما يشاء حسب تخصصه أو ميوله، فالأديب يجد فيه ضالته، والناقد يجد فيه مصطلحات مجاله، والمتحدّث الكلامي يلقي صراعاته العقائدية، والبلاغي يقتطف من ثمار لمحاته الأسلوبية ما يبهره. ولذلك قيل عن الكتاب أنّه "ليس ذا استراتيجية محدّدة ومضبوطة، ومن هنا وجد فيه كل متحدّث مجالاً للقول"². والحقيقة التي لا تخفى علينا، أنّ للجاحظ الأسبقية بالتنبيه على إعجاز القرآن، من خلال تأكيد رأيه حول الوجه المعجز فيه وهو بلاغته، ويتجلى هذا الإعجاز - من وجهة نظره - في النظم القرآني، الذي يتجسّد في براعة اللفظ، وهي ألفاظ مختارة ومنتقاة بعناية فائقة، وحينما يشترك اللفظان في المعنى يكون أحدهما أحقّ من الآخر في الدلالة عليه "وبقدر الدقّة في إصابة المعنى يكون الفرق بين ألفاظ النّاس في كلامهم، وألفاظ القرآن في نظمه البالغ حدّ الإعجاز"³.

كما وقد ذُكر أنّه ألف كتاباً في هذا المجال أسماه (نظم القرآن)⁴، ويقصد بالنظم الخصائص البلاغية التي اختص بها أسلوب القرآن عن غيره من الأساليب، ليكون بذلك أوّل أديب يستخدم كلمة النظم دلالة على الأسلوب، وليكون أوّل من أفرد الإعجاز القرآني بمؤلف مستقل - وإن ضاع كما ضاعت أنفس كتب الموروث الإسلامي، وتأكيداً لكلامنا نفسح له المجال قائلاً "ولا بد من أن نذكر فيه أقسام تأليف جميع الكلام، وكيف خالف القرآن جميع الكلام الموزون والمنثور، وهو منثور غير مقفّى على مخارج الأشعار والأسجاع، وكيف صار نظمه من أعظم البرهان وتأليفه من أكبر

1 - أمجد الطرابلسي: نقد الشعر عند العرب حتى القرن الخامس للهجرة، ترجمة إدريس بلمليح، ط: 1993، دار تيقال للنشر، الدار البيضاء - المغرب، ص 59.

2 - محمد العمري: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ط: 2010، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء - المغرب، ص 189.

3 - عقيد خالد العزاوي: البيان في الإعجاز والتناسب في القرآن الكريم، ط: 1436هـ/2015م، دار العصماء، دمشق - سوريا، ص 52.

4 - هو كتاب ألفه للفتح بن خاقان وقد أشار إليه لكنه مفقود، رسائل الجاحظ 3: 287.

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

الحجج¹، وقوله هذا فتح المجال أمام رواد الإعجاز بعده، فقد أدار الباقلاني مؤلفه حول هذا المعنى، متبنيا فكرة الجاحظ في مباينة أسلوب القرآن لأساليب كلام العرب.

كما وقد فتح المجال للمعاصرين في تأصيل قضية الأسلوب بنظرية مستقلة، فقد ألمح للاتجاه الفني لدراسة أسلوب القرآن، مقرّرا ذلك رائد هذا المجال "ونحن في الحق لسنا مبتدعين في ذلك تماما، بل نجد نواة مثل هذه الأبحاث في الدراسة البلاغية القديمة، كالذي كتبه الجاحظ في بيانه عن صحة المعاني وفسادها، ومناسبتها للألفاظ ومناسبتها للسامعين"².

ومع نهاية هذا القرن نجد من أهم المؤلفات القرآنية، التي كانت مزيجا من الدراسات الأدبية والنقدية والعقائدية، هو كتاب (تأويل مشكل القرآن) لابن قتيبة الدينوري³ (ت 267هـ).

وقد اعتنى فيه بأسلوب القرآن، "لذلك يعدّ من الأولين، أصحاب المتفرقات والقوى المجهولة"⁴، الذين نجد عندهم البذور الأولى للتفسير البياني، فقد أثار في مقدمة كتابه آنف الذكر قضية الإعجاز، وهو يرى أنّ معجزة القرآن تكمن في نظمه وتأليفه، وعرج لآيات معينة أكدّ فيها وجهة نظره، كما وقد تحدّث عن اللغة العربية، ودافع على قضايا لغوية مثل قضية المجاز وتحدّث عن التشبيه والاستعارة والتكرار وغيرها من المسائل اللغوية المهمة، ولذلك تلمس من كتابه الطابع اللغوي، وكان هدفه رد الشكوك المثارة حول القرآن، وصد المطاعن عنه والدفاع عليه.

وفي القرن الرابع تتضح الرؤية المنهجية وتتجلى في دراسة البلاغة؛ مع أبي هلال العسكري بكتابه (الصناعتين)، ويقصد به صناعة الشعر وصناعة الكتابة، وانطلق من أفكار الجاحظ شارحا فكرة الخطابة، ومع ذلك لم يكن مجرد جمّاعة للآراء بالنظر إلى انتفاعه بعمله من جهة؛ وعمل ابن المعتز⁵

1 - الجاحظ: البيان والتبيين، 1: 383.

2 - أمين الخولي: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، المرجع السابق، ص 129.

3 - محمد عبد الله بن مسلم الدينوري النحوي اللغوي، المولود سنة (213هـ)، صاحب كتاب (المعارف) و(أدب الكاتب)، المتوفى في ذي القعدة سنة السبعين وقيل إحدى وسبعين وقيل أول ليلة في رجب وقيل منتصف رجب سنة ست وسبعين ومائتين والأخير أصحّ الأقوال، (ينظر: أحمد تيمور باشا، ضبط الأعلام، ط1: 1366هـ/1947م، ص 123).

4 - ينظر: أمين الخولي: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، ص 102 (بتصرف).

5 - هو عبد الله بن المعتز 249هـ - 296هـ / 861 م - 908م، الخليفة العباسي، ولد في بغداد ونشأ فيها حتى استخلف المعتز، لقبوه بالمرتضى بالله غير أن خلافته لم تدم إلا يوما وليلة، اقتبس ابن المعتز آداب العرب وعلومهم من أبي العباس المبرد وأبي العباس ثعلب، فخرج شاعرا مطبوعا جيد القريحة، رقيق الألفاظ والمعاني، إلا أن ثقافته كانت عربية صرفا. (ينظر موقع ويكيبيديا).

من جهة أخرى، بل حاول التنسيق بين العاملين ومزج الرأيين لتكوين خلاصة هامة تكمن في تحديد المزية الأدبية.

وكان مدار البلاغة عنده يقوم على تحسين اللفظ¹، مضيفاً فيها الجديد من علم البديع وفنونه وطرائق التعبير، والبديع ليس المراد منه المفهوم الاصطلاحي المتأخر، بل يقصد به الجديد المبتدع من صور التعبير، التي يعنى بها الشعراء، متكاً في هذا على ما جاء عند الخليفة عبد الله ابن المعتز (ت296هـ) في كتابه (البديع) فممارسته الأدبية مادة قيمة تحتسب للمدرسة الأدبية البلاغية.

واقطفى صاحب الصناعتين أثره فتناوله أدبي أيضاً، لا تتميز فيه الفنون البلاغية على تقسيمها الأخير، كما وقد "انتبه إلى منهجي الدراسة في البلاغة، واختار منهما المنهج الأدبي"²، والذي حدّدت معالمه في العصر الحديث، وعلى هذا الأساس فبعدّ العسكري شخصية ذات شأن في حياة البلاغة وتاريخها.

ومع نهاية هذا القرن وصلنا أول كتاب يحمل عنوان الإعجاز، هو كتاب (النكت في إعجاز القرآن) للرماني (ت 386هـ)، ويذكر أنّ سبب تأليفه لهذا الكتاب، هو سؤال من أحد طلبته عن ذكر نكت³ في إعجاز القرآن، فهدف تأليفه كان تعليمياً ولم يكن ردّاً على الخصوم، وإن لوحظ عليه تناوله لقضايا الكلام ضمناً.

ثم إنّ الإعجاز يظهر عنده في سبعة أوجه: أولها ترك المعارضة مع توفر الدواعي، وثانيها أنّ التحدي جاء لكافة الناس، وثالثها بالصرفة⁴، ورابعها وأهمّها البلاغة، وخامسها الأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلية، وسادسها نقض العادة وهي مجيء القرآن على وضع لم يألفه العرب من قبل، وقد عرفوا الشعر والسجع وغيره ولكن هذا الأسلوب لم يألفوه، وسابعها قياس القرآن بكل معجزة، لأنّ كل معجزة خارقة للعادة معجزة للناس، مثل العصا وإحياء الموتى، وكذلك شأن القرآن الكريم كان معجزاً.

1 - ينظر: أبو هلال العسكري: الصناعتين: الكتابة والشعر، تح: مفيد قميحة، ط: 1981، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ص 73.

2 - أمين الخولي: المرجع السابق: ص 103.

3 - النكت يقصد بها المسائل اللطيفة والأفكار النادرة القيمة حول إعجاز القرآن.

4 - أي صرف هم الكفار عن معارضة القرآن وهو رأي النظام والمعتزلة عموماً.

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

ثم إنّه عرّف البلاغة بقوله: "ليست البلاغة إفهام المعنى أو تحقيق اللفظ على المعنى وإتّما هي إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ"¹ وهي عنده طبقات:

أولاً- كلام معجز تفرّد به القرآن.

ثانياً- الكلام في الطبقة الوسطى وهو كلام الفصحاء والبلغاء من الناس.

ثالثاً- الكلام في أدنى طبقة وهو كلام عامة الناس.

واعتبر القرآن معجزاً لأنّه في أعلى طبقة، فحتى البلغاء لم يستطع أحد منهم الارتقاء لدرجته، وربما أفاد في هذا التقسيم، من فكرة التقسيم الثلاثي للأسلوب عند اليونانيين، فهو سام ومتوسط وواطئ²، ثم جعل البلاغة في عشرة أقسام: هي الإيجاز والتشبيه والاستعارة والتلاؤم والفواصل والتجانس والتصريف والتضمن والمبالغة وحسن البيان³، ويستشهد لكل قسم بآيات من القرآن الكريم.

لقد احتلت البلاغة معظم صفحات الرسالة، حيث استغرقت أكثر من ثلاثين صفحة، واحتلت بقية وجوه الإعجاز حوالي أربع صفحات، من هنا رجّح صاحب كتاب (أثر النحاة في البحث البلاغي)، أنّ الرّماني قصد من وضع الرسالة، جعل البلاغة محور الحديث ومناطق القول، ولم يكن قصده الكلام في الإعجاز القرآني، بل جعل الإعجاز مدخلاً إلى بلوغ الغاية التي استهدفها، وهي البلاغة وبيان أقسامها في القرآن الكريم⁴.

وهي وجهة نظر نحترمها، لكننا نظن أنّ الرّماني يقصد أنّ إعجاز القرآن يكمن في بلاغته وهي الإعجاز الأوّل لها، أما بقية المعجزات المتعلقة به فهي عرضية تابعة للوجه الأوّل، لذلك نلاحظ تركيزه عليها أكثر من الوجوه الأخرى، وما كان قصده جعل الإعجاز وسيلة لتحليل أو لتأصيل الدرس البلاغي. وكل هذا يجعلنا نقرّر أنّ الرّماني اعتنى بقضية الأسلوب من خلال تلميحته للتفاوت بين

1 - الرّماني: النكت في إعجاز القرآن، المصدر السابق، ص 15.

2 - إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ط4: 1404هـ/1983م، بيروت- لبنان، ص 340.

3 - النكت في إعجاز القرآن، المصدر السابق، ص 70.

4 - عبد القادر حسين: أثر النحاة في البحث البلاغي، ط1: 1975، مطبعة نهضة مصر، القاهرة- مصر، ص 240.

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

أسلوب القرآن المعجز وأسلوب البشر، "وقدم في الإعجاز الأدبي والكلامي ما يعدّ في تاريخ هذه القضية"¹.

وثاني كتاب في (إعجاز القرآن) هو للخطّابي² (ت 388هـ)، وقد ركّز فيه على الإعجاز البياني، وتلّخصت نظريته في الإعجاز حول ثلاثي النظم، فلا بد للكلام - في رأيه - من عناصر ثلاثة:

أولاً - لفظ حامل.

ثانياً - معنى به قائم.

ثالثاً - رباط لهما ناظم.

وقد جسّد عناصر الإعجاز القرآني بقوله: "وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً وأشدّ تلاؤماً وتشاكلاً من نظمه، وأما المعاني فلا خفاء على ذي عقل أنّها هي التي تشهد لها العقول بالتقدّم في أبوابها والترقي إلى أعلى درجات الفضل من نوعها وصفاتها"³.

ولعل أهم ما جاء في رسالة الخطّابي، هو إشارته لوجه جديد من الإعجاز لم يسبقه إليه أحد - على حسب علمنا - وهو ما يعرف بالإعجاز التأثيري للقرآن الكريم⁴، وذلك حينما قال: "قلت في إعجاز القرآن وجهها آخر ذهب عنه الناس، فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس، فإنّك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منشوراً، إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في حال أخرى، ما يخلص من القرآن إليه"⁵. وهو وجه مهم غفل عنه الكثيرون، لكن استطاع علماء العصر تأصيله وبسط الكلام فيه، وبيان سمو هدفه وتوضيح مغزاه، فهو يدور حول أثر القرآن على النفس الإنسانية ووقعه عليها

1 - أمين الخولي: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، المرجع نفسه، ص 103.

2 - أبو سليمان حمّد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي الخطّابي الشافعي (319 هـ - 388 هـ / 931م - 988م)، المشهور باسم الخطّابي، محدث وفقه وعالم مسلم من كبار أئمة الشافعية. (ينظر: موقع ويكيبيديا).

3 - ينظر: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص 27.

4 - ينظر: البيان في الإعجاز والتناسب في القرآن الكريم، المرجع السابق، ص 84.

5 - بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح: محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول سلام، ط4: (د ت ط) دار المعارف، القاهرة - مصر، ص 64-65.

وما تجده من حلاوته وتستشعره من طلاوته، ومع ذلك فيراه البعض مجرد ملحظ لا يرتد في جملته إلا إلى الألفاظ والعبارات ووقعها على النفس، وذهب قوم آخرون إلى أبعد من ذلك حينما هموا باستخراج قضايا علم النفس ونظرياته من القرآن، تدعيماً للزعم الذي يدعي بأنه تضمّن كل شيء، لكن استطاع رائد المنهج النفسي للقرآن أن يستشف رأياً راجحاً يبعد هذين الفهمين، جاعلاً النظر الصائب إليه لا يتأتى إلا بإدراك ما استخدمه من ظواهر نفسية ونواميس روحية، أدار عليها بيانه مستدلاً وهادياً ومقنعاً ومجادلاً ومثيراً ومهدداً، فأصح ما يبنى عليه هذا التفسير هو القواعد النفسية¹.

ومن بين أعلام الإعجاز القرآني في نهاية القرن الرابع، نجد الباقلاني (ت 403 هـ)؛ الذي ركّز في كتابيه (إعجاز القرآن) و(الانتصار) على المقارنة بين فنون البيان في القرآن وبين كلام العرب؛ من خلال استعراض بعض السور القرآنية وتحليلها، واستعراض شعر امرئ القيس ونقده، وإظهار ما في قصيدته من عوار؛ مع الاتفاق أنه شيخ الشعراء وإمامهم. وهذا ليزر الباقلاني تفوق النظم القرآني على أجود الشعر وأبرعه، ويؤكد هذا فيقول: "وقد بيّنا في الجملة مباينة أسلوب نظم القرآن جميع الأساليب، ومزيّته عليها في النظم والترتيب، وتقدمه عليها في كل حكمة وبراعة"².

لقد فصل الباقلاني القول في إعجاز القرآن من جهة نظمه البديع وتأليفه العجيب؛ الذي تنهى به إلى الحد الذي عجز عنه الخلق، فبيّن أنّ هذا النظم يشتمل على وجوه أو بالأحرى معانٍ عشرة، وخلاصة تلك الوجوه - في رأينا - تدور حول التناسق والترتيب في نظم الكلام، وهذا ما اختص به الأسلوب القرآني عن غيره من الأساليب البشرية.

هذا وقد حدّد وظيفة الكلام قائلاً إنّه "موضوع للإبانة عن الأغراض التي في النفوس، فإذا كان كذلك، وجب أن يتخيّر من اللفظ؛ ما كان أقرب إلى الدلالة على المراد، وأوضح في الإبانة عن المعنى المطلوب"³، ملتقياً مع الرّماني في عدّ اللغة وسيلة هامة للإبانة لا غاية، ومع ذلك فلم يتوغل في قضية هامة؛ شغلت معاصريه أو مؤلفي إعجاز القرآن قبله أو من بعده، ألا وهي ثنائية اللفظ والمعنى، فلقد نأى بنفسه عن هذا الجدال، مما جعل أحد الباحثين يقرّر أنّه "توكأ كثيراً على سابقيه من أهل السنّة

¹ - ينظر: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، المرجع السابق، ص 152-153-154 (بتصرف).

² - الباقلاني: إعجاز القرآن: تح: أحمد صقر، دار المعارف (ط د ت)، مصر، ص 241-242.

³ - الباقلاني: إعجاز القرآن، المصدر السابق، ص 117.

والمعتزلة، دون أن يعرف كيف يؤسّس لنفسه موقفاً مستقلاً¹. لكنه رأي يجاني الحقيقة، فالباقلاني وازن بين الثنائيتين؛ حينما جعل المزيّة تكمن بهما معاً، يقرّر ذلك فيقول: "إذا وجدت الألفاظ وفق المعنى، والمعاني وفقها، لا يفضل أحدهما عن الآخر، فالبراعة أظهر والفصاحة أتم"². فالتفاضل من وجهة نظره يكمن في البراعة والفصاحة؛ أي براعة وضع اللفظ الفصيح للمعنى البديع، ثم إنّه أدار فكرة الإعجاز على الموازنة بين نظم القرآن، ونظم البشر في أعلى مستوياته البلاغية، لينقد الأخير ويظهر نقائصه، ويحتج به على دهريّة إعجاز القرآن، فظل يلهج بهذا في أكثر من موضع من كتابه، ليثبت لخصوم القرآن رأياً يؤمن به، حيث استطاع أن يجمع بين طريقة الأدباء وطريقة المتكلمين في دراسة أبواب البلاغة من خلال الاستدلال على إعجازية القرآن فقد "عرض في الإعجاز اتجاهات أدبية تصل ما بين الدراستين اتصالاً وثيقاً"³. ليكون كتابه من أهم مؤلفات النقد الأدبي.

كما وقد نلمح من دراسة الباقلاني لنظم القرآن والتدليل على إعجازه، أنّه يلفت النظر لقضية مهمة تتعلق بالوحدة والارتباط بين آيات السورة، يتضح ذلك من خلال تحليله لسورة النمل؛ التي بيّن فيها مدى ارتباط كل آية بأخرى، يفصّل ذلك أحد الباحثين قائلاً: "من أهم ما يسترعي النظر في منهج الباقلاني لدراسة القرآن اعتبار الوحدة الفنيّة؛ التي تتضمن موضوعاً واحداً، ويظهر هذا من تناوله بالتحليل سورة بتمامها، يتدرج فيها، ليظهر ما تنطوي عليه من خصائص في النظم، لا تقتصر على مجرد روعة استعارة أو بلاغة تشبيه، يرد في آية أو عبارة قصيرة، وإتّماً إعجازه منصب عليه جملة لا تفصيلاً"⁴. ليخلص إلى نتيجة مفادها أنّ القرآن الكريم هو المقياس الأوحد في التذوق الأدبي، وهو الذي يحتذى به في روعة الأداء وجمال النظم وسلامة التعبير، فأسلوبه يباين الأساليب، ومزيّته في النظم والترتيب تفضل جميع أقوال البشر.

وخلاصة الحديث، من أهم ما يميز هذه المرحلة الزمنية أنّها عبارة عن محاولات أولى لبناء بلاغة عامة، تستوعب الصورة الشعرية والوسائل الخطابية، بدءاً بالمستوى اللغوي للمفردات، وإظهار مدى فصاحتها وبيان معناها، ثم تتلوها وثبات الجاحظ ووقفاته عند ثنائية اللفظ والمعنى، ووسّع هذا الطرح

1 - علي مهدي زيتون: إعجاز القرآن وأثره في تطور النقد الأدبي، دار المشرق، ط2: 2009، بيروت - لبنان، ص 68.

2 - الباقلاني: إعجاز القرآن، المصدر السابق، ص 42

3 - أمين الخولي: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، المرجع السابق، ص 103.

4 - محمد زغلول سلام: أثر القرآن في تطور النقد العربي في آخر القرن الرابع الهجري، ط1: 1952، القاهرة - مصر، ص

وفصله من جاء بعده، انتهاءً بقضية الإعجاز وتأثيرها في الدرس البلاغي، فمن خلاله حدّدت وظيفة البلاغة وأغراضها، وبرزت مصطلحاتها ومسمياتها، لتكون مرحلة حاسمة في طريق تطور كثير من المفاهيم البلاغية.

المطلب الثالث: القرن الخامس إلى القرن السابع الهجري

حفلت هذه المرحلة الزمنية بثلاث رجال أشهر من نار على علم، فمنهم الأديب الأشعري الذي أسس النظرية البلاغية العربية، ومنهم الأريب المعتزلي الذي طبّق النظرية في التفسير، وكشف عن غوامض التنزيل، وثالثهم انتهت إليه إمامة الابتكار بالتقسيم البلاغي في مفتاح العلوم، واهتدى لفهم الإعجاز بالحقسّ الراقي المعلوم، وإليك بيان ما جاء عند اختيار هذا الزمن.

ولنبداً بالقرن الخامس؛ فمن أشهر أعلامه -عبد القاهر الجرجاني- (ت 471هـ) الذي سجل التاريخ الأدبي ذكره بحفاوة، فهو صاحب أشهر كتابين هما (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة)، واعتبره العلماء واضع علم البلاغة، لأنّه أسخى الكاتبين فيها قلمًا، وقد سخر قضية الإعجاز في تحليل وتأصيل الدرس البلاغي، كما وارتبط اسمه بأشهر نظرية عربية، ألا وهي -نظرية النظم-، ففي دلائل إعجازه أفاد من خير ما جاء به سابقوه، واستطاع لمّ شتات الدرر المتفرقة، وجمعها في عقد فريد لا يقدر بثمن، فأصلها بارقة ذكية من كل عالم، لكنه أتقن سبكها وأحسن رصفها وأجاد شرحها، فأضحت نظرية متكاملة المعالم.

وقد كثرت الدراسات حولها، وكان لأستاذي نصيب من هذه الأبحاث، وأجاد حينما تتبّع جذور نظرية النظم¹، مستخلصا نتيجة مفادها، " أنّ النظم ليس قسيما للألفاظ والمعاني، وإمّا هو منسّق لما بينهما، وفق الصورة الذهنية على القواعد العربية، بحيث لا يحدث إخلال لا بالمعنى المراد، ولا بالقواعد الصحيحة"².

1 - تحت عنوان (نظرية النظم ثمرة البحث في الإعجاز) من كتابه: أسلوب الالتفات في القرآن الكريم وأسراره، وهو بحث قيم مفيد.

2 - مصطفى شريقن: أسلوب الالتفات في القرآن الكريم وأسراره: المرجع السابق، ص 59.

وانطلاقاً من قوله نؤكد أنّ الجرجاني، أفضل من طبّق مسألة تعانق النحو والبلاغة في ترسية المعاني، وإن كان قد أشار لها سابقوه، وظهرت جلية عند أبي جعفر النحاس¹ كما ألمح أستاذه، ومع ذلك نجد ابن جني² في الخصائص سبقهم بفكرة ربط التفسير بعلم النحو، فقد عقد باباً بعنوان (تقدير الإعراب وتفسير المعنى) ويضع النقاط على الحروف قائلاً: "فإن أمكنك أن يكون تقدير الإعراب على سمّت تفسير المعنى، فهو ما لا غاية وراءه، وإن كان تقدير الإعراب مخالفاً لتفسير المعنى، تقبّلت تفسير المعنى على ما هو عليه، وصحّحت طريق تقدير الإعراب، حتى لا يشذ شيء منها عليك، وإياك أن تسترسل فتفسد ما تؤثر إصلاحه"³، ويؤكد وجهة النظر هاته فيقعّد في موضع آخر من كتابه باباً (في تجاذب المعاني والإعراب) فإن كان المعنى والإعراب متجاذبين، هذا يدعوك لأمر وذاك يمنعك منه، فعليك الإمساك بعروة المعنى والارتياح لتصحيح الإعراب، ثم أخذ يورد الأمثلة من القرآن الكريم، ليوضح هذا المبعث، الذي أوصاه شيخه أبو علي الفارسي⁴ على الالتزام به.

كما أنّ قدماء النحاة⁵ قد أولوا اهتمامهم بالوجوه البلاغية والأساليب البيانية في الكلام، وتعرّضوا لبعض الخصائص الأسلوبية؛ التي صنّفت فيما بعد ضمن علم المعاني، مثل التقديم والتأخير والتعريف والتكبير، والحذف والذكر، فكل هذا يؤكد ترابط علم النحو بالبلاغة العربية.

1 - هو أبو جعفر النحاس نحوي مصري، ولد بالفسطاط وأخذ النحو عن مشايخها، ثم رحل إلى بغداد وأخذ عن الزجاج والأخفش الأصغر والمبرد ونقطويه، وبعد رجوعه من العراق، تصدر النحاس حلقة النحو بالجامع العتيق بالفسطاط، ونافسه على رئاسة النحويين بمصر أبو العباس بن ولاد وكثيراً ما عُقدت المناظرات بينهما. أخذ النحاس الحديث عن الحسن بن غليب والنسائي، توفي بالفسطاط عام 338 هـ. (ينظر: معجم المؤلفين، ج1 ص 487).

2 - عثمان ابن جني، أبو الفتح النحوي، من أحذق أهل الأدب وأعلمهم بالنحو والتصريف، وعلمه بالتصريف أقوى وأكمل من علمه بالنحو، صنف الخصائص في النحو، سر الصناعة، شرح تصريف المازني، شرح مستغلق الحماسة، شرح المقصور والممدود، اللمع في النحو، المذكر والمؤنث، محاسن العربية، المحتسب في إعراب الشواذ، شرح الفصيح وغير ذلك، ومات سنة اثنتين 390 هـ، ينظر بغية الوعاة، ص 132.

3 - ابن جني: الخصائص، تح: محمد علي النجار، ط3: 1406م، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر (ج1، ص 384).

4 - هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الأصل، أبو علي، أحد الأئمة في علم العربية، ولد في فسا (من فارس) ودخل بغداد سنة 307 هـ، وتحوّل في كثير من البلدان، من مصنفاته: الإيضاح في العربية؛ التذكرة في علوم العربية (ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج16، ص 379).

5 - مثل سيبويه في (الكتاب)، والفراء في (معاني القرآن)، وهناك بحث قيم في هذا المجال بعنوان: (نماذج من التفسير البياني عند قدماء النحاة واللغويين)، أ-د/ خليل إبراهيم حمودي السامرائي، ط1: 1436 هـ/2016م، دار العصماء، دمشق - سوريا.

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

وهذا ما قصده الشاطبي¹ بقوله: "فسيبويه² وإن تكلم في النحو، فقد نبه في كلامه على مقاصد العرب، وأنحاء تصرفاتها في ألفاظها ومعانيها، ولم يقتصر فيه على بيان أنّ الفاعل مرفوع، وأنّ المفعول منصوب، ونحو ذلك، فهو يبيّن في كل باب ما يليق به، حتى احتوى على علمي المعاني والبيان، ووجوه تصرفات الألفاظ والمعاني"³.

وبذلك يكون الجرجاني قد أتى بفصل الخطاب في قضية الإعجاز القرآني⁴، فالإعجاز عنده في النظم فقط، أي حسن ترتيب الكلمات في الجملة، وجمال تناسقها مع بعضها، بحيث تكون كل كلمة في محلها المناسب لها، وهو يقوم على معاني النحو والبلاغة، ولا بد للنظم من ترتيب المعاني في النفس، ثم ترتيب الألفاظ في النطق، وهنا تظهر نزعة الأشعرية التي تتخذ موقفا خاصا من الكلام عموما، وكلام الله خصوصا، "فبعد القاهر - كما ترى - قد أحسن توظيف هذه القضية، وجعل منها إمدادا عمليا لتطبيقاته"⁵.

وفي مجال التفسير نجد من أهم تفاسير هذا العصر، تفسير الزمخشري (ت 538هـ) المعنون ب: (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) ويعدّ هذا التفسير البداية الحقيقية لتطبيق التفسير البياني، وذلك لعنايته الفائقة بأسرار اللغة ودقائقها، وإظهار وجوه الإعجاز البياني في القرآن الكريم، بطريقة فنيّة ساعدها عليه حسّه المرهف، وذوقه البلاغي الرائق، فعند

1 - هو إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي، الغرناطي، المالكي، الشهير بالشاطبي، (أبو إسحاق) محدث، فقيه، أصولي، لغوي، مفسر، من مؤلفاته: عنوان التعريف بأسرار التكليف في الأصول شرح على الخلاصة في النحو في أسفار أربعة كبار، الموافقات في أصول الأحكام، عنوان الاتفاق في علم الاشتقاق، والاعتصام، توفي: 790هـ، ينظر (معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، ص 77).

2 - سيبويه (148 هـ - 180 هـ / 765 - 796م) عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، يُكنى أبو بشر، الملقب سيبويه: إمام النحاة، وأول من بسّط علم النحو. أخذ النحو والأدب عن الخليل بن أحمد الفراهيدي ويونس بن حبيب وأبي الخطاب الأخفش وعيسى بن عمر، من آثاره: كتاب سيبويه في النحو. (ينظر: موقع ويكيبيديا).

3 - الشاطبي: الموافقات، ج5، ص 54.

4 - لقد استبعد الجرجاني كل ما قيل قبله من احتمالات حول الإعجاز، فليس الإعجاز في الحروف لأنه من المستحيل أن يكون لحروف الكلمات صفتان صفة داخل القرآن وصفة خارج القرآن، وليس الإعجاز في معاني الكلمات، ولا في تركيب الحركات والسكنات على كلمات القرآن، لأنه لم يكن مطلوباً منهم أن يأتوا بكلمات على وزن كلمات القرآن، ولا الإعجاز في القواطع والفواصل لأنهم كانوا ينظمون الشعر، ولا في خفة حروف القرآن لأن هناك كلمات ثقيلة الأحرف، مثل: "اثاقلتم" و"أنزلكمموها" و"ككبكبا" ... ولا في الاستعارات لأن كل آيات القرآن لا تحتوي على ذلك.

5 - مصطفى شريقن: أسلوب الالتفات في القرآن الكريم وأسواره، المرجع السابق، ص 31.

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

اطّلاعك عليه تتأكد من أسلوبه الأدبي الممتع، وكأن كل كلمة تنبض بالحياة، وكأن كل جملة تتقد بوهجها الخاص، لتشعرك بحرارة تدفقها في الكيان، ولا تجد كلمة تعبر بها سوى قولك: أنّ الزمخشري قد بث روحه في كتابه.

وتظهر النزعة الأدبية في التفسير بشكل جلي، كيف لا؟ وقد أتقن تطبيق نظرية النظم البياني؛ التي أرسى دعائمها عبد القاهر الجرجاني، فالأخير رسم الخطة وطبّقها في بضع آيات، وهو تولى التنفيذ ونال شرف التفسير؛ وخدمة الدرس البلاغي من خلاله، إذ فسّر وضبط المصطلحات، وقدم تحريجات نافعة، فنراه يسمي مباحث النظم بعلم المعاني، كما ذكر الباحث¹، على خلاف ما قد درج عليه المؤرخون، حين عدّوا السكاكي صاحب التسمية.

ولعلنا في هذا المقام نكتفي بوصف التفسير دون إيراد أمثلة، فهو أغنى من أن يدلّ عليه، كما أنّنا لم نعرّج على نزعة الكلامية أو مذهبه العقائدي، فقد كفيينا مؤونة ذلك، ولعل أهم جانب نشير إليه أو نضيفه، أنّنا وجدنا المفسّر المعتزلي يلفت الانتباه لقضية هامة غفل عنها السابقون، وأدرك مغزاها أرباب الفكر البياني، تتعلق بفهم الإعجاز الفني بالمعاني النفسية، فقد تكون اللّمة النفسية في المعنى القرآني أحسم لخلاف بعيد الغور، وهذا ما حدث في مثل قوله تعالى ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ (الشعراء: 195).

فقد ثار حول هذه الآيات خلاف، فهذا فريق يحتج بها على نزول القرآن بالمعنى لا باللفظ، ويرى أنّ اللفظ من عند الرسول ﷺ إذ لا ينزل على القلب إلا المعاني، وهذا الرأي مزلفة تقتضي إنكار إعجاز الألفاظ القرآنية.

أما الفريق الذي ينكر هذا النزول، يضطر إلى تناول النزول على القلب، ويبيّن أنّ مصدر العقل هو القلب والدماغ، وقد أورد الفخر الرازي في تفسيره² آراء القدماء والمحدثين وأدلة كل فريق، كما ويدي بدلوها فيها، فيؤثر أنّ القلب ليبيّن كيفية النزول على القلب، مع أنّ النزول باللفظ لا بالمعنى فقط، وتبقى المسألة مظلمة، قد سلك فيها آخرون طرقا ملتوية، ولم يقل أحد فيها القول الفصل،

1 - ينظر: رجب البيومي: خطوات التفسير البياني، المرجع السابق، ص 232.

2 - ينظر: الفخر الرازي: التفسير الكبير، (مج 24، من ص 165 إلى 168).

"إلا أنّ الزمخشري يدركه التوفيق، فيفطن من ذلك إلى خاطرة نفسية دقيقة، يكشف بها قتام الموقف، ويهون العضلة"¹، إذ يعلّق قوله تعالى (بلسان عربي مبين) بالفعل (نزل) ويجعل المعنى هكذا: (نزل به الروح الأمين على قلبك بلسان عربي مبين لتكون من المنذرين)

ثم يبيّن كيفية النزول على القلب، بلسان عربي مبين، فيقول: "ولو كان أعجمياً لكان نازلاً على سمعك دون قلبك لأنك تسمع أجراس حروف لا تفهم معانيها، ولا تعيها، وقد يكون الرجل عارفاً بعدة لغات، فإذا كلّم بلغته التي لقنها أولاً، ونشأ عليها وتطبع بها، لم يكن قلبه إلا إلى معاني الكلام يتلقاها بقلبه، ولا يكاد يفطن للألفاظ كيف جرت، وإن كلم بغير تلك اللغة، وإن كان ماهراً بمعرفتها، كان نظره أولاً في ألفاظها ثم في معانيها، فهذا تقرير أنّه نزل على قلبه (لنزوله بلسان عربي مبين)"².

لقد استطاع الزمخشري من خلال الفهم النفسي لحال المتكلم بلغته الأم، وحال المتكلم بغيرها، أن يكشف ظلمة الموقف، ويقرب المعنى للقارئ، بتصوير واقعي محسوس، يزيل عنه اللبس ويهون القضية بأبسط مثال، دون اللجوء لأدلة متشابهة تتحول إلى مسائل جدلية غير منتهية، "وليس يحتاج إلى الخبرة النفسية في فهم الآيات التي يثور حولها مثل هذا الخلاف فقط، بل في الآية التي لا خلاف فيها مطلقاً، قد ترفع الملاحظة النفسية إلى أفق باهر السناء، خليق بذلك الإعجاز الذي تحدث به السماء"³.

ومن خلال سوق هذا المثال يتضح لنا الأثر الجليل للملاحظات النفسية في التفسير الأدبي، لأن "الصلة الوثيقة بين الأدب والخبرة النفسية، أو بين البلاغة وتلك الخبرة، يمتد حميد أثرها إلى تلك القضية الكبرى في الإعجاز"⁴، وهذه اللمحة سنجد صداها واضحة عند شيخ البلاغة⁵ فيما سنرى من بعد.

1 - أمين الخولي: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، المرجع السابق، ص 160-161.

2 - الزمخشري: الكشاف، ج2، ص 132.

3 - أمين الخولي: المرجع السابق، ص 161.

4 - أمين الخولي: المرجع السابق، ص 161.

5 - وهو الإمام السكاكي رحمه الله تعالى عليه، وتعارف الباحثون على تلقيه هكذا.

في مطلع القرن السادس نجد من أجّل المؤلفات وأجزؤها فائدة؛ كتاب (المفردات في غريب القرآن)¹، فقد جمع فيه الراغب الأصفهاني (ت 502هـ) ما بين اللفظ اللغوي والمعنى القرآني، وبوّب المفردات تبويبا معجميا، ورتّبه حسب الحروف الهجائية، حيث سهّل على الباحث الحصول على مراده في مدة وجيزة، وبذلك يكون من المراجع الهامة؛ التي لا يستغني عنها المشتغل بدراسة القرآن الكريم وتفسيره، فلقد نوّه الأصفهاني في مقدمة كتابه بالعلوم اللفظية، وجعلها أول باب يطرق لتحصيل معاني ألفاظ القرآن.

ونرى من خلال هذا الكتاب أنّ صاحبه كان متمكّنًا من اللغة العربية ومحيطا بدقائقها، فقد همّ باستخراج الفروق الدقيقة بين الألفاظ، وشعر بأهمية هذا عند تعاطيه لمادة هذا الكتاب، فعزم على تأليف كتاب آخر يُعنى باستخراج الفروق الجوهرية بين ما يظن أنّها مترادفات، ونفسح له المجال ليقول: "وأُتبع هذا الكتاب إن شاء الله تعالى ونسأ في الأجل، بكتاب يُنبئ عن تحقيق الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد؛ وما بينها من الفروق الغامضة، فبذلك يعرف اختصاص كل خبر بلفظ من الألفاظ المترادفة دون غيره من أخواته، نحو ذكره القلب مرّة والفؤاد مرّة والصدر مرّة"². فلا يظن من فسّر قوله تعالى (الحمد لله) بـ (الشكر لله) و(لا ريب فيه) بـ (لا شك فيه)؛ قد فسّر القرآن ووفاه بالتيبان، وفكرة الاهتمام بدلالة اللفظة قد سبقه فيها أبو سليمان الخطابي (ت 388 هـ) في رسالته (بيان إعجاز القرآن)، يقول فيها "ذلك أنّ في القرآن ألفاظا متقاربة في المعاني يحسب أكثر الناس أنّها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب؛ كالعلم والمعرفة، والحمد والشكر، والبخل والشح، والنعمة والصفة"³، ثم تلقف أبو هلال العسكري هذه البارقة، وجسّدها في كتابه النفيس (الفروق في اللغة)، ولا ندري كيف لم يشر الأصفهاني لهذا الكتاب ولا لصاحب الفكرة، وجاء كلامه وكأنّه ابتكر هذه اللوحة، أهو بعد الديار؟؛ حيث ما وصله عمل غيره؟ أم هو اختلاف الوجهة والمشرب؟ وهل غاب عليه مثل ذلك؟ أم هو غدر الزمان بالأخيار؛ فقد أخطأ التاريخ في حقه إذ لم يسجّل حياته الشخصية، لا مولده ونشأته، ولا عمّن أخذ علمه، ولا تنقلاته ورحلاته.

1 - جاء هذا الكتاب تحت عناوين متعدّدة منها: (معجم مفردات ألفاظ القرآن) ضبطه: ابراهيم شمس الدّين، من منشورات دار الكتب العلمية، وعُرف أيضا بكتاب (غريب القرآن) و (مفردات القرآن).

2 - الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، المصدر السابق، ص 6.

3 - ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: ص 29.

ثم إنّ الأصفهاني يقصد بعبارة الغريب (الصعب) ولا يعني به الغريب المستنكر، فالقرآن الكريم يتضمن شروط الفصاحة في المفرد والمركب "فهو خارج عن الوحشي المستكره، والغريب المستنكر"¹، وهذا هو الوجه العاشر من وجوه إعجاز نظم القرآن عند الباقلاني، وكذلك نجد الرافي يوضح لنا في كتابه (إعجاز القرآن) معنى الغريب، فيقول: "في القرآن الكريم ألفاظ اصطلاح العلماء على تسميتها بالغرائب، وليس المراد بغرابتها أنّها منكّرة أو نافرة أو شاذة، فإنّ القرآن منزّه على هذا جميعه، وإمّا اللفظة العربية هاهنا، هي التي تكون حسنة مستغربة في التأويل، بحيث لا يتساوى في العلم بها أهلها وسائر الناس"².

وخلاصة الكلام لا يفوتني القول أنّ الراغب الأصفهاني، قد أدّى خدمة كبرى للغة وللقرآن، من خلال الجمع بين المعنى اللغوي والمعنى القرآني للمفردات، ومع أنّه "لم يستوف التتبع القرآني والتعقب اللغوي، وفاته مع ذلك كله، فرق ما بين عصره وعصرنا، في دراسة اللغات وصلاتها، إلا أنّه في كل حال نواة تحجل من بعده"³. ومن أصل فكرته استوحى أرباب البيان؛ فكرة شرح المعنى الاستعمالي للمفردات بتتبعها في القرآن، ثم تعقبها لغويا عبر الزمن، بجعل معجم تاريخي للمفردات القرآنية.

وفي القرن السابع نجد أبا يعقوب السكاكي (ت 626هـ)، الذي ألف أشهر كتاب في تاريخ البلاغة، ألا وهو (مفتاح العلوم) وقد عرّجنا له سابقا، وما يستحسن أن نضيفه في هذا المقام، هو إشارته المفيدة حول الاحتكام للذوق في فهم الإعجاز، مضمنا هذا المعنى في قوله: "واعلم أنّ شأن الإعجاز عجيب، يدرك ولا يمكن وصفه، كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها، وكالملاحاة، ومدرك الإعجاز عندي هو الذوق ليس إلا، وطريق اكتساب الذوق طول خدمة هذين العلمين"⁴، فهو يصرّح بأنّ إعجاز القرآن غير قابل للوصف البلاغي، ولا التحديد العقلي، بل مرجع ذلك إلى الذوق، ثم إنّ هذا العلم مبني على المواضع وليس على المنطق، ولذلك يكون "طريق معرفة الإعجاز هو تكوين الذوق الفني والممارسة الأدبية للبلاغة، على ما تقضي به أصول التربية الفنيّة الصحيحة"⁵، ورغم تكلمه عن الذوق الذي يوصل إلى منتهى السمو البلاغي، إلا أنّ مفتاحه كان أبعد من أن

1 - الباقلاني: إعجاز القرآن، المصدر السابق، ص 76.

2 - مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ط9: 1393هـ/1973م، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ص 74.

3 - ينظر: أمين الخولي: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، المرجع السابق، ص 238.

4 - السكاكي: مفتاح العلوم، ص 511.

5 - أمين الخولي: المرجع السابق، ص 131.

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

يوصف بجمالية الأسلوب، إذ اقترب من التقريرات الجافة، والقواعد المقننة، فقد أصّل ما عرفت القرون بعده من صورة البلاغة المقسّمة.

ومن أهم رجالات القرن السابع الذين حاولوا التجديد اليسير، نجد ابن الأثير، الذي ألف كتاب (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر) وهو في مجلدين، جمع فيه فأوعى، ولم يترك شيئاً يتعلق بفن الكتابة إلا ذكره، وامتاز بأفكار مستنيرة حول فن الأدب وصناعة الكلام وكتابة الشعر، وقد جعله في قسمين، قسم يتعلق بالصناعة اللفظية، وتضمّن على مبحث اللفظة المفردة ومبحث الألفاظ المركبة، والقسم الثاني يتعلق بالصناعة المعنوية وشمل علم المعاني وبعض أنواع علم البيان؛ كالاستعارة والتشبيه.

وكان هدفه توضيح ما ينبغي للكاتب أن يتقنه من علوم، فعلى حسب رأيه لن يكتمل عمله إلا إذا برع في عدّة فنون، منها معرفة اللغة العربية ودقائقها، وأساليب الخطاب عند العرب؛ من أمثال وحكم وأيام، ومعرفة الوقائع التي جاءت في حوادث خاصة بأقوام، وحفظ القرآن الكريم، ومعرفة مواقع البلاغة وأسرار الفصاحة المودعة فيه، وحفظ الأخبار النبوية، والاطلاع على كلام المتقدمين من المنظوم والمنثور، وكذا الإلمام بكل العلوم والمعارف الخاصة والتشبت بكل الفنون¹، وهكذا نجد ابن الأثير يغالي في ثقافة الأديب، ولا يحصرها في قواعد معينة، بل يذهب إلى أنّ البيان كالجمال لا نهاية لكل منهما، ولا حدّ لهما.

كما ونجد شخصية صاحبه حاضرة فيه أشدّ الحضور، تارة معجبة بنفسها بين الأسطر وتارة أخرى معتدة بنفسها لدرجة الغرور، هذا ما أثار حفيظة أقرانه وجعله محل نقد²، ورغم ذلك "قد يكون آخر من نعدّه من ذوي الشخصية المتميّزة في المدرسة الأدبية، وله أحيانا لقطات أدبية وتوجيهات يعتمد عليها صاحب التجديد الفني"³.

وعلى جنبات الطريق الصلد الذي مهده المفتاح، تُؤلف عدّة كتب من صنفه وعلى شاكلته، وتتلوها مرحلة الحواشي على الشروح، والمتون المنظومة والمنثورة، فقد ظل المفتاح مشغلة أجيال بعيدة، لينتهي المطاف إلى مرحلة الجفاف في الدراسات البلاغية، ويقف نماء المدرسة الأدبية.

1 - ينظر: ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ص 4-5-6 (بتصرف).

2 - مثل (الفلك الدائر على المثل السائر) لابن أبي الحديد.

3 - أمين الخولي: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، المرجع السابق، ص 106.

المبحث الرابع: التفسير البياني من القرن الثامن إلى القرن الرابع عشر الهجري

رغم طول هذه المرحلة الزمنية إلا أنها لم تزخر بالإنتاج العلمي الوفير، ولم تثمر الكثير، لذلك ضممنا ستة قرون مع بعضها، وأرجيت الحديث عن نتاج القرن الرابع عشر الهجري في مطلب منفرد، وفق التقسيم الآتي:

المطلب الأول: القرن الثامن إلى القرن الثالث عشر الهجري

بعد كشف الزمخشري ومفتاح السكاكي، لم تحظ الدراسات الأدبية والبلاغة القرآنية بمولود جديد، بل انحدرت العلوم العربية عموماً إلى وهدة الترديد والتقليد، وتوقفت الدراسات البلاغية عن الابتكار والتجديد، وأضحى تراث الأقدمين بين أقلام المحدثين لا يجيدون سوى لوك معانيه، وليّ أفاضله وتقسيم مبانيه، وتفريع أصوله واختصار زبدته وبسط حواشيه، ونظم الأبيات لتسهيل تلقينه وتعاطيه، ليصبح تراثاً ممسوخاً مجتراً لدى متداوليه.

فلم يظفر هذا القرن وما بعده بمصنفات مميزة في العلوم، -سوى كتب معدودة-، وغرق في متاهات الحواشي والشروحات المطولة والقصيرة، حيث أصبح كل من وليّ السكاكي كأهم نسخة منه، فبعد تععيد علم البلاغة وتقنين مصطلحاتها وتوضيح أقسامها، تحجّرت مسائل البيان تحجّراً دفع بها إلى الهاوية، وأضحت قواعد جافة كالنحو والصرف؛ لا تستساغ من طرف الناشئة المتعلمين، فاحتاجوا للشروحات والمختصرات، وكان القسم الثالث الخاص بالبلاغة من كتاب السكاكي (مفتاح العلوم) أكثر المؤلفات تلخيصاً وشرحاً، ومن أروج هذه المختصرات (تلخيص) جلال الدين القزويني (ت 739هـ) ربيب المدرسة المصرية في الفقه والبلاغة، فقد كتب كتابه (تلخيص المفتاح) و(الإيضاح) وهو بمصر، ويبدو ميله للطريقة الأدبية في دراسة البلاغة ظاهراً للعيان، وظلت الشروح تتهاطل لقرون طوال، ثم تلاه شرح بهاء الدين السبكي¹ (ت 773هـ) الذي كان من أهم الشروحات وأجزؤها فائدة، إذ تخلّص قليلاً من آثار الفلسفة ولم يستفض فيها، كما تغلّبت النزعة الأدبية في تناوله وبجته "فهو يعتمد على الطبع العربي ويحكّمه في تقدير التراكيب"²، واستطاع تقوية صلة البلاغة

¹ - بهاء الدين السبكي (719-773هـ، 1319-1372م). أحمد بن علي بن عبد الكافي بن تمام السبكي. يلقب ببهاء الدين ويكنى بأبي حامد. أخذ العلم عن أبيه شيخ الإسلام تقي الدين أبي الحسن وعن الأصفهاني، وابن القماح، وأبي حيان، توفي بمكة المكرمة. من مؤلفاته عروس الأفراح شرح تلخيص المفتاح وهو كتاب في البلاغة بعلمها الثلاثة. (ينظر: موقع ويكيبيديا).

² - أمين الخولي: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، المرجع السابق، ص 189.

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

بقواعد اللغة، من خلال ربط علم المعاني بالنحو العربي، فالكتاب في جملة الأمر خلاصة صافية من الأبحاث الأدبية. ومن بعدها كان شرح الشيخ جلال بن أحمد التباني¹ (ت 793هـ)، ومن الحواشي (ثلاث حواش) لعز الدين بن جماعة² (ت 819هـ) على شرح السعد³ المطول للتلخيص، وحاشية ابن جماعة أيضا على شرح السعد المختصر للتلخيص⁴، وبقيت الحواشي تزداد على مرّ السنين، حتى نهاية القرن الثالث عشر الهجري، لتعيش البلاغة العربية مرحلة الركود الطويل.

ومن أهم مؤلفي هذه المرحلة الزمنية، ممن تميزوا بالابتكار الجديد في التصنيف، نجد في القرن التاسع برهان الدين بن عمر البقاعي⁵ (ت 875هـ)، الذي ألف كتاب (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، وقد تلقى العلماء هذا الكتاب بالترحاب والقبول، وبذل فيه المؤلف جهدا عقليا ضخما استغرق منه أربعة عشر سنة من عمره، في تطلب المناسبات بين الجمل والآيات، ليكون

1- جلال بن أحمد بن يوسف الرومي الثوري القاهري، جلال الدين التباني فقيه حنفي. أصله من بلدة في الروم يقال لها (ثيرة) قدم القاهرة واستقر في محلة التبانة خارجها، وكان يقام فيها سوق للتبن. وأخذ الفقه عن الإتقاني، والعربية عن ابن هشام وبرع فيهما. ودرّس عدة سنين وعرض عليه قضاء القضاة، فامتنع. له شرح المنار في أصول الفقه، واختصار شرح البخاري لمغلطاي وشرح مختصر ابن الحاجب في الأصول ونظم كتابا في الفقه وشرحه. وكتب مختصرا في ترجيح مذهب أبي حنيفة. (ينظر: الزركلي: الأعلام، ص 132).

2 - هو الحافظ الإمام قاضي القضاة عز الدين أبو عمر عبد العزيز ابن قاضي القضاة بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الأصل الدمشقي المولد ثم المصري الشافعي، ولد في تاسع عشر المحرم سنة 674 هـ، فأحضر على عمر القواس وأبي الفضل بن عساكر وسمع من الدمياطي والأبرقوهي، وأجاز له ابن وريدة وأبو جعفر بن الزبير وأكثر السماع فبلغ شيوخه ألفا وثلاثمائة نفس، وتفقه على والده، صنف تخريج أحاديث الرافعي والمناسك الكبرى على المذاهب الأربعة والصغرى على مذهب الشافعي، جاور بمكة ومات فيها في جمادى الأولى سنة 767 هـ ودفن بالمعلاة. (ينظر: السيوطي: طبقات الحفاظ، ص 364).

3 - الإمام سعد الدين التفتازاني (722هـ - 792هـ)، عالم مسلم، وفقيه متكلم، وأصولي نحوي، هو سعد الملة والدين أبو سعيد مسعود بن عمر بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن الغازي التفتازاني السمرقندي الحنفي، الفقيه المتكلم النظار الأصولي النحوي البلاغي المنطقي. ولد بقرية تفتازان من مدينة نسا في خراسان في صفر سنة 722 هـ في أسرة عريقة في العلم حيث كان أبوه عالماً وقاضياً وكذا كان جده ووالد جده من العلماء. (ينظر: موقع ويكيبيديا).

4- ينظر: أمين الخولي: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، ص 183، وأصحاب الشروح لم نقف على ترجمتهم.

5- إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، أبو الحسن برهان الدين، ولد سنة 885هـ، مؤرخ أديب، أصله من البقاع في سورية وسكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة، من أهم مصنفاة: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور؛ عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران؛ ديوان شعر أسماه: إشعار الواعي بأشعار البقاعي، توفي سنة 1406هـ (ينظر: الزركلي: الأعلام، ص 54).

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

عمدة أساسية ومرجعا هاما في مجاله، وقد اشتهر هذا العلم منذ القرن الرابع¹، لكن أبرز مؤلف أفرد بالتصنيف هو الإمام البقاعي.

وعلم المناسبات وثيق الصلة بالتفسير الموضوعي، وأكثر ما يكون في التفسير الموضوعي للسورة الواحدة، فالآيات تنزل عبر فترات زمنية مختلفة، قد تطول لأعوام وقد تقصر لأيام، لكن استخراج اللطائف التي تربط بينها، هو أمر مهم لتذوق نظم القرآن الكريم وبيانه المعجز، ولعل أكثر ما يهمنا هو توظيفه لعلم البلاغة عموما وعلم البيان خصوصا²، فقد حفل كتابه بملاحظات بيانية قيّمة تتعلق بالتشبيهاً القرآنية، كما امتاز كتابه بتنوع المعارف، فهو لا يفتأ يطبق الجوانب النظرية من علوم النحو والصرف والبلاغة على النصوص القرآنية التي يوردها، وحسن توظيفه يعكس مدى تضلعه بعلوم اللغة وإحاطته بتفاصيلها ودقائقها.

وفي بداية القرن العاشر، اشتهر الإمام جلال الدين السيوطي، (ت 911هـ) صاحب المؤلفات والمصنّفات المتعدّدة، فقد ألّف في مختلف العلوم وبرع في أكثر الفنون، فكان جمّاعا للمادة في غالب الكتابات بطريقة مرتبة، كما كان محلّلا للقضايا بطريقة موضوعية، ومن بين الكتابات المهمة؛ والتي لها دور في بلورة المنهج البياني هو كتابه (الإتقان في علوم القرآن) فقد جعله مقدّمة لتفسيره المسمى

(مجمع البحرين ومطلع البدرين الجامع لتحرير الرواية وتقرير الدراية)³، فقد عهد المفسّرون في مقدمة تفاسيرهم الإمام بشيء من موضوعات علوم القرآن، من نزول وجمع وقراءة، لتكوّن دراسة ما حول القرآن. كما أنّ له كتاب مهم سماه (تناسق الدرر في تناسب السور) مقتفيا فيه أثر البقاعي قبله، قال عنه: "وكتابي الذي صنعتّه جامع لمناسبات السور والآيات، وما تضمنته من بيان وجوه الإعجاز"⁴

1 - يذكر أنّ أول من أظهر هذا العلم، هو الإمام أبو بكر النيسابوري (ت 324هـ) وكان يزري على علماء بغداد جهلهم وجوه المناسبة بين الآيات، ثم جاء القاضي أبو بكر بن العربي (ت 543هـ)، واشتهر بقوله: "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض، حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني علم عظيم"؛ ينظر: السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ص 572.

2 - للإطلاع والمزيد هناك كتاب قيم بعنوان (التفكير البلاغي عند البقاعي من خلال كتابه نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) من تأليف: إيجو سيد أحمد، دار إدير للنشر والتوزيع - الجزائر.

3 - السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، المرجع السابق، ص 15.

4 - المصدر نفسه، ص 572.

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

فعلى المفسر الذي يتغني الفهم العميق؛ إدراك المناسبات والأسباب والملابسات بين النصوص القرآنية، "إذ هي أضواء مهمة لاستجلاء المعنى"¹، وقد فقه الإمام أهميته، فكان هذا السفر الجليل.

ومن القرن الحادي عشر إلى القرن الثالث عشر لم تذكر مصنفات مميزة، وبقي الحال على ما هو عليه من تلخيص المصنفات وبسط الشروحات، ففي كل قرن هناك شرح² جديد، ليس فيه أثر خاص إنما هي ظلال متناسخة لكتاب ملخص.

إلى أن ظهر في بلاد المشرق تفسير (روح المعاني) لشهاب الدين الألوسي³ (ت 1270هـ) وهو تفسير جامع لخلاصة ما سبقه من التفاسير، ولم يكتف صاحبه بالنقل بل كان يعقب على المسائل وينقد الأقوال، كما توسع في ذكر المسائل النحوية، واجتنب الروايات الإسرائيلية، وكانت له عناية ملحوظة بذكر أوجه المناسبات بين الآيات والسور وفق أسباب النزول.

وخلاصة القول، ما يمكننا ملاحظته بوضوح، هو أنّ هؤلاء الأعلام غالبيتهم من بلاد النيل، إما مولداً ونشأة أو نزياً بعد هجرة، فقد ظلت مصر عبر قرون طوال تعني بالتراث العربي، تأليفاً وتصنيفاً، كما قامت بإحياء كتب المدرسة الشرقية الكلامية، وحفظت كنوزها عن طريق تأليف الكثير من الشروح والحواشي والتقارير، بلمسة أدبية خالصة من المسائل الكلامية في غالب الأحيان، فلمصر تلك الشخصيات القوية والعبقريات النادرة في حماية المعارف الإنسانية، أقرّ لها بذلك القدماء قبل المحدثين.

1 - أمين الخولي: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، المصدر السابق، ص 232.

2 - فهناك ما ألفه زكريا الأنصاري والعزي والأخضري في القرن العاشر، والشهاب الخفاجي والشيخ يس العليمي والطبلاوي والبهوتي في القرن الحادي عشر، والحفني والملوي والدمهوري والسندوبي والسجاعي في القرن الثاني عشر، والأجهوري والأمير والصاوي والباجوري والطار والبقاعي والخصري والمرصفي والدسوقي والبناني في القرن الثالث عشر، والأبياري والأنبائي والشربيني والظهطاوي في القرن الرابع عشر، وكل هؤلاء الأعلام من بلاد مصر، ينظر: أمين الخولي: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، ص 183.

3 - هو أبو الثناء شهاب الدين محمود الألوسي، نسبة إلى أوس وهي قرية على نهر الفرات موطن أجداده، ولد بها سنة (1217هـ/1806م) كان إمام عصره بالعراق فقهياً وعلمياً وأديباً، من أشهر مؤلفاته: تفسير روح المعاني، توفي سنة (1270هـ/1854م) (ينظر: معجم تفاسير القرآن الكريم، ص 198).

في مطلع القرن الرابع عشر الهجري؛ تزعم علماء الفكر والإصلاح الدعوة إلى الإسلام، حيث نادوا بالرجوع الصحيح للقرآن؛ عن طريق التفسير الإصلاحي، فكان لابد من وجود تفسير يكون معجزة الإنقاذ، ووجود مفسّر يحمل راية العلم، ويؤسس منهجا فريدا قويا لفهم النص القرآني، وكان بطل عصره محمد عبده - رحمه الله - (ت 1849هـ/1905م) الذي وضع أول بذرة في نشأة المدرسة البيانية الحديثة.

ولعل أهم جانب ركّز عليه الشيخ في تفسيره، هو قضية المفردات والوحدة الموضوعية للصور القرآنية، ليكون تمهيدا أساسيا للتفسير البياني فيما بعد، وذلك حينما تكلم عن مراتب التفسير، فأدناها: أن يبيّن بالإجمال ما يشرب القلب عظمة الله وتنزيهه، ويصرف النفس عن الشر ويجذبها إلى الخير، وهذه هي التي قلنا أنّها متيسرة لكل أحد، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ (القمر: 17). وأما المرتبة العليا فهي لا تتم إلا بأمور:

(أحدها) فهم حقائق الألفاظ المفردة التي أودعها القرآن، بحيث يحقق المفسّر ذلك من استعمالات أهل اللغة، غير مكثف بقول فلان وفهم فلان، فإن كثيرا من الألفاظ كانت تستعمل في زمن التنزيل لمعان،... يجب على من يريد الفهم الصحيح، أن يتتبع الاصطلاحات التي حدثت في الملة، ليفرق بينها وبين ما ورد في الكتاب، فكثيرا ما يفسّر المفسّرون كلمات القرآن بالاصطلاحات؛ التي حدثت في الملة بعد القرون الثلاثة الأولى، فعلى المدقق أن يفسّر القرآن بحسب المعاني التي كانت مستعملة في عصر نزوله، والأحسن أن يفهم اللفظ من القرآن نفسه بأن يجمع ما تكرر في مواضع منه وينظر فيه، وربما استعمل بمعان مختلفة كلفظ الهداية... ويحقق كيف يتفق معناه مع جملة معنى الآية، فيعرف المعنى المطلوب من بين معانيه، وقد قالوا أنّ القرآن يفسّر بعضه ببعض، وأنّ أفضل قرينة تقوم على حقيقة معنى اللفظ: موافقته لما سبق له من القول واتفاقه مع جملة المعنى وائتلافه مع القصد الذي جاء له الكتاب بجملته.

(ثانيهما): الأساليب؛ فينبغي أن يكون عنده من علمها ما يفهم به هذه الأساليب الرفيعة، وذلك يحصل بممارسة الكلام البليغ، ومزاوته مع التفتن لنكته ومحاسنه والعناية بالوقوف على مراد المتكلم منه، نعم إنّنا لا نتسامى إلى فهم مراد الله تعالى كله على وجه الكمال والتمام، ولكن يمكننا فهم ما

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

نعتدي به بقدر الطاقة، ويحتاج في هذا إلى الإعراب وعلم الأساليب (المعاني والبيان) ولكن مجرد العلم بهذه الفنون وفهم مسائلها وحفظ أحكامها لا يفيد المطلوب.

(ثالثها): علم أحوال البشر.

(رابعها): العلم بوجه هداية البشر كلهم بالقرآن، فيجب على المفسّر القائم بهذا الفرض الكفائي: أن يعلم ما كان عليه الناس في عصر النبوة من العرب وغيرهم، لأن القرآن ينادي بأنّ النَّاس كلهم كانوا في شقاء وضلال، وأنّ النبي ﷺ بعث به لهدايتهم وإسعادهم.

(خامسها): العلم بسيرة النبي ﷺ وأصحابه وما كانوا عليه من علم وعمل وتصرف في الشؤون دنيويها وأخرويها.¹

هذا ما قرّره الشيخ محمد عبده - رحمه الله - في بداية درسه للقرآن الكريم، حيث جعلها أموراً مهمة يجب أن يلتزمها المفسّر، وقد تبنى رجال المدرسة العقلية الاجتماعية هذا الرأي، وعدّوه أساساً في فهم القرآن الكريم، كما أنّه أشار إلى علم الاجتماع - وإن لم يُسمه - في معرض كلامه عن أحوال البشر، قال في مقدمة تفسيره للفتاحة: "ومن العلم بأحوال العالم الكبير، علويه وسفليه، ويحتاج في هذا إلى فنون كثيرة، من أهمها التاريخ بأنواعه"²، فكان هذا القول تمهيداً للتفسير النفسي، وإظهار علاقته بعلم الاجتماع. "فلا بد للناظر في الكتاب من النظر في أحوال البشر في أطوارهم وأدوارهم، ومناشئ اختلاف أحوالهم، من قوة وضعف وعزّ وذل، وعلم وجهل، وإيمان وكفر"³، ومن خلال ما جاء عنده استطاع الخولي تلخيص زبدته في منهجه الأدبي في التفسير.

وفي ظل تلك الظروف الراهنة وملابسات الحياة الجديدة، أضحى واقع المسلمين السياسي والاجتماعي والفكري في حالة متأخرة؛ مقارنة بالتقدم الذي وصل إليه الغرب، ما أيقظ رجال الإصلاح وعلى رأسهم الشيخ محمد عبده الذي كرّس حياته للدعوة، من خلال التمسك بالقرآن والسنة، والاعتماد عليهما لأنّهما المصدران الأساسيان للدّين الحنيف، فدعا إلى النظر الدقيق في القرآن الكريم والعمل بأحكامه والتمسك باللغة العربية؛ وإصلاحها وتدقيق أسلوبها البديع لفهم

¹ - ينظر: محمد رشيد رضا: تفسير القرآن الحكيم للأستاذ الإمام محمد عبده (تفسير المنار)، ط2: 1366هـ/1947م، دار المنار، القاهرة - مصر، ج1، ص24، (باختصار وتصرف).

² - المرجع نفسه، ص23.

³ - أمين الخولي: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، المرجع السابق، ص240.

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

الخطاب الرباني ومقاصد الشرع الإسلامي. فهو نور يهدي المسلمين ويرشدهم إلى ما فيه سعادتهم في دنياهم وآخرتهم، وعلى هذا الأساس سُمِّي تفسيره بالتفسير الهدائي أو الاجتماعي.

كما وقد اشتهر في هذا العصر تفسير العلامة ابن باديس - رحمه الله - (ت 1887هـ/1940م) الذي ذاع صيته في المغرب العربي ومشرقه، فلقد بدأ الإمام تفسيره في ربيع 1332هـ/1914م، بعد عودته من مصر سنة 1913م، في رحلة طويلة امتدت إلى الحجاز ومنه إلى الشام ومصر، لأداء فريضة الحج وزيارة بعض العواصم للاتصال بعلمائها والاطلاع على أعمالهم، وختمه في صيف 1357هـ/1938م¹، وما كتب منه إلا القليل في افتتاحية مجلة الشهاب، وقد استمر نحو خمس وعشرين (25) سنة يفسر القرآن الكريم، بمسجد سيدي لخضر بعد صلاة العشاء للطلاب ولعامة الناس، حيث كانت قاعة صلاة المسجد تكتظ بالمستمعين وتمتلئ بالمريدين الجزائريين أثناء درس التفسير. بقيت هذه المقالات مبعثرة في صفحات مجلة الشهاب، حتى نهض بعض تلاميذه بجمعها وعلى رأس هؤلاء أحمد بوشمال، الذي كان سابقا لهذه المهمة واعتنى به اعتناءً فائقاً، ونشر جزءاً من تفسيره سنة 1948م، وطبعه بالمطبعة الإسلامية الجزائرية، التي تكفلت بطبع أعمال ابن باديس من جرائد ومجلات، وأعيد نشر هذا التفسير وأضيفت إليه زيادات مهمة من طرف تلامذته² سنة 1964م، ثم طبعت هذه النسخة مرة أخرى سنة 1971م، بعد أن أضيفت إليها شروحات وتعليق عن نشأة وحياة الإمام وآراء بعض الباحثين فيه، حتى بلغ حجمها وصفحاتها نحو 700 صفحة³.

إنّ طريقة العلامة في التفسير طريقة خاصة وفلسفة إصلاحية هامة، استمدتها من طريقة محمد عبده متأثراً به أيّما تأثر، وحين نجزم بتأثره في أسلوب التفسير البياني، فهذا ليس نابعا من اللمحات البيانية واللمحات الأسلوبية المتناثرة بين طيات تفسير "مجالس التذكير"، وإيّما هناك أدلة تؤكد وجهة النظر سابقة الذكر، فهذا صاحبه⁴ ورفيق دربه، يشهد بسلوك الإمام مسلك المدرسة البيانية التي ظهرت بذور نشأتها في العصر الحديث على يد الإمام محمد عبده - رحمه الله -، ففي معرض

¹ - ينظر: آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، وزارة المجاهدين، الجزائر، ط1، 2005 م، مج 1، ص 480؛ الزبير رحال: الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية، عين مليلة - الجزائر، دار الهدى، ط1، 2009 م، ص 23.

² - محمد الصالح رمضان وصديقه توفيق محمد شاهين المصري.

¹ - عبد العزيز فيلالي: التفسير عند الإمام عبد الحميد بن باديس واحتفال الأمة به، دار الهدى، عين مليلة - الجزائر، ط1، 2017 م، ص 74.

⁴ - العلامة البشير الإبراهيمي.

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

تلخيصه تفسير المعوذتين، يكشف صاحبه مدى تعلق الشيخ بتفسير المنار، ويشيد بجهود الإمام عبده في مصر في النهوض بحركة الإصلاح التجديدية، وبأنّ حركة الإصلاح العلمي امتدت بعد موته، وانتشرت في الأقطار الإسلامية، وأسفرت عن إصلاح حقيقي لأساليب التعليم في المعاهد الحرة، وعن إصلاح صوري في المعاهد الرسمية، وستظل الحرب قائمة من وجهة نظره، في هذه المعاهد بين طلاب الإصلاح وبين أنصار الجمود، يقول رفيقه مقررا دور ابن باديس في الإصلاح من خلال التفسير، وبأنّ فكره امتداد لتلك المدرسة التي نشأت في مصر: "ولقد كان من حسن حظ الجزائر، أنّ باعث النهضة العلمية فيها، الأستاذ الشيخ عبد الحميد ابن باديس، قد وضع أساس هذه النهضة على قواعد صحيحة من أول يوم، فسلك في درس كلام الله أسلوبا سلفي النزعة والمادة، عصري الأسلوب والمرمى"¹.

إنّ المطالع لتفسير العلامة ليلحظ من أول وهلة؛ أنّه سار على منهج دقيق وخطة تفسيرية محكمة، ولعله ليس من المبالغة القول أنّه كان رائدا في مجاله، حينما كان منظما في سيره، فجاء تفسيره مرتب الأفكار، سلس العبارة، قوي الاستدلال، بليغ الأسلوب، يبدأ تفسيره للآية بتمهيد ملخص وتقديم موجز يجعل القارئ يتنفس جو النص القرآني، ويجول في رحاب قدسية الخطاب الرباني، متشوقا لمعرفة ما تعالجه الآية الكريمة. كما أنّه اعتمد على التفسير الموضوعي، فكان كثيرا ما يتعرّض في تفسيره للآية لنظائرها من القرآن الكريم، ويستعرض الآيات المشابهة للآية التي يود تفسيرها، ليكون أول مفسّر طبّق التفسير الموضوعي في العصر الحديث، لكن لم يشر إليه أحد من الباحثين لا من قريب ولا من بعيد.

ثم إنّ المدقق لهذا الاتجاه التفسيري والمنهج البياني الذي سطره صاحبه أمين الخولي، ليلحظ التشابه الكبير بين منهج العلامة ابن باديس ومنهج رواد التفسير البياني. فحينما قمت بدراسة منهج الخولي وتتبع الخطوات التي سطرها للسير في هذا الاتجاه من التفسير في كتابه (مناهج تحديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب) واطلعت على مجالس التذكير، وجدت أنّ الشيخ ابن باديس كان مطبقا لتلك الخطوات بشكل كبير، مثله مثل بنت الشاطيء؛ التي طبقت بتفاني في مؤلفاتها القيّمة، والأمر الذي جعلني أرحح تأثر أرباب البيان بتفسير ابن باديس، هو أنّي وجدت بعض الألفاظ المشتركة بينهما، سواء في تحديد المعنى أو في صياغتها من سياق محدد، وفي هذا التخمين نستدل بأدلة منطقية

¹ ابن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، ط1، قسنطينة - الجزائر، 1402هـ/1982م، ص 399.

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

تكمن في الأسبقية الزمنية لكلا الرجلين، فقد بدأ العلامة تفسيره قبل أن تخرج مؤلفات الخولي للحياة، وما أملك من أدلة سوى تصريحات صاحبها في هذا الكتاب - آنف الذكر - حيث خرجت أعماله ورسائله عن البلاغة في بداية الثلاثينيات من القرن التاسع عشر، حيث وضع المعالم الكبرى لما انتهى إليه من الرأي في التغيير، بعد أن دخل للتدريس في كلية الآداب أواخر عام 1928م، بينما بدأ العلامة ابن باديس تفسيره قبله وكانت مجلة الشهاب تنشر له مختارات من تفسيره، وتأكدت من وصول المجلة لمصر آنذاك، فقد كان علماء مصر يهتمون بأوضاع الجزائر ولهم اطلاع بأعمالهم وكانت العلاقات بينهما وطيدة، "وقد تحدث الشيخ محمد عبده عن مؤلفات الجزائريين"¹، كما أنّ تفسير ابن باديس بحد ذاته اهتم به المصريون مطالعة وتدوينا.

ثم إنّ نفس المعنى الذي تطلقه بنت الشاطئ على هذا الاتجاه التفسيري، وجدت العلامة ابن باديس قد استخدمه بنفس المعنى، فهي لا تقصد بالبيان ما يتبادر إلى الأذهان، فكذلك وجدنا هذا المعنى الخاص في مجالس التذكير في نفس السياق، فقد قدّم العلامة خلاصة ذهبية لعمله قائلاً: "فقد عدنا - والحمد لله تعالى - إلى مجالس التذكير، من دروس التفسير نقتطف أزهارها، ونتجنى ثمارها، يبسر من الله تعالى وتيسير، على عادتنا في تفسير الألفاظ بأرجح معانيها اللغوية، وحمل التراكيب على أبلغ أساليبها البيانية، وربط الآيات، بوجوه المناسبات، معتمدين في ذلك صحيح المنقول، وسديد المعقول، مما جلاه أئمة السلف المتقدمون، أو غاص فيه علماء الخلف المتأخرون"². إنّ هذا المعنى مطابق تماما لما قصدته بنت الشاطئ من مصطلح (التفسير البياني)، وقد جسدت هذا المفهوم في أول مؤلف لها في الدراسات القرآنية؛ والذي كان تحت عنوان (التفسير البياني للقرآن الكريم)، فبعدها تأكدت من سنة أول طبع للكتاب من دار المعارف التي قامت بنشر معظم مؤلفاتها في هذا المضمار، والذي كان سنة: 1963م، وتحديدًا قبل وفاة الخولي بثلاث سنوات صدر هذا الكتاب، وابن باديس قد سبقهم زمنيا في الانتهاء من تفسيره وفي نشره أيضا.

ومن هذا المنطلق فإنني لا أشكك في نسبة المنهج للشيخ أمين الخولي، إنّما هي تساؤلات يستوجبها التتبع الموضوعي للقضية، وحقيقة تقتضيها الأمانة العلمية، رغم عدم الانتهاء فيها لقول فصل وحقيقة مؤكدة، فهو رأي لا يخرج عن دائرة الظن الراجح، ولا يزال يتطلب اليقين الأكيد، ولعل

1- ينظر: كامل سغفان، المنهج البياني في تفسير القرآن الكريم، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط1، 1981م، ص35.

2- ابن باديس، مجالس التذكير، المرجع نفسه، ص 49.

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

باحثا من بعدنا سيصل لما لم نصل إليه¹، وحسي أنني أزعجت ركود البركة، وأثرت قضية فكرية احتمالها منطقي، وليس من المنقصة أبدا أن يكون العلامة ابن باديس سبّاقا للمنهج، ويكون الخولي متأثرا به، فقد كانت هناك قواسم مشتركة بينهما، والخولي بحد ذاته يؤمن بفكرة قيمة تحسب له على الصعيد العلمي، فهو ينفي فكرة الأوائل في كل تأريخ علمي، ويرى أنه من الخطأ أن نركز على نسبة علم مخصص لأحد العلماء، فهذا يحول دون فهم مغزاها "ويقل الانتفاع بتلك الكتب ما دمنا لا نفهمها على أنّها أشخاص تاريخية متميزة"²، ويقول في موضع آخر: "لا نطمئن في تاريخ هذه البلاغة إلى ما وهم به أصحاب الأوليات، فعُدُّوا أشخاصا بأعيانهم، أو ذكروا مؤلفات بأسمائها، على حين كان ذلك عمل جيل سابق أو أكثر، هو الذي أنضح ما أتى هذا الشخص واحتوى عليه ذلك الكتاب"³.

كما أننا نجد الخولي قد صرّح بتأثره بمنهج محمد عبده وتابعه في الخطوات التي سطرها في تفسير المنار، لكن استطاع الخولي أن ينظر لهذا الاتجاه التفسيري بروح تجديدية، وكان للشيخ ابن باديس أسبقية التطبيق لذلك المنهج التفسيري، وللشيخ محمد عبده أسبقية إذكاء شعلته، ولبنت الشاطي شرف انتمائه إليها. وهذا التشابه يعود لأصل المنبع أيضا، فقد اعتمد الشيخ ابن باديس على تفسير الزمخشري وأقرّ بذلك في افتتاحية كتابه، فلقد عني بإبراز الصور اللغوية وقواعد اللغة العربية، وكذلك اعتمد رواد البيان على تفسير الكشاف، وهذا ما يعلّل التقاطع الكبير الذي وجد بين التفسيرين. كما أنّ ابن باديس وظّف هذا التفسير في "توعية الفرد المسلم بذاته وبحياته في عصره"⁴ وهذا ما نادى إليه الشيخ محمد عبده وألح إليه أمين الخولي في مؤلفاته، كما أنّ أمين الخولي لا يشير إلى المراجع التي استقى منها منهجه، فهو نتيجة تراكم معارف متنوعة، من تراث عربي ومن تأثر ببعض النظريات الغربية، لذلك لا يستبعد تأثره بالمنهج الباديسي.

1 - لم يقدر لنا زيارة مقر جمعية علماء المسلمين والبحث في أرشيفها، ولعل الله ينعم علينا بذلك مستقبلا لتتأكد من وصول التفسير لمصر بالدليل القاطع.

2 - أمين الخولي، مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، مصر، مكتبة الأسرة، ط1، 2003م، ص 114.

3 - المرجع نفسه، ص 79.

4 - معجم تفاسير القرآن الكريم: مجموعة باحثين، ط1: 1424هـ/2003م، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت - لبنان، ج1، ص 77.

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

ومن التفاسير المشهورة في هذا العصر؛ تفسير السيد قطب¹ (ت1906هـ/1966م) المسمى (في ظلال القرآن) وألّف على نحوه كتابان مشهوران، أولهما يدعى (التصوير الفني في القرآن) وثانيهما (مشاهد يوم القيامة)، وتنبع الفكرة الأصلية لهاته المؤلفات من روح واحدة وتتجه وجهة واحدة؛ وهي محاولة الوصول إلى فهم (الصورة الفنية) في القرآن، وإبراز الصور الجمالية على غرار ما قد جاء في الكتب البلاغية التي اعتنت باستخراج الصور البيانية في القرآن الكريم، فلم يقف طويلاً عند حدود التعريفات البلاغية ولم يشتغل بالمصطلحات العلمية، كما لم يدرس المفردات وحدها من ناحية الفصاحة أو التراكيب، وإنما درسها من منطلق التصوير الفني الذي عبّر عنه قائلاً: "التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، فهو يعبر بالصورة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية، أو عن الحادث المحسوس والمشهد المنظور وعن الأنموذج الإنساني والطبيعة البشريّة، ثم يرقى بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة والحركة المتجدّدة"². وعلى هذا الأساس فقد نهج منهاجاً يجعل قارئ كتابه يعيش مثله أجواء روحانية في ظل الهدى القرآني، من تصفية للنفس وتركيزاً للروح وتطهيراً للقلب، وإيقاظاً للضمير لمجاهدة الحياة، وبالتالي فتفسيره يهتم بالمقاصد والأهداف والتربية الفردية والاجتماعية، ولا شك أنّ الجانب النفسي والفني وُجدا في المنهج البياني فيما بعد، وقد أطلال الوقوف عندهما أرباب هذا الاتجاه.

ومن ثم فإنّ تناول السيد قطب للتفسير من ناحية تمثيلية تصويرية جعله تفسيراً أدبياً فنياً فريداً من نوعه، متميزاً في طرحه، حيث يرى الباحث بكري شيخ أمين أنّ أرباب المدرسة البيانية قد تأثروا بعمل السيد قطب وساروا على منواله، "والفرق الوحيد بين المرحوم سيد قطب وبين غيره أنّه فسّر القرآن كله على طريقته، وفسّروا هم سوراً عدّة منه"³. والحقيقة أنّ ما جاء به السيد قطب يعتبر جزءاً من هيكل الصرح البياني الشامخ، وهو أول تفسير يمكن الإطلاق عليه التفسير الأدبي للقرآن الكريم.

1 - هو سيد بن الحاج قطب، من مواليد (1324هـ/1906م) بقرية تابعة لمحافظة (أسيوط)، نشأ في أسرة متدينة وحفظ القرآن صغيراً، انتقل إلى القاهرة وبها أكمل تعليمه ليصبح معلماً موظفاً في مدارس الحكومة، من أشهر مؤلفاته: التصوير الفني في القرآن؛ مشاهد يوم القيامة؛ في ظلال القرآن، تعرّض للمتابعة والسجن، وظل سجيناً إلى أن أعدم (1386هـ/1966م)؛ (ينظر: معجم تفاسير القرآن الكريم، ص 539 وما بعدها).

2 - سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، ط7: 1325هـ/2004م، دار الشروق، القاهرة- مصر، ص 7.

3 - بكري شيخ أمين: التعبير الفني في القرآن الكريم، دار الشروق، الطبعة 4: 1400هـ/1980م، بيروت - لبنان، ص

الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية

وخلاصة الحديث يمكننا القول أنّ نواة المدرسة البيانية الحديثة تشكّلت على يد الشيخ محمد عبده، حينما دعا إلى ضرورة فهم اللغة وأهميتها في تجديد الإحساس بالنص القرآني، ليأتي بعده الشيخ أمين الخولي رائداً طليعيًا اقتحم معركة التجديد في فهم النص القرآني، حيث قدّم منظورا للقراءة الجديدة مؤسساً على أنّ النص القرآني هو النص الأدبي الأعلى بين نصوص الثقافة العربية، فأدبيته السامية هي التي جعلت العرب البلغاء يخضعون لروعته البيانية، من هذا المنطلق دعا أمين الخولي إلى دراسة منهجية تنطلق من اللغة وتنتهي إليها، ليقرّر أنّ الإعجاز الأساسي للقرآن هو الإعجاز الأدبي، وأقام منهجه على خطوات معينة يسير وفقها المفسّر، وآثر تسمية البلاغة بفن القول، وجاءت بنت الشاطئ تلميذته وزوجته لتقتحم هذا الميدان بكل جدارة، وتطبق منهج أستاذها بكل إخلاص، وتبرز هذا المنهج للحياة وتخرجه في ثوب بديع في مؤلفها (التفسير البياني للقرآن الكريم).

ليأتي السيد قطب بظلاله الوافر يجسّد التفسير الأدبي للقرآن، وما زالت الخطوات على الطريق عند ثلة من المعاصرين¹، كأمثال فاضل صالح السامرائي² بمؤلفاته القيمة في هذا المجال، وسيبقى البحث حول القرآن أمد الدهر باقياً لأنّه معين لا ينضب.

¹ - منهم عبد الله دراز وشكري عياد وغيرهم، كما نجد ملامح التفسير البياني واضحة عند علماء العصر الحديث كالإمام الشعراوي والمراغي وطاهر بن عاشور.

² - هو فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري، من عشيرة (البدري) إحدى عشائر سامراء، ولد في سامراء عام 1933م، في عائلة ميسورة الحال اقتصادياً، كبيرة في الحالة الاجتماعية والثقافية، تعلم القرآن صغراً، وأكمل دراسته بقرنته، امتحن التدريس وأكمل دراسته العليا بكلية الآداب، نال شهادة الدكتوراه عام 1968، وتقلّد عدة مناصب ثم رحل للخليج وعمل أستاذاً في جامعة عجمان، وفي صيف عام 2004م عاد إلى بلده العراق وما زال بها لليوم، من أشهر مؤلفاته: الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري؛ ابن جني النحوي؛ لمسات بيانية؛ على طريق التفسير البياني (ينظر: بحجت عبد الغفور الحديثي: القصيدة الإسلامية وشعراؤها المعاصرون في العراق، ص 67؛ وينظر: موقع ويكيبيديا).



الباب الثاني: تكور

وتأصيل التفسير

البياني في العصر

الصحيث





الفصل الأول: التفسير البياني

مفهومه وخصائصه

المبحث الأول: التفسير اللغوي - دراسة تأصيلية

المبحث الثاني: قضايا حول التفسير البياني



الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

بعد أن اطلعنا في الباب السابق على مفهوم التفسير عموماً ومفهوم مصطلح البيان خصوصاً، وتبعنا ملامح التفسير البياني عبر أربعة عشر قرناً، سنمر الآن إلى كيفية تأصيل التفسير البياني ومعالجه المنهجية في العصر الحديث؛ وذلك في الفصل الأول، أما الفصل الثاني سنكتشف فيه هذا الاتجاه التفسيري من خلال نماذج تطبيقية لآيات قرآنية.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه:

سنحاول في هذا الفصل الاطلاع على التفاسير اللغوية، وسنقف عند مفهوم آخر يتعلق بفهم مصطلح (التفسير البياني) كما أرادت به صاحبه - عائشة عبد الرحمن - حينما أطلقت عليه، ثم نشخص ملامحه ونبيّن خصائصه وأهم القضايا المتعلقة به، وهذا من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول: التفاسير اللغوية - دراسة تأصيلية:-

إنّ التعريف بمفهوم أي مصطلح علمي مهم جداً، وبالتحديد المصطلحات المتعلقة بالدراسات القرآنية، وذلك لبيان معناه ودلالته، ليعرف كيف وما هو استعماله والقصد منه عند إطلاقه، ومدى استيعابه للمضمون الذي اختص به، ولكل مصطلح مدلول لغوي ومدلول اصطلاحی، وقد يضاف له مفهوم عرفي يشاع استعماله له، لذلك من المهم تأصيل المفاهيم وتمييز المصطلحات عن بعضها خاصة تلك المتشابهة منها، وهذا ما سنبيّنه في هذا المبحث.

المطلب الأوّل: تعريف التفسير اللغوي والأدبي والبلاغي

لا شك أنّ دراسة دلالة المصطلحات المجردة، تختلف عن دراسة معانيها؛ إذا كانت مصطلحات علمية تشير لعلوم معينة أو مناهج قائمة بذاتها، وسندرك هذا الفرق الجوهری من خلال العرض التالي:

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

الفرع الأول: تعريف التفسير اللغوي: بما أنّ مصطلح التفسير قد ورد تعريفه سابقا، وبما أنّ

المصطلح مركب سيكون تعريفه كالاتي:

أولاً- لغة: اللغة فُعلة من لغوت، أي تكلمت وأصلها لغوة، وقيل: لغى أو لغو على وزن فعل والهاء عوض وجمعها لغيّ ولغات ولغون، واللغة: اللسان والنطق، يقال: هذه لغتهم التي يلغون بها، أي: ينطقون¹.

ثانياً- اصطلاحاً: لغة تعريفات متعدّدة، ومن ذلك تعريف ابن جني: " هي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"².

وعليه فالتفسير اللغوي كما عرفه الدكتور مساعد الطيار هو: " بيان معاني القرآن بما ورد في لغة العرب"³.

والمراد بما ورد في لغة العرب: ألفاظها وأساليبها التي نزل بها القرآن، وقد أشار إلى هذا الشاطبي، فقال: فإن قلنا إنّ القرآن نزل بلسان العرب وإنه عربي، وأنه لا عجمة فيه، فيعني أنّه أنزل على لسان معهود العرب في ألفاظها الخاصة وأساليب معانيها، وأنها فيما فطرت عليه من لسانها تخاطب بالعام يراد به ظاهره، وبالعام يراد به العام في وجه والخاص في وجه، وبالعام يراد به الخاص، وظاهر ويراد به غير الظاهر، وكل ذلك يعرف من أوّل الكلام أو وسطه أو آخره⁴.

لاشك أنّ تعريف الأستاذ مساعد الطيار الذي استخلص زبدته من كلام الشاطبي قبله، يقصد به فهم المعاني واستخراج الأحكام من الآيات القرآنية؛ باستخدام كل مستويات اللغة؛ بدءاً بالمستوى الصوتي ثم الصرفي ثم التركيبي النحوي والبلاغي وصولاً إلى الدلالي الشمولي، وهذا ما يسمى منطقاً بالتفسير اللغوي، لكننا رغم ذلك نجد خلطاً واضحاً وتذبذباً ظاهراً في استخدام المصطلح من طرف الباحثين على مرّ العصور، فهناك من يطلق هذا الاتجاه من التفسير على الشرح اللغوي للمفردة القرآنية، ويظهر هذا الخلط جلياً في كتاب (خطوات التفسير البياني).

¹ - ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، القاهرة - مصر، (د ت ط) ص 4050.

² - ابن جني: الخصائص، (ج1، ص 34).

³ - مساعد بن سليمان الطيار: التفسير اللغوي للقرآن الكريم، المرجع السابق، ص 38.

⁴ - الشاطبي: الموافقات، المصدر السابق (ج2، ص 45-46).

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

وقد تابعه الكثير من الباحثين فيما بعد¹، فعند تتبّعه لنشأة التفسير البياني يتعرض للتفسير اللغوي، وتارة يطلق عليه التفسير الأدبي، وهكذا يظهر المصطلح عنده بعدة مسميات. وقد ذكر أنّ أول من استن ذلك هو الفاروق ثم اشتهر على يد حبر الأمة ﷺ في قصته مع مسائل نافع بن الأزرق، والقصة كما نعلم هي شرح لمفردات قرآنية بواسطة شواهد عربية، وقد شكك بعض الباحثين في تلك الحادثة، لكن بنت الشاطي تكفلت بالبحث عنها، وحققت المسألة وأوردتها في كتابها (الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق) وإن سلطنا مسلك الاحتياط في المسألة بما يوجب العقل الناقد، لقلنا أنّ هذا الاحتياط لا يمنع من التسليم بجوهر المسألة.

لقد وضع سيدنا عبد الله بن عباس ﷺ اللبنة الأولى في صرح التفسير اللغوي، واشتهرت مدرسته بذلك وتابعه تلامذته وساروا على دربه كمجاهد وعكرمة وطاووس وابن جبير، وشارك في حفظ هذا التراث كل من علماء اللغة، فقد وجد ماثوثا بين كتبهم القيمة، مثل مصنفات معاني القرآن وغريب القرآن ومعاجم اللغة، وتوالت التفاسير عبر أحقاب زمنية طوال، تعتمد أولا على التفسير اللغوي كأول خطوة في شرح المفردات واستخراج المعاني؛ وهذا ما كان يُقصد به حينما يُطلق مصطلح التفسير اللغوي، ثم إنّ استخدام كل علوم اللغة في استنباط الدلالات؛ التي تحملها الألفاظ في مختلف السياقات، شكّل علما قائما بذاته، واستوى هذا الاتجاه التفسيري على سوقه - في العصر الحديث - وظهر كمصطلح مستقل يدل على نوع من التفسير، يعتمد أساسا على استخدام كل مستويات اللغة وعلومها الصوتية والصرفية والنحوية والبلاغية الدلالية في الكشف عن المعاني القرآنية لمحاولة فهم الآيات الربانية .

وقد هداني البحث إلى دراسة جزئية لهذا المصطلح عنونته بـ(التفسير اللغوي بين الأصل المعجمي والوضع الاصطلاحي) وفيه فرّقت بين الاستعمالين المختلفين لهذا المصطلح وربطته بفكرة الثابت والمتغيّر في التفسير، ومما جاء فيه ما يلي:

¹ - فمثلا نجد الدكتور البيومي في سياق حديثه عن أبي عبيدة معمر بن المثنى يقول: (ومنه نعلم أنّه كان خطوة تالية لخطوة ابن عباس في التفسير الأدبي) ص 62، ثم نجد الدكتور خالد العزاوي في كتابه (المنهج البياني في تفسير القرآن في العصر الحديث) يعيد الخطأ قائلا: (إنّ مجاز أبي عبيدة كان خطوة تالية لتفسير ابن عباس في تفسيره الأدبي) ص 42، وحققيقة الأمر هو تفسير لغوي وليس أدبيا، وكذلك وجدنا جل الدراسات الخاصة بهذا المنهج لا تفرّق بين المصطلحات.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

ثالثا: الثابت والمتغير من التفسير اللغوي:

1- الثابت في التفسير اللغوي: إذا تأملنا تفسير القرآن في الآثار المنقولة عن الصحابة أو التابعين أو أتباعهم، وفرزنا كل نوع من هذه الآثار المنقولة، فإننا نجد ما كان مرجعه اللغة؛ له الحظ الأوفر والنصيب الأكثر، وبهذا تكون اللغة التي ثبتت حتى عصر الاحتجاج بنقل العدول من علماء التفسير واللغة وغيرهم؛ هي اللغة التي يرجع إليها في تفسير كلام الله، وما عداها لا يعتمد عليه ولا يوثق به، وتعدّ تلك الشروح للمفردات وما نقل عن السلف واللغويين، في فهم المعاني القرآنية اعتمادا على اللغة؛ من قبيل الثابت في علم التفسير رغم تعددها، إذ تختص العربية بوجود المشترك اللفظي والأضداد والترادف، إلا أنّ رجوعهم للأصل اللغوي هو رجوع لمصدر واحد .

2- المتغير من التفسير اللغوي: نقل عن علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه- قوله عن اللغة بأنها حمالة أوجه، من هذا المنطلق فقد فتحت اللغة بابا واسعا لتعدّد المعاني واختلاف التأويلات وتوسّع الفهوم والمدارك حتى وصل الأمر لحدّ المغالاة؛ فجعلها أقوام أداة ووسيلة فعالة لإثبات آرائهم؛ الصحيح منها والسقيم، الصائب منها والزائغ عن سواء السبيل، قوم ركبوا سفن اللغة فوصلوا لبرّ الأمان في الفهم والاستنباط، وقوم شططوا باللغة عن الصواب فغرقوا في متاهات الانحراف والضلال .

ومّا لاشك فيه أنّ تعدّد مدلولات لفظ من ألفاظ القرآن في لغة العرب، كان سببا في اختلاف المفسّرين، فمنهم من اجتهد رأيه واعتمد معني، ويختار الآخر معنى مغايرا، وكلاهما معتمده الأول ورود هذا المعنى في لغة العرب، ثم صحّة حمل هذا اللفظ على الآية، وفي المقابل هناك من حمل اللغة فوق ما تحتمل، وجعلها فاكهة طازجة لتأويلاته الخارجة عن حدود العقل والمنطق، لكن تبقى اللغة بقواعدها المتينة وألفاظها الدقيقة سدا منيعا؛ لمن أراد أن يفسّر كلام الله بما لا يعرف معناه إلا خواص من الناس، كما يزعم كثير من غلاة الصوفية والفلاسفة وغيرهم، فمن أورد معنى لا تعرفه العرب كان ذلك مما يدل على بطلانه، إذ المعاني محدودة محصورة ومدونة مشهورة لا يمكن أن يزداد فيها ما ليس منها، إذ تعدّد المعاني اللغوية بحد ذاته يعود لأصل الوضع اللغوي، وهو اختلاف محدود ومبيّن يرجع لتعدّد اللهجات من جهة، وغناء اللغة بمفرداتها من جهة أخرى، وما زيد عليه من غلو في الفهم هو تنطع لا يبيّنه منطق اللغة من الأساس.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

ثم إنّ المفردة تحتمل من المعاني ما تحتمل، والسياق هو الذي يحدد المعنى، وقد استخدم المفسرون كل مستويات اللغة وعلومها في تفسير الآيات القرآنية، وذلك في محاولة فهم القرآن وإثبات إعجازه على مرّ الأزمان.

وخلاصة الأمر يمكننا القول أنّ مدلولات الألفاظ على تنوعها وتعدّدها؛ إلا أنّها متفق عليها في أصل الوضع اللغوي، وهي تعتبر من الثابت في علم التفسير، وهو جزء يتعلق بالشرح الاصطلاحي للمفردات القرآنية، ويسمى هذا أيضا بأسلوب (التفسير اللفظي)، أما المعاني التي تستخرج من المفردات على اختلاف سياقها وباستعمال مستويات اللغة تعدّ من قبيل المتغيّر في علم التفسير اللغوي، لأنّ هذا يرجع للمعاني الجديدة التي يفتح الله بها على المفسّر حينما يسير على قواعد التفسير بطريقة صحيحة.

ومن هذا المنطلق فإنّنا نفرّق بين الاستعماليين، بجعل مصطلح التفسير اللفظي؛ يقصد به شرح المفردات القرآنية بما جاء في لغة العرب، وجعل مصطلح التفسير اللغوي؛ خاصا بالتفسير الذي يستند على مستويات اللغة لاستخلاص المعاني القرآنية.

الفرع الثاني: تعريف التفسير البلاغي: بما أنّ المصطلح مركب أيضا وقد جاء تعريفنا للتفسير سابقا، سنكتفي هنا بإيراد مفهوم البلاغة، ثمّ ننظر في علاقة مصطلح البلاغة بالتفسير وكيف أصبح بعدها مصطلحا قائما بذاته.

أولا - لغة: تعني الوصول والانتهاء، يقال بلغ الشخص بلاغة إذا وصل بكلامه إلى ما يريد له من إمتاع وإقناع، جاء في لسان العرب: "بلغ الشيء يبلغ بلوغا وبلاغاً، أي؛ وصل وانتهى، تبلغ بالشيء وصل إلى مراده، البلاغ ما يتبلغ به ويتوصل إلى الشيء المطلوب، البلاغ ما بلغك، والإبلاغ: الإيصال، تقول بلغت المكان بلوغاً؛ وصلت إليه وكذا إذ شارفت عليه"¹.

وقال أيضا: "البلاغة: الفصاحة، والبُلُغُ والبَلُغُ: البليغ من الرجال، ورجل بليغٌ وبُلُغٌ وبُلُغٌ: حسن الكلام فصيح، يبلغ بعبارة لسانه كُنْه ما في قلبه، والجمع بلغاء، وقد بُلُغَ بلاغة: صار بليغاً"².

¹ - ابن منظور: لسان العرب، المصدر السابق، (ج 1، ص 468).

² - المصدر نفسه، ص 469.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

نلاحظ من خلال ما سبق، أنّ البلاغة والفصاحة تطلق على معنى واحد في الأصل اللغوي، ولعل هذا الاتصال الشديد هو الذي جعل القدامى يستعملونهما بمعنى واحد، فقد بقيت الكلمتان مترادفتان حتى القرن الرابع.

ثانيا: اصطلاحا: نالت البلاغة حظا وافرا من التعريفات الاصطلاحية، وذلك لأنّ العرب احتفت بها وأولتها عناية كبيرة، فتعددت التعريفات بناءً على تعدد مناهج العلماء وتباين تخصصاتهم اللغوية والنقدية أو الفكرية، ومن أمثلة هذه التعريفات:

سئل العتابي: ما البلاغة؟ فقال: كل من أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حُبسة ولا استعانة فهو بليغ¹.

وقال أبو هلال العسكري: "سميت البلاغة بلاغة، لأنها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه"².

ونقل ابن رشيق القيرواني تعريفات منها: "البلاغة لمحة دالة، وقال صاحب معجم (العين): البلاغة كلمة تكشف عن البقية، وقال آخر: قلت لأعرابي ما البلاغة عندهم، فقال الإيجاز من غير عجز، والإطناب من غير خطل"³.

وتحدّث الجاحظ عن البلاغة كثيرا، ولعله اختار هذا التعريف: "لا يكون الكلام بمستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك"⁴.

نلاحظ أنّ جلّ التعريفات كانت واصفة للقول ولم تكن معرفةً بحدّ هذا العلم، كما أنّ مصطلح البلاغة تقاطع مع مصطلح البيان في المفهوم، وما زالت المسألة الدلالية بينهما مثار جدل ونقاش حاد بين أرباب اللغة، فكل فريق يرى بشمولية مصطلح على الآخر، فالجاحظ يرى بشمولية البلاغة وتابعه بعض من المعاصرين⁵.

1 - الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص 113.

2 - أبو هلال العسكري: الصناعتين، ص 6.

3 - ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تح: توفيق النيفر، مختار العبيدي، جمال حمادة، ط 1: 2009م، بيت الحكمة، قسنطينة- الجزائر، ج1، ص 386.

4 - الجاحظ: البيان والتبيين، المصدر السابق، ج1، ص 115.

5 - منهم تمام حسان.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

أما صاحب كتاب (البيان العربي)¹ يرى خلاف ذلك، ولعلنا نميل إلى هذا الرأي، فمن وجهة نظرنا غاية البيان هو التبليغ والإبلاغ وفي هذا يشتركان بعلاقة الكل والجزء، فالبيان يشمل البلاغة ويحتويها.

أما البلاغة عند السكاكي فهي: " بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدًا له اختصاص بتوفية خواص التركيب حقها، وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها "².

وخلاصة القول فقد تعددت التعريفات الاصطلاحية للبلاغة، إلا أنّها جميعا تتفق في كون البلاغة تهدف إلى إيصال كلام يفيد معاني؛ بطريقة واضحة وسليمة، مع خلّوه من التكلف والفضول، ومراعاته لمقتضى الحال، وأن يختار اللفظ الكريم للمعنى الشريف، فلا خير في كلام لا يدل على معنائه، ولا يشير إلى مغزاه.

ثم إنّ مصطلح التفسير البلاغي لم يُعرف له مفهوم اصطلاحى لحدّ اليوم، إنّما شاع على ألسنة الباحثين حديثا دون قيود، ونجده متداولاً كعنوان بارز في بعض الرسائل العلمية³ ويقصدون التفسير الذي يعتمد بالدرجة الأولى على أغراض البلاغة واستخراج مختلف التشبيهات والصور البيانية والمعاني والأساليب وعلاقتها بالإعجاز القرآني، ولا يزال المصطلح لا يعرف تأصيلاً علمياً، إنّما جاء إطلاقه على تفاسير معينة عند دراسة مناهجها، ككتاب الزمخشري الذي يعدّ تطبيقات لدرس البلاغة، وغيره من التفاسير؛ التي استعانت بالبلاغة كثيراً وأولتها عناية هامة؛ بل جعلت هذا العلم مرتبطاً بالتفسير ارتباطاً وثيقاً، جاء في هذا الباب قول أبي هلال العسكري: " إنّ أحقّ العلوم بالتعلّم وأولها بالحفظ، بعد المعرفة بالله جلّ ثناؤه علم البلاغة ومعرفة الفصاحة الذي به يعرف إعجاز كتاب الله " ⁴.

1- بدوي طبانة.

2- السكاكي: مفتاح العلوم، المصدر السابق، ص 227.

3- مثلاً رسالة علمية معنونة بـ (التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم: الهزمة المجردة مع الفعل الماضي)، عبد العظيم

إبراهيم المطعني، ينظر: الحسين زروق: جهود الأمة في الإعجاز البياني للقرآن الكريم، ط1: 1434هـ/2013م، دار

السلام، الإسكندرية- مصر، ص 213 (مكتبة الإعجاز البياني للقرآن الكريم).

4- العسكري: الصناعتين، ص 03.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

ومن هذا المنطلق نحاول إيجاد تعريف للتفسير البلاغي بكل اختصار، فنقول: هو الاستعانة بفنون البلاغة لاستخراج ما في الآيات؛ من روعة الأسلوب وبديع النظم وقوة البيان، للتدليل على الإعجاز القرآني.

الفرع الثالث: تعريف التفسير الأدبي: بما أنّ المصطلح مركّب أيضا سنعرّفه كما يلي:

أولا- لغة: لم تتضمن كتب اللغة العربية على تعريف واضح لكلمة الأدب " نظرا إلى تطوّر مفهومها والغاية التي استعملت من أجلها عبر العصور"¹، وما يزيد الأمر إشكالا هو مصطلح الأدب بحدّ ذاته، إذ له دلالات واسعة، وقد عُرف عند الجاهليين إطلاقه على المأدبة؛ أي: الطعام، وفي العصر الإسلامي ورد عن النبي ﷺ قوله: (أدبني ربي فأحسن تأديبي)²، أما العصر الأموي فقد أصبح لفظ المؤدّب يطلق على جماعة المرّبين لأبناء الخلفاء والأمراء، وفي العصر العباسي نجد الكلمة أصبحت تستعمل في مجالات شتى، وأضحى المراد منها معرفة وإتقان القوانين الضرورية لكل نوع من المعارف، فهناك أدب الكاتب ويعني الإمام بكل ما لا غنى عنه لكل كاتب من العلوم اللغوية، وقد ألفت فيه المصنفات مثل كتاب (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر) لضياء الدين ابن الأثير.

ومن بين معانيه في معجم لسان العرب: " أصل الأدب الدعاء، ومنه قيل للصنيع يدعى إليه الناس: مدعاة ومأدبة، والأدب: الظرف وحسن التناول، وأدّب بالضم، فهو أديب، من قوم أدباء، والأدب: العجب"³.

ثانيا- اصطلاحا: فقد عرّفه صاحب (المقدمة)، بقوله: "هذا العلم لا موضوع له، ينظر في إثبات عوارضه أو نفيها، وإثما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته، وهي الإجابة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم"⁴.

1 - سليمان معوض: مدخل إلى الأدب العربي، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان: 2008، ص 7.

2 - أورده الشوكاني في (الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة) تح: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، ط1:

1416هـ/1995م، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، وهو حديث ليس له إسناد ثابت، باب (فضائل النبي ﷺ) رقم

الحديث: 25، ص 327.

3 - ابن منظور: لسان العرب، المصدر السابق، ج1، ص 80-81.

4 - ابن خلدون: المقدمة، تح: عبد محمد الدرويش، ط1: 2004، ج2، ص 376.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

ويعرّف الأدب حديثاً بأنّه: "علم يحرز به عن الخلل في الكلام، ومنه يعرف التفاهم عمّا في الضمائر بأدلة الألفاظ والكتابة، وموضوعه اللفظ من جهة دلالاته على المعاني، ومنفعته على إظهار ما في نفس الإنسان من المقاصد وإيصاله إلى شخص آخر من النوع الإنساني، حاضراً أو غائباً، وهو حلية اللسان والبنان، وأوّل أدوات الكمال، وبه يتميّز ظاهر الإنسان على سائر أنواع الحيوان، وينقسم إلى أصول الشعر والنثر، وفروع؛ بعضها خاص بالمفردات هي علوم اللغة والصرف وبعضها خاص بالمركبات، وهي علوم المعاني والبيان والعروض والنحو والقصة والرواية والمسرحية والخطابة والمقال"¹.

أما بالنسبة للتفسير الأدبي فلا يوجد تعريف دقيق لهذا المصطلح، يحدّد ماهيته أو يبلور أساسياته وأهدافه، إنّما جرت العادة أن يذكره الباحثون في منهج الشيخ محمد عبده، مقروناً بالتفسير الاجتماعي، أو مقروناً بالتفسير البياني دون تمييز بينهما، وهو إطلاق عشوائي لا دليل على صحته العلمية، والراجح أنّ أول من ذكره على حسب ما توصلت إليه من بحث و تنقيب؛ هو الشيخ أمين الخولي في كتابه (مناهج تجديد في البلاغة والنحو والتفسير والأدب) وبالرغم من أنّه لم يجعل له تعريفاً محدّداً، إلا أنّه أصّله وجعله منهجاً قائماً بذاته، قال بهذا الصدد: " إنّ التفسير اليوم - فيما أفهمه - هو الدراسة الأدبية الصحيحة المنهج، الكاملة المناحي، المتسقة التوزيع، والمقصد الأول للتفسير اليوم؛ أدبي محض صرف، غير متأثر بأيّ اعتبار وراء ذلك، وعليه يتوقف كل غرض آخر يقصد إليه "². كما أنّه لا بد من الوفاء بهذا الغرض، إذ القرآن كما يقول أمين الخولي: " كتاب العربية الأكبر وأثرها الأدبي الأعظم فهو الكتاب الذي خلّد العربية، وحمى كيانها، وخلد معها، فصار فخراً وزينة تراثها، وتلك صفة للقرآن يعرفها العربي مهما يختلف به الدّين، أو يفترق به الهوى ما دام شاعراً بعربيته"³.

وقد وقفت على مقال بعنوان (التفسير الأدبي للقرآن الكريم ومعامله)⁴ حيث أورد فيه صاحبه تعريفاً للتفسير الأدبي منسوباً لصاحب كتاب (التفسير والمفسرون)

1 - عبد المنعم الحفني: المعجم الشامل للمصطلحات الفلسفية، مكتبة مدبولي ط3: 2000، القاهرة- مصر، ص 36.

2 - أمين الخولي: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، ص 231.

3- المرجع السابق، ص 229-230.

4 - ينظر: بلحسن زين العابدين: (التفسير الأدبي للقرآن الكريم ومعامله)، ملتقى أهل التفسير:

http://vb.tafsir.net. tafsir35881 ، 2020/1/04م، 19:09.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

وقد جاء فيه: "هو معالجة النصوص القرآنية معالجة تقوم أولا وقبل كل شيء، على إظهار مواضع الدقة في التعبير القرآني، ثم بعد ذلك تصاغ المعاني التي يهدف القرآن إليها في أسلوب شيق أخاذ"¹.

لكن صاحب الكتاب جعل هذا التعريف مخصوصا باللون الأدبي الاجتماعي للتفسير في العصر الحديث، مضيفا ما بتره الباحث من جملة التعريف وهي (... ثم بعد ذلك تصاغ المعاني التي يهدف القرآن إليها في أسلوب شيق أخاذ، ثم يطبق النص القرآني على ما في الكون من سنن الاجتماع ونظم العمران).

ولا شك أنّ هذا ذكاء من الباحث في إيجاد مفهوم له من خلال هذا التعريف، لكن التبس عليه الأمر وجعلهما في مصاف واحد، ولم يتكبد العناء في التمييز بين المصطلحين، وغاب عليه أنّ صاحب القول كان يعرف في لون تفسيري نُسب للشيخ محمد عبده وتلاميذه، كما أنّ صاحب الكتاب، لم يعرج لا من قريب ولا من بعيد إلى أمين الخولي، فهو من دون شك قد سمع به أو رأى مؤلفاته، فهو أسبق منه زمنيا. والعجيب أنّ المؤلف عرّج على أمين الخولي في كتابه؛ عندما تحدّث عن العلماء الذين وقفوا موقف الرفض من التفسير العلمي الحديث، ولم يعرج عليه حينما تحدّث عن اللون الأدبي فيما يليها من صفحات، وبالتالي فإنّ عدم ذكره يدل على أنّه يقصد مدرسة الشيخ محمد عبده دون سواها، وعلى هذا الأساس لا يمكن نقل مفهوم المصطلح الذي جعله مخصوصا بتلك المدرسة إلى مصطلح آخر يشابهه هدفا لكنه بعده ظهورا، فالمنهجان مختلفان غرضا وغاية وأسلوبا.

ومن الغريب أنّ جلّ الباحثين² ينسبون المنهج الأدبي لمدرسة محمد عبده، و لا ننكر أنّ أمين الخولي قد تأثر بالإمام، وهناك شواهد كثيرة تثبت ذلك من خلال كلامه، لكنّه قد أعلن صراحة بأنّ منهجه يختلف عنه في الغاية والمقصد، يقول أمين الخولي: وقد سمعنا الأستاذ - رحمه الله - ينقد المفسرين فيما آثروا من أغراض، ويرى أنّ الغرض الأول والأهم في التفسير، أن يكون محققا لهداية القرآن ورحمته، فالمقصد الحقيقي عنده هو الاهتداء بالقرآن، وهو مقصد جليل ولا شك، لكن ليس بدعا من الرأي أن يكون قبل ذلك مقصدا أسبق وغرضا أبعد تنشعب عنه الأغراض المختلفة، وتقوم

¹ - الذهبي: التفسير والمفسرون، ج 2، ص 401.

² - منهم كامل سغفان صاحب كتاب (المنهج البياني في تفسير القرآن) وغيره من الباحثين.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

عليه المقاصد المتعددة، ولا بد من الوفاء به قبل تحقيق أي مقصد، وهو النظر في القرآن من حيث هو كتاب العربية الأكبر وأثرها الأدبي الأعظم.¹

وبهذا يكون الخولي قد حسم القول في هذه المسألة، والشيخ بجد ذاته قد أعرب عن مقصده في تفسيره، منكرًا على المفسرين الأوائل اهتمامهم بجانب؛ على حساب الالتفات للهدف الأسمى للقرآن وهو كونه كتاب الهداية، فهو لم يركّز على الجانب الأدبي بتاتا ولا أدري المعايير التي اعتمدها صاحب كتاب (التفسير والمفسرون) في تصنيفه، إذ جعله ينتمي للون الأدبي رغم أنّ تفسيره إرشادي إصلاحية ليس له علاقة بالأدب مطلقا، سوى مواضع معدودة تنتمي لعلوم اللغة. كما أنّ صاحب المنار الشيخ رشيد رضا² أعلن صراحة اختصاره لمسائل اللغة، إلا ما يتوقف عليه شرح الآية، جاعلا الغرض الأول للتفسير هداية الناس، منتقدا التركيز على الجوانب الأدبية، قال الإمام: " كان من سوء حظ المسلمين، أنّ أكثر ما كتب في التفسير يشغل قارئه عن هذه المقاصد العالية، والهداية السامية، فمنها ما يشغله عن القرآن بمباحث الإعراب وقواعد النحو ونكت المعاني ومصطلحات البيان"³.

ويشير تلميذه لمنهجه قائلا: " كانت طريقته في قراءة الدرس على مقربة مما ارتآه في كتابة التفسير، وهو أن يتوسع فيما أغفله أو قصّر فيه المفسرون، ويختصر فيما برزوا فيه من مباحث الألفاظ والإعراب ونكت البلاغة"⁴.

ثم إنّ الشيخ قسّم التفسير إلى قسمين، جاعلا القسم الأول؛ الجاف المبعد عن الله وعن كتابه، هو ما يقصد به حل الألفاظ وإعراب الجمل، وبيان ما ترمي إليه تلك العبارات والإشارات من النكت الفنية، وهذا لا ينبغي أن يسمى تفسيرًا، وإنّما هو ضرب من التمرين في الفنون كالنحو والمعاني وغيرها⁵. ومنه نلاحظ أنّه عاب على المفسرين التركيز على الجانب الأدبي، جاعلا اللغة وسيلة لفهم

1 - أمين الخولي: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، المرجع السابق، ص 229، بتصرف.

2 - محمد رشيد بن علي رضا ولد 1865م في قرية "القلمون (لبنان)"، وتوفي بمصر 1935م، ويعتبر مفكراً إسلامياً من رواد الإصلاح الإسلامي الذين ظهوروا مطلع القرن الرابع عشر الهجري. كان صحفياً وكاتباً وأديباً لغوياً. هو أحد تلاميذ الشيخ محمد عبده. أسس مجلة المنار على نمط مجلة "العروة الوثقى" التي أسسها الإمام محمد عبده، ويعتبر حسن البنا أكثر من تأثر برشيد رضا. (ينظر: موقع ويكيبيديا).

3 - محمد رشيد رضا: تفسير المنار، ج 1، ص 7.

4 - المرجع نفسه، ص 15.

5 - المرجع نفسه، ص 24.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

القرآن، وليست غاية بحد ذاتها، فقد ركّز على الجانب الإرشادي الاجتماعي، وهذا ما ينتبه له أي قارئ لهذا التفسير، وقد لخص الشيخ المراغي¹ هذا بقوله: "وكانت دروسه يجد علماء الاجتماع فيها تطبيق القرآن على معارفهم"².

وبعد كل هذا لا يمكن أن نعتبر تفسيره ينتمي للون الأدبي كما صنّفه الأستاذ محمد حسين الذهبي بذلك قائلاً: "ثم إنّ هذه المدرسة نهجت بالتفسير منهجا أدبيا اجتماعيا، فكشفت عن بلاغة القرآن وإعجازه، وأوضحت معانيه ومرامييه، وأظهرت ما فيه من سنن الكون الأعظم، ونظم الاجتماع، وعالجت مشاكل الأمة الإسلامية خاصة، ومشاكل الأمم عامة"³.

ثم تابعه الكثير من الباحثين⁴ في هذا الرأي، رغم أنّ له وقفات قليلة معدودة في هذا المجال، والحقيقة ما كشف هذا التفسير عن بلاغة القرآن أو إعجازه، فقد تعرّض لمباحث اللغة الضرورية منها لكنه لم يركز على الجانب البلاغي، فهو قد شرح الآيات بأسلوب مبسط، وكشف عن المعاني بعبارة سهلة مقبولة.

ولعل أول باحث في العصر الحاضر؛ أوجد للمنهج البياني تعريفا هو صاحب كتاب (المنهج البياني في تفسير القرآن في العصر الحديث) قائلاً: "هو الذي يتجّه إلى إثارة وجدان القارئ إثارة روحية رفيعة تحدث السرور في النفس فتقبل أو تحدث فيها الألم فتأبى وترفض"⁵، ثم إنّ القرآن الكريم غني بذلك؛ فهو لا يعتمد على التفكير وحده للإقناع، بل يعتمد على الوجدان حيث أنّه لا يغفل الناحية النفسية سواء في وعده أو وعيده وأوامره ونواهييه وقصصه وحتى في أحكامه وبراهينه.

1 - محمد مصطفى المراغي، عالم أزهري وقاض شرعي مصري، ولد سنة 1881م، شغل منصب شيخ الأزهر في الفترة من 1928م حتى استقالته في سنة 1930م، ثم تولى المشيخة عام 1935م حتى وفاته سنة 1945م، من مؤلفاته: الأولياء والمهجرون بحث فقهي في الحجر على السفهاء، وفسر بعضا من سور القرآن مثل سورة لقمان والحديد والعصر نشرت في مجلة الأزهر. (ينظر: موقع ويكيبيديا).

2 - محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، المرجع السابق، ج2، ص 415.

3 - المرجع نفسه، ص 402.

4 - جنح إلى هذا الرأي محمد رجب البيومي في كتابه (خطوات التفسير البياني) وخالد محمد العزاوي في كتابه (المنهج البياني في تفسير القرآن في العصر الحديث).

5 - خالد العزاوي: المنهج البياني في تفسير القرآن في العصر الحديث، دار العصماء، 1433هـ/2012م، دمشق - سوريا، ص

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

نلاحظ أنّ الباحث وصف حالة القارئ النفسية عند قراءته للقرآن أو قراءته للتفسير الأدبي، ولم يحدّد ماهية المصطلح كما كنّا ننتظر منه، كما أنّ دراسته لم تتسم بتتبع المصطلحات بدقة، فهو لم يحاول معرفة مقصدية أمين الخولي من هذا المصطلح، وكذلك تعرّض لدراسة منهج بنت الشاطي ولم يحدّد مفهوم البيان عندها، إنّما اعتمد على الجانب الاستقرائي بشكل كبير دون الوقوف على حقيقة المصطلح تاريخياً أو تطوره حديثاً.

وإذا كان الأدب هو اللغة والفن، والفن كما قال أمين الخولي: " هو الترجمة والتعبير عن الإحساس بالجمال... والخبرة بالنفس البشرية التي يصدر عنها ذلك الإحساس، هو خير ما تقوم عليه دراسة فنية في حقيقتها وجوهرها"¹. وما دام الأمر كذلك فإنّ " المتفهم لعبارة هو الذي يحدّد بشخصيته المستوى الفكري لها، وهو الذي يعين الأفق العقلي الذي يمتد إليه معناها ومرماها"² وعلى هذا فقد وجدنا آثار شخصية المتصدين للتفسير تطبع تفسيرهم له، حتى ليكاد كل مفسّر يصبح صاحب منهجه، وإن ربطت بينهم خيوط مشتركة، مرهونة بالمنابع الثقافية المشتركة³.

وانطلاقاً من هذا لعلنا نحاول أن نستوحي مفهومنا للمصطلح من خلال ما جاء من خطوات عند مؤسّسه أمين الخولي، لنقول أنّ التفسير الأدبي: هو تلك النظرة الفنية الخاصة للمفسّر، والتي تكشف لك عن المعاني الضمنية الجمالية للآيات القرآنية، وتريك ما فيها من براعة الأسلوب وبلاغة اللغة ورونق الألفاظ؛ حيث تعكس وصف إحساسه وذوقه للنص القرآني والخطاب الرباني، مع التركيز على الجانب النفسي وتحليله وفق خطوات سطرها أمين الخولي.

ويمكن تلخيص تلك الخطوات في النقاط التالية:

- تتبع تدرج المعاني اللغوية للألفاظ ثم ربطه بالمعنى الاستعمالي له في القرآن الكريم.
- الانتقال إلى التراكيب متخذاً الصنعة النحوية وسيلة إلى بيان المعنى وتحديدده، على أن تكون النظرة البلاغية هي الممثلة للجمال القولي في الأسلوب القرآني.
- التعرّف على أسرار حركات النفس البشرية.

¹ - أمين الخولي: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، المرجع السابق، ص 250.

² - أمين الخولي: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، ص 224.

³ - المرجع نفسه، ص 224

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

المطلب الثاني: مفهوم التفسير البياني من منظور بنت الشاطي؛ والفرق بينه وبين أنواع التفاسير

اللغوية الأخرى:

يرتبط في أذهاننا جميعا بمجرد ذكر كلمة التفسير البياني، اسم بنت الشاطي - عائشة عبد الرحمن - ومع أنّها ليست صاحبة المنهج التفسيري ولا مؤسسته، ولا هي من حدّدت معالمه، وبلورت ملامحه ورسمت خطواته، لكنّها أذكت شعلته والتصق بها؛ كونها أول من أطلقه على هذا الاتجاه من التفسير، رغم أنّ مؤسسه الأستاذ أمين الخولي، - مثلما رأينا سابقا - قد أطلق على منهجه مصطلح التفسير الأدبي، كما وقد ينصرف إلى أذهاننا جميعا، أنّه تفسير يُعنى بعلم البيان؛ الذي هو قسم من أقسام البلاغة، ولا مندوحة في ذلك؛ فقد أجمع أرباب البلاغة على إطلاق هذا المدلول على مصطلح البيان، من لدن السكاكي إلى يومنا الحالي.

لكن عندما نطالع تفسيرها نصطدم بعدم اقتصارها على هذا الفن من البلاغة، فتراودنا هواجس نحو هذا الاتجاه التفسيري، وتحوم حولنا أسئلة علمية تجعلنا في ريب من أمرنا، من هنا كان لزاما علينا أن نفقه دلالة مصطلح التفسير البياني، وماذا تعني به بنت الشاطي؟ وما هي الوسائل والإجراءات التي اعتمدها في تحقيقه؟ وهل وقّفت في تطبيقه بعد تنظيره، وبلورته بعد تحديده؟ وهل أرادت به البياني مستقلا، أم هو اللغوي والبلاغي والأدبي؟ هل يتقاطع مفهومها للبيان مع مفهوم السابقين؟ أم أوجدت له مفهوما آخر؟

إنّنا لن نصل إلى ما نصبو إليه، إلا إذا قمنا برصد دلالة المصطلح في مؤلفاتها على اختلاف السياق؛ وتباين زمن التأليف، فباستقراء وتتبع وتعقب لفظة البيان، سنحاول إدراك مقصدها، لتشكيل صورة عامة بواسطة تلك الإرهاصات؛ التي تفيدنا في وضع حدّ للمصطلح المركّب، من زاوية نظرها، وتعيننا على فهم اللفظ الزئبقي المميّع، وضبط ملامح رسمه المختلط، ولندرك مدى نضج فكرة المصطلح من البداية، أم أنّه كان نتيجة لأفكار تشكّلت وتبلورت في النهاية، لنحاكمها بعد ذلك في مدى تطبيقها للمنهج، ومدى دراستها للمصطلح دراسة علمية دقيقة.

وقد حاولنا أن نعرف من خلال مؤلفاتها من هو الأسبق، لندرك مدى تطوّر ونضج أفكارها ورؤيتها لمصطلح البيان، لنعلم هل استقرّ مفهومه لديها من الأوّل، وتشكّلت معالمه من أوّل خطوة؛ أم أنّها تحبّطت فيه، وضاعت في مدلوله، متكئة على عذر وجيه يكمن في الدلالة الزئبكية للمصطلح؟

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

وكان من الصعب بمكان تحديد ذلك، فكتبها طبعاً أكثر من مرة، وما كان علينا سوى أن نعلم إلى قراءة مؤلفاتها، فربما أشارت إلى السابق قبل اللاحق، ولعلنا نتوصل بذلك إلى نتيجة صائبة، ففي مقدمة كتابها (الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق) تقول في مقدمته:

"وقد شغلني قضية الإعجاز البياني، دون أن أُنَّجَّ إليها قصداً؛ فأثناء اشتغالي بالتفسير البياني والدراسات القرآنية، تجلَّى لي من أسراره الباهرة، ما لفتني إلى موقف العرب الأصلاء من المعجزة القرآنية في عصر المبعث، ووجهني إلى محاولة منهجية، في فهم عجزهم؛ عن الإتيان بسورة من مثل القرآن، وقد تحداهم أن يفعلوا، والعربية لغته ولغتهم، والبيان طوع ألسنتهم" ¹.

ربما نستنتج أنّ كتابها هذا، كان بعد كتاب (التفسير البياني للقرآن الكريم)، وأنّ تأليفها في الإعجاز البياني، قد سبقه اشتغالها بالتفسير البياني، ولكنها تبقى نتيجة غير حتمية، يجب أن تشقّ بتواريخ زمنية دقيقة لتكون الأدلة قوية، فكل ما أملكه من دليل في هذا الكتاب، هو قولها الآنف الذكر، وتاريخ زمني أدرجته في آخره، عندما أهدت الكتاب؛ لأبيها العالم، ولزوجها وأستاذها مؤسس المنهج - أمين الخولي - ولطلبتها وزملائها، فقد كتبت في آخر الإهداء: المغرب 1391هـ/1971م؛ 1404هـ/1984م.

ولكن يبقى السؤال مطروحاً، هل التاريخ الأول، هو تاريخ الانتهاء من تحريره، أم يشير لتاريخ طبعه؟ وماذا تقصد بالتاريخ الثاني، والفترة الزمنية بينهما متباعدة قليلاً، تقدّر بـ 13 سنة.

رغم ذلك حاولت أن أقارن بين نسخ متعدّدة من هذا الكتاب، عليّ أجد ما يشفي الغليل، ويريح الضمير، وتعدّ عليّ تحقيق هذا، فلم تعد كتبها متوفّرة، لانعدام طباعتها مجدداً مع كتب أمين الخولي؛ وكان عليّ أن أبحث عن من يملك كتبها سابقاً، وجلب كتب الخولي من مصر، وإن كانت شبه منعدمة أيضاً، فقد تحصّلت عليها بشقّ الأنفس.

وحيثما نطالع كتابها (التفسير البياني للقرآن الكريم) تقول في مقدمة الطبعة الخامسة له:

¹ - عائشة عبد الرحمن: الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، ط3، (د ت ط) دار المعارف، القاهرة، ص 11.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

" ظهرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب في سنة 1962¹. فتاريخ الطبعة الأولى من هذا الكتاب، بناءً على شهادة صاحبه هو في 1962م، ووجدتها أيضا تضع تاريخا في نهاية مقدمة الطبعة الخامسة، الرباط: رمضان 1397/ سبتمبر 1977؛ وفي نفس الطبعة الخامسة نجد مقدمة الطبعة الأولى، مشفعة في آخرها بتاريخ مسقط رأسها: مصر الجديدة: شعبان 1381/ يناير 1962، وهذا ما يؤكد تخميني السابق، كونه تاريخ الانتهاء من التحرير، مثله مثل الكتاب السابق.

إنّ تعدّد الطبعات وضعني في مأزق ما استطعت حياله تحديد السابق واللاحق من مؤلفاتها، وكلامها عن مؤلفاتها في مقدماتها مأزق أكبر، لظهور تناقضه وصعوبة فك رموزه، ففي مقدمة الطبعة الأولى تقول بنت الشاطي: "والدراسات القرآنية، في المجال العام، تسير على غير منهج، ويتصدى لها من المؤلفين من ليسوا أهلا لها، ولم أنس محاولة الأستاذ مصطفى صادق الرافعي² - رحمه الله - في إعجاز القرآن، والحديث عن قيمتها يأتي في مدخل كتابي (الإعجاز البياني)³."

فمن خلال هذا القول، نقول بلا شك أنّ كتابها (الإعجاز البياني) كان الأسبق، ونجدها تذيّل ذلك بهامش قائلة فيه: "بعد الفراغ من دراستي هذه، تحدّثت عنها إلى عدد من أساتذة دمشق وعلمائها، عندما دعيت لأحاضر بجامعةها في يناير 1960⁴."

فهل تقصد بنت الشاطي هنا؛ دراستها في التفسير البياني، أو دراستها في الإعجاز البياني، سؤال محيّر لم نجد له جوابا شافيا، وخاصة عندما وجدنا كلامها في مقدّمة الإعجاز يناقض كلامها الأول، فقد ذكرت فيه أنّ اشتغالها بالإعجاز البياني ظهر لها من خلال اهتمامها بالتفسير البياني.

ثم إنّ الجزء الثاني من كتاب (التفسير البياني للقرآن الكريم) تقول صاحبه: "مضت خمس سنوات على ظهور الجزء الأوّل من هذا التفسير البياني، نفذت من خلالها ثلاث طبعات منه... وعلى مدى تلك السنوات، تابعت العكوف على تدبّر البيان القرآني والانقطاع لخدمة كتابنا الأكبر، فكنت كلما

1 - عائشة عبد الرحمن: التفسير البياني للقرآن الكريم، ط8 (د ت ط) دار المعارف، القاهرة- مصر، ص 9.

2 - مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي العمري (1298 هـ - 1356 هـ الموافق 1 يناير 1880 - 10 مايو 1937 م) ولد في بيت جده لأمه في قرية بهتيم بمحافظة القليوبية في أول وعاش حياته في طنطا. ينتمي إلى مدرسة المحافظين وهي مدرسة شعرية تابعة للشعر الكلاسيكي لقب بمعجزة الأدب العربي. (ينظر: موقع ويكيبيديا).

3 - المرجع نفسه، ص 14.

4 - المرجع السابق، ص 14.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

اجتليت باهر أسراره البيانية، ألفت من الصعب أن أقدمها على النحو الذي يفني بجلالها، وتهيئت أن أؤدي بالمألوف من تعبيرنا، أسراراً من البيان المعجز تدق وتشف، حتى لتجل عن الوصف وتبدو كلماتنا حيالها عاجزة صماء، فإن أكن قد جرؤت على تقديم هذا الجزء الجديد من التفسير البياني بعد طول تهيّب ومعاناة، فليشفع لي أيّ حشدت له كل طاقتي وجهدي، وأنّ الأمر فيه يتجاوز كل طاقة وجهد" ¹.

إنّنا نلمح من خلال كلامها، أنّ الفترة الزمنية بين الجزء الأوّل من كتاب التفسير البياني، يبعد عن فترة تأليفها للجزء الثاني من التفسير البياني، ففي نهاية المقدّمة من الجزء الثاني للتفسير البياني تسجل التاريخ كعادتها ليكون بالمغرب في: شوال 1397هـ/ أكتوبر 1977م، وعلى أية حال هو تاريخ الطبعة الثالثة، وإذا وضعنا مقارنة بينه وبين كتاب (الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق) في طبعته الثالثة أيضاً، لوجدنا الأخير سابقاً، ويبقى الإشكال قائماً بين كتاب الإعجاز البياني والتفسير البياني في الجزء الأوّل، وربما تاريخ التحرير ومكان الإقامة، نستطيع أن نفصل به الأمر، فكتاب التفسير البياني كان في مصر، أما كتاب الإعجاز فقد كان في المغرب، وأهدته لزملائها في جامعة القرويين، وهذا يشير إلى أنّه أُلّف في فترة مكوثها بالمغرب، مع الجزء الثاني للتفسير البياني، مع احتمال أنّها قد تكون أُلّفت الإعجاز ولم تطبعه إلا بعد التفسير البياني، اعتداداً بقولها الثاني، وقد تكون أُلّفته بعد التفسير البياني اعتماداً على قولها الأوّل، ويبقى الرأي الصائب أنّها اهتمّت عموماً بالدراسات القرآنية، والإعجاز البياني وانعكس ذلك في دراساتها التطبيقية للتفسير البياني.

وبعد ذلك ربما أخلص إلى نتيجة رغم وجاهتها وطول الاستقصاء والتحقّق فيها، إلا أنّها تبقى نتيجة ظنيّة لا يصح معها اليقين، وافترض لن نثبتها إلا باستدلال، لأستنتج بعدها قائلة: أنّها أُلّفت الجزء الأوّل من كتابها (التفسير البياني للقرآن الكريم)، اعتداداً بشهادته صاحبه في ذكر تاريخ الطبعة الأولى، ثم كان تأليفها لكتاب (الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق) هو الثاني، ثم أُلّفت بعدها الجزء الثاني من كتاب (التفسير البياني للقرآن الكريم).

1 - عائشة عبد الرحمن: التفسير البياني للقرآن الكريم، ط3 (د ت ط)، دار المعارف، ج 2، ص 7.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

الفرع الأول: دلالة مفردة (البيان) في كتاب (القرآن وقضايا الإنسان):

اعتمد علي هذا الكتاب الباحث¹ من قبلنا؛ في إدراك مفهوم البيان عند بنت الشاطيء، فقد عاجلت فيه أهم قضايا الإنسان من المبتدء إلى المنتهى، تهديه لزوجها وأستاذها، بكل إخلاص كما عهدنا ذلك منها في كتبها السابقة، فكأنما كانت شخصية زوجها المثالية؛ بشموخها وعمق تفكيرها، صورة مجسدة لما ينبغي أن يكون عليه الإنسان المسلم السامي من وجهة نظرها، وكان في شهر مارس بمسقط رأسها سنة 1969م / محرم 1389هـ ، وعليه فقد كان هذا الكتاب بعد التفسير البياني من جزئه الأول، وقبل الكتب الأخرى، وهي تسير فيه بنفس المنهج الذي سارت عليه، في كتابها (التفسير البياني) من خلال استقراء المفردة في كل سياقاتها من القرآن الكريم، فتعرضت للفظه الإنسان والناس والبشر، وبيّنت الفروق الجوهرية بينها، والأهم من ذلك عرّجت فيه على مصطلح البيان، في معرض حديثها عن آية الرحمن، وقامت باستقراء صيغة البيان في القرآن، والتي وردت في ثلاثة مواضع هي:

﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران: 138)

﴿ الرَّحْمَنُ ۙ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۚ ۝٢ خَلَقَ الْإِنسَانَ ۚ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۚ ۝٤ ﴾ (الرحمن: 4)

﴿ إِنَّا عَلَّمْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۚ ۝١٧ إِذَا قَرَأَهُ فَانْبَعَثَ أَقْبَانَهُ ۚ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّا عَلَّمْنَا بَيَانَهُ ۚ ۝١٩ ﴾ (القيامة: 19)

وكانت كلها في سياق يتصل بهذا القرآن؛ الذي نزل على نبيّ أمي من العرب، فأعياهم أن يأتوا بسورة من مثله، وكل استعمال المادة (ب ي ن) بمختلف صيغها، يدل دلالة صريحة على الوضوح والإبانة الكاشفة، ويأتي ذكر القرآن (كتابا مبينا) كما توصف آياته تعالى بالبيّنات، والبيّنة: الحجّة الواضحة الملزمة².

إنّ حديث بنت الشاطيء في هذا الكتاب، ينطلق من البيان الإنساني في القرآن، حيث أشارت إلى وجود دلالة عامة للبيان ودلالة خاصة؛ ويختلف البيان عن مجرد النطق الصوتي، فقد جاء المنطق مضافا إلى الطير، ولم يضاف إليهم البيان، وبالتالي اختصاص الإنسان بدلالة البيان على النطق الصوتي هو ما تسميه البيان العام، والبيان بمفهومه الخاص الذي لا تسيع العربية إسناده لحيوان أعجم أو

¹ - باب العياض نور الدّين: المنهج البياني في تفسير القرآن الكريم، ص 87 وما بعدها.

² - ينظر: عائشة عبد الرحمن: القرآن وقضايا الإنسان، (د ت ط) دار المعارف، القاهرة- مصر، ص 55.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

جماد، هذه الدلالة الخاصة هي من خصائص الإنسان وحده، وعلى أساسها تم اختيار لفظ البيان للمصطلح البلاغي من فن القول، واختصاص الإنسان بالبيان في سورة الرحمن يرتبط بهذه المعجزة البيانية للنبي العربي، وكانت معجزة خاتم الأنبياء هذا البيان الذي يخاطب الحسن المرهف، والضمير الحي، والبصيرة الواعية، ويرقى بالبشرية إلى المستوى الذي يرجى لها فيه أن تؤمن بكتاب مبین.

وإذا كان البيان في عمومه؛ خاصا بالإنسان الرشيد المميّز الناطق المبين، فإن ارتباطه بمعجزة النبي العربي، يتجه به إلى دلالة أخصّ بالعرب؛ الذين اصطفى الله منهم نبيّ الإسلام، وكانوا أول من تلقى آيات معجزته، والعرب أهل بيان؛ أي أتم أهل بلاغة، ومكنة أدبية، وأسلوب باهر، وخطاب راقٍ، فلا يذكر التاريخ أتم عرفوا فناً غيره من الفنون؛ التي عرفتها شعوب أخرى قديمة، كالموسيقى والنحت والتصوير والرسم والفن المعماري.

والقرآن خاطبهم بلسانهم، ونزل بلغتهم وبأسلوبهم، فهم الذين يدركون إعجاز البيان القرآني، ويملكون قبل سواهم؛ معرفة مصدره الرباني، فحينما أبهرهم ببيانه المعجز، آمن منهم من آمن؛ بمجرد سماع كلمات منه، وكفر منهم من كفر؛ عن عناد وضلال، مع يقينهم بأنه ليس من قول البشر، فزعيم الكفر والضلال¹ يقول فيه أبلغ قول، ومقولته يحفظها التاريخ إلى يوم الدين (إنّ له لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإنّ أسفله لمغدق وإنّ أعلاه لمثمر، وأنّه يعلو ولا يعلى عليه).

لكن أعمته حمية الجاهلية، واتّبع دين خلائه، فساروا به إلى طريق هلاكه، وطاوعهم ونكّل بالقرآن من حيث لا يدري أنّه اعتراف مهزوم، وانتقام مسلوب، فقال: بل هو كلام شاعر وقول ساحر وحيلة كاهن.

إنّ عجزهم عن الإتيان بآية من مثله، وانبهارهم أمام سحر نظمه ولفظه، اعتراف صريح بأنّ هذا البيان القرآني، يملك قلوبهم ويسيطر على وجدانهم؛ سيطرة لا عهد لهم بمثلها إلا في سلطان الشعر، وأخذة السحر، ونفوذ الكهان، ولذلك اتهموا بها القرآن، حينما لم تسعفهم أنفسهم للإيمان، لكن تعترف قلوبهم خفية بالإذعان، وإن طغوا في العناد والكفران.

¹ هو الوليد بن المغيرة التي نزلت فيه آيات سورة المدثر ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ ففعل كيف قدر ﴿١٩﴾ ثمّ فعل كيف قدر ﴿٢٠﴾ ثمّ نظر ﴿٢١﴾ ثمّ عبس وبسر ﴿٢٢﴾ ثمّ أذبر واستكبر ﴿٢٣﴾ فقال إنّ هذا إلا سحر يؤثر ﴿٢٤﴾ إنّ هذا إلا قول البشر ﴿٢٥﴾

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

ثم إننا نجدتها تشير إلى لمحة ذكية، ونكتة شجية، فبعدما اطمأن المناطق إلى تعريف الإنسان بأنه (حيوان ناطق) إذ هو تعريف جامع لكل أفراد الإنسان، مانع لغيره من الحيوان الأعجم، لكن القرآن يعدّ البيان خاصية مميزة للإنسان عن عامة جنسه الحيواني، فلقد لفت إلى أنّ مجرد النطق الصوتي ليس مناط إنسانيته الناطقة، واستشهدت على ذلك بالآيات¹؛ التي ورد فيها لفظ (البكم) حيث يتعيّن فيها جميعاً، أنّ قيمة النطق أو السمع والبصر، ليست في آلية هذه الأجهزة العضوية، فالحيوان في عمومه المطلق مزوّد كذلك باللسن وآذان وعيون، وإتّما مناطها في أن يكون منطلق الإنسان بياناً، وسمعه وعياً وإدراكاً، وبصره تمييزاً وهدى، وإلا مسخت إنسانية الإنسان، فهبط إلى دونية الدواب العجماء.

وفي خلاصة حديثها عن قضية الإنسان وخاصيته بالبيان، نجد بنت الشاطي تلمح لقضية مهمة وهي أنّ سلطان البيان لا تنفرد به لغة دون أخرى، إنّما هو عام في اللغات الإنسانية، وإذن فاختصاص الإنسان بالبيان ليس محدوداً باقتداره عليه دون الحيوان الأعجم، بل يتسع ذلك الاختصاص، فيشمل انفعال الإنسان بالبيان وتدوقه إياه، وإدراكه لوقعه المسيطر على منافذ التأثير والوجدان، وهو أدواته في التعبير المبين، ووسيلته إلى ممارسة قدرته على التفكير، وأهليته للتعلّم؛ التي استحق بها أن يكون خليفة الله في الأرض².

من خلال ما أوردته بنت الشاطي من حديث عن البيان، يمكننا أن نلخص أهم الأفكار التي تشكّل مرادها منه، ولعلّ من أبرزها؛ هو ذلك التحديد الذي فرّقت به بين دلالة البيان العامة التي

¹ ﴿صُمُّ بَنِيكُمْ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾ [البقرة: 18] ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الذِّبِّ يَعْرِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَ وَنِدَاءَ صُمُّ بَنِيكُمْ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [البقرة: 171] ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُدُّوا بِبَنِيكُمْ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَاءُ اللَّهُ يُضِلُّهُ وَمَنْ يُشَاءُ يَجْعَلُهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنعام: 39] ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ يُؤْمِنُونَ أَدَانًا لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْفٰقِلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأعراف: 179] ﴿إِنَّ سَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يُعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنفال: 22] ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجَّهُهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾ [النحل: 76] ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَبُهِّوْهُ الْمُغْتَابَةَ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ وَيَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَٰ وَبُكْمًا وَأَصْمًا مَا يُوْنَهُمْ جَهَنَّمَ كَمَا جَبَّتْ زِدْنَاهُمْ سَوْجِرًا ﴿٩٧﴾﴾ [الإسراء: 97].

² ينظر: عائشة عبد الرحمن: القرآن وقضايا الإنسان، من صفحة 56 إلى 59.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

اختصّ بها الإنسان، وبين الدلالة الخاصة التي تتمثل في الأسلوب وبراعة التعبير، ومنها جاء اختيار المصطلح لفن القول البلاغي، الذي ارتبط بالمعجزة البيانية التي جاء بها خاتم الأنبياء ﷺ.

إنّ هذا البيان جاء ليخاطب الحس المرهف، والضمير الحي، والبصيرة الواعية، فهو بيان تأثري على النفوس، وبيان انفعالي من النفوس؛ التي تتذوقه وتدرك وقعها بوجدانها، فهو أشبه ما يكون بمعادلة عكسية بعلاقة تكافؤية، تتأثر من جهة، وتؤثر من جهة أخرى؛ حينما تنفعل لتعبّر، وتمارس قدرتها في التفكير والتعلّم، إذن فهو بيان سام يتعلّق بمهمة الإنسان في الوجود، وبهدف تحقيق خلافته في الأرض.

إنّ جمال البيان ورونقه لا يقتصر على لغة دون أخرى، إنّما هو عام في اللغات الإنسانية، وهي بذلك تشير إلى جمال الأسلوب ونظمه، فلكل لغة أسلوبها وسحرها الخاص، الذي ينعكس أساسا على متلقيها ومتذوّقها والتمكّن فيها، فهو الذي يتأثر بها وينسجم معها.

وفي ربطها البيان بالمعجزة الخالدة، يكون العرب أهل بيان، حيث يتأرجح المصطلح هنا بين معاني البلاغة، والأسلوب الراقي، والمكنة الأدبية.

وخلاصة القول في هذا الكتاب؛ أنّ ابنة الشاطئ تركّز فيه على البيان الإنساني، فقد وضع القرآن مكانته الأصيلة في إنسانية الإنسان، وليس من المعقول أن نكتفي برؤيتها تلك؛ في بلورة مصطلح التفسير البياني، ولعلّ الباحث قد جانب الصواب، حينما اكتفى بإيراد كلامها بهذا الصدد، دون أن يعتمد على مؤلفاتها الأخرى، فالبيان في هذا الكتاب يتأرجح بين عدّة معانٍ، قد تبعد عن مفهومه الجوهري الخاص ببيان القرآن، فقد أطلقته أيضا لتعني به الإيضاح استنادا لأصله اللغوي.

ومن ثم فإنّ اعتمادي على فكرة ترتيب المؤلفات، بالرغم من أنّها فكرة منطقية إلا أنّها لا تزال افتراضات، لم تنته لنتيجة حتمية بعد. ولن أعرف السابق واللاحق من مؤلفاتها بدقة، لتزاحم الطبقات وتعدّد المقدمات، وتناقض الكلمات، ولن أعرف ماذا تقصد بالبيان، إلاّ من خلال تطبيقها وتتبع منهجها، وتعقّب كلامها، فهل سيصدق حدسي؟ وهل سأقطع الشك باليقين؛ وأصل من خلال الفرضيات السابقة، إلى نتيجة حتمية سائغة؟ أم أنّي سأغرق في بحور معارفها، وسعة مداركها؟

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

الفرع الثاني - دلالة مفردة (البيان) في كتاب (التفسير البياني للقرآن الكريم)

في هذا السفر الجليل، تفسّر بنت الشاطئ بعضاً من السور المكيّة، وفي مقدمته تلخّص خطوات السير على المنهج الذي أسّسه أستاذها؛ والذي يعتمد على أربع مرتكزات، أولها جمع كل ما في الكتاب المحكم؛ من سور وآيات في الموضوع الواحد، لما يراد فهمه من كتاب الإسلام، ثم فهم ما حول النص، وفهم دلالات الألفاظ، وفهم أسرار التعبير.

ثم نجدتها تشير إلى هدفها من خلال دراساتها، فهي حريصة على توثيق علوم العربية بالبيان القرآني، فلا يصح لدارس فقه الإسلام قول دون رسوخ في علوم العربية، كما لا يصحّ له رسوخ في العربية دون دراية بعلوم القرآن والإسلام، وقد أعلنت تدميرها من مناهج التعليم في قسم الأدب، فقد اعتكفنا على دراسة نصوص مختارة من شعر العربية ونثرها، من المراثي والمدائح والحماسيات والغزليات، "شغلنا بهذا ومثله عن القرآن الكريم؛ الذي لا جدال في أنّه كتاب العربية الأكبر، ومعجزته البيانية الخالدة، ومثلها العالي؛ الذي يجب أن يتصل به كل عربي أراد أن يكسب ذوقها ويدرك حسها ومزاجها، ويستشف أسرارها في البيان وخصائصها في التعبير والأداء"¹. وتركنا هذا الكنز الغالي لدرس التفسير، والقليل منا فقط من نقله إلى مجال دراسات العربية؛ التي حصرت على الدواوين الشعرية، وكان هذا الدرس التفسيري تقليدياً أثرياً، لا يتجاوز فهم النص القرآني، حتى جاء شيخها وأستاذها - أمين الخولي - فخرج به عن ذلك النمط التقليدي، وتناوله نصاً لغويّاً بيانياً، على منهج أصّله، وتلقته هي عنه.

ثم تلفت انتباهنا لأمر مهم، فقد حافظت على ما أطلقه صاحبه على مصطلح منهجه أولاً، ثم تربطه بما كان من المفروض أن يكون عليه قائلة: "ولكن التفسير الأدبي للقرآن ظل حتى اليوم، محصوراً في نطاق مادة (التفسير) دون أن ينتقل إلى مجال الدرس البياني مع تراث الفصحى، وهيهات أن يرقى إليه نص منها"².

إنّ هذا الكلام هو لبّ فكرة التفسير البياني، فهي تود ربط الدراسات الإسلامية، بعلوم العربية ونقل الدراسات القرآنية لمجال الأدب، فهو أولى الموروثات العربية بالدراسة والتحليل، وإذ هي تتبع في الجامعة، أسئلة الامتحان في مواد اللغة والأدب، لم تجد ولا أستاذا يضع سؤالاً في البيان القرآني، ولم

1 - عائشة عبد الرحمن: التفسير البياني للقرآن الكريم، ج1، ص 13.

2 - عائشة عبد الرحمن: التفسير البياني للقرآن الكريم، ج1، ص 13.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

تجد من جعل النص القرآني؛ موضوعا لدراسة منهجية، على غرار ما نفعل بنصوص أخرى لا سبيل إلى مقارنتها بالقرآن الكريم في إعجازه البياني.

ومن ثم فقد ذكرت بنت الشاطئ تلخيصا للتفسير الذي تبنته؛ في معرض كلامها عن الأصل في هذا المنهج، قائلة: " هو تناول الموضوعي الذي يفرغ لدراسة الموضوع الواحد فيه، فيجمع كل ما في القرآن منه، ويهتدي بمألف استعماله للألفاظ والأساليب، بعد تحديد الدلالة اللغوية لكل ذلك ... وهو منهج يختلف تماما والطريقة المعروفة في تفسير القرآن سورة سورة، ويؤخذ اللفظ أو الآية فيه، مقتطعا من سياقه العام في القرآن كله، مما لا سبيل معه إلى الاهتداء إلى الدلالة القرآنية لألفاظه، أو لمح ظواهره الأسلوبية وخصائصه البيانية"¹.

ثم إننا إذا تتبعنا لفظة البيان في كتابها (التفسير البياني للقرآن الكريم) والذي ترجّح لدي أنه أول مؤلفاتها، نجد أنّ كلمة (البيان) ومشتقاتها وردت حوالي ستين مرة، في سياقات متعدّدة، ولعلنا نلخص أهم المواضع التي تسوق فيها هذا اللفظ:

أولا-تورده أحيانا في مقام لتثبيت به مراعاة الخطاب لمقتضى الحال، فمثلا حينما تعرضت للفظه ﴿سَجِيءٌ﴾ من سورة الضحى، ترى أنّها هي اللفظة المناسبة لليل دون غيرها من المترادفات الأخرى، فالسكون والفتور هو ما يلائم الموقف بيانيا، لأنّه يمهد لموقف مماثل غير حسي ولا مشهود، وهو برأيها فتور الوحي بعد إشراقه وتجليه، وكانت موفقة لحد بعيد في تفسيرها أكثر ممن سبقها من المفسرين الأجلاء.

ثانيا- وقد تعني بلفظة البيان (الوضوح) استنادا لأصلها اللغوي، فنراها تقول أحيانا: ثم تتابعت الآيات تزيدها جلاءً وبيانا، وليس النص القرآني في وضوح بيانه بمسؤول عن هذا الخلاف².

¹ - المرجع نفسه، ص 17- 18.

² - ص 202.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

ثالثا- وقد تورد اللفظ مقرونا بالإعجاز، تقول: إنّ القرآن الذروة العليا في نقاء أصالته وإعجاز بيانه¹، وتقول: (والبيان القرآني المعجز)².

رابعا- تعتمد على تحليل الظواهر الأسلوبية وتطلق عليها مصطلح لفظة بيانية، أو ملحظ بياني³.

خامسا- وتردد أيضا على لسانها جملة (أو ملح ظواهره الأسلوبية)⁴ (ظاهرة بيانية)⁵.

(ظاهرة أسلوبية لافتة لا يهون إغفالها)⁶.

سادسا- ورد أيضا لفظ النسق القرآني⁷، والاستعمال القرآني⁸ والتعبير القرآني⁹، والسياق القرآني¹⁰، عوضا عن كلمة البيان القرآني، حينما لا يسعها المقام إعادة كلمة (البيان القرآني).

وأكثر عبارة قد تدلنا على مقصدها من مصطلح البيان حينما تقول: (وجريا على مألوف البيان القرآني في السكوت من التحديد)¹¹، (ولنا أن نستأنس هنا بأسلوب القرآن) وجملة (فمن مألوف البيان العربي وسر البيان فيه¹² أن يأتي بمثل هذا الأسلوب)، (يتجلى إثارة البيان القرآني)¹³، (هذا الذي ألفتاه في البيان القرآني)¹⁴ وعبارة (السر البياني)¹⁵.

1 - مقدمة الكتاب؛ ص 95.

2 - ص 81-83-87-92-209

3 - ص 76-79-105-108-112-159

4 - ص 81-118.

5 - ص 80.

6 - ص 131.

7 - ص 139-207-208

8 - ص 45-53-75

9 - ص 40-200.

10 - ص 118.

11 - ص 74.

12 - ص 62

13 - ص 201.

14 - ص 112.

15 - ص 200-201

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

(وهو ما لا نرى البيان العالي يتعلق به) ¹ (على هدي البيان القرآني) ² (وهو ما يلائم ما ديا وبيانيا جو الموقف ونسق السياق) ³ (نص الآيتين يغنيانا عن كل ذلك العناء والتدبر الدقيق لبيانه يعفينا من التكلف والتأول) ⁴ (ويأبى البيان القرآني) ⁵.

وإذ ننتقل للجانب التطبيقي من كتابها، لفهم مقصدية التفسير البياني؛ انطلاقا من الأمور التي عالجتها، والجوانب التي ركزت عليها، ففي معرض تفسيرها لسورة الضحى، تقف وقفة تأمل في لفظة (سجى) فاللغة تبيح لها أكثر من معنى: منها أقبل أو أدبر، واشتد ظلامه وسكن، أو سكنت الناس والأصوات فيه، لكن البلاغة - في نظرها - لا تجيز إلا معنى واحدا في المقام الواحد، يقوم به لفظ بعينه، لا يقوم به سواه، وتذهب إلى أنّ سجا الليل في هذا الموضع؛ يدل على السكون أو الفتور، وهو ما يلائم الموقف بيانيا، "وقد قلنا في القسم بالضحى والليل إذا سجا: إنه بيان لصورة حسية، وواقع مشهود، يمهد لموقف مماثل، غير حسى ولا مشهود، هو فتور الوحي بعد إشرافه وتحليه" ⁶.

وفي لفظة (قلى) التي وقف المفسرون أمامها طويلا، لفهم سبب حذف ضمير الخطاب، فالزمخشري قال: إنه اختصار لفظي لظهور المحذوف، والطبري علّل الحذف بأنه اكتفاء السامع بفهم معناه، إذ كان قد تقدّم ذلك قوله: ما ودّعك، فعرف بذلك أنّ المخاطب به نبي الله ﷺ كذلك ذهب أبو حيان أنّ الحذف للاختصار، ورأى أحدهم سببا آخر هو رعاية الفاصلة، بينما أضاف الرازي فائدة الإطلاق؛ أي أنّه ما قلاك ولا أحدا ممن أحبك إلى يوم القيامة، لكنها لم تطمئن لما ذهبوا إليه من توجيهات، حتى وإن كان تعليل الحذف برعاية الفاصلة، فليس من المقبول عندها أن يقوم البيان القرآني على اعتبار محض، وإتّما الحذف لمقتضى معنوي بلاغي، يقويه الأداء اللفظي، دون أن يكون الملحظ الشكلي هو الأصل، ولو كان البيان القرآني يتعلّق بمثل هذا، لما عدل عن رعاية الفاصلة في آخر سورة الضحى ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ٩ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ١١ ﴾ (سورة الضحى الآية: 11) ويبقى القول في دلالة الحذف، من وجهة نظرها؛ تقتضيه

1 - ص 51.

2 - ص 97.

3 - ص 98.

4 - ص 99.

5 - ص 202.

6 - عائشة عبد الرحمن: التفسير البياني للقرآن الكريم، ج1، ص 31.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

حساسية معنوية مرهفة، بالغة الدقة في اللطف والإيناس، هي تحاشي خطابه تعالى لحبيبه المصطفى في مقام الإيناس: ما قلاك، لما في القلى من الطرد والإبعاد وشدة البغض ... أما التوديع فلا شيء فيه من ذلك، بل لعلّ الحس اللغوي فيه يؤذن بالفراق على كره، مع رجاء العودة واللقاء¹.

وفي قوله تعالى من سورة النازعات ﴿ **وَيُرِزَّتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَىٰ** ﴾ [36] ترى بنت الشاطىء أنّ إسناد البروز إلى الجحيم، بالبناء للمجهول، تطرّد به الظاهرة الأسلوبية في صرف النظر عمدا عن الفاعل لأحداث القيامة، تقريرا لفاعليتها التلقائية، وتركيزا للانتباه فيها.

ومن خلال الأمثلة السابقة نلاحظ أنّها لم تقتصر على علم البلاغة وحده، ولم تركز على علم البيان كما يفهم من عنوانها، إنّما تجسدت كل العلوم العربية بمستوياتها المعجمية والتركيبية والدلالية في فهم الخطاب القرآني لديها، وكان لعلم النحو أيضا النصيب الأوفر من تحليلها، فإلى ماذا تصبو بنت الشاطىء من خلال ذلك؟

الفرع الثالث: دلالة مفردة (البيان) في كتاب (الإعجاز البياني للقرآن الكريم) ومسائل ابن

الأزرق

إذا انتقلنا إلى كتابها هذا نجد أنّ أول قضية مهمّة تفتنا إليها بنت الشاطىء، هي مسألة الإعجاز والتحدّي، فهي مسألة بالغة الدقة، قد داخلها الالتباس، فهل كان التحدي من وجهة نظرها موجها إلى العرب في عصر المبعث، أو أنّه قائم أبدا على امتداد الزمان؟

ترى بنت الشاطىء أنّ فريقا ممن كتبوا في الإعجاز ذهبوا إلى " اختصاص أهل العصر الأول بالتحدي، وذهب آخرون إلى أنّه تحدّ لسائر الناس على مرّ العصور والأجيال"². والخلاف في هذه المسألة من وجهة نظرها يحسمه التفريق بين الإعجاز والتحدّي، فالإعجاز قائم في كل عصر لا يختص به أهل زمان دون زمان، وهذا المعنى تستشفه من كلام الطبري؛ عمّا أيّد الله به المصطفى ﷺ من معجزة " على الأيام باقية، وعلى الدهور والأزمان ثابتة، وعلى مرّ الشهور والسنين دائمة"³، فالإعجاز ثابت وقائم أمد الدهر بثبوت القرآن، أما قضية التحدي فقد حسمت في عصر المبعث،

1 - المرجع نفسه، ص 35.

2 - الباقلاني: إعجاز القرآن، ص 10 وما بعدها.

3 - الطبري: جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج 1، ص 4.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

حينما عجز البلغاء من العصر الأول عن معارضة القرآن، فاختصاصهم بالتحديّ جاء من كونهم أهل الاختصاص بالعربية، لغة القرآن، وقد حسمها عجزهم عن أن يأتوا بسورة من مثله.

ونحن نوافقها فيما ذهبت إليه، فمن حيث هو معجز الأمر فيه واضح، لكن الحديث عن التحدي لم يطرح بتلك الدقة التي التفتت إليها بنت الشاطي، فقد عابت على المتقدمين خلطهم للمصطلحين في زمن نزول الوحي.

ثم انتقلت لقضية الإعجاز عند القدامى، محاولة رصد جهودهم، واستنطاق نصوصهم لتستبين آراءهم ومواقفهم قائلة: "اختلفت مذاهب السلف من علماء الإسلام في بيان الإعجاز، وتعدّدت أقوالهم في وجوهه. لكن إعجازه البلاغي لم يكن قط موضع خلاف"¹.

بمثل هذا الكلام ابتدأت بنت الشاطي، حديثها عن الإعجاز القرآني، فبعدما فرغت من توضيح فكرة الإعجاز عند القدامى، وبيّنت جهودهم في نوع من الإعجاز؛ آثرت تسميته بالإعجاز البلاغي، نجدتها تقدّم خلاصة نقدية ستكون محور انطلاق لها فيما بعد، تقول: "ظل الإعجاز البلاغي مع ذلك، يدور في هذا النطاق، من القوالب التقليدية الصمّاء؛ والعبارات المضخّمة التي لم يجد فيها مثل الخطابي، من القرن الرابع ما يقنع في هذا المجال أو يشفي من داء الجهل، والتي لم تعد تليق بحرمة الكتاب المعجز، ولا تقدّم شيئاً ذا بال، إلى هذا الجيل من أبناء العربية الذين نحصر على أن نصلهم بمعجزة البيان الأعلى"².

تعتقد بنت الشاطي؛ أنّ البلاغيين شغلوا عن الإعجاز بمباحث بلاغية قدّموها بمعزل عن المعجزة، لأنّهم رأوا علوم البلاغة هي دلائل الإعجاز وسبيل فهمه، على حين تتعلم هي البلاغة من هذا القرآن، وتخلص إليه لتتدبّر أسرار بيانه المعجز.

إنّ عباراتها توحى بالاحتكام للقرآن الكريم على اللغة وعلومها وليس العكس، ويفهم منه أيضاً أنّ علوم البلاغة ليست كافية في إثبات وجه إعجاز القرآن الكريم، كما أنّه لا يمكن دراسة البلاغة العربية بعيدة عن آيات القرآن الكريم، وهنا تتبادر إلى أذهاننا أسئلة مهمة: ماذا تقصد بنت الشاطي بالإعجاز البياني للقرآن الكريم؟ ولماذا عدلت عن تسميته بالإعجاز البلاغي كما أطلقتته على

¹ عائشة عبد الرحمن: الإعجاز البياني للقرآن الكريم ومسائل ابن الأزرقي، ص 79.

² المرجع نفسه، ص 135.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

جهود السابقين؟ فهل هو إطلاق لمسمى هدفه التباير فقط؟ أم له مسوغاته؛ وعاية تريدها بنت الشاطي؟

إنّ الكثير منا عند أول وهلة، سيظن أنّ الإعجاز البياني أيضا، يقصد به البيان الذي هو علم قائم بذاته وقسم من أقسام البلاغة، وقد يراه مصطلحا زئبقيا مميّعا يحتمل معاني عدّة كما هو في التراث الأدبي، فهل كانت بنت الشاطي دقيقة في اختيار المصطلح؟ أم كانت تائهة في استعماله، متكئة على عذر وجيه يكمن في المصطلح المميّع من ناحية مفهومه الاصطلاحي؟

حينما تتبعت مصطلح البيان في كتابها آنف الذكر، ألفيته يدور حول معانٍ معينة من أهمها:

أولا- تقصد به الأسلوب والتعبير القرآني، وهذا في عدّة مواضع، فمثلا عندما تصرّح أنّ الإعجاز يتعلق بالمفردات، تقول: "وهم لا ريب قد أدركوا من أسرار إعجازه البياني ما أيأسهم من محاولة الإتيان بلفظ يقوم مقام اللفظ منه، أو أن يأتوا بأية على غير الوجه الذي جاءت به في البيان المعجز"¹، وتلخص عملها وهدفها بقولها: "وهذا هو مجال المحاولة المتواضعة التي أفدّمها اليوم في فهم إعجاز البيان القرآني"².

ثانيا- وفي معرض حديثها عن العرب في عصر المبعث وقدرتهم على تمييز مراتب الكلام، تقول: "فما كانوا بحيث يغيب عنهم جيد القول من رديئه، وعاليه من هابطه، أو يفوتهم حتى لغتهم في ذوقها وبيانها"³. وتلمح إلى أنّهم "ليسوا سواء في المقدرة البيانية والمرتبة البلاغية"⁴. وتضيف قائلة: "وهم جميعا فصحاء قادرين على أن يدركوا فوت البيان القرآني"⁵.

ثالثا- وتقول في موضع آخر: "هو إذن سحر البيان يعرفون سلطانه على الوجدان العربي، فهم في خشية من أن يدرك العرب كل العرب لا البلغاء والشعراء منهم فحسب، إعجاز البيان القرآني"⁶.

1 - ص 12

2 - عائشة عبد الرحمن: الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، ص 12.

3 - المرجع نفسه، ص 44.

4 - المرجع نفسه، ص 45.

5 - المرجع نفسه، ص 45.

6 - المرجع نفسه، ص 48.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

رابعا- وفي معرض الكلام عن فكرة الاستماع للقرآن وصدّ المشركين لهم، تقول: " بل التقدير أنّهم جميعا عرب حُلص فصحاء يجدون حس لغتهم فطرة وطبعاً، ويميّزون أساليبها بسليقتهم اللغوية، ومن هنا كان التوجيه القرآني في آية التوبة خاصا بمن لم يسمعوا منهم كلام الله، وليس بمن هم في المرتبة العليا من البلاغة، أريد لأقرّر أنّ القرآن لم يفرض إعجازه البياني من أول المبعث ¹. " فإن يكن للعرب في عصر المبعث وجه اختصاص بالتحدي، فلاّهم أصحاب هذا اللسان العربي يدركون أسرار بيانه ².

خامسا- وحينما تتطرق لمعاجزة الجن، وقد تواترت المرويات على أنّ العرب يبهرها الشعر، فتتصور أنّ لكل شاعر فحل؛ تابعه من الجن يظاها ويلهمه روائع القصيد، وشاهده في آية التحدي من سورة الإسراء ³، تقول: " وأقرب من هذا إلى ما نحن بصدده من معاجزة الجن، أن نذكر أنّ القرآن الكريم قد حكى عن الجن، فهل يخرج ما حكاها من ذلك عن البيان القرآني، المعجز إلى كلام الجن على الحقيقة؟ ⁴؛ نجد بنت الشاطيء تثير هذه القضية بتحليل منطقي وتنفي معتقدات العرب في الجن، ومغامرات شعرائهم مع الغيلان، احتجاجا لفوت القرآن فصاحة الجن، لكن ربما فيه لفتة بيانية أخرى ظهرت لي؛ يتضمنها التحدي وإعجاز القرآن، كأنّ الله عزّ وجل يقول لهم مع أنّكم لا ترون الجن، لكنكم تؤمنون بوجوده وإلهامه الشعر لكم، فلماذا لا تؤمنون بنزول الوحي والقرآن؟ فجاء ذكر الجن مقرونا بالتحدي في هذا السياق.

سادسا- وتقول في موضع آخر: " وهم الذين خاضوا المعركة ضد الإسلام بسلاح الكلمة، وأجهدوا قرائحهم في هجاء المصطفى عليه السلام، بقصائد مطولات، فكيف عجز شعراؤهم الفحول وأمرأ البيان من بلغائهم، ممن عبأهم قريش لحرها ضد الرسالة والرسول، أن يأتوا بسورة من مثل سوره القصار ⁵، " بل لماذا واللغة لغتهم والبيان طوع ألسنتهم ⁶.

1 - عائشة عبد الرحمن: الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرقي، ص 45.

2 - المرجع نفسه، ص 75.

3 - ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ سورة الإسراء: 80

4 - المرجع نفسه، ص 74.

5 - المرجع نفسه، ص 80.

6 - المرجع نفسه، ص 68.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

سابعاً- تعني به النظم كما صرّحت بذلك قائلة: " وهؤلاء أيضا لم يكونوا بحيث يفوتهم أنّ البيان القرآني - أو النظم- كما سماه بعضهم- هو الذي فرض إعجازه على العرب من مستهل الوحي "1 ، وهذا المعنى أيضا تقصد به نظم الكلام وأسلوبه ويستبعد أن تقصد به نظرية النظم.

وإذا انتقلنا للجانب التطبيقي من هذا الكتاب، نجد كلمة البيان تردد على لسانها كثيرا، تقول بنت الشاطي: " وقد لفتني اطراد ظاهرة الاستغناء عن الفاعل في البيان القرآني، في موقف القيامة"2. وتقول: " وإما أن يستغني البيان القرآني عن ذكر الفاعل في موقف الآخرة، بإسناده إلى غير فاعله، مطاوعة أو مجازا "3.

وفي ظاهرة البدء بواو القسم، تقول بنت الشاطي: " فهل العدول عن أقسم بالنجم إلى (والنجم) لا يعطي أي ملحظ بياني؟ وما هو السر البياني في هذه الظاهرة الأسلوبية؟ "4 .

وبعد أن تتبع مواضعها، تخلص إلى نتيجة مفادها أنّ كل السور التي بدأت بواو القسم هي سور مكية، ولم تأت سورة مدنية مبدوءة بهذه الواو.

الفرع الرابع- الخلاصة

بعد كل هذا نخلص إلى أنّ عقلية جبارة مثل عقلية بنت الشاطي؛ التي استطاعت بها تحديد مفهوم التحدي والإعجاز، ونقد القدماء في العديد من الرؤى، وإظهار الفروق الجوهرية بين ما يظنّ أنّها مترادفات، لا يشك في أنّها تضع مصطلحا اعتباريا أو جزافا، فالحقيقة أنّ بنت الشاطي ما ذهبت فيه مذهب السكاكي؛ حينما قصره على علم محدّد وأغراض معينة، وما سلكت فيه مسلك الجاحظ عندما عني به الإفهام والإيضاح.

وآن لنا أن نميط اللثام على المصطلح، ونكشف مغزى المؤلفة في إطلاقه، فمن خلال الآليات التي سرنا عليها والأدلة السابقة، تبين لنا أنّها تقصد به جمالية الأسلوب وفنّ التعبير، واستدلت بعلم البلاغة والنحو والصرف والأساليب العربية، وهي في هذا تسير وفق درب الجرجاني؛ الذي أكّد ضرورة

1 - عائشة عبد الرحمن: الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، ص 90.

2 - المرجع نفسه، ص 240.

3 - المرجع نفسه، ص 241.

4 - المرجع نفسه، ص 245.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

تعانق النحو والبلاغة في ترسية المعاني، مؤسسا بهما معا؛ نظرية النظم في القرآن الكريم، فلقد أفصحت عن تأثرها به في قضية إعجاز القرآن من خلال مفرداته، قائلة: "وهذه اللمحة الدقيقة، هي محور فكرة عبد القاهر الجرجاني في النظم، ولعلها أيضا تلتقي في جانب من فكرتنا في الإعجاز البياني، ثم نختلف بعد ذلك؛ في إدراك مغزاها، ولمح أبعادها، وطريق الاحتجاج لها، والاستدلال عليها"¹.

إنّ العدول عن اختيار مصطلح التفسير الأدبي، وإطلاق اسم (التفسير البياني) عليه، ليس جديدا على بنت الشاطي، فهذا هو دأبها في اختيار الأنسب والأصلح، فعندما نطالع كتابها (القرآن وقضايا الإنسان) نجد صاحبته قد أعلنت بأنّها اختارت له بداية عنوانا تحت اسم (القرآن وقضايا العصر) ثم عدلت عنه، لأنّها رأت أنّ العصرية ابتذلت في زماننا واختلّت موازينها، فليس عصريا من لا يتحلل أفكار الغرب ويشتغل بالتيارات الوافدة، وإنّما كان انتماءها إلى الإنسانية في شمولها المطلق، وولاؤها لعقيدها؛ التي تدين بها ولأمتها التي لا ترى سواها مذهبا.

إنّ عدولها عن العنوان الأوّل يوحى بعقليتها الانتقائية الفدّة؛ التي تجعل العنوان المناسب للموضوع المناسب، وهذا دليل على أنّها عدلت عن إطلاق مصطلح التفسير الأدبي، معوضة إياه بالتفسير البياني، فقد رأت أن ما يليق بقداسة القرآن وبعلو مكانته وجلال ألفاظه ودقة عباراته وروعة معانيه، هو إطلاق البيان عليه بدل الأدب.

ثم إنّ صنيعها هذا يوحى بأنّه عدول عن دراسة واضحة، وقناعة صائبة ورؤية ثابتة، وهدف مقصود ومحدّد. فلقد جاء هذا المعنى في حديث النبي ﷺ حينما قال: "إنّ من البيان لسحرا وإنّ من الشعر لحكمة"، كما أنّ النبي ﷺ قد أشار إلى سلطان البيان على نفس السامع، وحذر من استغلاله ظلما، فقد يكون الرجل له الحق، والآخر أقوم بحجته من خصمه، فيقلب الحق بيانه إلى نفسه.

فالتفاوت في البيان ينشأ من التفاوت في الأسلوب والقدرة على التعبير والتأثير في قلوب السامعين، وهذا مربوط الفرس وهو دون شك ما تقصده بنت الشاطي. فالتفاوت في البيان كان لبّ قضية الإعجاز القرآني، فاتّخذ العلماء أداة للكشف عن وجه إعجاز القرآن، فأثبتوا التفاوت في أصل قدرات البشر على البيان، مستوحين ذلك من فضيلة تعليم الله سبحانه وتعالى الإنسان البيان، ثم

¹ - عائشة عبد الرحمن: الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، ص 140.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

أخذوا ذلك لتوضيح المفارقة بين بيان القرآن وبيان الناس، قال الطبري: إنّ من عظيم نعم الله على عباده، وجسيم مننه على خلقه، ما منحهم من فضل البيان... ثم جعلهم - جلّ ذكره - فيما منحهم من ذلك طبقات، ورفع بعضهم فوق بعض درجات، فهم بين خطيب مسهب، وذلق اللسان مهذب، ومعجم عن نفسه لا يبين... ولا شك أنّ أعلى منازل البيان درجة، وأسنّى مراتبه مرتبة، أبلغه في حاجة المبين عن نفسه... فإن تجاوز ذلك المقدار، وارتفع عن وسع الأنام، وعجز عن أن يأتي بمثله جميع العباد - كان حجة وعلماً لرسول الواحد القهار... فإذا كان تفاضل مراتب البيان، وتباين منازل درجات الكلام بما وصفنا، وكان الله تعالى أحكم الحكماء وأحلم العلماء، كان معلوماً أن أبين البيان بيانه، وأفضل الكلام كلامه، وأنّ فضل بيانه - جلّ ذكره - على بيان جميع خلقه، كفضله على جميع عباده¹.

ومما لا شك فيه، أنّ بنت الشاطيء استلهمت هذا المعنى من خلال ما ذكره إمام المفسرين، كما أنّها تأثرت بالشيخ محمد عبده كما ألمحنا إلى ذلك سابقاً، وتقاطعت معه في دلالة المصطلح، ليكون المعنى بينهما متقارباً إلى حد ما، متفرداً من جهتها بمصطلح استثنائي كما عودتنا دائماً، فقد صرّحت قائلة: "والشيخ محمد عبده، عبّر عن النظم بالأسلوب وجعل لتأثير التلاوة مكاناً في قضية الإعجاز البلاغي"²، مستنتجة ذلك من قوله: "ولعمري إنّ مسألة النظم والأسلوب لإحدى الكبر، وأعجب العجائب لمن فكّر وأبصر، ولم يوفها أحد حقها على كثرة ما أبدوا فيها وأعادوا"³. فدراسة الأسلوب ليس بالأمر الهين، و"يجب ألاّ ينظر إليها على أنّها تتعلق بدراسة الشكل فتربط بالألفاظ والعبارات فقط كما هو شائع؛ إذ الأسلوب أعمق من ذلك، فهو يلمس الأفكار والمشاعر والخيال والصور والعبارات، وأثره في كل ذلك عند تأدية المقصود وتبليغ المطلوب جلي ظاهر"⁴.

ثم إنّنا نجدها كثيراً ما تعيب تلك التأويلات التي يفوتها إدراك أسرار التعبير في المعجزة الخالدة، وقد ركّزت على قضية مهمة في بداية كتابها؛ هي توثيق علوم العربية بالبيان القرآني، فقد قالت في مقدمته: "وما أعرضه هنا ليس إلاّ محاولة في هذا التفسير البياني للمعجزة الخالدة، حرصت فيها - ما استطعت - على أن أخلص لفهم النص القرآني، فهما مستشفافاً روح العربية ومزاجها مستأنسة في كل

1 - ابن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المصدر السابق، ج1، ص 8-9.

2 - عائشة عبد الرحمن: الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، ص 134.

3 - تفسير المنار، 1/199.

4 - مصطفى شريقن: أسلوب الالتفات في القرآن الكريم: المرجع السابق، ص 65.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

لفظ، بل في كل حركة ونبرة، بأسلوب القرآن نفسه، ومحتكمة إليه وحده، عندما يشتجر الخلاف على هدي التتبع الدقيق لمعجم ألفاظه، والتدبر الواعي لدلالة سياقه، والإصغاء المتأمل إلى إيجاء التعبير في البيان المعجز¹ ليكون الهدف الذي تصبو إليه من خلال مؤلفاتها " فهم مفردات القرآن وأساليبه؛ فهما يقوم على الدرس المنهجي الاستقرائي، ولمح أسرارهِ في التعبير"².

وتلخص وجهة نظرها أو بالأحرى مفهومها لهذا الاتجاه التفسيري قائلة: "ذلك لأني بحكم نشأتي في بيت علم ودين، ألفت منذ الصغر أن أصغي بكل وجداني إلى هذا القرآن، وأن أتلو آياته في تأثر وخشوع، لكنتي لم أع بيانه حق الوعي إلا بعد تخصصي في دراسة النصوص، واتصالي بأصيل ما للعربية من تراث أدبي، فكنت كلما ازددت تعمقا في الدرس، وفقها للعربية، وقفت مبهورة أمام جلال هذا النص المحكم، وعدت أتلو من معجز آياته ما أدركت معه لماذا أعيا العرب، وهم أصحاب الفن القولي"³.

وبعد أن منّ الله علي بالذهاب لدائرة المعارف المركزية بمصر، لمعرفة سنة الطبع الأولى لكل كتاب، وبالتالي فهم فكرة نضج البيان وتبلورها عند بنت الشاطئ من خلال مؤلفاتها، وجدت أنّ رأبي بخصوص احتمالية تأليفها للكتاب وتشكل ملامحه وبروز معالمه، قد يسبق كثيرا وقت طبعه، وقد يتخلله طبع كتب ألفتها بعده، وهذا ما حدث فعلا، فكتابها (القرآن وقضايا الإنسان) خُطت فيه مؤلفته سنة فراغها منه: 1969م، وكان بعد وفاة زوجها وقودتها المثالية وأستاذها الذي رأت فيه صورة الإنسان بكل عظمته وشموخ عقله، ثم مضى عنها لترى فيه مأساة الإنسان بكل هوانه وضعف حيلته وقصور طاقته، وما بين حياته وموته أرهف إحساسها كتابة قصة الإنسان من المبتدئ إلى المنتهى، وكتبت هذا الكتاب بداية تحت عنوان (مقال في الإنسان) وطبع على أكثر تقدير سنة: 1995م، وهذا ما وجدته في رقم الإيداع، ووصل لطبعته الثالثة، وبعد قراءته اكتشفت أنّ ما ورد فيه يطابق ما يوجد في كتاب (القرآن وقضايا الإنسان) غير أنّ الأخير فيه إضافة لقسم ثانٍ جاء تحت عنوان (أمّتي والعصر)، وكانت الطبعة الأولى لهذا الكتاب في 1999/6/27م، وعلى أية حال فالنتيجة في كلا حالتي الكتاب، أنّه طبع بعد الفراغ من تأليفه بسنوات طويلة.

1 - عائشة عبد الرحمن: التفسير البياني للقرآن الكريم، ص 17.

2 - المرجع نفسه، ص 15.

3 - المرجع نفسه، ص 14.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

كما أنّ رأيي حول تأليفها لكتاب (التفسير البياني للقرآن الكريم) هو الأول ما كان خاطئاً، فقد كان جزؤه الأول في: 1963/3/14م، وكان جزؤه الثاني في: 1969/6/8م، وأخطأت حينما افترضت أن الجزء الثاني من هذا الكتاب طبع بعد كتابها (الإعجاز البياني للقرآن الكريم ومسائل ابن الأزرق)، فلقد طبع هذا الأخير في: 1976/6/20م، فرمما تراحم الطبعات ودقة استقراء العبارات؛ التي وردت في النسخ جعلتني في حيرة من أمري، ثم إنّ الجزء الأول من التفسير البياني قد طبع والشيخ أمين الخولي ما زال على قيد الحياة، وهذا يدل على أنّه قد رأى عدوها عن المصطلح الذي اختاره لهذا المنهج، وقد أقرّها عليه لأن اختيارها كان أكثر وجاهة ودقة، ولو رفض الفكرة ما كانت لتنشرها بنت الشاطي، وقد عُرفت بإخلاصها الشديد للمنهج ولصاحب المنهج .

وخلاصة الأمر نلاحظ أنّ أصحاب هذه المدرسة لا يعتنون بالتعريفات الاصطلاحية قدر اعتنائهم بالتجديد في تطبيق المنهج الخاص بهم، ويظهر ذلك كما رأينا سابقاً في عدم تعريف التفسير الأدبي من طرف أمين الخولي، وعدم إيجاد حدّ تعريفي للتفسير البياني من طرف بنت الشاطي، كما أنّهم لا يلتفتون للتقسيم المنطقي لعلم البلاغة.

ومن ثمّ يمكننا القول بأنّ التفسير البياني يتداخل مع أنواع التفاسير الأخرى، فهو يضمّها جميعاً ويحتويها، وهي جميعاً تشكّله وتتوّل إليه، فلا بد من الوقوف على التفسير اللغوي بمختلف مستوياته، كما أنّه لا معنى للتفسير البياني دون التفسير البلاغي؛ الذي يظهر جمالية التعبير القرآني وتفردّه بالنسق العجيب، كما أنّ التفسير الأدبي يوازي مفهوم التفسير البياني، إنّما اختلفت وجهات النظر في إطلاق المسميات فكان التفسير الأدبي عبارة عن المنهج النظري الذي سطره أمين الخولي، والتفسير البياني هو تطبيق هذا المنهج من طرف عائشة عبد الرحمن ومن الجيد أن نعيد القول بأنّ التفسير البياني لا يقصد به علم البيان كما رأينا سابقاً، وهذا الخطأ وقع فيه كثير من الباحثين؛ الذين أرخوا لهذا اللون من التفسير.

ولعلي أعضد وجهة نظري هاته، بما ورد عند فارس التفسير البياني في العصر الراهن، والذي أكمل بدوره مسيرة المدرسة البيانية الحديثة، فقد عرّفه بقوله: "هو التفسير الذي يبيّن أسرار التركيب في التعبير القرآني، فهو جزء من التفسير العام، تنصب فيه العناية على بيان أسرار التعبير من الناحية

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

الفنية، كالتقديم والتأخير والذكر والحذف واختيار لفظة على أخرى، وما إلى ذلك مما يتعلق بأحوال التعبير¹.

وفي نهاية هذا التنقيب لست أدري إن كنت أصبت تأويل كلامها بمختلف سياقاته و تعدد مواضعه، وكثرة تردده عندها واستعماله، إضافة إلى ذلك توسع مفهومه اللغوي والاصطلاحي، لكن حسبي أنني اجتهدت في ذلك، ولا أدعي أنني لامست مقصدية بنت الشاطي، أو أصبت كبد الحقيقة، إنما نحن نقارب فهمها ونحاول أن نستشف كنهه، ففي الأخير لا أحد يستطيع أن يفهم مراد المتكلم إلا المتكلم نفسه، ومع ذلك حاولت قدر الإمكان أن أستقصي بدقة فكرة تبلور المصطلح لديها، وتتبع وروده في مؤلفاتها مع اختلاف المواضع وتباين السياقات، وتجنبت الغوغائية في إطلاق الحكم واعتمدت على الأدلة المنطقية ما وسعني ذلك، كما أنني أشيد باختيار بنت الشاطي في إطلاق مصطلح (التفسير البياني) على هذا الاتجاه التفسيري، وعدولها عن مصطلح التفسير الأدبي رغم أن مؤسس المنهج أطلقه عليه، فقد رأت أنه يليق بقداسة النص القرآني، وهي تُعنى في دراستها باكتشاف أسرار التعبير القرآني وبيان نظمه البديع، ومصطلح الأدبية يحتمل من المعاني ما يحتمل.

المطلب الثالث: معالم التفسير الأدبي

سنتحدث في هذا المطلب عن المنهج الذي رسمه الأستاذ الخولي للمفسر الذي يبتغي تطبيق المنهج الأدبي، وقبل بسط الخطوات الأساسية للمنهج، هناك مرحلة هامة نوه الخولي الإمام بها، لكنه لم يجعلها شرطاً أساسياً²، بل أثر تسميتها (بين يدي الخطة) وتمحور فكرتها حول النظر في ترتيب السور؛ لبناء رؤية عامة في كيفية تناول التفسير بمنهج صحيح، والصواب عنده "أن يفسر القرآن موضوعاً موضوعاً لا أن يفسر على ترتيبه في المصحف الكريم، سورا أو قطعاً"³. حيث أن القرآن لم يرتب على الموضوعات والمسائل؛ فيفرد كل شيء منها بباب أو فصل يجمع ما ورد فيه عن هذا الموضوع أو تلك المسألة، فلم يكن على ترتيب كتب العقائد مع ما فيه من أصول العقيدة، ولا على ترتيب كتب التشريع مع ما فيه من أصول التشريع، ولا هو كذلك على نسق كتب الأخلاق أو

1 - فاضل صالح السامرائي: على طريق التفسير البياني، 7/1، النشر العلمي، جامعة الشارقة، 1423هـ/2002م.

2 - توهم الباحث فهد الرومي أنها مرحلة أساسية اشترطها أمين الخولي على المفسر، وبناء عليها قدم نقده له إذ لم يطبق هذا الشرط الذي سطره- لا هو ولا تلاميذه-، على حسب رأيه، لكن الحقيقة أنه جعلها تمهيدا فقط ولم يجعلها خطوة ضمن

معالم التفسير الأدبي، (ينظر: فهد الرومي: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري، ج3، ص 987).

3 - أمين الخولي: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، ص 233.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

التاريخ ولا القصص ولا غير ذلك، إنما جرى القرآن على غير هذا كله، فعرض لكثير من الموضوعات ولم يجمع منها واحدا بعينه فيلتقي أوله بآخره، ويعثر به في مكان معين... وإنما نثر ذلك كله نثرا وقرقه تفريقا فالحكم التشريعي في أكثر من موضع، والأصل الاعتقادي قد عرض له غير مرة، والقصة قد وزعت مناظرها ومشاهدها في جملة أماكن، وهكذا تقرأ في السورة الواحدة فنونا من القول، وتقر بألوان من الأغراض المختلفة تعرض لها سورة أخرى فيتكامل العرضان، وتتم الفكرة بتتبعها في مواطن متعددة وذلك لحكمة ومرمى¹.

ومن قوله هذا يمكننا أن نلخص رؤيته للمرحلة التمهيدية في التفسير الأدبي، فلا يكون إلا بأسلوب التفسير الموضوعي؛ الذي يجمع الآيات ذات الموضوع الواحد من أماكنها المنفردة، وينظر إليها نظرة واحدة وبهذا يكون الفهم الصحيح، وهو محق في وجهة نظره تلك، فعلى المفسر أن ينظر للآية في كل سياقاتها القرآنية، فكل موضع منه يضيف معنى جديداً لم يعطه الموضع الآخر. فأمين الخولي يركّز على دراسة وحدة الموضوع، ونجد في المقابل من ينادي بفكرة وحدة السورة، على أساس أنّ النسق القرآني مميز وهي دراسات حديثة اشتهر بها محمد عبد الله دراز²، ونجد من تجاوز أمر الوحدة في كيان السورة إلى الوحدة القرآنية بعامه وهذا رأي محمود شلتوت³، بينما نجد رشيد رضا يرى أنّ مسلك الوحدة يفقد القرآن "أعظم مزايا هويته المقصودة بالقصد الأول من التشريع، وحكمة التنزيل وهو التعبد به... ويفقد أعظم مزايا هدايته، وهو مزج مقاصده بعضها ببعض، وتفريقها في السور الكثيرة بالمناسبات المختلفة، وتكرارها بالعبارات البليغة المؤثرة في القلوب، المحركة للشعور"⁴.

¹ - ينظر: أمين الخولي، المرجع نفسه، ص 231.

² - ولد العلامة محمد عبد الله دراز بقرية محلة دياي إحدى قرى دلتا مصر بمحافظة كفر الشيخ حالياً في الثامن من نوفمبر 1894م لأسرة علمية عريقة؛ فوالده الشيخ عبد الله دراز الفقيه اللغوي المعروف الذي قدم شروحا لكتاب الموافقات للشاطبي، والذي عهد إليه الإمام محمد عبده بمهمة الإشراف على المعهد الأزهرى الجديد بالإسكندرية اطمئنانا إلى علمه وكفاءته. (ينظر: موقع ويكيبيديا).

³ - محمود شلتوت (1310 هـ - 1383 هـ / 1893م - 1963م)، عالم إسلامي مصري وشيخ الجامع الأزهر 1958 - 1963م، نال إجازة العالمية سنة 1918م، وعين مدرساً بالمعاهد ثم بالقسم العالي ثم مدرساً بأقسام التخصص، ثم وكيلاً لكلية الشريعة، ثم عضواً في جماعة كبار العلماء، ثم شيخاً للأزهر سنة 1958م، وكان عضواً بجمع اللغة العربية سنة 1946م، وكان أول حامل للقب الإمام الأكبر. (ينظر: موقع ويكيبيديا).

⁴ - ينظر: كامل سفعان، المرجع السابق، ص 156.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

وكذلك الوقوف عند الترتيب الزمني للآيات ذات الموضوع الواحد، وهي ذات صلة بالخطوة السابقة، وتقتضي مراعاة الترتيب الزمني للآيات ذات الموضوع الواحد، فبعد أن يجمع المفسر آيات موضوع بعينه، يجب أن يخطو الخطوة الثانية فيرتب هذه الآيات حسب ترتيب نزولها، وأكد هذا الأستاذ أمين الخولي حين قال: " وترتيب القرآن لم يراع شيئاً من تقدم الزمن وتأخره، فمكيته يتخلل مدنيته ويحيط به، ومدنيته يتخلل مكيته ويحيط به، وهكذا ترى من النظر في ترتيب القرآن على سورة ما لا يساير حاجات مفسره المتفهم له، بل يقضي ما كان من أمر الترتيب: - بالنظر الجديد والترتيب الخاص لأي الموضوع بحيث يكشف هذا الترتيب لنا عن تلك النواحي التي عرفت أن المفسر المتفهم مضطر إلى مراعاتها وتقديرها توصلنا إلى الفهم الصحيح والمعنى الدقيق" ¹.

وبالتالي فهو يرى من الأهمية ترتيب أي الموضوع الواحد ترتيباً خاصاً بحيث يكشف هذا الترتيب عن النواحي التي يحتاجها المفسر للوصول إلى الفهم الصحيح، ثم أجمل الأستاذ أمين القول في الخطوة التمهيدية بقوله: فجملة القول أن ترتيب القرآن في المصحف قد ترك وحدة الموضوع لم يلتزمها مطلقاً، وقد ترك الترتيب الزمني لظهور الآيات لم يحتفظ به أبداً، وقد فرّق الحديث عن الشيء الواحد والموضوع الواحد في سياقات متعددة، ومقامات مختلفة ظهرت في ظروف مختلفة وذلك كله يقضي في وضوح، بأن يفسر القرآن موضوعاً موضوعاً، وأن تجمع آية الخاصة بالموضوع الواحد جمعاً إحصائياً مستقصياً، ويعرف ترتيبها الزمني ومناسباتها وملابساتها الحافة بها، ثم ينظر فيها بعد ذلك لتفسر وتُفهم، فيكون ذلك التفسير أهدى إلى المعنى وأوثق في تحديده ².

وبعد هذه الخطوة التمهيدية الهامة، تكون خطة منهج التفسير الأدبي بالدراسة، ويقسمها إلى صنفين هما: دراسة حول القرآن، دراسة في القرآن.

الفرع الأول: دراسة حول القرآن: وقسمها أيضاً إلى قسمين؛ دراسة خاصة ودراسة عامة، وقال عن أولاهما:

أولاً- الدراسة الخاصة: هي ما لا بد لمعرفته، مما حول كتاب جليل كهذا الكتاب، ظهر في نحو عشرين عاماً أو كذا، ثم ظل مفرقاً سنين حتى جُمع في أدوار مختلفة وأحوال مختلفة، وكان جمعه وكتابته عملاً ساير الزمن طويلاً، وناله من ذلك ما ناله، وتلك الأبحاث من نزول وجمع وقراءة وما إليها، هي

¹ - ينظر: أمين الخولي، مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، المرجع السابق، ص 232.

² - ينظر: أمين الخولي: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، ص 232.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

التي عرفت اصطلاحيا منذ حوالي القرن السادس الهجري باسم علوم القرآن، بعد ما تناولها المفسرون المختلفون قبل ذلك بالبحث المجمل، والبيان المتفاوت في الاستيفاء حسب عناية المفسر واهتمامه، ومثل تلك الأبحاث جد لازمة في نظر دارسي الآثار الأدبية، ولا بد منها لفهم النصوص المدروسة والاتصال بها اتصالا مجديا¹.

نستخلص ممّا سبق أنّ التفسير الأدبي يقوم على دراسة خاصة حول القرآن الكريم، نحو دراسة تاريخه ونزوله وجمعه وترتيبه، وبعبارة أدق يشترط على المفسر أن يكون ملماً بالعلوم التي تتصل بالقرآن، وقد تحدث علماؤنا السابقون عن هذا الأمر، واشتراطه أيضا على المتصدي للتفسير، والدليل أنّ معظم المفسرين جعلوا مؤلفاتهم في علوم القرآن مقدمة لتفاسيرهم والشاهد على ذلك كتاب (الإتقان في علوم القرآن) للإمام السيوطي، والذي جعله مقدمة لتفسيره كما ذكر هو بنفسه.

ثانيا- الدراسة العامة: أما الدراسة العامة لما حول القرآن الكريم، فهي ما يتصل بالبيئة المادية والمعنوية، التي ظهر فيها القرآن وعاش؛ وفيها جُمع وكتب وقرئ وحفظ؛ وخاطب أهلها أول من خاطب وإليهم ألقى رسالته لينهضوا بأدائها، وإبلاغها شعوب الدنيا، فروح القرآن عربية، ومزاجه عربي، وأسلوبه عربي، والنفوذ إلى مقاصده إنّما يقوم على التمثل الكامل والاستشفاف التام لهذه الروح العربية وذلك المزاج العربي والذوق العربي، ومن هنا لزمّت المعرفة الكاملة لهذه البيئة العربية المادية أرضها بجبالها وحرارها وصحاريها وقيعانها وسمائها، فكل ما يتصل بتلك الحياة المادية العربية وسائل ضرورية لفهم هذا القرآن العربي المبين، مع هذا ما يتصل بالبيئة المعنوية بكل ما تتسع له هذه الكلمة من ماضٍ سحيق، وتاريخ معروف ونظام أسرة أو قبيلة، وحكومة في أي درجة كانت وعقيدة بأي لون تلوّنت، وفنون مهما تنوع، وأعمال مهما تختلف وتتشعب، فكل ما تقوم به الحياة الإنسانية لهذه العروبة، ووسائل ضرورية كذلك لفهم هذا القرآن العربي المبين

وإذا جهدت الدراسة الأدبية في أن تعرف؛ عن تلك العربية والعروبة أكثر وأعمق وأدق ما يعرف، تبتغي بذلك درس أدبها درسا صحيحا، فإنّ هذا القرآن رأس هذا الأدب وقلبه الخافق، ولن يدرس درسا أدبيا صادقا، يفي بحاجة المتعرض لتفسيره؛ إلا بعد أن تستكمل كل وسائل تلك المعرفة للبيئة العربية مادية ومعنوية. وما دمننا نذكر الحجر، والأحقاف، والأيكّة، ومدين، ومواطن ثمود ومنازل عاد، ونحن لا نعرف عن هذه الأماكن إلا تلك الإشارات الشاردة، فما ينبغي أن نقول أنّنا فهمنا وصف

¹ - ينظر: أمين الخولي، المرجع السابق، ص 234.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

القرآن لها ولأهلها أو أننا أدركنا مراد القرآن من الحديث عنها وعنهم، ثم لن تكون العبرة بهذا الحديث جلية ولا الحكمة ولا الهداية المرجوة مفيدة مؤثرة¹.

وخلاصة الأمر فإن الأستاذ الخولي يشترط على المفسر الإحاطة العامة لما يتصل بالبيئة التي نزل بها القرآن؛ سواء ما تعلق بالبيئة المادية التي تتمثل في الظواهر الطبيعية، أو كانت تتعلق بالبيئة المعنوية كتاريخ الأمة العربية وثقافتها وأعرافها، ونلاحظ أنه في هذه الخطوة، أفاد من أفكار ابن الأثير ومغالاته في معرفة كل العلوم وإتقان كل الفنون.

وبعد استيفاء ذلك يكون التقدم إلى دراسة القرآن نفسه، بحسب رأيه.

الفرع الثاني - دراسة في القرآن: وبقسّمها إلى قسمين:

أولاً- دراسة في المفردات، من ناحيتين: 1- من ناحية معناها اللغوي

2- من ناحية معناها الاستعمالي في القرآن

ثانياً- دراسة في المركبات

ثم يبدأ في شرح مقصوده وفق خطته المرسومة، وهي:

أولاً- دراسة في المفردات: وهي تبدأ بالنظر في المفردات، والمتأدب يجب أن يقدر عند ذلك تدرج دلالة الألفاظ، وتأثرها في هذا التدرج؛ يتفاوت ما بين الأجيال، وبفعل الظواهر النفسية والاجتماعية، وعوامل حضارة الأمة وما إلى ذلك؛ مما تعرّضت له ألفاظ العربية في تلك الحركة الجياشة المتوثبة التي نمت بها الدولة الإسلامية، والنهضة الدينية والسياسية والثقافية التي خلفت هذا الميراث الكبير من الحضارة، حتى أصبح من الخطأ البين أن يعتمد متأدب إلى فهم ألفاظ هذا النص القرآني الأدبي الجليل، فهما لا يقوم على تقدير تام لهذا التدرج، والتغيير الذي مس حياة الألفاظ ودلالاتها، وعلى التنبه إلى أنه إنما يريد ليفهم هذه الألفاظ في الوقت الذي ظهرت فيه، وتليت أول ما تليت على تاليها الأول -عليه السلام-².

ثم انتقل الأستاذ أمين الخولي للحديث عن المعاجم اللغوية، وهي على حسب رأيه لم تف بهذا الغرض الذي يدعو إليه؛ بعد أن قدّم نماذج لذلك كمعجم لسان العرب والقاموس المحيط.

¹ - ينظر: أمين الخولي، المرجع السابق، ص 236.

² - أمين الخولي، المرجع السابق، ص 237.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

ثم قال: " معاجنا لا تسعف على شيء من تحقيق هذا الأصل الثابت في تدرج الألفاظ، فليس أمام مفسر القرآن حين يبتغي المعنى الأول لألفاظه؛ إلا أن يقوم بعمل في ذلك مهما يكن مؤقتا وقاصرا، فإنه هو كل ما يمكن اليوم، وإلى أن نملك قاموسا اشتقاقيا تتدرج فيه دلالات الألفاظ وتتمايز فيه المعاني اللغوية على ترتيبها عن المعاني الاصطلاحية على ظهورها"¹.

وعليه فالأستاذ الخولي يرى أنّ النظر في المفردات هي الخطوة الأولى في دراسة النص نفسه، وذلك بوضع ترتيب زمني لتدرج دلالات الألفاظ، ليعرف معنى اللفظة الواحدة وقت نزول القرآن الكريم، ومعناها بعد أن تداولتها أفواه أمم مختلفة، من أجل التمييز بين المعنى اللغوي والمعنى القرآني، ويرى كذلك أنّ المعاجم لم تف بهذا الغرض، وبالتالي فعلى المفسر أن يتحمل عبء متابعة تدرج اللفظ، ومن ثم اختيار ما يراه مناسبا للفظ القرآنية وقت نزول القرآن الكريم من معاني أخرى، وعليه أن ينظر للألفاظ القرآنية من ناحيتين:

1- النظر في المادة اللغوية للفظ الذي يريد تفسيره، لينحّي فيها المعاني اللغوية عن غيرها، ثم ينظر في تدرج المعاني اللغوية للمادة؛ نظرة تُرتبها على الظن الغالب، فتقدم الأسبق الأقدم منها على السابق حتى يطمئن - ما استطاع - إلى شيء في ذلك ينتهي منه إلى ترجيح معنى لغوي للكلمة؛ كان هو المعروف حين سمعتها العرب في أي الكتاب، والمفسر في هذا التمييز والنظر مُلِمٌّ - ما أمكن - بمُحدّث الدراسة في أنسب اللغات وصلة ما بينها، ليطمئن كذلك إلى أنّ الكلمة عربيّة أصيلة أو هي دخيلة، وإن كانت فما بيئتها؟ وما معناها الأول؟ ثم هو محاذر كذلك من اندفاع معاجنا في ردّ الكلمات إلى أصل عربي يشابهها في اللفظ، مع التكلف في الاشتقاق والربط.

2- وإذا ما فرغ من البحث في معنى اللفظة اللغوية، انتقل بعده إلى معناها الاستعمالي في القرآن يتتبع ورودها فيه كله، فيخرج منه برأي عن استعمالها، هل كانت لها وحدة اطّردت في عصور القرآن المختلفة ومناسباتها المتغيرة؟ وإن لم يكن الأمر كذلك؛ فما معانيها المتعدّدة التي استعمالها فيها القرآن؟ وبذلك يهتدي بمعناها أو معانيها اللغوية إلى معناها أو معانيها الاستعمالية في القرآن، وهو بما ينتهي إليه من كل أولئك يفسرها مطمئنا في موضعها من الآية التي جاءت فيها².

¹ - المرجع نفسه، ص 238.

² - ينظر: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، المرجع نفسه، ص 238.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

كما بين الأستاذ الخولي؛ حُلُوّ الساحة من معجم للترتيب الزمني لتداول الألفاظ العربية، أكد أيضا خلوّها من معجم يعنى بمفردات القرآن ويتتبع الألفاظ فيه، ومع أنه أشار لقاموس الراغب الأصفهاني إلا أنه وصفه بقوله: "عانى فيها شبيها بما وصفنا أو بشيء من أصل فكرته، ولكنه لم يتم التعقّب اللغوي، ولم يستوف التتبع القرآني، وفأته مع ذلك كلّ فرق ما بين عصره وعصرنا في دراسة اللغات وصلاتها، إلا أنه في كل حال نواة تحجل من بعده وبخاصة أهل هذا العصر الطموح، فيؤلمهم ألا يملكو إلاّ هذا القاموس القرآني الناقص بل البدائي، وبالتزام هذا المنهج الأدبي يرجى كمال هذا القاموس وقواميس أخرى تتطلبها حياة القرآن- كتاب العربية الأعظم" ¹.

ومما يجدر بنا الإشارة إليه أنّ الأستاذ الخولي شارك في لجنة معجم ألفاظ القرآن الكريم²، بعدما استجاب مجمع اللغة العربية في القاهرة من إعداد معجم لغوي لألفاظ القرآن، وعالج تطبيقيا بعض الأحرف الهجائية على الطريقة التي أشار إليها، وكتب فيه الجزء من الحرف (س - ع)، فهو مثال حي " ومثّل عملي لما يمكن أن يقوم به المفسّر الأدبي بجهد الذاتي في غيبة المعجم المطلوب، ولا شك أيضا أنه مهد الطريق الوعر في هذا المقام لمن أراد أن يسلك سبيل المعجم التاريخي لألفاظ القرآن الكريم" ³.

وعليه يمكننا القول أنّ الأستاذ الخولي أوجب على المفسّر النظر في مفردات القرآن من ناحيتين هما الناحية اللغوية وناحية الاستعمال، ولعلنا نوافقه في هذه الخطوة مع إقرارنا بصعوبتها، فقد مرّ معنا تطور مصطلح التأويل، وتعدد دلالاته القرآنية واللغوية ثم الاصطلاحية عبر الزمن، وربما لو تكفل بهذا العمل فريق من الباحثين، سيكون إضافة علمية جديدة لتراثنا الجليل.

وبعد هذه الخطوة ينتقل المفسّر الأدبي إلى النظر في المركبات.

ثانيا- دراسة في المركبات: بين الأستاذ الخولي أصول هذه الخطوة قائلا: ثم بعد المفردات يكون نظر المفسّر في المركبات وهو في ذلك - ولا مزيّة - مستعين بالعلوم الأدبية من نحو وبلاغة، ولكن لا على أنّ الصنعة النحوية عمل مقصود لذاته، ولا لون يُلون التفسير كما كان الحال قديما، بل على أنّها

¹ - المرجع نفسه، ص 238.

² - ينظر: حامد شعبان: أمين الخولي والبحث اللغوي، ط1: 1980م، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة- مصر، ص 17؛ خالد محمد العزاوي: المنهج البياني في تفسير القرآن في العصر الحديث، المرجع السابق، ص 123.

³ - فهد الرومي: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري، ص998.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

أداة من أدوات بيان المعنى وتحديده، والنظر في اتفاق معاني القراءات المختلفة للآيات الواحدة، والتقاء الاستعمالات المتماثلة في القرآن كله، ثم على أنّ النظرة البلاغية في هذه المركبات، ليست هي تلك النظرة الوصفية التي تعنى بتطبيق اصطلاحي بلاغي بعينه، وترجيح أنّ ما في الآية منه هو كذا لا كذا، أو إدراج الآية في قسم من الأقسام البلاغية دون قسم آخر، كلا؛ بل على أنّ النظرة البلاغية هي النظرة الأدبية الفنية التي تتمثل الجمال القوي في الأسلوب القرآني، وتستبين معارف هذا الجمال، وتستجلي قسماته في ذوق بارع، قد استشف خصائص التراكيب العربية، مُنْضَمّاً إلى ذلك التأمّلات العميقة في التراكيب والأساليب القرآنية، لمعرفة مزاياها الخاصة بما بين آثار العربية، بل لمعرفة فنون القول القرآني وموضوعاته فنّاً فنّاً، وموضوعاً موضوعاً، معرفة تبين خصائص القرآن في كلّ فن ومزاياه التي تجلّو جماله¹.

كما أنّه يشترط في التفسير الأدبي مراعاة أمر في غاية الأهمية هو:

ثالثاً- التفسير النفسي:

يرى الأستاذ الخولي أنّ ما استقر من تقدير صلة البلاغة بعلم النفس، قد مهد السبيل إلى القول بالإعجاز النفسي للقرآن، كما كشف عن وجه الحاجة إلى تفسير نفسي للقرآن؛ يقوم على الإحاطة المستطاعة بما عرف العلم من أسرار حركات النفس البشرية في الميادين؛ التي تناولتها دَعَاوَةُ القرآن الدينية، وجدله الاعتقادي، ورياضتها للوجدانات والقلوب واستلاله لقديم ما اطمأنت إليه، وتوارثته عن الأسلاف والأجيال، وتزيينها بما دعا إليه من إيمان، ينقض مبرم هذا القديم ويهدم أصوله، وكيف تلتطف القرآن لذلك كله، وكيف راعى النفسيات المختلفة، واستعطف القلوب قبل العقول، وماذا استخدم من حقائق نفسية في هذه المطالب الوجدانية والمرامي القلبية، وماذا أجّدت رعاية ذلك كله في إنجاح الدعوة وإعلاء الكلمة، فالتفسير النفسي يقوم على أساس وطيد من صلة الفن القوي بالنفس الإنسانية، وإنّ الفنون على اختلافها - ومن بينها الأدب - ليست إلا ترجمة لما تجده النفس².

ولا ننسى أنه أكّد على أهمية التفسير النفسي عندما قال: "إنّ اللوحة النفسية في المعنى القرآني، ربما تكون أحسم لخلاف بعيد الغور كثير الشعب بين المفسرين، فالملاحظة النفسية حين تعلّل نسج

¹ - ينظر: أمين الخولي، المرجع السابق، ص 239.

² - ينظر: أمين الخولي: المرجع نفسه، ص 239.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

الآية وصياغتها وتعرف بجو الآية وعالمها، ترفع المعنى الذي يفهم منها إلى أفق باهر السناء، وبدون هذه الملاحظة يرتدّ المعنى ضعيفا ساذجا لا تكاد النفس تطمئن إليه، ولا هو خليق بأن يكون من مقاصد القرآن" ¹.

لا شك أنّ هذا المنهج الأدبي في التفسير بتلك الأصول والخطوات؛ التي أوجب الأستاذ الخولي السير عليها، في حقيقة الأمر هي خطوات شاقة حتى وإن كانت ممكنة لأصحاب الهمم العالية، وقد شعر بهذا العبء الثقيل والخطوات الصعبة واعترف قائلا: "ولئن كان مثل هذا مما يطلب أو يوصف في قليل من الجمل أو الأسطر، فإنّ تحقيقه ليس بهذه السهولة والقرب" ²، ومن وجهة نظره يقوم هذا الأمر على إصلاح أدبي بلاغي، وبحسبه فالحياة الأدبية اليوم تحاوله وهي بالغة منه -إن شاء الله- مبلغا حسنا، ومستفيدة به في التفسير الأدبي للقرآن كما تستفيد هذه المحاولة الإصلاحية نفسها بمزاوتها للتفسير القرآني، ورغم شعوره بالعبء إلا أنّه يقرّ على قدرة تحقيق هذا المطلب، فيقول: مهما يكن لهذه المطالب من أثر يثقل خطانا، ويؤخر إثمار دراستنا ويشعرنا بالنقص، ويعود علينا باللائمة فإنّ هذه هي الحقيقة ولن نكذب على أنفسنا وعلى الأجيال، فنزعم الكفاية الكاملة والقدرة الموفورة، وليس الذي نبعيه من هذا المنهج مستحيلا ولا بعيد التحقيق، فقد شعر أسلافنا بجملمته، وقاموا ببعضه للقرآن، ثم قام المحدثون به كله، لكتبهم الأدبية والدينية، ولن نكون نحن بين هؤلاء وأولئك الضائعين العاجزين ³.

ثم إنّ اهتمامه المبالغ فيه حول شرح المفردات وتتبعها تاريخا واستعمالا، أمر لا يمكن تحصيله بسهولة وقد لا يتعلق هذا التتبع التاريخي بالتفسير، إذ الاعتناء بالمعاني في الخطاب هو المقصود الأعظم، وهذا الأصل معلوم عند أهل العربية، فاللفظ ما هو إلا وسيلة لتحصيل المعنى المراد، والمعنى هو المقصود، وهذا ما أيده الشاطبي في الموافقات حينما قال: "فإنّ المعنى الإفرادي قد لا يعبأ به إذا كان المعنى التركيبي مفهوما دونه" ⁴، وإذا كان فهم اللفظ الإفرادي يتوقف عليه فهم التركيبي سيكون من الضرورة تتبّع استعمال اللفظ في القرآن الكريم، وتتبع معانيه اللغوية في المعاجم العربية، وهذا يحتاج

¹ - المرجع نفسه، ص 240.

² - المرجع نفسه، ص 239.

³ - ينظر: أمين الخولي، المرجع نفسه، ص 241.

⁴ - الشاطبي: الموافقات، المصدر السابق، مج 2، ص 139.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

لجهد كبير قد يحقّقه فريق من الباحثين، ليكون معجماً عربياً يعنى بتطور دلالات المصطلح، لاستخراج المعاني الدقيقة التي استعملت في القرآن الكريم.

وبعد عرض أهم الخطوات التي سطرها الخولي لهذا الاتجاه التفسيري، فهل يا ترى قد طبّق هذا المنهج على أرض الواقع؟ أم كان مؤسساً لمنهج بقي حكراً على التنظير والتخطيط؟

المبحث الثاني: قضايا حول التفسير البياني

لكل اتجاه تفسيري مواضيع متعلقة به تذكر بإزائه، خاصة الاتجاهات الحديثة منها، وكذلك التفسير البياني الذي لم يتوقف البحث فيه، كيف لا وهو ما زال موضوعا بكرا يحتاج لدراسات أعمق، وقد وقفنا على دراسات تبرز دوره في إثبات إعجاز القرآن من خلال أسلوبه الخلاب، ودراسات تحمل بين طياتها قضايا ساخنة تحاول أن تجد مثالب هذا الاتجاه بدعوى نقده ووضعه على المحك، وفيما يلي من صفحات سنقف على بعض تلك الآراء.

المطلب الأول: أهمية البلاغة في التفسير البياني

ظهرت في العصر الحديث بذور الحركة التجديدية في الدرس البلاغي، وكان من أهم روادها الأستاذ أمين الخولي؛ الذي حاول أن يجدد علم البلاغة منطلقا من اعتبارها فن القول، وأول خطوة للتجديد - من زاوية نظره-، هي قتل القديم بحثا ودراسته بعمق لمعرفة الأصول، مع عدم تقديسه؛ للوصول لملامح التغيير المثمر في البلاغة، مجسدا تلك الأفكار في كتبه القيّمة مثل كتاب (مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب) وكتاب (فن القول).

إنّ فن القول كما أراده صاحبه؛ هو دراسة جوهرية تقوم على مقابلة بين القديم والجديد، تقوم على التخلية والتحلية، فهي أشبه ما تكون بالمعادلة الأدبية - إن صحّ لي تسميتها بذلك -، فهي تتألف من طرفين؛ طرف التخلية وهي ترك ما لا خير فيه من القديم، وطرف التحلية التي تضم إليه خير ما في الجديد.

فالتقسيم القديم للبلاغة الذي يقسمها إلى ثلاثي يتمثل في: علم المعاني والبيان والبديع؛ مرفوض من وجهة نظره، فلقد نادى بجعلها وحدة متصلة، تجري في فهمها على طبيعة العمل الفني، متدرجين من البسيط إلى ما يليه، فنبداً بالكلمة المفردة فالجملة فالفقرة فالقطعة الأدبية، على نحو ما بيّنه في خطته المرسومة لدراسة البلاغة، وكذلك يقوم المنهج الفني للدرس البلاغي، على أصول وأسس نفسية قبل كل شيء، فيكون علم النفس الأدبي دعامة الدراسة الفنية للبلاغة التي هي روح وجسمها الأدب¹.

1 - ينظر: أمين الخولي: فن القول، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة - مصر (د ت ط)، ص 25.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

لقد انطلق أمين الخولي في دراسته للبلاغة بتاريخها عبر ثلاث مراحل، لمعرفة ماضيها وحاضرها، تتمثل المرحلة الأولى في تأريخ مسائل المادة وقضاياها، تاريخاً يصف نشأة المسألة وبدء ظهورها، ثم تدرجها وكيف يفسر بها القول، وكيف اختلف في أمر تناولها واستعمالها وما طرأ عليها من تغيير أثناء ذلك وما تأثرت به من المعارف البشرية أو الأحداث الاجتماعية.

أما المرحلة الثانية من التأريخ هي دراسة المفكرين أو تأريخ العلماء، وقادة الرأي من أصحاب المذاهب والآراء المتميزة في حياة المادة، ونوع تناولهم لها وأثرهم فيها وما تأثروا فيه بغيرهم، وما لهم من أثر في غيرهم، فجنسية الرجل منهم ووراثته وبيئته وثقافته ومزاجه كل أولئك وأشباهه مما يؤثر في تناوله لمسائل المادة وتفكيره في موضوعاتها.

أما المرحلة الثالثة فهي تأريخ التأليف والمؤلفات في المادة فالرجل بما يفكر ويقرر قد يكون الرجل بما يكتب ويدون، وما يكتبه المؤلف يتلقاه عنه متلقون، يختلف فهمهم له، ويتجه اتجاهات متغايرة، فيأخذون عنه أو يقررونه في دروسهم، أخذاً وتقريراً، يغير خط سير المادة، وهكذا نحتاج إلى أن نؤرخ ما كتب في المادة تاريخاً، نبيّن فيه عمل المؤلف في كتابه ومن أين أخذ؟ وبمن، وبم تأثر؟ وماذا زاد أو جدّد؟ وأسلوبه في ذلك، وكيف عرض المسائل وسجلها؟ وبذلك يقدر كل كتاب في تاريخ المادة بقدره، وينزل المنزلة اللائقة به، ولا يرجع إليه أو يؤخذ عنه إلاّ على هدي ما تبين من مؤثرات فيه وموجهات وما تناوله به معاصروه، وأثرهم في تعيين مراده، والدلالة على أغراضه، فتاريخ الكتاب في عبوره الأجيال، ومروره بعقول الرجال مفتاح يفتح أغلاقه ويدل على اتجاه فهمه، ويدخل في تقدير قيمته ودرجة الثقة به أو الاعتماد عليه، ولا تؤرخ الكتب تاريخاً حقاً، إلاّ يوم ترد كل مسألة فيها إلى أصلها في تفكير المؤلف، ثم يربط بينها وبين صورها المكررة أو ما تحلف عنها من آثار في نفوس الخالفين بعد مؤلفيها¹.

ثم تعرّض لعلاقة البلاغة بالنقد قديماً وانفصاله عنها في الاصطلاح الحديث، وهو ما يفضّله أمين الخولي، إذ البلاغة الوصفية ذات القواعد المقررة ليس من السهل عدّها نقداً، وإن اتّخذت هذه القواعد مقاييس يعرض عليها ما يتذوق من منظوم ومثثور، أمكن أن تعدّ -إلى حدّ ما - شيئاً من النقد الأدبي وقواعده².

¹ - ينظر: أمين الخولي: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، المرجع السابق، ص 67-68-69.

² - ينظر: أمين الخولي، المرجع السابق، ص 70-71-72.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

وبعد تخطيط الدرس البلاغي نجده يؤرخ للبلاغة ويتعرض للرجال من خلال الوقوف على أهم المؤلفات، فمثلا يقف عند كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة؛ وقفة مهمة يثبت فيها علاقته بالتفسير نافيا نحوية كتاب المجاز، مشيرا إلى أهمية دراسة نشأة الاصطلاحات البلاغية، نافيا فكرة الأولية في المؤلفات والاصطلاحات، بل يراها أفكار بنات الزمان وعمل الأجيال وتلاقح العقول عبر قرون متوالية، فهو ينفي اعتباره أول كتاب أُلّف في علم البيان¹.

كما اتجه إلى تخليص البلاغة من برائن الفلسفة وإبعادها عن الميدان النظري والتناول العقلي، وإقرارها في ساحة الفن، وباحة الوجدان، والأخذ في درسها بأسباب الحكم الفني.

ثم إنّ قضية تأثير الفلسفة الكلامية في ظهور البلاغة - من وجهة نظره - قضية صريحة وقديمة، تعود لعهد مبكر، على أحسن تقدير في القرن الثاني الهجري، فظل حظ الفلسفة قويا ومسيطر على الدرس البلاغي لقرون، ذلك أنّ هذا البحث قد اتجه اتجاهين مختلفين، فكانت هناك طريقتان لدراسة البلاغة لكل واحدة منهما مزاياها وخواصها، وهاتان الطريقتان هما: طريقة المتكلمين، وطريقة الأدباء.

فالطريقة الأولى تمتاز بخاصة أهلها المتكلمين، في الجدل والمناقشة والتحديد اللفظي، والعناية بالتعريف الصحيح، والقاعدة المقررة، والإقلال من الشواهد الأدبية، وعدم العناية بالناحية الفنية في خصائص التراكيب وتقدير المعاني الأدبية، واستعمال المقاييس الحكمية الفلسفية، المعتمدة على قواعد منطقية، دون النظر إلى معاني الجمال وقضايا الذوق، وتظهر هذه الطريقة جلية في كتاب نقد الشعر².

أما **الطريقة الثانية** وهي **طريقة الأدباء** في درس البلاغة، فتمتاز بالإكثار المسرف من الشواهد الأدبية نثرها ونظمها، والإقلال من البحث في التعاريف والقواعد والأقسام، وتعتمد في النقد الأدبي؛ على الذوق الفني وحاسة الجمال أكثر من اعتمادها على تصحيح الأقسام وسلامة النظر المنطقي، ويتجسد هذا في كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري.

1 - ينظر: أمين الخولي، المرجع السابق، من ص 80 إلى ص 88 (بتصرف).

2- لقدامة بن جعفر.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

وتعنى المدرسة الكلامية أولاً وأخيراً بإعجاز القرآن، الذي هو ملتقى ما بين الأدب والعقائد والفلسفة الإلهية وما أشبهها، على حين تعنى المدرسة الأدبية بالتكوين الأدبي والتمرين على صناعة الجيد من الكلام، وتربية الذوق الناقد وحينما تمس مسألة الإعجاز تمسها مساساً أدبياً ما أمكن¹.

ومن ثم يقرر في النهاية أنّ البلاغة تتمنى أن لو لم يكن لها بالفلسفة تلك العلاقات السابقة، وحبذا لو لم يكن لها منها إلا تلك العلاقة العامة؛ وهي عناية الفلسفة والبلاغة بالجمال، فتعمل البلاغة العمل الصادق في درس الجمال القولي². لأنّ سيطرة النزعة الجدلية وانتهاء البحث في البلاغة إلى ضروب من الخلاف والمناقشة، إلى أن وصل الأمر إلى مجالس المناظرات والتحكيم، ليكون السعد التفتازاني ضحية البلاغة الفلسفية الزائفة في مسألة اجتماع الاستعارة التمثيلية والتبعية، مثلما كان سيبويه ضحية النحو العُربي في المسألة الزنبرية. والحقيقة أنّ هذا الأمر كان وبالاً على البلاغة، فقد أبعدها عن وظيفتها الجمالية الأدبية، ويجاول الخولي أن يسترد مكانة البلاغة من خلال انتهاج طريقة المدرسة الأدبية القديمة وتحديد معطياتها مع ما يوافق خطته في الدرس البلاغي الحديث، فالبلاغة روح جسمها الأدب.

ومن هذا الأساس يلخص الخولي منهجه في البلاغة قائلاً: "كانت محاولتي الأولى في سبيل البلاغة (هي تحقيق فنية البلاغة) والانتهاج بها إلى أن تكون فن القول الذي يقوم إلى جانب الفنون الأخرى من سمعية وبصرية"³. ومن وجهة نظره، ليس الفن ترفاً وأناقة في الحياة، بل هو مادة إنسانية الإنسان، وعنصر معنويته، وليس غير هذه الإنسانية والمعنوية يخلق الحضارة، ويوجد المدنية، والفن القولي أمس الفنون اتصالاً بهذه المعنوية وتلك الإنسانية⁴. وينادي بالصلة الوثيقة بين البلاغة وعلم النفس، ففي هذا الوصل أثر قوي في إصلاح الحياة الأدبية وفي إصلاح دراسة البلاغة، وفي تغيير الآراء في مسائل أدبية سياسية كإعجاز القرآن وتعليقه، ثم في تغيير أساس نظرنا في تفسير القرآن⁵.

ثم تطرق لعلم التفسير وعرفه، وتحدث عن الإسرائيليات ولم يقبل الخوض فيها، وحاول إيجاد تأريخ لعلم التفسير، منكر التفسير العلمي الحديث، حتى لا يكون القرآن مرهوناً بالاكتشافات العلمية التي

1- ينظر: أمين الخولي، المرجع السابق، ص 96-97؛ أمين الخولي: فن القول، ص 126-127.

2- ينظر: أمين الخولي: المرجع السابق، ص 132.

3- أمين الخولي: المرجع السابق، ص 250.

4- ينظر: أمين الخولي: المرجع السابق، ص 142.

5- أمين الخولي: المرجع السابق، ص 135.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

تتجدد في كل وقت، وقد يكتشف خطؤها في زمن متأخر، فننزه بذلك القرآن من طرق الشك التي ترافق النظريات العلمية، ثم نجده يركّز على إظهار الجانب البياني في القرآن إذ لن يفهم إلا كما كان يفهمه العرب الذين نزل فيهم، وقد آمنوا به حتما عن اقتناع، وبالتالي سيقدرّون على أن يفهموه غيرهم بإقناع؛ فهما منضبطا محدودا، مرتكنا بالدلالة اللغوية الواضحة في تطور معاني الكلم العربية، ثم الإيحاء الفني للفظ الذي تحدت دلالاته الأولى فحدت معانيه الثانية، وبما قرّر السياق القرآني من أصل المعاني، وتلك هي خلاصة المنهج الفني في معرفة الإعجاز القرآني.

ولقد اهتدى الخولي بهذا المنهج التجديدي في البلاغة إلى ربطه بإعجاز القرآن وتفسيره تفسيراً أدبياً، ولقنه لطلبته الذين اختاروا لأنفسهم الانضمام إلى مجموعة الأمناء التي أسسها، ليجسدوا منهج أستاذهم في أعمالهم، وكانت من أوفاهم الأستاذة بنت الشاطي -عائشة عبد الرحمن- طالبتة المخلصة وزوجته الوفية لمنهجه وبحته، فقد جسدت خطته المنهجية البيانية في مؤلفاتها الخاصة بالدراسات القرآنية، وكانت في كل كتبها تشيد بفضله عليها؛ في تغيير نظرتها السطحية للأمر، وحمائتها من مزلق الرأي والتأويل، حيث كان يأخذها بضوابط منهجه الدقيق الصارم الذي لا يجوز لنا أن نفسر كلمة من كلمات الله تعالى دون استقراء لمواضع ورودها بمختلف صيغها في الكتاب المحكم، ولا أن نتناول موضوعاً قرآنياً أو ظاهرة من ظواهره الأسلوبية، دون استيعاب لنظائرها وتدبر سياقها الخاص في الآية والسورة، وسياقها العام في القرآن كله.

ومثلما حدث للبلاغة التي درست بعمق من طرف أقطاب المدرسة الكلامية، هو ما حدث تماماً في درس الإعجاز أيضاً، فقد درس سابقاً مترافقاً مع المسائل الكلامية، بينما درست بنت الشاطي الإعجاز القرآني وحده دونما أن تتعرض للمسائل الأخرى. ونجدها توهن من تحليل الجاحظ والباقلاني على نفي الشعرية عن القرآن بضرب أمثلة السوقة والبادنجان¹، وهنا نلمح صفة جوهرية في شخصيتها، فهذا التحليل يعكس مدى تقديسها للنص القرآني على غرار ما قد قيل عن أصحاب هذا الفكر، وحينما ردت بنت الشاطي على الباقلاني في كون المشركين وصفوه بالشعر، وأثقلت القول على الباقلاني حينما لجأ للموازنة بين نظم القرآن ونظم الشعر، لكن -على حسب تقديرنا- ما كان مقصده من وراء عمله هو وجود مقاطع شعرية فيه أو ما يمكن أن يحمل على وزن الشعر

¹ - ينظر: عائشة عبد الرحمن: الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأوزق، المرجع السابق، ص 51.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

ونسقه، حين قالوا إنّ محمداً شاعر، وإنما أرادوا أن للقرآن مثل وقع الشعر على الوجدان والعقل، هذا وارد من جهة؛ ومن جهة أخرى أنهم وصفوه بالشعر لأنه أرقى ما لديهم، فهم لا يعرفون مستوى أفضل منه، فلو كانوا يفقهون الفلسفة وقتئذ لقالوا إنه حكمة فلاسفة. والباقلاني لا يفهم من موازنته بين القرآن والشعر، أنه يثبت تشبيهه بالشعر، بل هو في معرض إيراد تفرقة بينهما لينفي كونه شعراً كما قيل عنه.

قد نتساءل لماذا اختلفوا في وصفه؟ لأنهم ما وجدوا لتحليل إعجازه البياني شبهاً فهو سحر استناداً لإعجازه التأثيري، وهو تارة شعر وهو كهانة لسجعه ونسقه البديعي.

وقد كنت لا أستسيغ تلك المفاضلة، لكن فهم الدواعي التي جعلته يفعل ذلك كونه يرد على من أنكر إعجاز القرآن. فقد وصف المشركون القرآن بالشعر، لا لأنه يشبه الشعر في نظمه أو وزنه، بل لأن أرقى مستوى لديهم، وأعلى مستوى يعرفونه هو الشعر والكهانة والسحر.

كما أنّ بنت الشاطي في عدولها عن مصطلح التفسير الأدبي إلى التفسير البياني، كانت مستوحية لذلك من أفكار أستاذها الخولي، فهو يقصد بالبيان البلاغة¹ ويقصد به أسلوب التعبير²، ويقف على ما ألفه ابن سينا في أبحاث الأسلوب ضمن ما لخصه من فلسفة أرسطو، ويتكلم على أسلوب عبد القاهر الجرجاني في كتابيه (دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة).

ويشير إلى قضية التفاوت في الأسلوب، وأنه سرّ الحياة، وأنه هو البيان وهو جزالة اللفظ ويأتي الأسلوب بمعنى النظم أيضاً عند الخولي³، ويربط بين قضية الإعجاز القرآني بالإعجاز النفسي، "وعلى هذا يكون طريق معرفة الإعجاز هو تكوين الذوق الفني والممارسة الأدبية للبلاغة على ما تقضي به أصول التربية الفنية الصحيحة"⁴، وهو يهدف من وراء ذلك إلى إحياء الطريقة الأدبية وتنميتها وإبعاد الطريقة الكلامية أو العلمية الفلسفية، إذ رؤيته للتجديد تبدأ بالانتفاع أولاً بكل ما استطاع الانتفاع به من القديم، ووصل البلاغة بالحياة الأدبية وجعلها دراسة ذات جدوى عملية، إذ بقيت كتب البلاغة حتى عصرنا الحالي مثقلة الأمثلة والقواعد ولم تتمكن من تربية الذوق الراقي، وعلى هذا

¹ - ينظر: أمين الخولي: المرجع السابق، ص 71.

² - ينظر: أمين الخولي: المرجع نفسه، ص 75.

³ - ينظر: أمين الخولي: المرجع السابق، ص 151.

⁴ - ينظر: أمين الخولي، المرجع السابق، ص 131.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

نبدأ البحث البلاغي المستوفى من اللفظة المفردة، ولا نحده بالجملة، بل نمده إلى الفقرة والعمل الفني الكامل، فنبحث فيها الأسلوب واختلافه، وأوجه تفاوته ومزايا أنواعه، وننظر النظرة الشاملة الجامعة في الأثر الأدبي كله.

وكذلك من طلبته الأوفياء شكري عياد¹ الذي قدّم دراسة أدبية توّصل بالمنهج الأدبي الذي سطره شيخه الخولي، إذ جهد في التتبّع اللغوي للأصل الحسي للفظ وتطور دلالاته لأن المعنى الأدبي "لا يقنع بالدلالة الصريحة للفظ، بل يتجاوز هذه الدلالة الصريحة إلى الدلالات الضمنية، لجليل قيمتها في التلوين الوجداني للمعاني"²، بل وقد نراه تجاوز الأمر بما يوحيه اللفظ من المعاني التي لا تتدخل في تعريفه، ولكنها مع ذلك تطوف حوله، وتتعلق به بحيث لا يخلو ذهن قائل أو سامع منه أو بعضها، حين يذكر ذلك اللفظ.

كما أنه اعتنى بفكرة التصوير كما أرادها صاحب المنهج، فإذا كنت أدبياً أو شاعراً، فليس يطلب منك أن تخرج صورة شمسية للشيء الذي تصفه، بل عليك أن ترينا إياه بعينيك، فأنت حرٌّ إذاً أن تفصّل جزئياته، ثم تركبها كما تشاء، وإذا استطعت أن ترينا منه معنى جديداً كان غائباً عن الناس فأنت الأديب المبدع، ولا تظن أنّ هذه المعاني الجديدة تنتهي أو يدركها الفناء، فهي متجدّدة ما يجدد الإحساس، وأحاسيس الناس فيها دائماً عناصر من الجدة تختلف باختلاف العصور والبيئات والأشخاص³. ثم عالجوا الصور من خلال سياق ورودها وفي ظل العادات اللغوية العربية، والأثر النفسي والظلال التي ترسمها الكلمة والإيقاع والصورة والحركة والحوار، ليخلص الباحث أخيراً، أنّ التصوير من خصائص الأسلوب القرآني في الإيحاء والتأثير، وخاصة فيما يتصل بالمعاني التي لا يمكن تناولها تفصيلاً، لأن القصد إلى الإيمان بها في جملتها.

وخلاصة الحديث يمكننا القول أنّ أمين الخولي أرخ للبلاغة تاريخاً منطقياً مستوفياً، حيث إنّ طريقته في تأصيل البلاغة من خلال التطرق لجهود السابقين والاستعانة بها للتجديد؛ هي طريقة علمية دقيقة تنم على عقلية جبّارة لها سعة إطلاع وموسوعية بالتراث، كما أنّ أرباب المنهج البياني،

¹ - عبد الفتاح شكري محمد عياد (1340 هـ / 1921 . 1999) ناقد وقاص وأستاذ جامعي مصري. (ينظر: موقع ويكيبيديا).

² - شكري عياد: من وصف القرآن يوم الدين والحساب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة- مصر، ص 24.

³ - ينظر: شكري عياد، المرجع السابق، ص 107-108.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

وضعوا دستوراً للبلاغة الفنية؛ التي تربيّ الذوق الراقي والحس المرهف، وهي من أفضل السبل في فهم المرامي القرآنية، وبها نكسب المعاني الجديدة.

المطلب الثاني: دلالة المفردة القرآنية وأثرها على الإعجاز البياني

ظلت قضية إعجاز القرآن الكريم محور اهتمام المتقدمين والمتأخرين، من عاصروا الوحي والمعجزات عياناً؛ وشاهدوا نزوله على النبي ﷺ برهانا، ومن آمنوا بالرسالة غيباً؛ وفقهوا الشريعة استدلالاً، فقد بقي أثرها أزلياً يكمن في هذا الكتاب المجيد، ولقد انطلق العلماء في فهم إعجاز القرآن البياني، من فكرة أنه لا يمكن تفسير معاني القرآن وكشف أسراه والاهتداء بهديه؛ إلا إذا تعرّفنا على ألفاظه لإدراك خصائصه البيانية. حيث ربطوا الألفاظ القرآنية بقضية الإعجاز فقالوا: إنّ القرآن قد جمع أشدّات الألفاظ؛ فانتظمت واتسقت بطريقة تعجز عنها قوى البشر؛ وقالوا أيضاً: واعلم أنّ القرآن إنّما صار معجزاً لأنّه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمّناً أحسن المعاني¹.

ومن هذا المنطلق اهتمّ علماء اللغة عامة؛ وعلماء البلاغة خاصة، بمسألة المفردة القرآنية، وسنحاول في هذا المقام أن نبسط الحديث عن الموضوع من نواحٍ جديدة.

الفرع الأول-ثنائية اللفظ والمعنى في الميزان:

منذ أن خلق الله الإنسان، وبثّ فيه من روحه، أسجد له خيرة خلقه، وأكرمه بالعقل؛ ليفكر ويميّز، وجعل له لساناً؛ لينطق ويعبّر، وعلمه أسماء الأشياء؛ التي تحمل معاني ودلالات، فارتبطت بذلك قضية اللفظ والمعنى بأصل وجود الإنسان ومهمّته في البيان.

من هنا أدرك الإنسان أهمّية التواصل، من خلال علاقة اللفظ ودلالته، فقد سجّل التاريخ اشتغال الإنسان باللغة في وقت مبكّر، وكانت مسائل اللغة من أوّل القضايا التي بحث فيها، فراح يشخص نشأة اللغة ومصدرها، وقضايا الألفاظ وتواضعها، وكانت العرب من بين الشعوب التي اهتمّت باللغة كغيرها من الأمم، فقدّست الألفاظ وراعت المعاني، لينزل القرآن بلغتهم؛ يحاكي أسلوبهم ويوازي بيانهم، ومع ذلك عجزوا عن الإتيان بآية مثله، وانبهروا أمام سحر نظمه؛ وحسن سبك مفرداته، فشرح لهم رسول الله ﷺ بعضها منها، وكان للصحابة رضي الله عنهم أيضاً اليد الطولى في ذلك، فكانت مسائل

¹ ينظر: سليمان عبد الله موسى أبو عزم، الإبداع اللفظي في القرآن الكريم (دراسة نقدية)، مجلة الدراسات والبحوث، تاريخ التحميل: 2018/7/20، ص 7.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

ابن الأزرق مع حبر الأمة؛ عبد الله بن عباس رضي الله عنه أول البحوث التي أولت العناية بالمفردة القرآنية، - كما رأينا سابقا-، وبذلك نشأت الدراسات الدلالية الأولى عند العرب؛ في أحضان الدراسات القرآنية، فقد أغرى هذا القرآن علماء العربية، ببحث معانيه، وتذوق ألفاظه، والتعرف على مواطن إعجازه، فظهر إثر ذلك سيل عارم من المؤلفات، وتيار جارف من الآراء شبه خلافية؛ بين العلماء حول قضية اللفظ والمعنى، وتوالى الكتابات في هذا المضمار، وكادت الغلبة تكون من نصيب رواد المعنى، فلقد أفرزت جهودهم رأيا سديدا، كان البادرة الأولى لنشأة نظرية النظم؛ التي تربعت على عرش الدرس البلاغي عند العرب.

ولست أرمي من خلال هذا الكلام؛ أنني من أنصار المعنى، فموقفي يكاد يكون خروجا عن تيار المدّ والجزر في هذه القضية؛ التي أثارت جدلا كبيرا، على الساحة الأدبية عموما والبلاغية خصوصا عبر مختلف القرون، وأصبحت الآراء فيها على طرفي نقيض، وأورث ذلك الخلاف تراثا زخما في الدرس البلاغي، مما جعل الباحث مصطفى ناصف¹ يقول: "إنّ النقد العربي كلّّه، لا يعدو أن يكون حاشية متوسّعة على عبارة الجاحظ"²، وما قامت نظرية النظم أساسا؛ إلا بعد ثورة الموازنة بين اللفظ والمعنى.

إنّ الرأي³ الذي جنح لفكرة أنّ القضية مفتعلة من طرف المحدثين، الذين توهموا صراعا بين القدماء؛ كونهم انتصروا للفظ على حساب المعنى أو العكس، هو رأي مرجوح لا تؤيده جهود العلماء في هذا الباب، وإن كنا نوافقه في جانب أنّه لم يكن صراعا سلبيا وتناطحا فكريا وموقفا عدائيا، بقدر ما كان موازنة تحيل الفضل لأحدهما دون أن تلغي مزّة الآخر.

¹ - مصطفى عبده ناصف أديب وناقد مصري. حصل على ليسانس وماجستير الآداب في اللغة العربية من كلية الآداب في جامعة فؤاد الأول، كما حصل على درجة الدكتوراه من قسم اللغة العربية بكلية الآداب في جامعة عين شمس سنة 1371 هـ الموافق لسنة 1952م، عمل كأكاديمي في جامعة عين شمس إلى أن أصبح أستاذ كرسي سنة 1385 هـ الموافق لسنة 1966م. ساهم في نشر العديد من الكتب والمقالات في المجالات الأدبية والثقافية والمؤتمرات العلمية. (ينظر: موقع ويكيبيديا).

² - مصطفى ناصف: نظرية المعنى، ط2: 1981م، دار الأندلس، ص 33، وعبارة الجاحظ المشهورة: المعاني مطروحة في الطريق.

³ - ينظر: محمود عكاشة، الدلالة اللفظية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة- مصر، ص 37.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

فالأصل في المسألة هو أنّ المعاني هي المقصودة بذاتها، وإنما جعلت الألفاظ لها أداة ووسيلة للتعبير عنها، فالألفاظ هي القالب الذي يحتوي المعاني. " فالألفاظ توضع لتعيين الأشياء، أو جعلت بإزائها لتدل عليها؛ كلما أطلق اللفظ علم منه المعنى؛ للعلم بوضع ذلك اللفظ لهذا المعنى"¹.

ثم إنّ فكرة الألفاظ محصورة، والمعاني لا متناهية، أمر يحتاج لإعادة نظر وتوجيه، فإذا نظرنا إليها من ناحية الوضع قد يصدق عليها مبدئياً، فالاصطلاح اللغوي الأوّلي؛ كان محصوراً في زمن معيّن، كما أنّ الحروف العربية محدودة منتهية؛ حتى ولو أخذنا بعين الاعتبار احتمالات التقلبات المتعدّدة، فما دامت تنتمي لحروف محدّدة؛ ستكون هي أيضاً منتهية، وإذا نظرنا إليها من ناحية خصائص اللغة وميزاتها من اشتقاق وتعريب وغيرها، فواقع اللغة يناقض هذا، فما زالت اللغة مرنة تقبل ألفاظها الصياغة التجديدية في كل زمن.

كما أنّ المعاني ينطبق عليها هذا أيضاً، فلو نظرنا إليها من زاوية اشتراك كل البشر واتفاقهم على معانٍ محدّدة وأحاسيس مشتركة؛ لصحّ قولنا: إنّ المعاني محدودة يستوي في معرفتها الجاهل والعالم على حدّ سواء، ولو نظرنا إليها من زاوية أنّ المعاني لا تنتهي، فكل زمن له مستجداته واختراعاته وتطوراته، ومن ناحية فنية إبداعية فالمعاني تتولّد وتتجدّد بناءً على سعة أفق المتكلم وخياله.

إنّ اختلاف المعيار الذي أسّس عليه كل فريق رأيه، هو ما أدّى إلى ظهور وجهات نظر متباينة، وآراء فكرية متناقضة، أضحت كلغز فلسفي غامض، يبدأ من حيث ينتهي. فمن هو الأسبق في الوجود اللفظ أم المعنى؟ وهل وُضع اللفظ للمعنى، أم وُضع المعنى لللفظ؟ وهل تكمن المزيّة في اللفظ أم في المعنى؟ تساؤلات طُرحت، وإشكالات نوقشت، كل أحد يغلب فيها وجهة نظر معيّنة، وكل يدّعي فيها أنّه صاحب الحق دون منازع؛ بما أتى من استدلال وتحليل، ممّا يجعلنا نميل لرأي في شيء، ونوافق غيره في شيء آخر، لتتشكّل لنا بعدها رؤية عقلانية تفيد من خير ما وصل إليه الفريقين، ونحدّد بكل موضوعية موقفاً يجمع بينهما، لنقول بكلّ جاهة أنّ العلاقة بين اللفظ والمعنى؛ علاقة حميميّة لا تقبل أن نفصل بينهما، فكأنّما خلقا لبعضهما كالروح والجسد، والفيصل من وجهة نظر سليمة؛ هو عدم أفضلية أحدهما عن الآخر، ولعلّ أصدق ما قيل في هذا: " إذا وجدت الألفاظ وفق المعنى والمعاني وفقها، لا يفضل أحدهما على الآخر، فالبراعة أظهر والفصاحة أتم"².

³- المرجع نفسه، ص 9.

²- الباقلائي: إعجاز القرآن، تح: أحمد صقر، دار المعارف- مصر، ص 63.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

فهما وجهان لعملة واحدة، وصنوان متلازمان يحققان هدفا واحدا، وهو إيصال المعنى بأليق لفظ، وفق الصورة الذهنية، على القواعد العربية؛ بحيث لا يحدث إخلال لا بالمعنى المراد، ولا بالقواعد الصحيحة، ليشكّل لنا النظم في أرقى صورته، وقد أبدع أستاذي بوصفه بالمعادلة اللغوية؛ "المعادلة بين المحصول الفكري والشعور الوجداني من جهة، والزاد اللغوي من جهة أخرى، وفي كلّ عملية تعبيرية لا بد من تلاقح هذه العوامل وتفاعلها لتلد العبارة"¹.

الفرع الثاني-المفردة² القرآنية ودلالاتها:

إنّ المفردة القرآنية تقتبس قدسيّتها من قدسيّة القرآن الكريم، فقد أكسبها الأزلية في مبناها، لكن حارت الألباب في فهم معناها، وكَلّت العقول في كشف مغزاها، فموضوع المفردة في القرآن؛ موضوع واسع متشعب الأطراف، متعدّد المناحي، ما زال البحث فيها بكرا، يحتاج لمزيد تأمل وتدبّر وتمحيص، لأنها تتعلّق بالقرآن المعجز الذي لا تنقضي عجائبه، ولا تنتهي غرائبه، ولا يزول إعجازه.

إنّ شرف العلم تابع لشرف مصدره وما يتعلّق به، قال الراغب الأصفهاني بهذا الصدد؛ مبينا فضل وأهميّة دراسة هذا الجانب، "إنّ أوّل ما يحتاج أن يشتغل به من علوم القرآن؛ العلوم اللفظية، ومن العلوم اللفظية؛ تدقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن، في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه"³.

ولا شك في ذلك، فالخطاب القرآني عبارة عن كلمات مركّبة تعبّر عن معانٍ متعدّدة، مشكّلة لحمّة واحدة ونسيجا متناسقا، "فألفاظ القرآن هي لبّ كلام العرب وزيدته، وواسطته وكرائمه، وعليها

¹ - مصطفى شريقن، أسلوب الالتفات في القرآن وأسراره، ص 59.

² - المقصود بالمفردة هو الكلمة الواحدة (ينظر: فاضل صالح السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، شركة العاتك لصناعة الكتاب، القاهرة- مصر، ط2: 1427هـ/2006م، ص 4؛ يوسف محمد رضا، معجم العربية الكلاسيكية والمعاصرة- معجم ألبائبي موسع في اللغة العربية - ص 1516). جاء في مادة فرد: قال الليث: والفرد في صفات الله تعالى، هو الواحد الأحد الذي لا نظير له ولا مثل ولا ثاني، والفرد أيضا: الذي لا نظير له والجمع أفراد (ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج10-11، ص 204-205).

³ - الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، المصدر السابق، ص 06.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفرع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم¹.

وإن كانت المعاني مطروحة في الطريق؛ كما أعلن الجاحظ حينما جعل المزية تكمن في اللفظ، فقد نستسيغ هذا بالنسبة لكلام البشر، لكن عندما يتعلق الأمر بالمفردة القرآنية، فهنا يصعب الأمر، إذ ليس من السهل أن يدعي أحد فهم المراد الإلهي من خلال ما تحويه الكلمات القرآنية من دلالات وإيحاءات.

إنّ ما طرحه الباحث من أفكار حول المفردة القرآنية؛ وصعوبة البحث في مدلولها الاصطلاحي، في غضون حديثه عن مفردات القرآن، فمن وجهة نظره؛ لها أبعاد عميقة وأزلية، وأبعاد مستقبلية خارجة عن إرادتنا، فماهية المفردات القرآنية، لا تنفصل عن ماهية معنى القرآن، فهي متحققة في المفردة القرآنية حسا ومعنى، والوصول إلى هذه الماهية أمر شائك، وهو محجوب عنا لسبب لا نعلمه².

إنّنا نلمح المبالغة من خلال حديثه؛ عن صعوبة تحديد ماهية المفردة القرآنية، مع أنّنا نتفق معه في بعض النواحي؛ كما ذكرنا آنفا، إلا أنّنا لو جارينا رأيه، الذي يوحي بشبه استحالة فهم المراد الإلهي أو الدلالات الحقيقية أو الاصطلاحية للمفردة القرآنية، فكيف نؤمر بتدبر معانيه؟ أما قال سبحانه وتعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد : 24)

ثم إنّنا إذا سلمنا برأي الباحث، لما كان هناك معنى لتحدي المشركين المنكرين للوحي، وهم وقتئذ أساطين اللغة وأرباب البيان، فبلغتهم نزل؛ وبدلالاتها عندهم قُصد وفُهم، وهنا يكمن الإعجاز بلا شك. إنّ هذا القول قد يوحي ضمنا بقول الصرفة³ - وإن كان الباحث لا يقصد ذلك - إذ لو كانت المفردة القرآنية مستحيلة الفهم، صعبة إدراك المعنى الاصطلاحي أو السياقي، لما كان لتحدي معنى؛ ولالإعجاز قيمة، فما نزل القرآن إلا لتفهم معانيه وتتبع أحكامه، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ

1 - المصدر نفسه، ص 06.

2 - سليمان عبد الله موسى أبو عزب: الإبداع اللفظي في القرآن الكريم، ص 8.

3 - يقصد بما أنّ الله تعالى صرف هم العرب عن معارضة القرآن وكانوا يستطيعون الإتيان بمثله لأنهم جهابذة اللغة، وبما أنّه صرفهم أصبح القرآن معجزا، وينسب هذا الرأي للمعتزلي (إبراهيم بن سيار النظام ت 221هـ).

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

الذِّكْرَ لَتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٩٤﴾ (النحل: 44) وقال أيضا: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ (سورة الشعراء: 195).

فالهدف من نزوله عربيا بلسانهم وبكلماتهم، لهدف البيان والاتباع، لا للغموض والإبهام، وهنا مكن السرّ وغاية الإعجاز، فكأنّه يقول لهم: هو بلغتكم وأسلوبكم، لكنكم عجزتم عن نظم آية مثله، أو إنكار لفظه منه، أو ردّها ونقدّها؛ كما كنتم تنقدون بعضكم البعض في مناقضاتكم الشعرية، وتنافسون بعضكم البعض ويدّعي كل أحد منكم؛ أنّ لهجة قبيلته هي الأجل والأمكن والأجدر؛ بالسلطة اللغوية والبلاغة الأبدية في مفرداتها الاستثنائية؛ فها هو بين أيديكم، أسلوبكم وكلامكم ولغتكم، التي ارتضيتها وتواضعت عليها واستحسنتموها، ووصلتم لأعلى درجة البلاغة والفصاحة فيها، بل والأكثر منها أبدعتم في التواضع اللغوي؛ لحدّ جعلكم تختارون ألفاظا معينة، لتوحي بمعانٍ معينة، بكلّ دقة متناهية لا نظير لها.

فعندما نطالع قول ابن قتيبة: " وقالوا للكبير: جلال، وللصغير: جلال، لأن الصغير قد يكون كبيرا عند ما هو أصغر منه، والكبير يكون صغيرا عند ما هو أكبر منه، فكل واحد منهما صغير كبير" ¹. نلمح هنا أنّهم أتقنوا وضع الألفاظ للمعاني بكلّ دقة، حيث راعوا فيها اعتبارات عدّة، تتعلق بعلاقة الأشياء بعضها البعض، وحيوية الألفاظ واحتمالاتها المرادة منها؛ والتي تعكس بدورها حيوية المعنى وفضفضته واتساعه.

وقد يتبادر لنا سؤال مهم، ألا وهو: هل المفردات العربية تحمل حقيقة معانٍ مطلقة أم نسبية؟

إنّ الجواب على هذا يكمن في المعنى الذي نقصده بإزاء اللفظ، فهو معنى واحد، في لفظ واحد، في زمن واحد، من زاوية نظر واحدة، حتى ولو كان في باب التضاد، فلفظ (عسعس) والتي تعني الإقبال والإدبار، أي أقبل الليل و أدبر، وهو من المشترك اللفظي في باب التضاد، فالأمر ليس كما يظهر لنا من أول وهلة، كأنّه تناقض صارخ في الوضع اللغوي، بل هو أمر مستساغ حينما نفهم مبرراته الوجيهة، فمن كان في الثانية بعد منتصف الليل؛ يقول عسعس الليل؛ ويعني به أدبر الليل وأقبل النهار، ومن كان في آخر النهار، سيقول عسعس الليل؛ أي أقبل الليل وأدبر النهار، ولا يمكن اجتماع المعنيين - أقبل الليل وأدبر الليل - في وقت واحد في ذهن المتكلم، فإما أنّه يقصد ذلك المعنى

¹ - ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، شرحه ونشره السيد أحمد صقر، دار التراث، ط2: 1393هـ/1973م، ص 189.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

أو المعنى الآخر. فالمعيار من وجهة نظرنا هو الزمن الحادث ومقصدية المتكلم؛ وما يقتضيه المعنى للفظ في ذلك الزمن، فلما كان المعنيان متعاقبين في أصل الوجود، مترابطين في أصل الخلق، متواليين حقيقة؛ وفق القوانين الكونية التي دبرها مسير الكون، لكنهما مختلفان من حيث مقصدية المتكلم، فكأنما أصبح المعنى متمازجا ومختلطا لا يمكن فصله باعتبار الزمن الحادث، فكان ولا بد من وضع لفظ يوافق درجة (بين بين) التي جمعها المعنى المتضاد. فمثلا جعلوها للمنطوق في كلامهم في باب الهمز، جعلوها للوضع اللغوي في الكلمات، حينما لم يسعفهم التعبير عنها بلفظ محايد؛ يؤدي حقيقة معنى مطلق، يقول المبرّد¹ في كتابه: (ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد): " هذه حروف ألفناها من كتاب الله عزّ وجل، متفقة الألفاظ مختلفة المعاني، مقاربة في القول، مختلفة في الخبر، على ما يوجد في كلام العرب، لأنّ من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين والمعنى واحد"².

إنّ هذا الكلام يشير إلى أنهم تحرّوا الدقة في التقسيم حين الوضع اللغوي، والدليل أنّنا لا نجد نفس اللفظ لمعنيين مختلفين من نفس اللهجة في قبيلة واحدة، قال ابن جني (ت 392 هـ): " وإذا كثرت على المعنى الواحد ألفاظ مختلفة، فسُمعت في لغة إنسان واحد، فإنّ أحرى ذلك أن يكون؛ قد أفاد أكثرها أو طرفا منها، من حيث كانت القبيلة الواحدة لا تتواطأ في المعنى الواحد على ذلك كله"³ فيكون للفظ إذن في أصل الوضع؛ في كل لهجة معنى حقيقي يؤديه لفظ بصفة مطلقة، ومعنى مختلط متتابع لا يمكن التعبير عليه؛ إلا بلفظ يحمل الضدين المتلاحقين، وبتلاقح المفردات بين لهجات القبائل، و بسبب ظاهرة توليد المعاني من جهة والاستيراد اللغوي من جهة ثانية، تفرّعت الألفاظ وتفرّعت المعاني ودخلت النسبية لهذا المجال من أوسع أبوابها، فأصبح للفظ الواحد معنى مطلق ومعانٍ نسبية تابعة له، وأضحى للمعنى لفظ مطلق وألفاظ نسبية دالة عليه، ويكفي أن نتأمل برهة في المعاجم اللغوية أو كتب توجيه القراءات القرآنية، حيث نجدها لا تخلو من الإشارة إلى ذكر اسم القبيلة التي تنطق ذلك اللفظ؛ وكل واحدة منها اصطلحت عليه لمعنى محدّد لا أكثر، كما نجد الإشارة

¹ - أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر المعروف بالمبرّد ينتهي نسبه بثمانية، وهو عوف بن أسلم من الأزد. (ولد 10 ذو الحجة 210 هـ/825م، وتوفي عام 286 هـ/899م)، أحد العلماء الجهابذة في علوم البلاغة والنحو والنقد، عاش في العصر العباسي في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي). (ينظر: موقع ويكيبيديا).

² - المبرّد: ما اتفق لفظه واختلف معناه، (د ت ط)، ص 47.

³ - ابن جني: الخصائص، ج 1، ص 375.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

إلى أن أصل المفردة كذا وتفرّع عليها كذا، وتطوّرت وصارت كذا، فهذا يدلّ على أنهم كانوا على دراية بما يعملون، وما كانت المسألة اعتباطية ناجمة من الوضع العشوائي، وبهذا تكون حقيقة المعاني المطلقة أو النسبية تختلف باختلاف المعيار الذي نزن به دراسة المسألة.

فاللغة كائن حي مثل الإنسان؛ ولدت بتواضع معيّن وتحت اسم معيّن، ثم كبرت ونمت، أثرت وتأثرت، صدّرت واستوردت، أنتجت وأبدعت، تطوّرت وأبهرت؛ كل من تعاطاها واشتغل بها، سواء من أبنائها أو أبناء غيرها؛ ممن اكتشفوا فيها تلك الخصائص والمميزات المثالية، والتي خوّلتها ملكة اللغات السامية بعد أن توجّها القرآن بهذه المكانة العظيمة والخلود السرمدي، فهي محفوظة بالحفظ الإلهي.

ثم إنّنا إذا ربطنا المسألة بقضية الصفات المتعدّدة للشيء الواحد، كما جاء في قصة السيف، حينما ذكر أحدهم أنّه يحفظ للسيف خمسين اسماً، فردّ عليه أبو علي الفارسي (ت 377هـ) وقال: ما أحفظ إلا اسماً واحداً وهو السيف، فأجابه: فأين المهند والصارم وكذا وكذا... فقال أبو علي: هذه صفات¹.

فهنا يتبيّن لنا موقفه صريحاً في إنكار الترادف، وتبعه في ذلك ابن فارس (ت 395هـ) الذي قال: "ويسمى الشيء الواحد الأسماء المختلفة، نحو السيف والمهند والحسام، والذي نقوله في هذا إنّ الاسم واحد هو السيف، وما بعده من الألقاب صفات، ومذهبنا أنّ كل صفة منها فمعناها غير

¹ - محمود عكاشة، الدلالة اللفظية، ص 51.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

معنى الأخرى¹. لكن الأمر لا ينطبق على كل ما كان متعدّد الألفاظ، فهو متعدّد الصفات، فالقرآن الكريم عندما استعمل كلمة القسورة والسبع دون أن يستخدم الليث، أو الهزبر، أو الأسد²، لا يمكن أن نفسّر ذلك كونها صفات له، بل هي أسامي متعدّدة لمعنى واحد دون شك، وربما أعلّل الأمر؛ أنّ كل قبيلة أطلقت عليه لفظا معينا حين الوضع الأول، وهذا سيجريني إلى اعتقاد رأي لا أدرك مدى وجهته، بقدر ما هو تخمين قد يكون صائبا إلى حدّ ما، و هو أنّ كل قبيلة اصطلحت على ألفاظ معينة لمعانٍ محدّدة، كما قرّنا ذلك سابقا، وهذا الأمر لا ينطبق فقط على ما يتعلق بالأشياء الواقعة في الطبيعة، التي توجد في بيئات مختلفة، وكل جماعة أطلقت عليه اسما معينا، بل ينطبق أيضا على الأفعال حينما كان للمعنى الواحد عدّة ألفاظ، وكان للفظ الواحد عدّة معانٍ، فأحيانا يطلقون اللفظ ليكون بينه وبين المعنى قاسم مشترك، ونجد تعليل ذلك عند علماء فقه اللغة، وأحيانا لا نجد العلاقة قائمة بين المعنى وبين اللفظ الدال عليه، وبما أنّ قريشا مركز حضاري ديني وثقافي، يأتي الناس إليها من كلّ فج عميق، لأداء الحج وللتباري الشعري؛ في سوق ذي المجنة وعكاظ، فكانت تنتقي من أفصح وأفضل ألسن العرب وتنطق بها، لتصبح لغتها من أرقى اللغات، ولتعبّر عن المعاني بألفاظ مختلفة، قد نتوهم أنّها مترادفات، لكنّها في أصلها لهجات متعدّدة، تجمعها لغة أم واحدة، وبهذا تشكّلت معالم اللغة العربية، وأضحت بصورتها الشاملة وبلهجاتها المتكاملة؛ لغة واحدة مشتركة، تمثّلها

¹ - أحمد بن فارس: الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، المكتبة السلفية، 1328هـ/1910م، ص 65.

³ - مع العلم أنّ لفظة الأسد هي لهجة قريش، لكن القرآن امتعض عن ذلك وأوردها بأسماء أخرى، وهناك روايتين لحبر الأمة ابن عباس رضي الله عنه قد تظهر أنّهما متناقضتان لأول وهلة، فعندما سأل عن لفظة (القسورة) في القرآن قال: ما أعلم القسورة الأسد في لغة أحد من العرب، وقال في الرواية الثانية: هو بالعربية الأسد، وبالفارسية شار، وبالنبطية أريا، وبالحبشية قسورة، وهناك رواية لعكرمة رضي الله عنه ينفي فيها بأن القسورة من لسان الحبشة، ويقول بأنه العنيسة في لسانهم، (ينظر: الطبري: جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج 23، من ص 455 إلى 460). ربما لن نجد تحليلا لذلك سوى أنه؛ قد يخفى على أحدهم لفظ خارج عن اصطلاح قبيلته، وهذا ما نؤكد به وجهة نظرنا السابقة الذكر، كون كل قبيلة تواضعت على لفظ محدّد لمعنى معين، كما أننا نؤكد أنّ ظاهرة الاستيراد اللغوي حقيقة لا يجب إنكارها، فاللفظ قد عرب واستعملته قبيلة عربية دون شك، ثم إنّ الأمر لا يقف عند حدود قضية الدخيل والمعرب، بل يؤكد أنّ اللغات السامية قد اشتركت في بعض ألفاظها.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

لغة قريش، وهي التي جاء بها القرآن الكريم، فكأنها لوحة فسيفسائية جمعت ألوان الألفاظ المتنوعة، مما جعلها تتميز بعدة خصائص لا تتوفر بمثل هذا الثراء في لغة سامية أخرى، كالمشترك اللفظي والمعنوي وغيره.

هذا فيما يخص المفردة خارج سياقها القرآني، أما إن كانت مرتبطة بالقرآن فهنا يتغير الأمر، وهذا يعود لعدة أسباب، فإن كانت الألفاظ التي نستخدمها ذوات شخصيات ولها أرواح كما ذكر أحد المستشرقين¹، لكنه ليس سبباً لهذا، فقد أفاد من ابن الأثير (ت 699هـ) حينما تمثّلت أشباحها له، فقال عنها: "اعلم أنّ الألفاظ تجري من السمع مجرى الأشخاص من البصر، فالألفاظ الجزلة تتخيّل في السمع كأشخاص عليها مهابة ووقار، والألفاظ الرقيقة تتخيّل كأشخاص ذوي دماثة ولين أخلاق، ولطافة مزاج، ولهذا نرى ألفاظ أبي تمام²؛ كأنها رجال قد ركبوا خيولهم، واستلأموا سلاحهم، وتأهبوا للطراد، وترى ألفاظ البحري³؛ كأنها نساء حسان عليهن غلائل مصبغات، وقد تحلّين بأصناف الحلّي"⁴. فإذا كان هذا فيما يخص كلام البشر، لاحت لنا فيه أرواح وشخصيات، فكيف بكلام الله المعجز، ومفرداته التي تحوي إيجاءات وإشعاعات.

إنّ المفردة القرآنية داخل السياق القرآني؛ هي وحدة من نسيج متكامل، ولبنة في صرح النظم المتناسق، مسوقة في موقعها المناسب لتؤدي المعنى المراد، وتعطي بمدلولها ما تلقيه من ظلال المعنى؛ بكماله وتماه مع ما قبلها وما بعدها، فعندما نريد فهم كنهها وشرح معناها، لا نكتفي فيها بالمفهوم اللغوي المجرد؛ وإن كان هو أول خطوة وأهمها لفهمها، لكن المفردة القرآنية تتميز بإيجاءات عجيبة، فلكلّ سياق من القرآن؛ لها إشعاعات وشحنات تختلف عن بعضها، ويكفي للاستشهاد بهذا لفظ (الحساب) ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾⁽²⁶⁾

¹ - هو المستشرق "موباسان"؛ ينظر: فضل حسن عباس: الكلمة القرآنية وأثرها في الدراسات اللغوية، مجلة مركز بحوث السنة والسير، العدد الرابع 1409هـ/1989م، ص 502.

² - أبو تمام (188 - 231 هـ / 803-845م) هو حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، أحد أمراء البيان، ولد بمدينة جاسم (من قرى حوران بسورية) ورحل إلى مصر واستقدمه المعتصم إلى بغداد فأجازه وقدمه على شعراء وقته فأقام في العراق ثم ولي بريد الموصل فلم يتم سنتين حتى توفي بها. (ينظر: موقع ويكيبيديا).

³ - البُحْثَرِيُّ (205 هـ - 284 هـ)؛ واسمه أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى التنوخي الطائي، أحد أشهر الشعراء العرب في العصر العباسي. يقال لشعره سلاسل الذهب، وهو أحد الثلاثة الذين كانوا أشهر أبناء عصرهم، المتنبي وأبو تمام والبحري، قيل لأبي العلاء المعري: أي الثلاثة أشعر؟ فقال: المتنبي وأبو تمام حكيمان وإنما الشاعر البحري. (ينظر: موقع ويكيبيديا).

⁴ - ابن الأثير: ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، دار النهضة - مصر، ط 1: 1380-1960، ص 69.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

(سورة ص: 26)؛ وفي قوله تعالى ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ (41) (سورة إبراهيم: 41)، فاللفظان يؤديان نفس المعنى في كلا الموضعين، لكن الشحنة التي في السياق الأول أقوى من الشحنة التي يحملها اللفظ في السياق الثاني، الذي كان أميل للطف؛ رغم أنه يوم حساب عسير، من هذا المنطلق نؤكد أنّ المفردة القرآنية تتميز بعدة خصائص ومميزات لا يمكن كشفها خارج السياق القرآني، وبقدر صعوبة البحث في مكنوناتها، إلا أنّ تذوّق معانيها متعة، يستشعرها كل من وقف وقفة تأمل وتدبر في دلالاتها وإيجازاتها.

والسؤال الذي ينبجس بعد إيراد هذه المسائل: ما هي مسوغات استخدام القرآن الكريم؛ لمفردة واحدة بمعانٍ متعدّدة، أو معنى واحد بألفاظ متباينة؟ أو بالأصح ما هو التحليل المنطقي لهذا؛ إن جاز لنا البحث عن ذلك؟

إنّ الروايات التي تؤكد عدم فهم الصحابة رضي الله عنهم لبعض مفردات القرآن، من هذا ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "ما كنت أدري ما فاطر السموات والأرض، حتى جاء أعرابيان يختصمان في بئر، قال أحدهما: أنا فطرتها¹، وما روي عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد سأل وهو على المنبر عن معنى التخوف، في آية: ﴿ أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَىٰ تَخْوْفٍ فَإِنَّ رَبَّكُم لَأَرُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (سورة النحل: 47). إنّ هذه الروايات لا تحيل فقط لقضية اختلف فيها العلماء قديما وحديثا؛ وهي قضية هل فسّر النبي صلى الله عليه وسلم كل ألفاظ القرآن؟ وهل كان كل الصحابة رضي الله عنهم يفهمون كل مفردات القرآن أم لا؟ بل هي روايات قد تؤكد لنا وجهة نظر سليمة وعقلانية، وهي أنّ القرآن قد أتى بمفردات من جميع اللهجات العربية قصدا، وقد أحاط بكل ألسنة العرب عمدا، حتى الهالك منها والمندثر، فقد جاء في محكم التنزيل: ﴿ قُلِ لِيَ وَرَبِّي ﴾ (يونس: 53) وهي في الأصل لغة إحدى القبائل المندثرة، وجاء أيضا بعبارة أصلها مثل عربي؛ فقد كانت العرب تقول: ﴿ حَجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ (22) (الفرقان: 22).

فكان هذا لبّ الإعجاز وعين التحدي لهم، فهم ولا شك؛ قد استغربوا وتساءلوا كيف عرف صلى الله عليه وسلم بتلك اللغة المندثرة، وكيف جمع كلمات اللهجات العربية المختلفة.

¹ - جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ص 665.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

هذا يجعلنا نقرّر بلا تردد، أنّ الخطاب القرآني لما أتى بتلك المفردات من جميع اللهجات، كان أمراً إلهياً مقصوداً، يبرهن به على التحدي من جهة، ويحفظ به أزلية تلك الألفاظ؛ لتكون إعجازاً دهرياً في كل زمان من جهة أخرى، وإن كان من تلك المفردات ما هو غريب على أسماع معاصريه.

فحين يلفت انتباهنا أحد الباحثين إلى قضية وجود الغريب في القرآن بمعناه اللغوي، وهو ما لا يستوي في فهمه جميع مستمعيه، لا بمعناه في مصطلح البلاغيين، ويرجع أمر الغرابة إلى ذوق ومعرفة أولئك الذين نزل القرآن فيهم¹، فإن كنا نوافقهم فيما ذهب إليه مبدئياً، لكن غاب عليه أمر مهم بهذا الصدد، إذ كيف أن القرآن يتحدّاهم بلغتهم، ثم يأتي بألفاظ غريبة خارجة عن ذوقهم أو إدراكهم؟

وحتى لا يدّعي أحد ممن تسوّّل له نفسه، الطعن في تحدي القرآن، بمثل هذه الأسئلة المشكّكة والموقّعة، أو يقول بأننا نناقض أنفسنا، فإننا نرى بأنّ الشارع الحكيم كان له مقصد؛ من وراء اختيار تلك المفردات، فهي سواء أكانت من باب المشترك اللفظي أو المعنوي أو الغريب أو غيره، هي مفردات تحمل دلالات مختلفة، ومعاني متعدّدة أو متضادة للفظ واحد، أو ألفاظ متباينة لمعنى واحد، فكلّها تعود للهجات متفرّقة، وقبائل شتى، وذلك لإثبات وجه الإعجاز فيه أساساً من خلال التحدي لهم، بجمع أشدّ ألفاظ القبائل، من أقطار الجزيرة العربية وربوعها المندثرة والباقية، السائدة والبائدة، فأحيائها من بعد الممات، وضمن لها الخلود بعد الثبات، ولولا القرآن الكريم لما بُعث ما غاب منها، ولا حُلِّد ما راح فيها.

كما أنّ الأمر فيه ملحظ آخر على حسب ما تبين لي، فاللفظ الغريب على قوم هو معلوم عند قوم وهكذا، فقد ذكر أنّ (الأصمعي) حين سأله أمير المؤمنين² في شعر غريب، ففسّره، فقال: إنّ الغريب عندك لغير غريب. قال يا أمير المؤمنين: ألا أكون كذلك؛ وقد حفظت للحجر سبعين اسماً³، وهذا يعضّد الرأي الذي سبقناه سابقاً، كونها من المحتمل الأكيد أن تكون أسامي متعدّدة من لهجات مختلفة لشيء واحد، فقد روي أنّ قبائل العرب فاقت المائة.

إنّ اختيار تلك المفردات، وجمعها معاً في نظم خاص، وأسلوب بديع، فيه معنى قيم ومقصد نبيل، وهو استعطافهم وتليين قلوبهم بواسطة لغتهم وأسلوبهم، فما نزل القرآن إلا لهداية البشر، وإخراجهم

¹ - فضل حسن عباس: الكلمة القرآنية وأثرها في الدراسات اللغوية، ص 516.

² - هارون الرشيد

³ - عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، ص 211.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

من الظلمات إلى النور، وهذا هو المقصد الإلهي الأسمى من القرآن الكريم، فالغرضان الأساسيان اللذان نزل لهما، هما كونه كتاب " الهداية البيّنة والكتاب السماوي المعجز"¹. فكل قبيلة ستجد فيه من مفرداتها وأسلوبها ما يسترعي انتباهها ويلفت نظرها؛ إلى أنّ هذا الخطاب الذي يحيط بجميع اللهجات بهذا الأسلوب الباهر، والنظم المتناسق، لا يمكن أن يكون من تأليف البشر، بل هو خطاب رباني يملك قلبك ووجدانك؛ قبل عقلك وفكرك، والدليل أنّ ما جاء به الخطاب القرآني على لسان الأنبياء المرسلين، كان أقرب للاستعطف منه إلى الوعد والوعيد، فالقرآن يخاطب العقل والعاطفة معا، فأنت عندما تريد أن تلفت انتباه شخص ما، وتستحوذ على قلبه، ليسمع ما ستقوله له، ستحاول أن تخاطبه من جنس ما يغريه ويحبّه ويهتم به، وستحاكي أسلوبه ولغته ومفرداته؛ لتلفت انتباهه في سماعتك والإصغاء إليك، وهكذا كان الخطاب القرآني؛ ولله المثل الأعلى.

ثم إنّ القرآن المكّي عنى بتغيير المشاعر والأفكار، وتربية القلوب وربطها بعلام الغيوب؛ من خلال تعريفهم بخالقهم ودعوتهم لعبادته، قال تعالى: ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ (سورة نوح: 14)؛ وقال أيضا: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ﴾ (سورة الحج: 18).

إنّ مثل هذه الآيات توحى بالاستعطف من خلال تعداد النعم وتذكيره بأصل خلق الإنسان وبعثه، ومعظم الأسلوب المكّي يدور في هذا الفلك، وهو دعوة الإنسان لعبادة الواحد الأحد وبيان جزائه في الجنة، وهذا هو الأسلوب الدعوي الأول، أو تحمل العقاب الأليم جزاء إنكاره، وهذا بأسلوب الوعد والوعيد، عندما لا ينفع معهم استعطف وانجذاب أو ميل وإذعان، فالهدف الأول هو الهداية دون شك، وحينما أنكروا وكفروا كان الوجه الثاني الذي تمثّل في التحدي.

إنّ القرآن جاء ليتحداهم² فيما هم قد برعوا فيه، ومالوا إليه وأحبّوه فأتقنوه، فقد كانوا يحتفون بالكلمة الشجعية، ويقدّسون اللفظة الندية، ويقىمون للشعر أسواقا؛ ويعقدون له الندوات، ويحتفلون إن برع في القبيلة شاعر، بل ويفتخرون به أيّما افتخار؛ باعتزاز لا نظير له، وقد نراه نحن اليوم أمرا مبالغا فيه، لكنهم بحق كانوا يعشقون الشعر، ويقدّسون اللفظة، ويركعون أمام سحر البلاغة، حتى

¹ - محمد أبو شهبّة، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص 26.

² - ومن شروط التحدي أن يكون من جنس ما نبع فيه القوم.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

بالغوا في نشوة الشعر وثمالة العقول حين الانبهار فيه، وقالوا: شيطان الشعر يملي عليه، واعتبروا الشاعر ملهما من شيطان؛ له قوة خارقة توحى له بذلك الشعر العجيب في وادي عبقر، فالواجب إذن "أن يكون التحدي واقعا في القرآن على الطريقة المعتادة في الفصحاء، لأنهم قد كانوا يتبارون، ويتحدّى بعضهم بعضا في الكلام الفصيح، من منظوم ومنثور"¹.

وهدفهم من خلال ذلك هو منح التألق للهجة؛ ومنح الزعامة اللغوية لها، من حيث إثبات القوة لها وبسط نفوذها على قريناتها، فلولا القرآن كما قيل؛ لكانت الرئاسة اللغوية لقبيلة تميم، فحين يأتي القرآن بمفردات كل قبيلة، ستشعر كل واحدة أنّ القرآن وضع لها اعتبارا وقيمة وتقديرا، هذا ما يجعلهم يذعنون ويستمعون، وأصدق مثال على ذلك أنّ أبا سفيان بن حرب² رضي الله عنه ظل يجارب الدعوة لسنوات عديدة، لكنّه استسلم واستجاب حينما جعل له رسول الله ﷺ نصيبا من الفخر ومكانة للتقدير والاعتبار، فقد أشار عليه بتلك الفكرة عمّه ﷺ عند فتح مكة³، والعربي بلا شك لن يستمع لكلامك إلا إذا خاطبته بخطاب التقدير والاحترام، فكأنّ القرآن من خلال ذلك يحتويهم كلهم، ويجمعهم على أمر واحد ولغة مشتركة، بل وكان الأمر أكثر من ذلك؛ حينما احتوى على ألفاظ أصلها لأقوام آخرين، وعربت لتعرف بالدخيل من كلام العرب، فقد أحصاها السيوطي في كتابه⁴ لتقارب المائة لفظة، ولعلّ أصدق ما أستشهد به في هذا الموضوع "إنّ القرآن قد راعى قواعد نفسية، عن مظاهر الاعتقاد، ومسارب الانفعال، ونواحي التأثير، وجوانب الانقياد، وألمّ من هذا بما أيد حجته، وأظهر دعوته، وكان مثل ذلك من الخبرة بشؤون النفس الإنسانية، مما لم يهتد إليه العلم إذ ذاك، فقد جاء القرآن بهذه الرعاية للنفسيات"⁵ فالأمر من وجهة نظري فيه مقصدية أكبر مما قد

¹ - علي مهدي زيتون: إعجاز القرآن وأثره في تطور النقد الأدبي، المرجع السابق، ص 8.

² - أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف (57 ق هـ - 31 هـ / 567 - 652 م): صحابي، من سادات قريش قبل الإسلام. وهو والد معاوية بن أبي سفيان مؤسس الدولة الأموية. وكان تاجراً واسع الثراء، وزعيم أشرف قريش الذين عارضوا محمداً ودعوته ثم أسلم عند فتح مكة، ورفع النبي من شأنه. (ينظر: موقع ويكيبيديا).

³ - قال رسول الله ﷺ "من دخل بيت أبو سفيان فهو آمن"، وأعلن عن ذلك بين الناس، حينها فقط أذعن لأمر الإسلام، فالفخر يسري في دم العربي بلا شك.

⁴ - ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (فصل فيما وقع فيه بغير لغة العرب)، ص 253.

⁵ - أمين الخولي: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، ص 255.

⁵ - هو رأي سفيان بن عيينة وابن جرير الطبري وابن وهب وآخرين، ونسبه ابن عبد البر المالكي لأكثر العلماء (ينظر: رشيد جادل، علوم القرآن الكريم، مدرسة الأقصى للعلوم الشرعية - الجزائر، ط5: 1438هـ/2017م، ص 70).

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

نتصوره؛ مسألة اختيار لغة فحسب، بل هو أمر يتعلق بالدعوة الإسلامية بواسطة هذا الكتاب المعجز.

إنّ مثل هذه الأمور قد تجعل القارئ الكريم يستسيغ معي وجهة النظر هاته، لاسيما إن كان هذا الأمر يرتبط بالإعجاز التأثيري للقرآن الكريم، وسرّ الانجذاب له، فلقد وقع في أسر البيان القرآني سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو في طريقه لقتل المؤمنين، لكن سرعان ما استسلم كيانه، وذاب وجدانه، وانصهر عنفوانه، في بوتقة النظم القرآني البديع، ومفرداته المبهرة، فسامعه لا يملك نفسه أمامه، فهناك سرّ يسري في الإنسان حين سماعه، و ما استطاع أحد وصف إحساسه، وأكبر دليل على ذلك أنّ المدينة المنورة، فتحت بسحر القرآن لا بصليل السيوف.

ثم إنّ هناك تساؤلا آخر، من الواجب إثارته والوقوف عنده، لما له من ارتباط بهذا الجانب، ولأنّ الفريق الذي أنكر الترادف في القرآن قديما وحديثا أغفل هذا الجانب المهم، وما أشاروا إليه لا من قريب ولا من بعيد؛ فقد يقول قائل: إن كنتم تذهبون مذهب من أنكر الترادف في مفردات القرآن، فبم تفسرون قضية نزول القرآن على سبعة أحرف، وما الحكمة من ذلك إن أنتم رجّحتم فيها رأي من قال: إنّها سبع لغات من لغات العرب في المعنى الواحد، تختلف في التعبير عن معنى من المعاني، فيأتي القرآن بألفاظ على قدر هذه اللغات لهذا المعنى، ثم تقولون إنّ الترادف لا يقع في اللهجة الواحدة فقط، أمّا إن كان مردّه لهجات عديدة فلا يعتبر ترادفا، وقد جنحت بنت الشاطئ لحسم هذه القضية؛ بهذا التفريق بين اللهجة الواحدة واللهجات الأخرى.

وانطلاقا من قولها؛ فهل جاء القرآن معجزا بكل حروفه؟ وهل وقع به التحدي بكل حروفه التي نزل بها؟ وإن كان كذلك؛ فالترادف في مفردات القرآن حاصل إذن لا محالة؟

وقد يحاول بعضهم إجماعنا بهذا التساؤل الطارئ لما يظهر فيه من تناقض، فبنت الشاطئ رغم عقليتها الفذة التي استطاعت أن تفرّق بها؛ بين الإعجاز والتحدي، لكنّها لم تشر لهذه القضية، وإن بدت القضية شائكة في أول الأمر، إلا أنّنا سنحاول تفكيكها وتحليلها، وذلك بالرجوع لأصل محل النزاع بين الفريقين، فكما قلت سابقا، إنّ اختلاف المعيار يؤدي إلى ظهور التناقض الظاهري في الرأي، لكن عندما نحدّد وجهة النظر وننظر لها من زاوية واحدة؛ سنفهم الأسباب، فحينما نرى الألفاظ من زاوية اللغة الأم المشتركة، سنقول عنها مترادفات لمعنى واحد، لكن حينما ننظر لها من باب أصل الوضع اللغوي لكل لهجة، سننكر وجود الترادف اتفاقا مع الفريق الذي ذهب لهذا الرأي،

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

وحيثما نتأمل أن تلك المفردات التي تحمل دلالات دقيقة، حيث لا يمكن وضع أخرى مكانها في القرآن؛ مثل (لا ريب فيه) فيستحيل أن تقوم مقامها (لا شك فيه)، ويستحيل أن نقول إن: رقد ونام وهجع تؤدي نفس المعاني، ففي قعد معنى ليس في جلس، "وإنما يأتي الشعر بالاسمين المختلفين؛ للمعنى الواحد في مكان تأكيد ومبالغة؛ كقولهم: وهند أتى من دونها النأي والبعد"¹.

وعندما نزل القرآن بأحرف وورد فيه مرّة (كالعهن المنفوش) ومرّة (كالصوف المنفوش) وهي قراءة تنسب لابن مسعود رضي الله عنه وإن قيل هي قراءة شاذة لا يصح الاستشهاد بها في هذا، قلنا: إنما نزل القرآن بالأحرف السبعة وهي من ضمنها بلا منازع، وقد كُتِبَ القرآن في الكتابة الأولى وفق الأحرف السبعة، وُكِّتَبَ في الكتابة الثانية وفق حرف واحد، لتجنّب النزاع في القرآن، بلغة قريش وبرسم خاص؛ محتملا الوجوه التي قرأ بها القرآن الكريم، ولم يقدر الله لقراءة ابن مسعود رضي الله عنه الاستمرار بسبب انقطاع السند، وإن كانت القراءة الشاذة لا يتعبّد بها، لكن من المستحسن أن نستأنس بها في فهم المعاني. فاجتمع في هذا الحرف الذي بقي، ما هو من أصل اللهجات مصدرا ومنبعا، ثم صار تابعا للهجة قريش استعمالا وانتقاء، وما هو للهجتها وضعا واصطلاحا، فقد كان الغالب من لهجة قريش.

ثم إنّه من بين القراءات المتواترة ما وجد فيها هذا أيضا فلفظة (ننشرها) تعني الإحياء بعد الموت، وهي قراءة نافع² ومن معه³، وقرئت أيضا (ننشرها) وهي تعني الخلق من العدم وقد قرأ بها الباقون، فالمعنى متقارب وليس مطابقا له، فهما مرحلتان متتابعتان بلفظتين مختلفين، وبكلاهما جاء الإعجاز.

سنعلّل الأمر بما ذكرناه سابقا، كونها اختلافات ترجع للأصل اللغوي، سواء أكانت من باب المشترك المعنوي أو اللفظي أو الغريب، فيستحيل فيما يبدو لي أن تكون لنفس اللهجة، إنما هي لهجات عدّة اشتركت في لغة قريش كما قلنا سابقا، وبكل الأحرف التي نزل بها القرآن الكريم كان التحدي؛ وكان الإعجاز، وأوضحنا مقاصدية ورود تلك المفردات في الخطاب القرآني، ثم إنّ ما بقي منها في القراءات الشاذة قد يكون من صميم الأحرف الأخرى، لكن الله سبحانه وتعالى عندما قدر لذلك الحرف أن يخلّد، بأوجه قراءات محدّدة عرفت بالقراءات العشر المتواترة، كانت تلك مشيئته

¹ - أحمد بن فارس: الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، ص 96-97.

² - هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم، مولى جعونة بن شعوب الليثي، حليف حمزة بن عبد المطلب، بكنى بأبو رويم، وأصله من أصبهان، كان متعبدا، زاهدا، عالما بوجوه القراءات، متبعا لآثار الأئمة الماضين، مات بالمدينة سنة 90هـ، وكان رئيس المدينة في القراءة، وعاش عمرا طويلا وقرأ على سبعين من التابعين. (ينظر طبقات القراء السبعة وذكر مناقبهم وقراءاتهم، ص: 70).

³ - ابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

وتلك هي حكمته، والعجيب أننا لا نجد اختلافا في الألفاظ في المبني بين القراءات المتواترة، إلا ما ندر منها من اختلافات بسيطة تعود لظواهر صوتية، قد تحمل دلالات متشابهة في المعنى، تعود لأصل واحد لكن بينها فروق جوهرية دقيقة، كلفظ (مالك وملك)، فإذا كان الحرف الواحد بأوجه قراءاته يحمل فروقا جوهرية في المعاني ولا يمكن أن تكون مترادفا، فكيف ستكون مترادفا لو كانت بالأحرف السبع الأخرى؟

لن تكون من باب الترادف لأنها تعود للهجات مختلفة لا حصر لها، جمعت بأحرف محدّدة لقبائل معروفة، نزل بها القرآن تسهيلا وتيسيرا على الناس، ثم بقي منها حرف واحد بمفردات معينة، لا تقبل أن يقوم مقامها لفظ آخر غيرها.

وبعد ذلك لا ندعي أننا أصبنا كبدا الحقيقة، إنما هي توجيهات من خلال إثارة تساؤلات منطقية، وإيجاد وجهات نظر عقلانية، لفهم القضايا على بصيرة ووعي، لأن مثل هذه الأسئلة المشكّكة أصبح يتبناها ويروجها؛ رواد من بني جلدتنا، قبل أن تقذفها ألسنة الملحدّين والمستشرقين.

إنّ المفردات القرآنية نعجز أن نغيّرها بمترادفات لها، ويكاد يجمع على هذا الرأي علماء اللغة؛ القدماء والمحدثون، وفي هذا دليل يثبت إعجازية القرآن وإعجازية مفرداته، أما المفردات القرآنية التي تحمل دلالات متعدّدة ومتباينة، ستؤكد أيضا إعجازية القرآن الكريم؛ من خلال تعدّد الأوجه التفسيرية لها عبر الزمن، ليتحقق بذلك معنى تدبره، وتثوير معانيه، واستنباط أحكامه، وأنّه صالح لكل زمان ومكان، سيجد فيه أهل كل زمان ضالّتهم، فهو منبع ثرّ لا تنقضي عجائبه ولا تنتهي أسرارها، كلما زدته تدبرا؛ زادك برهاننا و يقينا؛ بأنّه نص إلهي معجز يستحيل أن يكون من كلام البشر.

المطلب الثالث: أدبية النص القرآني بين أصحاب الفكر التنويري ورواد التفسير البياني

نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، على قوم وصلوا لأعلى درجة الفصاحة والبلاغة، قوم أمسكوا بزمام الأدب واحتفوا باللغة وقدّسوا الشعر؛ فأقاموا له أسواقا وعقدوا له ندوات، لكنهم وقفوا عاجزين أمام سحر نظم القرآن وأسلوبه البياني البديع، حتى اعترف المشرك بمقولة حفظها التاريخ: (إنّ له حلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإنّ أسفلها لمغدق، وإنّ أعلاه لمثمر، وإنّّه يعلو ولا يعلى عليه)، من ذلك الحين والعلماء على اختلاف مشاربهم واتجاهاتهم وعقائدهم، يتهافتون حول فهم القرآن وسبر أغواره، وفك رموز إعجازه البياني وأسلوبه الجمالي، وكان ممن انبرى لذلك علماء البلاغة الذين

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

انكبوا عليه وتركوا لنا تراثا زخما؛ لا يعدّ ولا يحصى عبر مختلف القرون الطوال، فقد انطلقوا من فكرة أنّه لا يمكن تفسير معاني القرآن وكشف أسراره والاهتداء بهديه، إلّا إذا تعرّفنا على ألفاظه وأدركنا خصائصه البيانية، فلم نكد نتخلّص من ثنائية اللفظ والمعنى في الدرس البلاغي، والعقل والنقل في الدرس التفسيري، حتى أثّرت ثنائيات صادمة في العصر الحديث، غيرت مجرى البحث في التراث العربي، وأحدثت فجوة كبيرة بين القديم والحديث، الأصيل والمعاصر، السلف مع الخلف، إذ يتبنى روادها فكرا ولد من رحم الاستشراق، ونشأ في أحضان الاستغراب. حداثيون اعتبروا أنفسهم حاملوا لواء التجديد والتنوير والتحرير، وولجوا باب الأدب في محاولة فهم القرآن لتحقيق مآربهم، لكنهم زاغوا عن سواء السبيل؛ إذ لم يتخلّصوا من النزعة الانتقادية أمام فهم النص القرآني المعجز، واعتبروه ككل الكتب المقدّسة التي تتحمّل النقد، وأسقطوا مناهج الغرب في هدم التراث العربي، والقرآن في نظرهم لا يعدو كونه نصا لغويا، وأنّ الحضارة الإسلامية حضارة نص لا غير- كما ذكر نصر حامد أبو زيد¹، الذي اعتبر البحث عن مفهوم النص؛ ليس في حقيقته إلّا بحثا عن ماهية القرآن وطبيعته، بوصفه نصّاً لغويا يتناول القرآن؛ من حيث هو كتاب العربية الأكبر، وأثره الأدبي الخالد، أما أركون² فيعتبر النصّ الدّيني ممارسة خطائية خاضعة لآليات التأويل؛ القائمة على التفكيك، وهي ممارسة استلهمها من فلاسفة الحداثة وما بعد الحداثة الأوربية، ومن هنا ظهر مصطلح أدبية النصّ القرآني، وهو مصطلح مميّع يحتمل عدّة معانٍ، فالمستشرقون يقصدون به معنى معيناً، وتابعهم في ذلك الحداثيون من بني جلدتنا، ولم يتقبله البعض لأسباب معيّنة، فأثار المصطلح جدلا كبيرا في وسط الساحة العلمية.

¹ نصر حامد أبو زيد، ولد 10 يوليو 1943 بمصر، باحث أكاديمي متخصص في الدراسات الإسلامية، درس بجامعة القاهرة، عمل بعدد من الوظائف، منها: أستاذ مساعد بكلية الآداب بجامعة القاهرة، ودرس بعدة جامعات غربية منها: جامعة أوترخت وجامعة أوسكا وجامعة لايدن، من أشهر مؤلفاته: مفهوم النص - دراسة في علوم القرآن؛ الإمام الشافعي وتأسيس الأيديولوجيا الوسطية، توفي جراء إصابته بفيروس غريب بتاريخ: 5 يوليو 2010 بمصر (ينظر: [موقع ويكيبيديا](#) على نفس الرابط).

² محمد أركون، ولد 1928/02/01 بالجزائر، مفكر وعالم دراسات إسلامية وفيلسوف ومؤرخ وأستاذ جامعي، درس الأدب العربي والقانون والفلسفة والجغرافيا بجامعة الجزائر، عين أستاذا لتاريخ الفكر الإسلامي والفلسفة في جامعة السوربون 1980م، وعمل كباحث مرافق في برلين 1986-1987، شغل منصب عضو في مجلس إدارة معهد الدراسات الإسلامية في لندن، من مؤلفاته: الفكر العربي - الإسلام أصالة وممارسة، العلمنة والدين، توفي 2010/09/14 بباريس ودفن بالمغرب العربي (ينظر: [موقع ويكيبيديا](#)).

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

في المقابل يعتقد الكثير من الباحثين، أنّ ما جاء به أصحاب الفكر التنويري؛ هو امتداد للمدرسة البيانية، التي تزعمها أمين الخولي ومن كان معه، فهناك قواسم مشتركة بين الاتجاهين، وهناك فروق جوهرية بينهما، وهذا يضعنا أمام مفارقة عجيبة؛ بين ما جاء به الحداثيون، وما جاء به أرباب البيان، وسنجيب على ذلك من خلال طرح الإشكاليات التالية: ماذا يقصد الحداثيون بأدبية النص القرآني؟ وإلى أي مدى يصح إطلاقه على القرآن؟ وما هو موقف التنويريين من فهم الخطاب القرآني، وما هي مناهجهم في ذلك؟ وهل تعتبر الحركة الحداثية المعاصرة امتداداً لفكر الأمناء، أم هو طرح مغاير له خصوصيته وأهدافه؟

وهذه التساؤلات تفرض نفسها علينا، وتستدعينا لمزيد من التأمل والبحث والتمحيص، لنذكر المنطلقات التي انطلق منها كل فريق في فهم النص القرآني، ونعي هدف وغرض كل منهم، فننقد الاتجاه المزيف إن ظهر لنا بطلانه، ونشيد بالاتجاه المعتدل إن ظهر لنا صوابه.

ومن أهم الدراسات المعاصرة في هذا الموضوع، كتاب (أدبية النص القرآني)، وهي دراسة قيّمة في بابها، أصيلة في مجالها، متميّزة في طرحها، ومع ذلك سجلنا عليها ما أخذ، فالباحث لم يتطرق لمفهوم أدبية النص القرآني، ونجده في سياق كتابه يلتبس عليه الأمر حينما يقول: (إنّ القراءة الأدبية للقرآن)¹ وهذا المصطلح يحيل لفهم أنّ التفسير أو قراءة النص القرآني - على حد تعبير الباحثين اليوم- هي من تتصف بالأدبية، في حين أنّ مقصدية الكتاب تقتضي الفهم بأنّ صفة القرآن أدبي، كما أنّه تطرّق لتعاطي أصحاب المدرسة الأدبية للقرآن، لكنه ساوى بشكل غير مباشر، بين تناول أصحاب المدرسة البيانية وبين الحداثيين، وجعلهما في مصب واحد، والحقيقة من وجهة نظري تخالف هذا الطرح، فهناك بون شاسع بين دوافع كلا الاتجاهين، ولم يركّز الباحث على تحليل الفروق الجوهرية بينهما، إنّما أنكر امتداد مدرسة الحداثيين لها بشكل استقرائي قد لا يفهمه القارئ إلا بعد أن يطلع على ما ورد في الكتاب كاملاً.

1- عمر حسن القيام: أدبية النص القرآني (بحث في نظرية التفسير)، ط1: 1432هـ/2011م، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا- الولايات المتحدة الأمريكية، ص 17.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

الفرع الأول - تحديد مفهوم مصطلح أدبية النص القرآني:

لقد راجت في العصر الحديث عدّة مصطلحات تتعلّق بالدراسات القرآنية، من بينها مصطلح

(أدبية النص القرآني) فقد أثار حفيظة العديد من المهتمين بالدراسات القرآنية، وخاصة عندما ارتبط بدراسات الحداثيين؛ مما جعله يكتسب شحنة سلبية، وحساسية عند إطلاقه، وما كان بالسهولة بمكان، أن نتطرق لتعريفه، أو نستقصي نشأته وظهوره، فصاحب كتاب (أدبية النص القرآني) لم يتعرّض لتعريفه ولم يضبط حد المصطلح، وظل مصطلحا مبهما يدور في الكتاب بعدة أشكال، فأحيانا القراءة الأدبية وأحيانا أدبية النص.

وسنحاول أن نميط اللثام قليلا عنه ما استطعنا إلى ذلك سبيلا، ونحدّد وجهته ونكشف زبقيته، ومدى صحة إطلاقه على القرآن الكريم أو عدم جواز ذلك.

وابتداءً نقول: هو مصطلح مركّب، وسنبداً بتحليل كل مفردة فيه، فالأدبية مشتقة من لفظة

(الأدب) والياء للنسبة، وتكون للاصطلاح صفة، وقد أوردنا فيما سبق تعريفا لمصطلح الأدب.

أما لفظة النص فقد ظهرت في وقت مبكر عند علماء أصول الفقه، قبل أن تنتقل إلى حقل الأدب، فعلماء الأصول وضعوا قواعد سليمة ومنهجاً دقيقاً، في فهمهم للخطاب الشرعي، وبسطوا موضوع الدلالة ومباحثها، أكثر من علماء اللغة أنفسهم، فالناظر لأمّهات كتب الأصول؛ مثل: المستقصى لأبي حامد الغزالي، والمحصول في علم الأصول لفخر الدين الرازي؛ سيتأكد من الحضور الحقيقي لمباحث اللغة فيها، فقد اعتمدوا عليها في استنباط أدلتهم الفقهية، يقول أمين الخولي مؤكداً هذا المبعث قائلاً: "لعلماء أصول الفقه أبحاث بلاغية تحتل المقدمة اللغوية لعلم الأصول، وهي مقدمة تضخمت مع الوقت، حتى صارت مسائلها من أهم ما يبحث الأصوليون"¹، فقد تعرضوا لأسلوب القرآن وطرق فهمه ومراميه في القول، وما نشأت المذاهب الفقهية إلا من تعدّد القراءات اللغوية، ثم ظهرت اللفظة عند علماء اللغة وتشتمل عندهم نصوص الشعر أو النثر أو غيرهما.

وإذا انتقلنا للكشف عن المسار التاريخي لمصطلح الأدبية، لألفينا ذلك صعباً وشائكاً، فجل ما توفر لدي من البحث، أنّ أوّل من استخدمه استخداماً ملحوظاً، هو الباحث نصر حامد أبو زيد،

1 - أمين الخولي: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، ص 193.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

في كتابه (القراءة الأدبية) مدعياً أنّ فكره منبثق من مدرسة الأمناء التي أسّسها أمين الخولي في العصر الحديث، لكن الحقيقة ليست كذلك، فأمين الخولي وإن تأثر بالمناهج الغربية، وأفاد من خير ما توصل إليه المستشرقون، إلاّ أنّه حافظ على قداسة القرآن وقداسته الموروث التفسيري البلاغي، وكان نقده بناءً لبعض الجوانب منها، لكنه انطلق من فكرة أنّ أول خطوة للتجديد قتل القديم بحثاً، ويرى الخولي أنّ التفسير الأدبي هو أهمّ تفسير، لأن القرآن نزل بلغة العرب ولا يمكن فهمه وسبر أغواره، إلا من خلال هذه الدراسة الأدبية، ثم إنّ الخولي ينوّه بجهود القدامى ويصرّح بأنه استفاد منهم قائلاً: "ونحن في الحقّ لسنا مبتدعين في ذلك تماماً، بل نجد نواة مثل هذه الأبحاث في الدّراسة البلاغية القديمة، كالذي كتبه الجاحظ في بيانه عن صحّة المعاني وفسادها"¹.

فالدراسة الأدبية للقرآن نشأت منذ وقت مبكّر، فقد اهتم علماء العربية بجماليات النص القرآني، فتتبعوا أسرار بلاغته، وكشفوا عما يميّز به أسلوبه من ثراء لغوي وخصائص بيانية، وهذه هي لبّ فكرة الدراسة الأدبية من منظور أمين الخولي، أما دراسة أبي حامد فقد اختلفت عنها اختلافاً جذرياً، من ناحية الهدف من القراءة التجديدية للقرآن، ومن ناحية المنهج المتبع.

وعليه يمكننا القول إنّ أدبية النص تعني ما يكون به النص أدبياً، فما الأدب في أرقى صورهِ إلا لغة وخيال، والأدباء يدرسون النصوص النثرية والشعرية لاستخراج خصائصها وإبراز مواطن جمالها وبراعتها، وفي المقابل نقدها وإثارة مكانم النقص فيها، وإن كان هذا يجوز مع أي إبداع بشري، فلا شك أنه لا يليق أن ندرس القرآن بواسطة هذه الآليات والمنطلقات، واعتبار القرآن أول مدونة عربية، وأول كتاب أدبي معجز هذا لا يبيح لنا أن ننطلق في فهمه من نفس المعطيات التي ننطلق منها عند دراسة أدبية أخرى، -بعيدا عن مراد الله تعالى- ولا يمكن تطبيق قواعد المعالجة الأدبية عليه، ثم إنّ اختزال القرآن في رؤية واحدة لا يجوز، فهو كتاب الهداية العظمى، ودستور هذا الدّين القويم، بلغة أدبية راقية.

وبالتالي فإنّ إطلاق هذا المصطلح على القرآن لا يليق بجلالته ولا بقداسية مصدره، وكأنك تشم من خلال اللفظة أنّ القرآن يقتصر على كونه أدبي فقط، مع أننا لا ننكر الجانب الأدبي فيه، لكننا في نفس الوقت لا نوافق الفريق الذي يقتصر على دراسة الجانب الأدبي وحده دون مراعاة

1 - أمين الخولي، مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، المرجع السابق، ص 129.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

الجوانب الأخرى، ثم إنّ اللفظة فيها تمويه وهي تحتمل عدّة معانٍ، فالمستشرقون يدرسون القرآن باعتبارها نصاً أدبياً يحتمل النقد، وتابعهم في تلك النظرة المحدثون من بني جلدتنا، ومن هنا فإننا نشير إلى ضرورة فهم مقصدية المتكلم عند إطلاقه للمصطلح فلا مشاحة في الاصطلاح - هذا أكيد - لكن مع ذلك يجب التدقيق في إطلاق الألفاظ وخاصة ما تعلق منها بالقرآن، وإن كنا لا نفضّل استخدامه فقد جاء وصف القرآن بأنه عربي مبين، وهذا الوصف الرباني بالعربية يكفيه دون أن نقحم فيه معنى الأدبية المستحدثة، ويمكننا تعويضه بمصطلح أكثر علمية ودقة منه وهو (التفسير الأدبي) حتى يتقيد الباحث بشروط التفسير العامة أولاً وخصوصية الطرح الأدبي خاصة، وإن كنت لا أحبذ أيضاً مصطلح (القراءة الأدبية للنص القرآني) والتي كان يقصدها صاحب الكتاب، فهي أيضاً تحتمل أن تكون القراءة حرّة لا تستند إلى شروط المفسّر الضرورية وقد كانت كذلك في قراءة أصحاب الفكر الحدائني .

الفرع الثاني - منهج الحدائين في معالجة النص القرآني - عرض ونقد -

أولاً - قراءة نصر حامد أبو زيد:

1- العرض: ينطلق في قراءته للقرآن من منهج التاريخية، وبحسب هذا المنهج؛ فإننا لا نستطيع الحكم على الأفكار أو الحوادث أو المفاهيم والمعتقدات والأديان ونظم الجماعات، إلا بنسبتها للوسط التاريخي الذي ظهرت فيه، إذ النظر إليها من ناحيتها الذاتية، يوقعنا في التباسات مقيّنة، بينما نسبتها للوسط التاريخي؛ ستضعها في إطار المعالجة والرؤية الموضوعية لخصائصها وتركيبها ومظاهرها، فالتاريخية بهذا المعنى هي النظر إلى النصوص الثقافية باعتبارها إنتاجاً ثقافياً محكوماً بالحقل الاجتماعي والثقافي والسياسي للمجتمع؛ وفق ظروفه التاريخية والجغرافية. هذه الرؤية الثقافية للنص هي نفسها التي دعا إلى إعمالها أبو زيد في التعامل مع النصوص الثقافية عامة، فكل النصوص تستمد مرجعيتها من الثقافة التي تنتمي إليها، فهو إذن لا يفرّق بين النص البشري والنص القرآني، إذ هما متساويان عنده؛ يقول: "النص القرآني يستمد مرجعيته من اللغة... وإذا انتقلنا إلى الثقافة قلنا إنّ هذا النص منتج ثقافي"¹، فهو منتج ثقافي باعتباره محكوماً بالقوانين الداخلية البنيوية الدلالية للثقافة التي ينتمي إليها، فالنصوص الدينية من وجهة نظره ليست نصوصاً مفارقة لبنية الثقافة، التي تشكلت في إطارها بأي

¹ ينظر: نصر حامد أبو زيد: مفهوم النص - دراسات في علوم القرآن، ط1: 1990م، المركز الثقافي العربي، ص 127.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

حال من الأحوال، والمصدر الإلهي لتلك النصوص لا يلغي إطلاقاً حقيقة كونها نصوصاً لغوية، بكل ما تعنيه اللغة من ارتباط بالزمان والمكان التاريخي والاجتماعي.

ينطلق أبو زيد من فكرة؛ أنّ النص القرآني خطاب إلهي، من حيث المصدر، وهذا لا يعني عدم قابليته للتحليل، لأنّه خطاب لغوي تجسّد في لغة إنسانية، وهي اللغة العربية بكل إشكاليات سياقها الاجتماعي والثقافي والتاريخي، ومن ثمّ فإنّ العديد من أحكام القرآن، أحكام تاريخية مرتبطة بزمنها المحدّد؛ كأحوال المرأة في الميراث، ولهذا يمكن الاجتهاد بشأنها وشأن ما يماثلها بتغيّر الأوضاع والأحوال، فمن وجهة نظره يمكن تغيير حكم ميراث المرأة، فذلك الزمن لم تكن المرأة تأخذ شيئاً، وشرّع لها في الدين النصف، وفي هذا الزمن يمكن وضع التساوي والعدل باعتبار القوانين الوضعية، فهما متساويان كلياً أمام القانون. كما أنّ أبو زيد ركّز على قضية التأويل والهرمنيوطيقاً¹ في تحليل النص القرآني، والقضية الأساسية التي تتناولها الهرمنيوطيقاً بالدّرس هي معضلة تفسير النّص بشكل عام، سواء كان هذا النّص نصاً تاريخياً أم نصاً دينياً، ومن أكابر أصحاب هذه النظرية المفكّر الألماني شلاير ماخر² وجادامر³ وآخرون، يقول أبو زيد:

"وتعدّ الهرمنيوطيقاً الجدلية عند (جادامر) بعد تعديلها من خلال منظور جدلي مادي نقطة بدء أصيلة للنظر في علاقة المفسّر بالنص، لا في النصوص الأدبية ونظرية الأدب فحسب، بل في إعادة النظر في تراثنا الديني حول تفسير القرآن منذ أقدم عصوره وحتى الآن"⁴. لقد حاول أبو زيد أن يتعامل مع القرآن كتعامله مع النصوص الأدبية الأخرى؛ باعتبار مضمون القرآن مضموناً أسطورياً

1 - وهو مصطلح قديم بدأ استعماله في دوائر الدراسات اللاهوتية، ليشير إلى مجموعة من القواعد والمعايير التي يجب أن يتبعها المفسّر لفهم النص الديني (الكتاب المقدّس) ويعود قدم هذا المصطلح للدلالة على هذا المعنى إلى عام 1954 وما زال مستمراً حتى اليوم خاصة في الأوساط البروتستانتية، وقد اتّسع مفهوم المصطلح في تطبيقاته الحديثة وانتقل من مجال علم اللاهوت إلى دوائر أكثر اتساعاً تشمل كافة العلوم الإنسانية كالتاريخ وعلم الاجتماع والأنثروبولوجي وفلسفة الجمال والنقد الأدبي والفيلولوجيا.

2 - فريدريك دانيال إرنست شليرماس (21 نوفمبر 1768 - 12 فبراير 1834) كان لاهوتي وفيلسوف وعالم الكتاب المقدس، عرف عنه محاولته التوفيق بين الانتقادات الموجهة إلى التنوير مع المسيحية البروتستانتية التقليدية. كما أصبح مؤثراً في تطور النقد العالمي، ويشكل عمله جزءاً أساسياً في مجال علم التأويل الحديث ويعتبر زعيم مبكر المسيحية الليبرالية. (ينظر: موقع ويكيبيديا).

3 - فيلسوف ألماني ولد في ماربورغ، 11 فبراير 1900. اشتهر بعمله الشهير الحقيقة والمنهج، وأيضاً بتجديده في نظرية تفسيرية (الهرمنيوطيقاً). وقد توفي في هايدلبرغ، 13 مارس 2002. (ينظر: موقع ويكيبيديا).

4- نصر حامد أبو زيد: إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي 2001م، ص 49.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

غيبيا، من ثم تأتي تطبيقات الهرمنيوطيقا على القرآن الكريم، معطية مضامينها المجازية التي تنكر وجود الله، وتنفي ما أثبتته القرآن من حقائق، فيكون الهدف إعادة فهم النصوص، وتأويلها بنفي المفاهيم التاريخية الأصلية وإحلال المفاهيم المعاصرة الأكثر إنسانية وتقدما.

يمكننا أن نستنتج من خلال طرح أبي زيد ومنهجه في التعامل مع القرآن، أمرين في غاية الخطورة، أولهما: نزع القداسة عن القرآن الكريم وتحويله من نص ديني مقدس له خصوصيته إلى نص قابل للنقد؛ وثانيهما: نزع ثبوت الدلالة عن النص نهائيا، وتحويله إلى نص متغير الدلالة حسب الظروف التاريخية للقارئ.

2-النقد: تعدّ قراءة أبي زيد من أخطر القراءات الحديثة التي طرحت لقراءة النص الديني، فهي دراسة تتسم بالتدليس في المصطلحات والإيهام في المسلمات الدينية، يتميز أسلوبه بالمراوغة، حيث ينطلق من مسلمة دينية تتفق معه فيها، ثم يدس السم في العسل، ويعيد بلورة كلام المستشرقين بأسلوب يصطنع الموضوعية والعلمية والمنهجية الدقيقة والعقلانية الفكرية، ثم إنّ انتماءه للفكر العلماني ظاهر وجلي، فقد انطلق من المنهج التاريخي الذي ينفي القداسة عن القرآن، ويجعله قابلا للنقد مثله مثل أي نص أدبي آخر، فقله أنّه منتج ثقافي، يعني أنّه لا يؤمن بكونه وحيا إلهيا منزلا، بل هو نتاج بيئة الرسول ﷺ، إنّ سمومه لا يستطيع تفكيكها إلا من له دراية بأفكار المستشرقين حول القرآن، ووعي بدسائس الحداثيين، ليتمكّن من فك رموز معاني كلماته، وضبط حدود دلالات ألفاظه، فبأسلوب المراوغة يقول إنّ القرآن ليس بنص جامد، بل هو صالح لكل زمان ومكان، من هنا كان لزاما علينا أن ننظر إليه كخطاب ديناميكي متعلّق بالحاجات الإنسانية في مكان وزمان محدّدين، ويضرب المثل بقضية ميراث المرأة، فنلاحظ هنا أنّه اعتمد على مسلمة تتفق معه فيها جميعا، كون القرآن صالح لكل زمان، وهذا من خصائص الشريعة الإسلامية، ثم يستغل موافقتنا له ليبتّ سمومه.

وسأرد عليه بشيء واحد فقط، فبصفتي امرأة معتزة بدينها الإسلامي، لا أود نداءاتهم التحررية تحت ظل المساواة وغيرها من الدعاوي الوهمية، لأنّ الإسلام شرفني ورفعني لعلياء الأنوثة المكرّمة المصونة، وإذ أوجب لي نصف الميراث، فهذا لصالحها ظاهرا وباطنا، وإن رأيتموه -أيها الحداثيون- من زاوية النقص والنصف، فهذا ليس غباءً منكم، بل هو استغفال تدلسون به على من لا يفهم الأمور إلا بسطحية، فالحقيقة أنّ هذا الدين قد أعفى المرأة من واجب الإنفاق، ولو كانت غنيّة

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

فيجب أن ينفق عليها من يتكفل بها، وإن أنفقت فهي لها صدقة وأجر، بينما تجب النفقة على الرجل ولو كان فقيراً، وقلة ذات يده لا تسقط عليه واجب الإنفاق على زوجته الغنية، إن هذا الدّين القويم قد أكرم المرأة، وليس بإمكانكم أن تلووا أعناق النصوص بحجة قراءة تجديدية للقرآن، وهي في حقيقة الأمر عداوة المستشرقين في أثواب لبسها بنو جلدتنا من الحداثيون، ويكفينا دليلاً نستشهد به على أنّه عميل الاستشراق، هو تلقيبه بـ (الكادر الماركسي الواعد).

ثانياً- قراءة محمد أركون:

1- العرض: ألّف المفكّر الجزائري محمد أركون عدّة كتب خاصة بالقراءة التجديدية للقرآن، وإنّ المطالع لكتابه (القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الدّيني) ليشم من أوّل وهلة نفي القداسة عن القرآن وإلغاء العظمة الإلهية منه، يقول: " إنّ المكانة الأرثوذكسية اللاهوتية للوحي؛ كما كان قد نطق به من قبل النبي وجمع فوراً أو لاحقاً في المصحف تحت الإشراف الرسمي للخليفة- عثمان بن عفان¹ - لا يمكن أن يكون موضوعاً للدراسة أو مادة للتحريّ النقدي، فهذه المكانة محميّة من قبل الإجماع الكوني لكل المسلمين؛ منذ أن كانت الطائفة الشيعية الإمامية والطائفة السنية، قد توصلتا إلى اتفاق بعد مناقشات طويلة وصراعات عنيفة حول صحّة المصحف² .

2- النقد: إنّ هذا الكلام وحده كفيل بفهم التيار الذي ينتمي إليه أركون، وكفيل بفهم أهدافه ومراميه، فلقد اعتمد في قراءته التجديدية للقرآن على عدّة مناهج؛ منها: القراءة الإيمانية أو اللاهوتية كما عبّر عنها، والقراءة التاريخية الفيلولوجية، والقراءة الألسنية والسيمائية والأدبية، وعند القراءة الأخيرة سنتوقف، لأنها صلب موضوع بحثنا، ولأن أركون أبدى حماسة بالغة لدراسة النص القرآني دراسة ألسنية أدبية، أي دراسة المجاز القرآني بعيداً عن ضغط نظرية الإعجاز القرآني؛ التي أصبحت جزءاً من العقيدة الرسمية (اللاهوتية) للمسلمين، وكانت سبباً في انتصار القراءات الحرفية للقرآن، وأداة

¹ رضي الله عنه وأرضاه هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أبي أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي، ذو

النورين، أحد المبشرين بالجنة وأحد الخلفاء الراشدين، دامت خلافته ثلاث عشر سنة، قتل سنة 35هـ (ينظر: أسد الغابة، ص 480).

² - محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الدّيني، ترجمة وتعليق: هاشم صالح، ط3: يناير 2012م، دار الطليعة، بيروت - لبنان، ص 12.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

ضغط على كل مقارنة ألسنية أو سيميائية دلالية أو أدبية للنص المقدس¹. لقد انطلق محمد أركون في قراءته للنص القرآني من موقع رمزية اللغة الدينية ومجازها، وهو يتابع نصر حامد في ذلك، حينما جعل التأويل² فاكهة طازجة لبث سمومه، وبه استطاع ليّ أعناق النصوص، و اعتبر أنّ القرآن أحدث تجديدا معنويا عن طريق استخدام المجاز، وعن طريق هذا المجاز تكتسب اللغة الدينية رمزيتها القابلة للانفتاح من خلال دائرة التأويل³.

إنّ الفكرة الأساسية في التفكير الألسني لدى أركون هي خصوصية هذه اللغة، وأنّ الخطاب القرآني مختلف عن كلّ خطاب آخر في اللغة العربية، وأنّ هذا الاختلاف ليس نابعا من فكرة التفوق الأدبي؛ الذي ركّزت عليه نظرية الإعجاز، بل من المعطيات الشكلية والنحوية، والمعنوية والبلاغية والأسلوبية والإيقاعية الخاصة بالقرآن، والتي يمكن حصرها والكشف عنها عمليا.

إنّ المجاز يلعب دورا حاسما في تشكيل الخطاب القرآني⁴، واختار أركون مفهوم (المقارنة الأدبية) للتعبير عن مقارنته للقرآن وتلخّص هذه المقارنة على النحو التالي: "لا تشكّل المقارنة اللفظية المعجمية إلا اللحظة الأولى للتحليل اللغوي والألسني؛ الذي ينبغي أن يؤدي بدوره إلى التحليل الأدبي"⁵، ويؤكد أنّ آية مقارنة أدبية للقرآن ينبغي أن تبتدئ باستعادة نقدية للأدبيات التي دارت حول الإعجاز.

وفي دراسته الأدبية لسورة الفاتحة، يتبيّن لنا جلليا انحرافه الفكري، سواء في اختيار المصطلحات أو أسلوب الكتابة، أو تعامله مع النص القرآني، ولا شك أنّ هناك قطيعة جذرية بين أدبية النص القرآني كما تجلّت في نظرية الإعجاز، وبين الأدبية من منظور أركوني معقدّ ينطلق من أشكلة النص القرآني والزحزحة، فهو يسعى إلى أن يجعل نفسه قارئاً مختلفاً ويجعل من النص القرآني نصاً إشكالياً، إذ يخلق

1 - ينظر: محمد أركون: الفكر الإسلامي واستحالة التأصيل، ترجمة وتعليق: هاشم صالح، ط3: 2007م، دار الساقبي، بيروت - لبنان، ص 62.

2 - التأويل [Interpretation]: عبارة عن فن كما يذهب فريديريك شلايرماخر، بمعنى طريقة الاشتغال على النصوص بتبيان بنيتها الداخلية والوصفية ووظيفتها المعيارية والمعرفية؛ والبحث عن حقائق مضمرة في النصوص، وربما المضموسة لاعتبارات تاريخية وإيديولوجية، هو ما يجعل فن التأويل يلتمس البدايات الأولى والمصادر الأصلية لكل تأسيس معرفي وبرهاني وجدلي.

3 - ينظر: نصر حامد أبو زيد: الخطاب والتأويل، ط2: 2005م، الدار البيضاء، ص 118.

4 - ينظر: محمد أركون: الفكر الإسلامي - قراءة علمية، ترجمة: هاشم صالح، ط2: 1996م، مركز الإنماء القومي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت - لبنان، ص 72.

5 - المرجع نفسه: ص 198.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

مشكلات جديدة على مستوى النص وبنيته، وتحرير النص من مفهوم القداسة، من خلال استخدام مجموعة من المصطلحات الألسنية في قراءة الفاتحة، فيطلق اسم (المدونة النصية) على القرآن، ويقول (المنطوقة) أو (العبارة اللغوية) بدلا من الآية القرآنية.

والخلاصة أنّ أركون يدّعي في استخدامه لتلك المصطلحات حينما قام بقراءة سورة الفاتحة، أنّه أراد أن يجيد عن الشحنات اللاهوتية أو الهيبة اللاهوتية؛ التي سرعان ما تستحوذ على وعينا عندما نتحدّث عن القرآن، فالقداسة اللاهوتية أو الهيبة اللاهوتية العظمى؛ التي تحيط بالقرآن منذ قرون تمنعنا من أن نراه كما هو؛ أي كنص لغوي مؤلف من كلمات وحروف وتركيبات لغوية ونحوية وبلاغية، وميزة القراءة الألسنية هي أنّها تحيد الهيبة ولو للحظة من أجل فهم التركيبة النصية أو اللغوية للقرآن، وتزداد هذه الهيبة فيما يخص سورة الفاتحة، لأنّها مستخدمة يوميا في الشعائر والطقوس، أي في الصلاة أساسا وبالتالي فإن نزع الهيبة عنها ورؤيتها في ماديتها اللغوية أمرا بالغ الصعوبة.

وكل ما نستطيع قوله بعد كلامه هذا، هو: (قطعت جهيزة قول كل خطيب)، فكلمته كشفت مقصده وهي إلغاء قداسة القرآن، وأوضحت عجزه عن مقارنة فهم السورة وتحليلها بالطريقة الأركونية التي يؤمن بها، ويود تطبيقها على القرآن، حيث يستخدم مصطلحات غريبة، وينطلق من الفلسفة التفكيكية¹، ويصرّح بأنّه لن ينخرط في القراءة التبجيلية التي جاءت عند المفسرين المسلمين.

الفرع الثالث - توضيح الفروق الجوهرية بين الاتجاهين الأدبيين:

بعد عرض المنهج الذي اتبعه رواد المدرسة البيانية وأرباب الفكر الحدائثي، يمكنني أن ألخص أهم الفروق الجوهرية بين الاتجاهين، في النقاط التالية:

1 - الفلسفة التفكيكية: إنّ أبسط تعريف مبكر للتفكيكية كإجراء منهجي، هو أنّها حركة جاءت ما بعد النبوية في النقد الأدبي، فضلا عن كونها الحركة الأكثر إثارة للجدل أيضا، ونظرية أثارت الكثير من الإعجاب لدى رواد التفكيك مثل: ج- هيليسمير وبولديمان وجيفر يهارتمن وهارولد بلوم؛ على الصعيدين النظري والتطبيقي، على الرغم من تباين الأساليب وطرائق المعالجة. لقد استطاعت هذه النظرية أن تعلي من شأن القارئ وتحالف تماما القناعات الراسخة في الاتجاه البنيوي، وانطلقت الاتجاهات التفكيكية من تشكيل كامل بوجود مثل هذه الأنساق النبوية المتشكلة في الدّاخل، وهي تؤكد على خلاف البنيوية كل حالة تشاكية خاضعة لعملية الانبناء (Structuration) بل تذهب إلى أبعد من ذلك فتعدو إلى الهدم والتشتت والتقويض، وتفتح أبواب القراءات المتعدّدة، ومؤكّد ذلك ما ذهب إليه، جال دريدا (J.Derida) من أنّ "قراءته للتفكيكية ذاتها هي عرضة للتفكيك أيضا، لأنّ جميع القراءات في رأيه إساءة للقراءة، بمعنى أنّها تحاول أن تفرض استراتيجيات الإنسان على النص .

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

أولاً- الأهداف: يهدف أصحاب التفسير البياني؛ إلى التجديد من خلال دراسة القديم والاستفادة منه، بينما ركّز أصحاب الفكر الحدائثي على نقد الموروث اللغوي بما فيها القرآن الكريم.

ثانياً- الوسائل: اعتمد أصحاب الفكر الحدائثي على التأويل كأداة فعّالة لتحقيق مآربهم، وكانت مقولة اللغة حمّالة أوجه، فأكهة طازجة لاقتحام القرآن وبثّ سمومهم، وتنفيذ مهام المستشرقين أمثالهم، بينما لم يعتمد رواد التفسير البياني على التأويل، فمثلا بنت الشاطي تكاد تجزم في التفسير بالقول الأولى والأوحد، وعابت على القدامى كثرة تأويلاتهم المبالغ فيها، كما أنّها نفت الإسرائيليات متبعة موقف أستاذها الخولي، رائد المنهج البياني الذي قدّم عدة قرارات حاسمة تخص القرآن، منها عدم جواز ترجمة القرآن الكريم، وتفسير القرآن بالنظريات العلمية والاكتشافات الحديثة .

ثالثاً- الأفكار التجديدية: إنّ الخولي في معرض حديثه عن التجديد الأدبي؛ الذي أضحي من أقوى دعايات التجديد؛ وأجهرها صوتا في العصر الحديث، نجده يتطرّق لقضية مهمة، تكمن في أنّ المجدّد، لن يستبين طريقه ولا يدري من أين يبدأ جهاده، إلا إذا استجلى تاريخ ما يعاني تنميته، وعرف كيف، ومن أين بدأت حياته؟ ومتى، ولم وقف به الجمود؟ فإذا ما تبين المجدّد طريق غده بتجارب أمسه، عرف ما يدع وما يأخذ، وإذ ذاك ينفي ويثبت عن بصيرة، ويتر مظاهر الجمود في هدي وثقة، كالطبيب كشفت له الأشعة عن ديب العلة، أما إذا مضى برغبة في التجديد مبهمه، وتقدّم بجهالة للماضي وغفلة عنه، يهدم ويحطم، ويشمئز ويتهكم، فذلكم - وقيمت شرّه - تبديد لا تجديد¹.

أما الحدائثيون فقد انطلقوا من فكرة تجديدية، تنفي التراث كاملا وتنقده بما فيها القرآن الكريم، حيث ساروا على خطى سادتهم الغربيين الذي نقدوا كتبهم المقدّسة وتكفلوا بتعليمهم وسلخ أرواحهم، وبالتالي تلقنوا منهم فكرة نقد تفاسير القدامى، وسلب القداسة من القرآن، فحاولوا اقتحام القرآن برؤية عصرية، وبمناهج غريبة، فأفسدوا بدعوى التجديد، وما أثمرت جهودهم برأي سديد ومعقول، بل كانت رؤية غوغائية وبضاعة مزجاة، وهو تبديد لا تجديد كما قال أمين الخولي.

كما أنّ هناك فرقا كبيرا بين التاريخية التي كان يقصدها أمين الخولي، وبين التاريخية التي تعاطاها نصر حامد أبو زيد، فالأول حاول أن يكشف عن دور التاريخ والزمن والبيئة والمجتمع في تطور الدين،

1 - أمين الخولي، مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، ص 109.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

واعتبار الزمان والمكان مهم في فهم الحقائق الشرعية، وهذا مؤكد فقد فرضت الأحكام الشرعية وفق تدرج الزمن والمكان، كما أنّ معجزة كل رسول تنتمي للبيئة التي يعيشون فيها والعلوم التي برعوا فيها، فالعقيدة تأتي بما تستعد البيئة لتلقيه.

أما تاريخية نصر حامد تقتضي القول بتاريخية القرآن، التي تنتهي إلى القول ببشرية القرآن وهذا ترديد لأقوال المستشرقين بلا أدنى شك.

رابعا- النزعة النقدية: يعتبر نقد أصحاب المدرسة البيانية نقدا موضوعيا، فمثلا نجد أمين الخولي يتحدث عن تأثير الفلسفة في البلاغة، ويعيب على القدامى فعلهم، حينما أغرقوا الدرس البلاغي في الفلسفة، أمثال سعد التفتازاني وغيره، وقد جارت تلك النزعة الفلسفية على الناحية الأدبية جورا تحسه حين تراهم في المواطن الأدبية الحقيقية يدمجون القول ويحملون، إن لم يفسدوا المعنى الأدبي ويشتطوا في البعد عنه، فالسعد بعد أمثال تلك الإفاضات الفلسفية يقول في البحث الذي هو لبّ موضوعه وصميمه ما لا يقال، أو إن قيل ففي غير مكانه الذي وضع فيه¹.

إنّ هذا الكلام يوحي بأنّ الخولي يعيب تعاطي البلاغة في القرآن برؤية فلسفية محضة، وفي هذا يشير إلى أنّه ينظر للقرآن بقداسة، بينما ألغى الحداثيون الروح القداسية للقرآن، وجعلوه مثل النصوص الأدبية الأخرى القابلة للنقد والمعارضة، وكان المنهج النقدي مسيطرا على كتاباتهم بشكل واضح، وكانت الفلسفة المركبة والمعقدة أداة لتحقيق مآربهم، وبثّ سمومهم.

خامسا- الإنتماء الفكري: ينتمي أصحاب التفسير البياني للفكر الإسلامي القومي، والمنهج الرباني السديد، فمثلا نجد بنت الشاطي في كتابها (القرآن وقضايا الإنسان) تعالج قضية مهمة، تكمن في هموم إنسان العصر وهواجسه ومآسيه، و مسألة التطور العصري وانعكاسه على التفكير الإنساني، الذي انسلخ من جلده عله يبلغ أسباب سماوات الغرب، وأرض تكنولوجيا الإفرنج، فبعد أن كان عنوان الكتاب (القرآن وقضايا العصر) تعدل عنه صاحبتة، وعذرها في ذلك أنّها رأت أنّ العصرية ابتذلت في زماننا واختلّت موازينها، فليس عصريا من لا ينتحل أفكار الغرب، ويشتغل بالتيارات الوافدة، وهي لا تنتمي إلى يمين ولا إلى يسار بالمصطلح المذهبي المعاصر، وإتّما كان انتماؤها، إلى الإنسانية في شمولها المطلق، وولاؤها لعقيدها التي تدين بها، ولأمتها التي لا ترى سواها مذهباً. قالت

1 - المرجع السابق، ص 113.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

بنت الشاطيء بهذا الصدد: "وقد أرى في الانتماء إلى مذهب دخيل طارئ، ما يجرح كرامة عقلي، ويصادر حرية فكري؛ بالإلزام المذهبي الذي يحدّد لي زاوية الرؤية للحياة والإنسان، ولا يسمح لي في أن أتجاوزها أو أحيد عنها"¹ متأثرة في هذا العزوف عن الانتماء إلى غير إنسانيتها وعقيدتها وأمتها، ليّح عليها سؤال: ماذا يراد بأمّتي؟ وتجب عليه بعقليتها الفذة: "فأرانا قد مزّقتنا المذاهب والأوضاع والنظم، فرقا وأحزابا وطوائف، وتستنزف الخصومة قوانا وتوقد بيننا نار العداوة والبغضاء، بعد أن تكفّلت الإسرائيليات التبشيرية، والمدارس الأجنبية، بتربية جيل مشوّه ممسوخ من أبناء الأمة، يُدعى لغير آبائه، وينتمي فكرا وثقافة ومذهبا إلى غير أمّته"².

وقد راج في أمّتي كلام كثير عن نقد الفكر الديني وأفيون الشعوب المستضعفة، وتهافت متهافتون على ما بهرهم من بضاعة مستوردة، فمنهم من فُتن عن دينه وكفر به جهلا بعطاء قيمه وأصيل مبادئه وعالي مثله، ومنهم من ارتدى زي الكهنوت العصري، فراح يروّج في الأمة مخدرات سامة من بدع التأويلات؛ التي لا تجوز على عقل ولا على دين... وإذ تحمل أمّتي عبء هذه الجولة الشرسة، من المعركة الضارية، ضد أعداء الإنسان، تأخذ قضاياها موضعها من قضايا الإنسان، فيما تواجه من تكاليف الجهاد وتحديات العصر، وهي قضايا أنظر إليها من الموقع الفكري؛ الذي فرضت عليّ عقيدتي ومدرستي أن أقف فيه، نضالا عن وجود أمّتي وشرف الإنسان، فليكن لسواي من المفكرين وجهات نظرهم إلى قضايا العصر من مختلف الزوايا؛ التي يطلون منها إلى عالمنا، وليتقبل أصدقائي القراء وجهة نظري من الأفق القرآني؛ الذي أطل منه على وجودنا من حيث أدري أنّ هذا القرآن هو الذي صنع تاريخ أمّتي، وضم شعوبها تحت لوائه الجامع، وهو الذي كرم الإنسان وأعطاه الكلمة الأخيرة للدين في ختام رسالاته، وكل ميسّر لما خلق له³.

وفي قولها رد بليغ على أصحاب الفكر الحدائي، الذي ينتمي للمدرسة الاستشراقية، وولائهم لها ظاهرا وباطنا، خفية وعلنا، تصريحاً وتلميحا.

كما أنّه من المتعارف عليه أنّ كل الكتب البلاغية بثت فيها الآراء العقديّة والفقهية عند السابقين، ومنها من تعمد دراسة ذلك لنصرة مذهبه ونشر فكره، أما دراسة المنهج الأدبي فهي دراسة

1 - عائشة عبد الرحمن: القرآن وقضايا الإنسان، ص 5.

2 - المرجع نفسه، ص 7-8.

3 - عائشة عبد الرحمن: المرجع السابق، ص 8.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

أدبية بحتة لا تهتم بهذه الأمور الجانبية، وهذا ما يقصده أمين الخولي من عبارته، ولم يكن يقصد أن ينظر للقرآن على أساس أنه نص أدبي محض مجرد من قداسته، كما ينظر إليه المستشرقون، فيعتبرونه نصاً أدبياً راقياً وفقط ولا يؤمنون بقداسته وكونه وحياً منزلاً.

سادساً- الأسلوب: إنّ المطالع لكتب الفريقين يلحظ من أول وهلة الفرق بينهم، فأصحاب التفسير البياني، كانت لغتهم أدبية راقية، تعتمد على مصطلحات لغوية قيّمة، بينما اعتمد أصحاب الفكر الحدائثي على لغة سوفسطائية، فلسفية، غير مرتبة الأفكار والمعطيات، تتعب العقل وتستنفّر الجهد في محاولة الفهم، ثم تجد نفسك تدور معهم في نفس الحلقة المفرغة، ليس لهم منهجية في الطرح والكتابة، يدعون عمق الكتابة، وينقدون غيرهم بالسطحية، لكنهم يتعمقون فيفسدون جوهر الأمر، فهو ليس عمقا فكريا بطريقة علمية، إنما عمق تمويهي وفلسفي مملّ ليس له فائدة، كلامهم فيه المراوغة والنقد المستمر، يحترفون التدليس، الإنكار والاجتزاء، وبتّر النصوص من سياقها، يدسون السمّ في العسل، مثلهم مثل المستشرقين، والفرق بينهما أنّ هؤلاء من بني جلدتنا، وأولئك من أعدائنا، فكانوا كحصان طروادة، تسللوا إلينا بأفكار غيرنا.

وبالرغم من اختلاف منهج أمين الخولي عن غيره، إلا أنّه لم يسلم من النقد اللاذع، وتعرض لهمة تأثره بالمستشرقين¹ وإعادة بث الشبهات من خلال هذا المنهج التفسيري الذي لقنه لطلبته، مع أنّي لم أجد دليلاً على ذلك، سوى ما عُرف عليه من ثنائيه على كتاب (تاريخ القرآن)² وتأسفه على عدم طبعه، حينما تعرّض إلى ما كتب حول القرآن، فقد أشار قبلها إلى كتاب الإتقان للسيوطي والذي جعله مقدمة لتفسيره؛ وهذا دأب المفسّرين، ثم أشار إلى من مارس هذه الأبحاث من الغربيين وكان أفضلها ما جاء في كتاب (تاريخ القرآن)، والحقيقة أنّه عبّ على ذلك بقوله: "مع أنّ أبحاث هؤلاء المحدثين قد أفاضت على تلك الموضوعات أبواباً من العناية العلمية، إن لم تخل من الاتهام فإنها

¹ - ينظر: فهد الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري، ص 1100، وما نراه إلا تحامل مرجعه اختلاف التوجه والمشرب، وتنافس المدارس على الهيمنة الفكرية الثقافية، فليس كل جديد تأتي به المدرسة العقلية مردّه إلى التأثر بالغربيين، وليس كل ما جاء به الكتاب المشاركة أو ما خلفته مدرسة الحجاز من مؤلفات وأفكار كاملاً لا غبار عليه، فالباحث الحقيقي هو الذي يكون نتيجة دراسات موضوعية والباحث الحقيقي هو الذي يطلب الحكمة أنى وجدها.

² - لصاحبه نولدكه الألماني.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

لن تخلو من نقد روح النقد والتمحيص، التي لا بد منها في تناول هذه الأبحاث¹، وهو يعي بذلك غاية هاته الكتابات، مع ذلك يشيد بمجهوداتهم القيمة ولا يبخس الناس حقهم.

بل ونجده ينقد المستشرق "كارادي فو"² ولا يوافق كلامه بخصوص تضمين التفسير آراء مستقاة من الفلسفة والعلوم الحديثة، فقد رآها محاولة تجديد في التفسير، بينما اعتبرها أمين الخولي محاولة جد قديمة حاولها نفر من القدماء والمحدثين جميعاً³، كما أنه يرد على رأيه بخصوص أنّ التفسير جزء من علم الحديث الذي كان غير مضمون ويراها اتهاماً قديماً⁴، ثم إنّ تركيزه على المنهج الأدبي في التفسير، وقوله عن هدفه: "والمقصد الأول للتفسير اليوم أدبي محض صرف، غير متأثر بأي اعتبار وراء ذلك، وعليه يتوقف تحقق كل غرض آخر يقصد إليه"⁵، لا يفهم منها دراسة القرآن كقطعة أدبية فقط، مبتورة من قداستها الدينية كما يفعل المستشرقون، ولا يقصد نفي غرض الهداية أو أغراض أخرى، إنّما ركّز على هذا الجانب لأنه كان في زمن اضطرت فيه معارك بين القديم والجديد، بين الأفكار الغربية الوافدة وإرادة المحافظة على التراث وتقديسه من جهة أخرى، ففهم السياق التاريخي يساعد على تفهم موقفه بموضوعية علمية، ثم إنّهُ علّل موقفه هذا بأن الكتب الدينية الأخرى أقدم من القرآن بالقرون المتطاولة، ولغاتهما قد تخلت عنها إذ خرجت من الحياة، وبيئاتهما قد عفت معالمها، لكننا نجد ما في الكتب الدينية جميعها من حي وجماد وحادثه وعلم، قد أفرد بالدراسة، ووضعت له الكتب المطولة والمعاجم المستوفاة، إلى جانب الدراسات التاريخية والأدبية والقانونية والدينية والترجمات وغيرها، وبالمقابل نجد هناك تقصيرا دراسيا لكتاب هو أجل وأقدم وأوثق ما عرفت العربية من آثارها الأدبية، وليس بالكثير أن نطلب دراسة بيئته ولغته التي بها نزل ولا تزال لغة حية يتكلمها مئات الملايين، وهي أصل كبير للهجات ولغات تقوم دراستها الصحيحة على دراسة هذه العربية⁶، فكيف بنا ندرس

1- أمين الخولي: مناهج تجديد في النحو البلاغة والتفسير والأدب، المرجع السابق، ص 235.

2- مستشرق فرنسي ولد في مدينة بار على نهر الأوب في 3 فبراير 1867، تعلّم في مدرسة استانسلاس بباريس، وتخرّج من كلية الهندسة ثم عيّن أستاذا في المعهد الكاثوليكي، فقام بتدريس اللغات الشرقية وخصوصا اللغة العربية، تركّز إنتاجه العلمي على دراسة العقيدة الإسلامية، ومؤلفه الرئيسي هو: (مفكرو الإسلام)، كما قام بترجمة وتحقيق الكتب العربية، وله مقالات كثيرة أهمها: (أسطورة الراهب المسيحي بحيرا) نشرت في مجلة الشرق المسيحي سنة 1898م، توفي سنة 1953م (ينظر: عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، ص 462-463).

3- ينظر: أمين الخولي: المرجع السابق، ص 216-217.

4- ينظر: أمين الخولي: المرجع السابق، ص 207-209.

5- أمين الخولي: المرجع السابق، ص 231.

6- ينظر: أمين الخولي، مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، ص 263.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

دواوين الشعر ونحلل كلام البشر، في الدراسات الأدبية ونترك هذا الكنز الغالي لدرس التفسير كما قالت بنت الشاطئ.

ومن خلال تتبعنا لكتابه واستقراء كل كلمة فيه، وجدنا جملة حيرتني زمنا وأرقتني فترة، لأنني أردت أن أستقصي موقفه بموضوعية، دون تحامل أو تعاطف وانحياز، وذلك في معرض كلامه عن الإعجاز القرآني وعلاقته بالبلاغة قال: " نقد النص الديني المعجز - أعني القرآن - "1.

وعند أول وهلة أو عند بتر الجملة من السياق، ربما ينحاز الفكر إلى حكم جائر، لكن بعد محاولة الفهم العميق نجده يقصد به معنى آخر، فهو يرى أنّ أقصى ما انتهت إليه البحوث في البلاغة أو البيان، هو الدراسة التي تمكّن من التفريق بين الجيد والردئ من القول، وأضيق ما انحازت إليه حين تضائل أمرها، أن تمكن من إدراك إعجاز القرآن، وهو لون خاص من إدراك الجيد والحكم بوجودته، فهي في جملة القول، إما تعليم لنقد أدبي ولصناعة أدبية، وإما تعليم لضرب خاص من النقد الأدبي يتعلق بإعجاز القرآن.

فالنقد هنا ليس بالمفهوم الأدبي الحديث، وليس بالمعنى الذي اتجه إليه أصحاب الفكر الحدائثي، إنّما يعني به الاختيار، والانتقاء بين النصوص يعني نقدها، وهذا ما نلمحه جليا في قوله:

"وهكذا كانت الدعوة الإسلامية عملا بلاغيا قويا، أو شطرا واضحا من هذا العمل، إذ اعتمدت على حكم نقدي وقامت على رأي في الفن القولي"². ويقول في موضع آخر: " وإذا كان الأمر كذلك فالعربي حين يدعى إلى هذا ويواجه به، فيؤمن ويستيقن، لا يكون اعتناقه للإسلام - في جليته - إلا حكما نقديا وتقريراً أدبيا"³، وحينما يتحدث عن المدرسة الأدبية يراها اتجهت إلى أبحاث نقدية في الأدب، من القرآن أو الشعر أو النثر الأدبي، وهو نفس الاتجاه الذي عرف في المدرسة المصرية⁴، فعمل الباقلاني مثلا تابع للنقد في مجال القرآن والشعر، وهذا ما قصده من لفظة النقد، - على حسب اعتقادي وفهمي - من تتبع اللفظة في مختلف مواضع كتابه، وقد أشرنا من قبل أنه فرّق بين النقد القديم والنقد بالمفهوم الجديد.

1- أمين الخولي: المرجع نفسه، ص 71.

2- المرجع نفسه، ص 74.

3- المرجع نفسه، ص 74.

4- المرجع نفسه، ص 177.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

ثم إن مكوث الشيخ في دول أوربية وتعلّمه لتلك اللغات لا يبّرّ لنا أن نتكهن بالضرورة تأثره بالمستشرقين، كما ردّد بعض الباحثين¹، أو تأثره بما جاء به أعلام المدرسة الفيلولوجية² في رؤيتهم التأويلية؛ مع انعدام ورود أي ذكر لهذا التراث الغربي في مؤلفاته، لكنه جاء بكلام المستشرقين وعقب على منتجات العرب تارة بالنقد وتارة بالإشادة والعرفان، ولا مندوحة لتأثره بغيره أو إفادته من خير ما جاء به الغربيون أو توصل له المستشرقون، فليس كل تأثر مذموم ولا كل رفض مقبول، كما أنني لا أعتقد بآراء تبنى من بتر الجمل من سياقها الأصلي، وهذا ما بيني عليه بعض الباحثين آراءهم، بل التمحيص واجب في مثل هذه الأمور، منها رأي يقول بأنه أعطى أولوية في التفسير الأدبي للعقل على النقل³، بينما وجدته يشير إلى عيب التفسير العقلي في أكثر من موضع، منها قوله: " ثم ظلت محاولات الفهم الشخصي تزداد وتتأثر بالمعارف المختلفة، حتى كان من كتب التفسير ما يجمع أشياء كثيرة طويلة، لا حاجة إليها في علم التفسير "⁴.

وفي موضع آخر يعيب التركيز على أحد الجانبين، فيقول: " ولعل التحقيق أنّ هذين المذهبين هما الغلو والتقصير، فمن اقتصر على المنقول إليه فقد ترك كثيرا مما يحتاج إليه، ومن أجاز لكل أحد الخوض فيه فقد عرضه للتخطيط "⁵.

1 - ينظر: أحمد محمد سالم: الجزور العلمانية في الفكر التجديدي عند أمين الخولي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: 2005م، القاهرة- مصر، ص 89.

2- وعلى رأسهم شلاير ماخر الألماني، وهو رأي مبني على التخمين والحدس فالشيخ الخولي لا يشير إلى مصادره الأوروبية، وجل الباحثين يتناقلون هذا الرأي بناءً على احتمال اطلاعه على أعمالهم فترة مكوثه بالخارج، ثم إن (شلاير ماخر) وضع قواعد وأصول عامة لتفسير النصوص مثل شخصية النص ولغة النص وبنية التناص، وأكد على ضرورة اتباع هذه القواعد العامة في فهم النصوص كلها لا فرق بين الديني منها وغير الديني.

3- ينظر: المرجع السابق، ص 86.

4- أمين الخولي: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، المرجع السابق، ص 215.

5- المرجع نفسه، ص 214.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

وبعد هذا نرى أنّ هناك تحاملا على شخصية أمين الخولي ومنهجه في التفسير، وإلقاء التهم عليه من كتابات تلاميذه أمر لا يصح¹، فالحق أن ننظر فيما كتبه هو لا فيما يكتبه أتباعه، ولا أظنه ممن يبيع دينه ويدافع عن من يطعن في القرآن، والأحق منها أن نفرّق في الدراسة بين منهجه في التفسير مستقلا بذاته وبين آراءه الأخرى التي تأثر فيها بالنظريات الغربية كدراسة تاريخ الأديان ودراسة اللغة العربية في ضوء التطور، كما وقد عيب عليه إنكاره لنظريات الإعجاز العلمي الحديثة، رغم تقبله لنظريات علم النفس، لكن هناك سبب وجيه لذلك، فهو يريد تنزيه الآيات القرآنية من شكوك النظريات العلمية بعد تطورها في كل مرحلة، بينما صلة البلاغة بعلم النفس قد هداه للبحث في مسألة إعجاز القرآن؛ التي كانت أهم درس في البحث البلاغي.

ثم إنّ منهج أمين الخولي كان بنيويا يعتمد على ربط الآيات بعضها ببعض وهذا ما تبنته المدرسة البنيوية إذ جعلت شغلها الشاغل النص والبحث عما يشكّل أدبيته، مع اختلافه معهم في عدّة جزئيات فهو يتعامل مع نص قرآني لم ينس قداسته يوما، بينما اعتمد الحداثيون على المنهج التفكيكي - كما رأينا سابقا-، فقد قرّر بصرامة اعتماد الوحدة الموضوعية، قال الباحث: " إنّ أصحاب الوحدة الموضوعية في السورة يأخذونها مأخذا كلياً، ليبينوا روابط معنوية بين آياتها، والذين يجمعون بين الآيات القرآنية في المواضيع المختلفة إنّما يهدفون إلى تكوين فكرة متكاملة في الموضوع الواحد، لا أن يصنعوا قرآنا جديدا"².

هذا ما استطعنا بسطه في هذا المجال، فنحن نحاكم النصوص والله أعلم بالنيات والمقاصد، ومهما قيل عن شخصية الخولي إلا أنّ الوجه المشرق ملازم له لا ينفك عنه، إذ أرشد إلى أسلوب أدبي صحيح في تذوق أساليب القرآن، وكشف عن آفاق جديدة للإعجاز القرآني، وأحيا الحس الفني حيث الإبداع في العرض وجمال الأداء في فهم الخطاب، وأنصف ما قيل بهذا الصدد: أنّ دراسة النص القرآني دراسة أدبية ضرورة قصوى، ولكن على أن يتم ذلك في سياقها الخاص مع مراعاة وضعه

¹ - لقد تعرض للنقد والهجوم من خلال إشرافه على رسالة بعنوان (الفن القصصي للقرآن الكريم) من إعداد الباحث: محمد أحمد خلف الله عام 1947، وكان هدف الباحث سد منافذ الملاحظة والمبشرين والمستشرقين إلى الطعن في الأحداث التاريخية الواردة في القرآن الكريم، وبخاصة ما يعدّ منها في المتشابه، هذا ما صرّح به الباحث، ورغم ذلك تعرض الباحث والأستاذ للضغط من طرف لجنة التحكيم ثم الأزهر، ونقل الأمر للصحف وأصبحت قضية رأي عام، حتى طالب آخرون بحرقها، وتمسك أمين الخولي برأيه واستمر في الدفاع عن هذه القضية.

² - كامل سغفان: المنهج البياني في القرآن الكريم، المرجع السابق، ص 156.

الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

المقدّس من حيث المصدر والصياغة، وأن تكون الدراسة من خلال منهج ومصطلحات تتفق مع هذا السياق وتراعي خصوصيته دون أن تخلط بينه وبين التراث البشري¹.

وخلاصة القول فقد اختلف دارسوا القرآن إلى مذاهب شتى، واتجاهات مختلفة، وطرائق قدا، منهم من سلك طريقا قويا، ومنهم من زاغ عن جادة الطريق، وكانت قراءة الحداثيين تحت مسمى التجديد، ما هي إلا اجترار لكلام المستشرقين، ويمكنني أن أطلق على منهجهم؛ عقما فكريا إن صح التعبير، رغم محاولة أصحابه المتعدّدة لإنجاح مساره، لكنه يُجهض قبل ميلاده، فالتحول من التنظير إلى الإجراء أمر لم يوفّق إليه الحداثيون، وبقيت فلسفتهم أفكارا تُطرح وتتداول، ولم ترق لدرجة التطبيق النافع، بل كان تطبيقا ساذجا غير ذي بال ولا نفع، إذ أنه يستحيل قياس وإسقاط مناهج غربية، تختلف في المعطيات مع التراث الإسلامي؛ الذي يتميّز بثوابت لا يمكن تغييرها، أو انتهاك قداستها وتجاوزها، على غرار التراث الغربي الذي يتميّز بكتبه المقدّسة المحرّفة، فكيف بمن هي دونه قداسة من كتب و تأليفات بشرية، فإن صحّ لديهم نقد تراثهم، فلا يصحّ عندنا المساس بقداسة قرآنا، ويستحيل تطبيق مناهج غربية في دراسته.

إنّ عمل الحداثيين يذكّرني بقصة صاحب الفكاهة في تراثنا العربي (جحا)، عندما اخترع آلة تأخذ الماء من البحر إلى النهر، ثم تعيده مرّة أخرى إليه، فقالوا له: بماذا ينفعلك هذا الاختراع؟ فقال: يكفيني عجيج صوتها، وهكذا هم أصحاب الفكر التنويري، يكفيهم عجيج الأصوات التي يحدثونها، تكفيهم إثارة تساؤلات عند الغير وزعزعة الثقة بموروثنا الديني، يكفيهم اجترار كلام أسياهم المستشرقين، ولفت الانتباه والنظر والاهتمام لدراساتهم وأفكارهم، تكفيهم الشهرة المزيفة، ويكفيهم التمولي والمراوغة، فقد انطلقوا من قاعدة خالف تُعرف.

¹ عبد الرحمن السلمي: النص القرآني في منظور الدراسة الأدبية: الموقف والمنهج، مقال في مجلة الدراسات اللغوية والأدبية،



الفصل الثاني: نماذج تكبيلية

من القفسير البياني

المبحث الأول: دراسة في المفردات

المبحث الثاني: دراسة في المركبات



الفصل الثاني: نماذج تطبيقية من التفسير البياني

قبل أن أقبل على مائدة القرآن مأدبة الله إلى خلقه، لأسألهم بمجهود المقل في تدبر آياته واستشفاف معانيه، لا بد من الإشارة إلى أنني قسّمت الفصل التطبيقي وفقا للخطوط العريضة التي رسمها صاحب المنهج "أمين الخولي" في (دراسة القرآن)؛ وهي تنقسم إلى دراسة في المفردات، ودراسة في المركبات. أما دراسة (ما حول القرآن) فإنني وقفت على بعضها خلال تناول أسباب النزول للآيات القرآنية المرادة بالتفسير.

المبحث الأول - دراسة في المفردات:

إنّ أول خطوة في تطبيق منهج التفسير البياني؛ الذي حدّد معالمه أمين الخولي، هو دراسة خاصة ومميزة لمفردات القرآن، فقد رأى أنّ الأصل الأوّل في فهم دلالة ألفاظ القرآن، هو النظر في المادة اللغوية للفظ الذي يراد تفسيره، لينحّي فيها المعاني اللغوية عن غيرها، ثم ينظر في تدرج المعاني اللغوية للمادة نظرة ترتبها على الظن الغالب، فتقدم الأسبق الأقدم منها على السابق، حتى يطمئن إلى ترجيح معنى لغوي للكلمة، كان هو المعروف حين سمعتها العرب في أي الكتاب.

المطلب الأول - دراسة المفردة من ناحية المعنى اللغوي

نجد هذا الملمح جليا في التفسير البياني لبنت الشاطيء، إذ كانت حريصة على التزام قواعد هذا المنهج، ونراها تهتم بالدلالة اللغوية اهتماما كبيرا.

الفرع الأول: مفردة (العصر): في قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُورٍ ۝٢﴾

(العصر : 2)، تقف -بنت الشاطيء-¹ عند المعنى الأصلي طويلا قائلة : العصر لغة : الضغط لاستخلاص العصارة، استعملته العربية حسيّا في عصر العنب ونحوه، لاعتصار خلاصته، ومنه المعصرة آلة العصر، والمعصرة مكانه، والعواصر ثلاثة أحجار كانوا يعصرون بها. وسميت السحب الممطرة معصرات لما تعتصر من المطر، وأعصر القوم أمطروا، كما أطلق الإعصار على الريح الشديدة تسوق السحب.

¹ - ينظر: عائشة عبد الرحمن: التفسير البياني للقرآن الكريم، ج 2 ص 75.

الفصل الثاني: نماذج تطبيقية من التفسير البياني

واستعمل العصر مجازيا في الحبس بملحظ من الضغط، ومنه الفتاة المعصر التي أدركت وبلغت سن الحجز، كما استعمل مجازيا في استخلاص المال على وجه العطية أو بالضغط، وقيل لكريم النسب: كريم العصر لما فيه من طيب الخلاصة والعنصر.

ومن هذه الدلالات اللغوية تستوحي المعنى الخاص الذي ترجّحه من الدلالة اللغوية الأصيلة للضغط والاعتصار، فتقول: سمي الدهر عصرا، بملحظ استخلاصه عصارة الإنسان بالضغط والتجربة والمعاناة، كما سمي وقت الأصيل إلى غروب الشمس عَصْرًا، ملحوظا فيه مع الدلالة الزمنية أنه تصفية للنهار.

ثم تنتقل لتدرج اللفظ وتطوره في الحقل الديني، فتقول: وفي المصطلح الديني الإسلامي، سميت صلاة العصر لوقوعها في هذا الوقت من النهار، كما سميت سائر الصلوات الخمس بأسماء أوقاتها.

وتقوم باستقراء المفردة من القرآن لتقف على مادة العصر بمعناها اللغوي الأول في اعتصار الخمر بآية يوسف: 42، وبمعنى السحب في آية النبا: 14، ومعهما آية يوسف: 49، والإعصار في آية البقرة: 266، والعصر في سورة العصر¹.

ثم تستطرد الحديث بنقل اختلافات أهل التأويل في لفظة (العصر)، وتعيب عليهم تحميلها عدة تأويلات فلسفية وإشارية؛ بأسلوب حوارى عقلي، لا تتصور معه قبول البيان القرآني لتلك التخريجات، وهي تهدف أساسا إلى تحريره من العناصر الدخيلة والشوائب المقحمة على أصالته البيانية.

وبعد استقراء مواضع استعمال القرآن لمادة (العصر)، تخلص إلى نتيجة مفادها أن كلمة العصر في سياقها من السورة، لافتة إلى ابتلاء الإنسان بالعصر الذي يصهره بالمعاناة ويعصره بالتجربة والابتلاء.

والواو هنا في موضعها الذي تطرد به الظاهرة الأسلوبية في اللفت إلى حسي مدرك، توطئة إيضاحية لبيان معنوي غير محسوس ولا مدرك، وبهذا اللفت الموجه إلى ضغطة العصر ابتلاءً، تأتي

¹ - ينظر: عائشة عبد الرحمن: التفسير البياني للقرآن الكريم، ج 2 ص 76.

الفصل الثاني: نماذج تطبيقية من التفسير البياني

الآية بعده دالة عليه : ﴿وَالْعَصْرِ ① إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خَسِرٌ ②﴾ ونفهم الخسر في آية العصر بما يؤنس إليه سياق النكوص عن تبعات التكليف والتفريط في مسؤولية الإنسان، وحرف (في) يأخذ موضعه في هذا البيان المعجز، بما يفيد من معنى الظرفية في الغمر والإحاطة والإغراق، والاستثناء الذي بعده يؤذن بأن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ليسوا في خسر أبدا¹.

الفرع الثاني - مفردة (الحافرة): في قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ أَمْ نَأْمُرُكُمْ بِالْحَافِرَةِ ⑩﴾

(النازعات: 10) هنا بنت الشاطئ أخذت معنى اللفظة من مفردات الراغب؛ "الرد: الرجوع والعود، والارتداد: الرجوع في الطريق الذي جيء منه، والردة تختص بالرجوع إلى الكفر، أما الارتداد في الكفر وغيره، والاسترداد: الاسترجاع"².

ثم نجدتها تذكر معنى الرجوع والعود في الاستعمال القرآني في أغلب مواضعه، لتستخلص في النهاية أنّ كل معانيها متقاربة قالت: "وبها يفسر (مردودون) بمعنى الإرجاع والعودة إلى حيث كانوا (في الحافرة).

والحفرة في اللغة معروفة، والحفر: إخراج التراب من الحفرة، والمحفرة: المسحاة أو ما يُحفر به، وسمي حافر الفرس لحفره في عدوه، وسموا القبر حفيرا، والذي يحفر القبور حقاّرا، وأما الحافرة فأصل استعمالها أنّ العرب كانت لا تبيع الخيل نسيئة بل تقول: النقد عند الحافرة، تعني ألا يزول حافر الحصان عن مكانه، حتى ينقد ثمنه، ثم نقل استعماله إلى كل حالة أولى، ومنه قيل للخليفة الأولى حافرة، وقالوا: رجع فلان في حافرتة، أي في طريقه التي جاء فيها فحفرها، وأثر فيها بمشيئه، جعلوا أثر قدميه حفرا.

¹ - ينظر: عائشة عبد الرحمن: التفسير البياني للقرآن الكريم، ج2 (ص86 - بتصرف).

² - المرجع نفسه، ص134.

وقد جاءت المادة في القرآن مرتين:

قال تعالى: ﴿واعتصموا بحبلِ اللَّهِ جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (آل عمران: 103)

وفي قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ أَأَنَّا لِمُرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ (النازعات: 10)

وبكلا المعنيين: حفرة القبر، والحالة الأولى فسّرت آية النازعات، واقتصر (الزمخشري) على المعنى

الثاني¹. ثم ذكرت أقوال المفسرين فيها:

ففي (جامع البيان والبحر) "عن ابن عباس: الحفرة الحياة الثانية.

وقيل: الحفرة النار، ذكره أبو حيان، وهو ما لا يستطاع حمل اللفظ عليه، فيما نرى، إلا على بُعد وتكلف.

وقيل: الحفرة جمع حافر بمعنى القدم، أي مردودون أحياء نمشي على أقدامنا، ونطأ بها الأرض، وليس من المؤلف استعمال الحافر للإنسان إلا أن يستعار².

وبعد أن عرضت آراء المفسرين نجدها تبيّن وجهة نظرها قائلة: "والأولى أن يستبقى اللفظ دلالاته اللغوية على حفرة القبر وعلى الحالة الأولى، فيكون السؤال حين ترجف الراجفة: أئنا لمردودون في حفرة القبر أحياء، عائدون إلى حالتنا الأولى؟"³

¹ - ينظر: عائشة عبد الرحمن: التفسير البياني للقرآن الكريم، ج 2 ص 135.

² - ينظر: عائشة عبد الرحمن: التفسير البياني للقرآن الكريم، ج 2 ص 135.

³ - عائشة عبد الرحمن: التفسير البياني للقرآن الكريم، ج 1، ص 135.

الفصل الثاني: نماذج تطبيقية من التفسير البياني

وخلاصة القول فقد أجادت بنت الشاطيء في هذا المجال، فهي لم تقف عند حدود النظرة الجزافية للمفردات، بل تعمقت في مدلولاتها اللغوية، وركزت على هذا الجانب كثيرا، وإن قيل عن هذا الملحق يبدو عليه الطابع المعجمي، وهو عمل لا مبرر له¹، سنقول: هو خطوة هامة في المنهج وقد أدتها بوفاء، وبواسطته استنطقت الآيات القرآنية، واستخرجت منها معاني جليلة، واستخلصت توجيهات جديدة، وربطت ذلك بالإعجاز البياني للقرآن الكريم.

المطلب الثاني - دراسة المفردة من ناحية المعنى الاستعمالي في القرآن

وفق المنهج الذي سطره صاحبه؛ فإذا ما فرغ المفسر من البحث في معنى اللفظة اللغوية، انتقل بعده إلى معناها الاستعمالي في القرآن، يتبع ورودها فيه كله، لينظر في ذلك، فيخرج منه برأي عن استعمالها².

ولقد طبق أمين الخولي هذه الخطوة الهامة، وتحدث عبر الإذاعة عن موضوعات مميزة كالسلام، الإسلام، القرآن، الحياة، القادة والرسول، الطغيان في العلم والمال والحكم، حكومة القرآن، الحكم بما أنزل الله، والفن البياني في القرآن.

والناظر في كتابه (من هدي القرآن - القادة والرسول) يجد أنه تطبيق لمنهج التفسير الأدبي الذي قرره خلال تدريسه بالجامعة "والذي تميز عن مناهج التفسير المختلفة المتعددة، بالأثر أو بالرأي المتأثر بالثقافات الأخرى"³، ويصرح بأن منهجه يستند على التفسير بالمأثور ثم التفسير العقلي؛ الذي تأثر فيه بمختلف العلوم، ما عدا التفسير العلمي الذي ينكره جملة وتفصيلا، واعتبر أن التفسير الأدبي هو الذي يجب أن يتقدم كل محاولة لمعرفة شيء من فقه القرآن أو أخلاق القرآن أو عبادات الإسلام ومعاملاته في القرآن.

¹ - هو رأي الباحث كامل سغفان، ينظر: المنهج البياني للقرآن الكريم، ص 121.

² - ينظر: أمين الخولي: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، ص 238.

³ - أمين الخولي: من هدي القرآن (القادة والرسول)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2002م، مصر، ص 14.

الفصل الثاني: نماذج تطبيقية من التفسير البياني

وقد بين الخولي غايته من خلال تفسيره، إذ أنه تفسير يقصد به التدبير النفسي والاجتماعي في القرآن للحياة الإنسانية، وهو المجال الخاص للقرآن لتحقيق أهداف الرسالة الإسلامية وتأثيرها على الحياة.

وتلخصت فكرة الكتاب في مواضيع تحوم حول استكشاف هدي القرآن من قصص الرسل، واستنباط مواضيع وقيم من خلال تتبع الآيات القرآنية التي ورد فيها ذكرهم، واستخراج الحكم منها وإسقاطها على حياة البشر اليوم، ممن يسعون إلى تحقيق غاية أسمى في حياتهم، وكان يخاطب العقول المفكرة، فكثيرا ما تردد على لسانه (أيها المهتدون بهدي القرآن) (أيها العقول المفكرة) (أيها الشعاعون بحقهم في الحياة) (يا هواة الفن القرآني) ويدعو للأخذ بالنظرة الشاملة، والفكرة الجامعة في تفسير القرآن، على غرار التفسير الأولي الذي يكتفي بالنظرة الجزئية، إلى الكلمة في الآية والآية في السورة، لأن ذلك لا يلائم أهمية هذا الكتاب من وجهة نظره، ولا يهدي إلى دقائق مراميه الإصلاحية الكبرى التي يحتملها نظمه المعجز وصوغه الباهر ولا يمكن فهمه الفهم الحق إلا بالملاحظة المتابعة الوافية¹.

الفرع الأول - دراسة مفردة (الضعف):

لقد تعرض أمين الخولي لمصطلح (الضعف) في القرآن الكريم، وعرض لمواقعه وقام بتحليله عبر مختلف السياقات القرآنية، ثم خلص إلى لفتات فنية قيمة؛ لا يفقهها إلا أصحاب الحس الأدبي المرهف.

ومن المستحسن أن نقف عند تلك اللمحات التي استشفها، بأسلوبه الأدبي الخلاب، قائلاً: إنَّ الصور البيانية التي يعرض فيها القرآن فكرته الاجتماعية، عن تحمل القادة تبعات أعظم في خطئهم؛ لسوء أثره على قومهم، هي صور يجد صاحب الفن الأدبي فيها متعة نفسية كبرى، وما يزال يستشف فيها نواحي للدقة الخلاقة وملامح من الحسّ الأدبي الفاتن، إلى مرامي من الحكمة البالغة ترد الجموع إلى صوابها وتأخذ القادة فيهم بعدل مصلح، وسنعرض صورة من الاعتراف الأسف للجماعة التي أساء إليها قادتها، وأفرادها يعترفون بعد فوات الأوان، فاستمع إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ۖ ﴿٦٤﴾ خٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۖ ﴿٦٥﴾ يَوْمَ نُقَلِّبُ وُجُوهُهُمْ فِي الْبٰرِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ۖ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا ۖ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا إِنهُمْ ضَعَفَيْنَ

¹ - ينظر: أمين الخولي: من هدي القرآن، المرجع السابق، ص 139.

الفصل الثاني: نماذج تطبيقية من التفسير البياني

مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَمَ لَعْنَا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ (الأحزاب: 68)، إنه يصور عجز هؤلاء المغلوبين الفاقدين الولي والنصير، وقد ذهبت كل محاولة لهم في سبيل التخلص، حتى ما يدفعون عن وجوههم، وقد قضت الفطرة بأن ينفي المرء الأذى عن وجهه ما استطاع بجوارحه الأخرى، فيقيه بيديه، أو يطأطئ رأسه لئلا يصاب وجهه، فإذا كانت وجوههم هي التي تقلبت في النار، فقد فقدوا المقاومة في سائر أوتانها، وهم في هذه الحال اليائسة المهلكة يردون علة مصابهم ويذكرون من خطئهم الذي جنى عليهم، إضلال قادتهم لهم، وإطاعتهم إياهم ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴾ ويتشفون بالدعاء عليهم ﴿ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَمَ لَعْنَا كَبِيرًا ﴾ عذبهم مثل عذابنا، واخزهم خزيا كبيرا، وليس هذا الدعاء تشفيا فحسب، بل هو إعلان حكم العدالة الإلهية، بلسان الأتباع الأخصاء المطيعين، ألا ترى أنّ القرآن في مقام آخر، يجعل هذين الضعفين من العذاب جزاء من يكون في موضع القدوة، ثم يخطئ، فيقول مخاطبا نساء الرسول ﷺ: ﴿ يَنْسَاءَ النَّبِيَّ وَمَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَحِشَةٍ مَّبِينَةٍ يُضَعَّفَ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ (الأحزاب: 30) ففي السورة السابقة جعل ضعفي العذاب دعوة المتبعين، وهي التي جعلها في قوله عقاب الخاطئين المتبعين، وفي الآية الأولى مع هذا كله، تجسيم لخطأ التابعين المخدوعين، إذ عرفوا تماما عجز هؤلاء الكبراء، حتى أصدروا هم حكمهم عليهم، فاعترفوا بخطئهم اعترافا حارا.

وبذلك يحتمل القادة المتبعون آثار أعمالهم، التي يتبعهم فيها غيرهم، ويتأثر الناس فيها بفعلهم، وإذا كانت لا تزر وازرة وزر أخرى، فذلك تقرير للمسؤولية، وعدم الإفلات حين يثبت في الوقت نفسه جزاء المضلين غيرهم بقوله: ﴿ وَلِيَحْمِلُوا أُنْفُسَهُمْ وَأُنْفُسًا مَعَهُمْ وَيَسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [العنكبوت: 13] وعلى هذا الأصل جعل الضعف جزاء القادة الخاطئين، وعرض ذلك في غير صورة واحدة... فحينما كان دعوة أتباعهم عليهم إذ يقولون: ﴿ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَمَ لَعْنَا كَبِيرًا ﴾ وحينما كان عقابا للمقربين المقتدين بهم إذا أخطأوا، كقوله ﴿ يَنْسَاءَ النَّبِيَّ وَمَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَحِشَةٍ مَّبِينَةٍ يُضَعَّفَ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾¹.

وكنت بهذه المناسبة قد أهدت بهواة الفن القرآني، أن يقدرُوا أنّ لاستعمال القرآن، وحدة فنية وفكرة أدبية حين يعبر بالضعف أو بالضعفين، وأنّ له في هذا أصلا ثابتا يربط قريب الآيات ببعيدها،

¹ - ينظر: أمين الخولي: من هدي القرآن، المرجع السابق، ص 138.

الفصل الثاني: نماذج تطبيقية من التفسير البياني

ومكيها بمدنيها مهما يتراض الزمن، وتتباعد الأيام... ونريد هنا لنقف عند هذه الوحدة للاستعمال القرآني، في تعبيره بالضعف والضعفين وهي وقفة أدبية، نشرف فيها على آفاق من طرائف الفن القولي، الذي ذهب به هذا القرآن كتاب العربية الأكبر.

ثم يوجه القارئ للمغزى بتساؤلات مثيرة قائلاً: فنظرنا فيما يرمي إليه القرآن، حين يستعمل الضعف في ثواب وعقاب، إنما يراد منه أن نعرف، هل له في ذلك فكرة ثابتة تتم بها وحدة الاستعمال التي نطمئن إلى تقريرها والقول بها؟ ثم ما صلة هذه الفكرة في التعبير بالمرمى الاجتماعي والخلقي في تبعات القادة، ومسؤوليات أولئك المتبعين؟

ثم إننا نرمي من وراء ذلك كله إلى الارتياض والدعوة للأخذ بالنظرة الشاملة، والفكرة الجامعة في تفسير هذا القرآن، ولئن كان هذا الاتجاه ينتهي بنا إلى معان لم يهتد إليها المفسرون الماضون، فلا جرم أن نخالفهم في فهم بعض الآي أو العبارات... ولا تثريب علينا في هذه المخالفة لأنهم لم يستوفوا رد الشبيه إلى الشبيه وضم النظير إلى النظير من نظم القرآن واستعماله - أحسن الله إليهم بما بذلوا من جهد ووفق من بعدهم إلى الوفاء بما بقي من ذلك ووجب، فرقا بين الأعصر وتدرجا مع الزمن¹.

وبعد أن يوضح منهجه يقوم باستقراء المفردة في القرآن قائلاً: يا هواة الفن القرآني ترونه يستعمل كلمة ضعف في حديثه عن العذاب وأكثره عن حال الأتباع الضالين وقادتهم، يتلاومون في النار يتحاجون ﴿ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كَمَا دَخَلْتَ أُمَّةً لَعَنْتُ أَخْنَبًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أَخْرِبُهُمْ لَأُولِيهِمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَجَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿38﴾ وَقَالَتْ أُولِيهِمْ لَأَخْرِبُهُمْ فَمَا كَانَتْ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿39﴾ (الأعراف: 39) وفي مثل هذا الموقف أيضا يحكي حال الرؤساء الطاغين إذا دخلوا النار واقتحمها معهم فوج تبعهم في الضلال، يقول القادة عن أتباعهم الداخلين ﴿ لَا مَرْجَأَ لَهُمْ فِيهَا مِنْهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿59﴾ (ص: 59).

فيقول التابعون للرؤساء: ﴿ بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْجَأَ بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَيَسَّرَ الْقَرَارُ ﴿60﴾ وما يلبثون أن يدعوا عليهم ﴿ رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿61﴾ (ص: 61).

1 - ينظر: أمين الخولي: من هدي القرآن، المرجع السابق، ص 139.

الفصل الثاني: نماذج تطبيقية من التفسير البياني

وفي الحديث عن العذاب أيضا يذكر كلمة ضعف حين يتوعد رسول القرآن ﷺ بما يقع له لو ركن إلى قول المخالفين ﴿ **وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّنَّاكَ لَقَدْ كُنْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا** ﴾ (74) إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿ (75) ﴾ (الإسراء: 75).

فقد ذكروا أنّ المعنى لأذقناك ضعف عذاب الدنيا، وهو ضعف الحياة، وضعف عذاب الآخرة وهو ضعف الممات... تلك هي مواطن ذكر كلمة ضعف في العذاب... ولم تذكر في غيره مفردة منكرة هكذا، وقد ذكرها في الحديث عن النعيم فقط فكانت معرفة كما كانت المنكرة في العذاب فقط، ذكرها بيانا لما عليه الجزاء وبه القربى عند الله في رده، الظانين خطأ أنّ أموالهم وأولادهم تقربهم عند الله زلفى ﴿ **وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ** ﴾ (سبأ: 37) تلك مواطن استعمال الكلمة مفردة، أما مواطن استعمالها مثناة؛ فقد كانت في العذاب حين يمثل للذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله ﴿ **وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتٍ لِلَّهِ وَتَثْبِيْتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّتٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ فَتَاتًا ۖ أَكَلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ** ﴾ (البقرة: 265) تلك هي استعمالات القرآن لكلمة ضعف وضعفين، نظر فيها المفسرون الأولون حين قالوا عن كل آية في سورتها، فكان فيهم من رد بعض المواطن المختلفة إلى بعض على غير أساس، ففسر كلمة ضعف المفردة في قوله: ﴿ **هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَتَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ** ﴾ بالمثناة، وفي قوله: ﴿ **رَبَّنَا آتِنَاهُمْ لَعْنَتَكَ وَالْعَذَابَ وَالْعَنَتَ لَعْنًا كَثِيرًا** ﴾ مسويا هذه بتلك، تهدي النظرة الشاملة التي ندعو إليها.

إنّ في هذه الاستعمالات ما هو مكّي وما هو مدني، وقد تباعد بينهما الاستعمال ويطمئن إلى أنّ استعمال القرآن للكلمة يتبع حسا فنيا دقيقا يفوت بين استعمالها معرفة وبين استعمالها منكرة، وبين استعمالها مفردة وبين استعمالها مثناة، ويختلف الحديث عن العذاب في حسه كل الاختلاف عن الحديث في النعيم والخير، ولا يمكن تفسير الكلمة مفردة في آية عذاب للكلمة نفسها مثناة، ولا أن يفسرها منكرة بما ذاتها معرفة¹.

ثم يرى الخولي أنّ الأولين يفسرون الضعفين في وعيد نساء النبي ﷺ بالمرتين محتجين لذلك بأن من تقنت منهن لله وتعمل صالحا يؤتها أجرها مرتين، فكذلك إذا ما أتت إحداهن بفاحشة مبينة

¹ - ينظر: أمين الخولي: من هدي القرآن، المرجع السابق، ص 142.

الفصل الثاني: نماذج تطبيقية من التفسير البياني

عذبت مثل عذاب غيرها، وليس العدل أن تعطى على الطاعة أجرين وتعذب على المعصية ثلاثة أعذبة، ونقل عن بعضهم أن هذا هو قول حذاق النحويين وأهل التفسير، وإذا نظرنا في معاني كلمة الضعف في اللغة نجدها تلتقي في الأصل، المثل إلى ما زاد وليس مقصورا على مثلين، وأقل الضعف محصور وهو المثل وأكثره غير محصور بل يصل إلى أمثال كثيرة، وعلى هذا الأساس ننظر في الآيات التي وردت فيها كلمة الضعف، فنراها حين وردت منكراً في الحديث عن العذاب فقط كما أشرنا، يبدو فيها القصد إلى عدم الإكثار من الزيادة، ويدل سياقها على هذا، فهي مثلاً في حديثه عن الرسول ﷺ وتكرار كلمة ضعف الحياة وضعف الممات، كانت عن ذنب فرضي لم يقع ولن يقع، ولا وجه لإرادة الإكثار من الزيادة مع مثله ﷺ، ثم هو في حديثه عن القادة وأتباعهم حين يحتاجون فيوزع كل منهم المسؤولية على صاحبه، والمقام ليس مقام إرادة الكثرة الزائدة، فيقول لكل ضعف ووردت في مثلها مفردة منكراً، لكنه حين يوردها في سياق الكثرة المتوافرة يعرفها، فيقول في جزاء الصالحين ﴿ فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا ﴾ [سبأ: 37] والضعف في الحسنات يصل إلى العشرة ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مَثَلِهَا ﴾ بهذا اختلف التعريف عن التنكير¹.

وإذا نظرنا في استعمال كلمة ضعف مثناة فتجدونها في سياق يقتضي الكثرة الوافرة، فهو مثلاً حين يتحدث الأتباع عن قادتهم ويلقون التبعة عليهم في إضلالهم بقولهم بالثنائية، وهو حين يتحدث عن نساء النبي ووصف خطأهن يستعملها مثناة، وهو حين يذكر الخير الوافر النماء الكثير في مثل الجنة التي أصابها وابل فأتت أكلها ضعفين، والمعنى في كل هذا يقوى بالزيادة والكثرة لا بتحديد الضعفين بمرتين كما نقل من قول نحويين أو مفسرين، وإرادة الكثرة من الثنائية قد ورد في مواضع غير قليلة، ألا تسمعون حين ينفي التفاوت في خلق الرحمن يقول تعالى: ﴿ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ۗ ﴾ ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير ﴿ 4 ﴾ (الملك: 4) فالكرتين مرات كثيرة لتكرر الأمر بالرجع، وجاء في قوله تعالى ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَىٰ النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ﴾ (التوبة: 101).

يريد بالمرتين مرات، لقوله بعدها ﴿ ثُمَّ يَرُدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ ﴿ 101 ﴾

¹ - ينظر: أمين الخولي: من هدي القرآن، المرجع السابق، ص 143.

الفصل الثاني: نماذج تطبيقية من التفسير البياني

وشواهد ذلك كثيرة تجعلنا نفسر المرتين في أجر نساء النبي بالمرات، والضعفين في عذاب ثان بفاحشة مبينة بأضعاف كثيرة، وكذلك أراد القرآن بالثنوية في الضعفين الأمثال الكثيرة، ولو سائر الأقدمون هذا الأسلوب في التتبع لما فسروا الضعفين بالمرتين ولا جعلوا المرتين اثنتين معدودتين.

ثم يختم قائلاً: إنّ هذا الفن السماوي يفيض رحمة وبراً بالناس، فإذا عرض لما فيه خيرهم والإحسان إليهم ذكر كلمة ضعف لا مفردة ولا مثناة، بل لم يكتف بها مجموعة فوضعها بالكثرة وصرح معها بالمضاعفة، كما جاء في قوله تعالى ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أضعافًا كَثِيرَةً﴾ (البقرة: 245) كذلك صيغ هذا التنزيل صياغة دقيقة خلاصة بعيدة المرمى جليلة المغزى، فإن أردتم أن تنظروا إلى استخدام هذا الفن لخير الحياة فيما نحن بسبيله من تبعات القيادة وجدتم الفكرة الثابتة لاستعماله كلمة ضعف أنه حين نكّر الكلمة قال لكل ضعف، قد أخذ المضلين بإضلالهم وإفسادهم غيرهم، وأخذ التابعين بتقليدهم قادتهم وكبراءهم أمر المضلين رافضاً بذلك اعتذارهم بخطأ الكبراء والعظماء، على نحو ما نسمعه كثيراً من اعتذار عامتنا بما عليه القادة والكبراء، ملزماً إياهم بالتبصر في أمرهم والتزام إصلاح شأنهم، وفي كل حظه من العذاب دون عناية هنا بالتكثير والزيادة، ثم هو حين ثنى الضعفين فأراد الكثرة قد جعل على القادة تبعات في إضلالهم لغيرهم ردعاً لهم بتلك الكثرة وإصلاحاً لشأنهم، وهكذا ألا تجدون من هدى القرآن تلك المتعة الفنية الناقدة فحسب، بل تلك الملاحظة الاجتماعية الصالحة المصلحة هداكم هديها¹.

أردنا من خلال عرض هذا المثال، أن نبين أسلوب الخولي في تطبيقه للتفسير البياني، وقد أجاد وأفاد في تتبع المفردة القرآنية، وتوصل إلى ما لم يتوصل له غيره من المفسرين الأفاضل، لذلك اعتمد هذا المنهج بالأساس على التفسير الموضوعي، ومع صرامة المنهج الذي فرضه، نجده لا يلتزم ببعض شروطه، فقد عقب الباحث بقوله: "وما خلف لنا الأستاذ الخولي من هدي القرآن -مطبوعاً- لم يتناول أسباب النزول من قريب أو بعيد، مع أنّ منها ما يتصل بأحكام الصوم والزكاة والصدقة، وما يتصل بالسلام والحرب، وما يتصل بالقيادة الرسل"².

لكنه يستدرك رأيه عليه؛ بإيجاد عذر وجيه يكمن في طبيعة الموضوعات الإذاعية والتي تحول دون ذلك بلا أدنى شك، ومع ذلك فإننا لا نبرّر له عدم تطبيقه للمنهج الذي سطره بهذا العذر -رغم

¹ - ينظر: أمين الخولي: من هدي القرآن (القيادة والرسل)، المرجع السابق، ص 146 (بتصرف).

² - كامل سغفان: المنهج البياني في تفسير القرآن الكريم، ص 105.

الفصل الثاني: نماذج تطبيقية من التفسير البياني

وجاهته في مكانه الذي ألقى فيه-، إلا أنه كمؤلف وكاتب ومفكر لم يترك لنا مثالا حيًا في التفسير يمكن أن ينسب إليه، ولعلي أنصفه إن قلت أن عجز الكبر يحول دون تحقيق المآرب، ونضج الأفكار واستقامتها؛ عادة ما يكون ثمرة تراكمات البحث العلمي في آخر حياة الإنسان، وأصوب ما فعله أنه سطر المنهج ولقنه لطلبته الأوفياء؛ الذين ساروا على خطاه، واستطاعوا تحقيق ما يصبوا إليه، بأبحاث مختلفة مست جانبًا من جوانب الخطوات التي ارتآها.

الفرع الثاني- الفرق بين (الرؤيا والحلم): استطاعت -عائشة عبد الرحمن- تطبيق المنهج بكل حذافيره وتفصيله، ولعله من الأنسب أن نأتي بأمثلة من إبداعها في فهم الأسرار البيانية؛ بين ما اعتقد أنه من باب الترادف اللغوي، لكنها لمحت فيه فروقا جوهرية أثبتت بها؛ إعجاز القرآن من خلال مفرداته.

فلفظ (الرؤيا والحلم) في آيتي سورة يوسف، والتي جاءت على لسان ملك مصر، قال تعالى ﴿يَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونًا فِي رُؤْيَىٰ إِن كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَىٰ تَعْبُرُونَ﴾⁽⁴³⁾ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَمٌ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَمِ بِعَالَمِينَ⁽⁴⁴⁾ (يوسف: 43-44).

فهنا نجد -بنت الشاطيء- تستغرب في أن المعاجم تفسر الحلم بالرؤيا، وتنكر فكرة أن العرب الخَلَص الذين نزل فيهم التحدي بالإمكان أن يقال لهم: أفتوني في حلمي إن كنتم للحلم تعبرون؟¹ سؤال استنكاري من حضرتها، تود أن تثبت به تفوق العربي في لغته؛ وامتلاكه الحس اللغوي المرهف والسليقة السليمة، التي يميّز بها بين مختلف الكلمات، ولهذا تحدّاهم القرآن من جنس ما يتقنون.

وفق هذا المنهج الذي سطره صاحبه، تسير بنت الشاطيء بكل إخلاص وتفان، لتكتشف أسراراً ودرراً بيانية، ما اهتدى إليها أساطين الإعجاز قبلها، كالرجلاني والخطابي وغيره، وهي بذلك تلغي قداسة من قال: ما ترك الأولون للآخرين شيئاً، لتثبت وجودها على ساحة الدراسات القرآنية، وتميط اللثام عن المفردتين قائلة: استعمل القرآن (الأحلام) ثلاث مرات، يشهد سياقها بأنّها الأضغاث المهوشة والهواجس المختلطة، وتأتي في المواضع الثلاثة بصيغة الجمع، دلالة على الخلط والتهوش، لا يميّز فيه حلم من آخر، في جدل المشركين ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَمٌ بِكُلِّ إِفْتَرِيهِ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأِنَّا

¹ - ينظر: عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، ص215.

الفصل الثاني: نماذج تطبيقية من التفسير البياني

يَتَأْتِيَكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا الْأَوَّلُونَ ﴿ (الأنبياء: 5) وعلى لسان الملائكة، من قوم العزيز، حين سأهم أن يفتوه في رؤيابه ﴿ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامُهُمْ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ ﴿ (44) ﴾ وأما الرؤيا، فجاءت في القرآن سبع مرات، كلُّها في الرؤيا الصادقة، وهو لا يستعملها إلا بصيغة المفرد، دلالة على التميّز والوضوح والصفاء.

ومن بين المرات السبع، جاءت الرؤيا خمس مرّات للأنبياء، فهي من صدق الإلهام القريب من الوحي، منها: رؤيا إبراهيم عليه السلام، في سورة الصافات ﴿ وَتَلَدَيْنَاهُ أَنْ يَتَّبِعِهِمُ ﴿ (104) ﴾ فَذُصِّدَتْ الرُّبُوبِيَّةُ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿ (105) ﴾

ورؤيا يوسف عليه السلام إذ قال له أبوه ﴿ قَالَ يَبْنَئِي لَا تَقْضُصْ رُءْيَاكَ عَلَيَّ إِخْوَتَكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿ (5) ﴾

نتابع سياقها في السورة وقد صدقت وتحققت ﴿ وَرَفَعَ أَبُوبِيهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَأْتِيَنَّكَ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَاكَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا فِي حَقِّكَ هَذَا تَأْوِيلًا لِمَا نَسِيتَ ﴿ (60) ﴾

ورؤيا المصطفى ﷺ في الإسراء ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي آتَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ﴿ (الإسراء: 60) ﴾.

ورؤياه في الفتح ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّءْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُخْلَفِينَ رُءْيَاكُمْ وَمُفَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿ (الفتح: 27) ¹.

فهذه خمس مرّات من استعمال القرآن للرؤيا من الأنبياء، والمرّتان الأخريان في رؤيا العزيز قد صدقت، وفي آيتها عبّر عنها القرآن مرّتين على لسان الملك بالرؤيا، لوضوحها في منامه وجلالتها وصفائها، وإن بدت للملائكة من قومه هواجس وأوهام وأضغاث أحلام ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَأْتِيَنَّكَ الْمَلَأُ أَفْتُونًا فِي رُءْيَاكَ إِنَّ كَثِيرَ لِرُءْيَاكَ تَعْبُورَاتٍ ﴿ (43) ﴾ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامُهُمْ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ ﴿ (44) ﴾ (يوسف: 43-44).

¹ - ينظر: عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، ص 216-217.

الفصل الثاني: نماذج تطبيقية من التفسير البياني

وتمضي القصة في سياقها القرآني، فإذا رؤيا الملك صادقة الإلهام، وليست كما بدت للملأ؛ من قومه أضعاف أحلام¹.

وبهذا تؤكد بنت الشاطي بأن المفردتين ليستا مترادفتين، والبيان القرآني هو الذي نحتكم إليه لمعرفة الفروق الدقيقة والجوهرية بينهما، ولا نحتكم عليه بما جاء في المعاجم، فقد استعمل لفظة الرؤيا في كل سياقاتها لتدل على الرؤى الصادقة، أما الأحلام فقد عبّر عنها على الهواجس والأضغاث، وما يسعنا أمام هذه اللمحات الجليلة منها؛ إلا أن نعترف بأنها كانت صاحبة عقلية جبّارة مكنتها من إدراك الإيحاءات التي تتضمنها اللفظتين من خلال ورودها في كل السياقات القرآنية، بل والأكثر من ذلك لم تقف عند حدود المفردات المتفقة المعنى، المختلفة المبنى، بل أثبتت عدم الترادف في الألفاظ التي تتفق مادتها وحروفها؛ وتختلف صيغها وأبنيتها، فلا يجوز أن تختلف الحركتان ومعناها واحد.

الفرع الثالث - الفرق بين (النعمة والنعيم): نقل عن أبي هلال العسكري قوله: "فأما قول بعض أهل اللغة إن الشّعْر، والنهر، والنّهر بمعنى واحد، فإن ذلك لغتان، وإذا كان اختلاف الحركات يوجب اختلاف المعاني، فاختلف المعاني أنفسها أولى أن يكون كذلك"².

لقد أفادت بنت الشاطي من رؤية أبي هلال العسكري، وأبدعت عندما أوجدت فروق الدلالات بين الألفاظ التي تختلف حركاتها أو صيغها من المادة الواحدة، أما هو فقد اكتفى بالإشارة إلى القضية، دون أن يكشف ذلك الملحظ الدقيق؛ الذي اكتشفته هي من بعده، وتستدل عليه بأمثلة منها: (النعمة والنعيم) فهما لفظان من مادة واحدة، وهما يلتقيان في الدلالة العامة لمادتهما المشتركة، والمعاجم اللغوية لا تكاد تفرّق بين الصيغتين في نظرها، ثم إنّ المفسرين يؤولون النعيم بكل ما تحتمله الدلالة المعجمية للمادة، فلم تستسغ تعاطيهم للمفردة بهذا الشكل، فتقوم باستقراء الصيغتين في القرآن كلّهُ، لتكتشف سرّ ذلك قائلة: كل نعمة في القرآن إنّما هي لنعم الدنيا على اختلاف أنواعها، يطرّد ذلك ولا يتخلف في مواضع استعمالها، مفردا وجمعا، وعددها ثلاثة وخمسون موضعا.

¹ - ينظر: عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، ص 217.

² - أبو هلال العسكري: الفروق اللغوية، ضبطه وحققه حسام الدين القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، سنة 1981م، ص 12 - 13.

الفصل الثاني: نماذج تطبيقية من التفسير البياني

وأما صيغة النعيم؛ فتأتي في البيان القرآني بدلالة إسلامية، خاصة بنعيم الآخرة، يطرد هذا أيضا ولا يختلف، في كل آيات النعيم وعددها ست عشرة آية؛ منها خمس عشرة آية لا يحتل صريح لفظها أي تأويل بغير نعيم الجنة؛ منها ﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ (88) ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾ (89) (سورة الواقعة: 89). وكذلك آية ﴿ أَيَطْمَعُ كُلُّ إِمْرٍ مِنْهُمْ أَنْ يَدْخُلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴾ (38) (سورة المعارج: 38).

ويطرد الأمر في كل السياقات القرآنية التي ورد فيها النعيم في مواضع عديدة، وتبقى آية التكاثر، خطابا لمن ألهاهم التكاثر ﴿ ثُمَّ لَنْ نَسْتَأْذِنَ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ (8) فلا نستطيع أمام اطراد تخصيص القرآن صيغة نعيم لنعيم الآخرة، أن نفسرها بنعمة من نعم الدنيا التي لا تأتي في البيان القرآني إلا بصيغة نعمة ونعماء ونعيم، وتلحظ سرّ البيان فيها قائلة: أنّ الذين ألهاهم التكاثر في أعراض الدنيا عن التزوّد لأخراهم، سوف يُسألون يوم يرون الجحيم، وسيرونها عين اليقين، عن النعيم الحق ما هو، وعندئذ يعلمون علم اليقين حقيقة النعيم الذي أضاعوه، وألهاهم عنه التكالب على نعم الدنيا الفانية والتكاثر في أعراضها الزائلة¹.

لقد شرحت بنت الشاطئ منهجها في تناول القرآن، من خلال التفسير البياني للمعجزة الخالدة، حيث حرصت على أن تخلص لفهم النص القرآني من روحه العربية الخالصة، واستطاعت بذلك أن تهتدي إلى الدلالات التي تحتويها المفردات القرآنية في مختلف سياقاتها، فكان بحق عملها حلقة مهمّة في سلسلة الدراسات القرآنية الذهبية، التي لا يمكن لأحد أن يدعي الإحاطة فيها، لأنها متعلّقة بهذا الكتاب المعجز، وإعجازه البياني في نظرها يفوت كل محاولة لتحديده، ويجاوز مدى طاقتنا على مشاركة آفاقه الرحبة واجتلاء أسراره الباهرة، كما وقد أفادت من جهود الخطابي حينما ملح إلى أنّ إعجاز اللفظ في مكانه، إذا أبدل فسد معناه، أو ضاع الرونق الذي يكون منه سقوط البلاغة، ولعلي لن أبالغ إن قلت أنّها أبدعت على وجه لم يسبقها إليه أحد من المتقدّمين.

¹ - ينظر: عائشة عبد الرحمن: التفسير البياني للقرآن الكريم، ج 1، ص: (212-216)؛ عائشة عبد الرحمن: الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، المرجع السابق، ص 263.

الفصل الثاني: نماذج تطبيقية من التفسير البياني

المبحث الثاني - دراسة في المركبات:

يرى صاحب المنهج أنّها دراسة يستعين فيها المفسّر بالعلوم اللغوية من نحو وبلاغة، لفهم النص القرآني، بالإضافة إلى التفسير النفسي للآيات القرآنية، لذلك قسمنا المبحث على النحو الآتي:

المطلب الأول - أثر التوجيه النحوي والبلاغي في كشف اللمسات البيانية:

الأصل في هذا التوجيه أن نستعين بالعلوم العربية في فهم آيات القرآن المجيد، فالصنعة النحوية أو البلاغية ليست عملاً مقصوداً لذاتها ولا لونا نلوّن به التفسير، إنّما هي أدوات نستعين بها في كشف جمال الأسلوب القرآني، وقد نوّه أرباب المدرسة البيانية على تحكيم القواعد العربية وفقاً لما جاء في الذكر الحكيم، لا أن نحكّمه عليها من خلال كثرة التقدير والتخريج، لأجل موافقة قواعد تواضعوا عليها وسنوها للغتهم، وعلى درب رواد هذا التفسير سنسير.

الفرع الأول - مثال تطبيقي من سورة الفجر: في قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا﴾⁽²⁵⁾ ولا

﴿يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدًا﴾⁽²⁶⁾ (الفجر: 26) قرأ الجمهور بكسر الذال والفاء في الفعلين، على البناء للمعلوم، وقرأها بعضهم¹ بالفتح على البناء للمجهول، مستندين إلى رواية ذكرت أنّ النبي ﷺ قرأها كذلك، وضعّف الطبري إسنادها، لكن ردّ عليه صاحب التحرير والتنوير بقوله: "أغنى عن تصحيح إسناده تواتر القراءة به في بعض الروايات العشر، وهما مبنيين للنائب، والمعنى: لا يعذب أحد مثل عذاب ما يعذب به ذلك الإنسان المتحسّر يومئذ، ولا يوثق أحد مثل وثاقه، ف (أحد) هنا بمنزلة (أحداً) في قوله تعالى: ﴿فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾⁽¹¹⁵⁾ 2 (المائدة: 115).

جاء في (الموضح في وجوه القراءات وعللها) في توجيه قراءة الفتح أنّ المعنى: لا يعذب أحد تعذيبه ولا يوثق إيثاقه، فجعل العذاب والوثاق مكان التعذيب والإيثاق، كما وضع النبات موضع الإنبات في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾⁽¹⁷⁾ (نوح: 17)، وهما هاهنا من المصادر التي أضيفت إلى

¹ - قراءة الكسائي وأبو يعقوب الحضرمي.

² - ينظر: طاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، المصدر السابق، ج 30، ص 340.

الفصل الثاني: نماذج تطبيقية من التفسير البياني

المفعول به، وهو الإنسان الذي تقدّم ذكره في قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَنْذِكُرُ الْإِنْسَانَ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾⁽²³⁾ والمعنى لا يعذب مثل ما يعذب هذا الإنسان أحد وأراد به الكافر¹.

وفي قراءة آية الفجر بالفتح، على البناء للمجهول، قيل احتجاجاً لها: كيف يجوز الكسر ولا معذب يومئذ إلا الله؟ وعلى حسب رأي - بنت الشاطيء-، هو قول تلمح فيه أثر الصنعة البلاغية التي تبني للمجهول للعلم بالفاعل، ويفوتها استقراء آيات الكتاب المحكم؛ الذي لم يأت فيه فعل العذاب إلا مبنيًا للمعلوم (عذب - عذبنا - نعذب - يعذب) مع الإسناد إلى الله سبحانه وتعالى، سواء أكان العذاب في الدنيا أم في الآخرة، في المرات التي قاربت أربعين موضعاً، كما يأتي وصف عذاب الآخرة في القرآن الكريم، بأنه أشدّ العذاب، والعذاب الأكبر، وهو عذاب مهين، وإسناد فعل التعذيب والإيثاق إلى الله تعالى، يبلغ به الترويع منتهاه في موقف الحساب والجزاء والعقاب، بعد أن قامت القيامة ووقعت الواقعة.

وإن كان الضمير (في عذابه) يعود لإنسان معين² بحسب سبب النزول، فهو في سياق آيات الفجر، يعم كل إنسان نكص عن تكاليف إنسانيته وتخلّى عن أداء حق الله والجماعة، فهو ممن لا يكرمون اليتيم ولا يحاضون على طعام المسكين، ويأكلون التراث أكلاً لما، ويحبون المال حباً جماً³.

فبنت الشاطيء - كما نرى - لم تنته لقول فصل في تحديد معناها، وتأرجح لديها المعنيين معا.

وبعدما تأملت الآية في سياقها من السورة، تبادر إلى ذهني معنى إضافياً، وهو أنّ هذا الإنسان الكافر يندم على ما سلف منه من المعاصي، ويتحسر كونه لم يعمل عملاً صالحاً ينفعه في آخرته، وتقدير المعنى: يومها لا يعذب أحدٌ غيره ولا يوثق وثاقه أحدٌ غيره، فيومها سيحاسبه الله وحده على أعماله، ولن يُحاسب أحدٌ مكانه، كما جاء في عدة آيات منها قوله تعالى ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّلَاةُ﴾⁽³³⁾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ⁽³⁴⁾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ⁽³⁵⁾ وَصَخِيْبِهِ وَبَنِيهِ⁽³⁶⁾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ⁽³⁷⁾ ﴿ (عبس: 37).

¹ ينظر: ابن أبي مريم: الموضح في وجوه القراءات وعللها، تح: عمر حمدان الكبيسي، ط1: 1414هـ/1993م، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، جدة- السعودية، ص 1370-1371.

² قيل أنّ الضمير عائد على (أبي بن خلف)، ينظر: عائشة عبد الرحمن، التفسير البياني للقرآن الكريم، ج2، ص 159.

³ ينظر: عائشة عبد الرحمن، التفسير البياني للقرآن الكريم، ج2، ص 159-160.

الفصل الثاني: نماذج تطبيقية من التفسير البياني

وقوله تعالى ﴿الْأَنْزِرُ وَالزَّرَّاءُ وَنَزَّالُ السَّمَوَاتِ الْأُولَىٰ وَكَانَ الْفَارِقَ ۗ ﴿٣٨﴾ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ

يُجْزَىٰ الْجَزَاءَ الْآوْفَىٰ ﴿٤١﴾ (النجم: 41). وهذا المعنى تحتمله قراءة الفتح، ليكون الضمير فيه عائدا على الإنسان الكافر.

أما وجه الكسر فيحتمل ثلاثة معاني؛ المعنى الأول: لا يعذب أحد عذاب الله، والمراد لا يتولى عذاب الله يومئذ أحد والأمر يومئذ أمره، والمعنى الثاني: لا يعذب أحد في الدنيا مثل عذاب الله في الآخرة، والمصدر على هذا مضاف إلى الفاعل وهو الله تعالى. والمعنى الثالث: المراد يومئذ لا يعذب أحدًا أحداً مثل ما يعذب هذا الكافر، فالمصدر على هذا مضاف إلى المفعول به كما في القراءة الأولى¹.

وعليه فوجه الكسر يحتمل 3 احتمالات:

- الأول والثاني: يعود على الله سبحانه وتعالى.

- الثالث: يعود على الإنسان الكافر، وأنه سيعذب عذاباً لا نظير له في شدته.

أما وجه الفتح فيحتمل احتمالين:

- احتمال يوافق المعنى الثالث في قراءة الكسر آنفة الذكر، والمعنى الآخر الذي سقناه من قبل؛ والذي يعود أيضاً على الكافر، وأنه يتحمل جزاء أفعاله وحده، وسيحاسب وحده لا أحد غيره أو سواه.

فالمعنى الذي أراده المفسرون الأفاضل هو انتفاء المماثلة في الشدة، والمعنى الذي قصدته هو انتفاء المشاركة في العذاب.

¹ - ينظر: ابن أبي مريم: الموضح في وجوه القراءات وعللها، المصدر السابق، ص 1371.

الفصل الثاني: نماذج تطبيقية من التفسير البياني

الفرع الثاني- مثال تطبيقي من سورة البلد: في قوله تعالى من سورة البلد ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ وَتَوَّصُوا بِالرِّحْمَةِ﴾ (البلد: 17) جاء في تفسيرها: "ثم هو مع هذه الأوصاف الجميلة الظاهرة مؤمن بقلبه محتسب ثواب ذلك عند الله تعالى"¹، أما ابن عباس رضي الله عنه، فقال:

(ثم كان) مع ذلك (من الذين آمنوا) فيما بينهم بين ربهم آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن².

وبالنسبة لبنت الشاطيء فقد رأت أنّ عطف الإيمان بلفظ (ثم) على ما قبله، يبيح لنا الفهم بأنّ تحقيق الكرامة الإنسانية بفك الرقبة والعدالة الاجتماعية؛ بإطعام يتيم ذي مقربة أو مسكين ذي متربة، لازمان للإيمان وما بعده من تواصل بالصبر والرحمة. وقد استغربت من بعض المفسرين؛ الذين عكسوا الوضع وعطلوا هذا الملحظ الجميل في رأيها، فجعلوا (ثم) مقصود بها إبعاد الإيمان عن فكّ الرقبة وإطعام يتيم أو مسكين، فلا يكون الإيمان معهما في مرتبة واحدة³، وهي تقصد بقولها الزمخشري الذي قال: " وجاء بـ (ثم) لتراخي الإيمان وتباعده في الفضيلة والرتبة عن العتق والصدقة لا في الوقت، لأن الإيمان هو السابق المقدم على غيره ولا يثبت عمل صالح إلا به"⁴.

ثم جاء بعدها التواصي بالصبر والتواصي بالرحمة، قال ابن عباس رضي الله عنه: (تواصوا) بمعنى تحاثوا بالصبر على أداء فرائض الله.

(بالرحمة) أي بالترحم على الفقراء والمساكين، ورأى السامرائي أنّ السورة مبنية على هذين الأمرين: الصبر والرحمة، وكل آية من قبلهما مرتبطة بهما، ثم إنّ هناك لفظة بيانية، فلقد كرّر التواصي لكل منهما، فلم يقل (وتواصوا بالصبر وبالرحمة) ولم يقل (تواصوا بالصبر والرحمة) للدلالة على أنّ كلا منهما جدير بالتواصي به، فلكل تعبير دلالة، فالتعبير الأول أقوى التعبيرات للدلالة على أهمية كل منهما، وذلك لتكرار الفعل مع حرف الجر توكيدا على أهمية ذلك، ثم يأتي التعبير الثاني بالدرجة

1 - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تح: محمد ناصر الدين الألباني، ط1: 1423هـ/2002م، مطابع دار البيان الحديثة، ج 8، 256.

2 - الفيروز آبادي: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ص 511.

3- عائشة عبد الرحمن: التفسير البياني للقرآن الكريم، ج1، ص 188.

4- الزمخشري: الكشاف، المصدر السابق، (مج 4، ص 745).

الفصل الثاني: نماذج تطبيقية من التفسير البياني

الثانية وهو تكرار حرف الجر مع الرحمة دون تكرار الفعل (وتواصوا بالصبر والمرحمة) ثم يأتي التعبير الثالث بالدرجة الثالثة وهو العطف من دون ذكر الفعل والحرف (وتواصوا بالصبر والمرحمة)¹.

ومنه نخلص إلى أنّ التعبير الأول؛ والذي جاءت به الآية الكريمة، هو أقوى تعبير وأكد من التعبيرين السابقين، ولعلنا نوافق بنت الشاطيء فيما ذهبت إليه، كون الإيمان مناط العقيدة الإسلامية؛ والإيمان الحقيقي ينفي الغرور والقسوة، لكن لا أوافقها في استبعاد قول الزمخشري، فما ذهب إليه صحيح من وجه آخر، فكيف ينفع إنفاق بلا إسلام؟ أو ليس الكرم مما اشتهر به العرب، فلا غرو من ذكره أو الإشادة به في هذا الموضوع، وأظن المعنى الذي يقصده الزمخشري، أنّ هذا الكافر حتى ولو أنفق لا ينفعه ذلك، فلن يفيد عمل صالح من دون إيمان بالله.

ثم هناك ملحظ آخر تبيّن لي أنّه لما عطف (ثم) على تلك الأعمال، هذا يدل على أنّها غير كافية ما لم يكن مؤمنا بالله، - كما ذكرنا آنفا-، فبدأ الله سبحانه وتعالى بأعمال يقومون بها لتعزيزها ولفت انتباههم بها، ثم عطف عليها الإيمان به، وذلك بهدف استعطفهم وتلين قلوبهم، فقال (ثم) ولم يقل (و) لأنّ في (ثم) معنى الجمع والاحتواء، وتقدير المعنى: أي مع كل تلك الأعمال التي تقومون بها في عاداتكم وستنفعكم لاقتحام العقبة، عليكم أن تؤمنوا بالله وتتواصوا بالصبر والمرحمة، فهو سبيل أهل الميمنة.

كما أنّ هناك لطيفة أخرى، ففي سورة العصر ذكر الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات، أما في سورة البلد ذكر الذين آمنوا ولم يذكر بأنهم عملوا الصالحات، لكن ما يلفت النظر أنّ الأعمال الصالحة ذكرت قبلها، وهي فكّ الرقبة أو إطعام يتيم ذي قرابة أو مسكين لاصق بالتراب. فالإيمان مدعاة للأعمال الصالحة، وهو الوقود الذي يحرك الإنسان لفعل الخيرات والطاعات، وبتتبع القرآن في سياقاته المختلفة نجد أنّه يقرن الإيمان بعمل الطاعات والأعمال الصالحة، ولعل هذا المعنى بحسب رأيي يؤيده ما ذهب إليه الزمخشري، إذ لا يفيد عمل صالح دون إيمان، وقد عبّر عنه في سورة العصر بقوله (وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)، والإيمان بالله أعلى درجات الحق، والتواصي عليه والصبر على أذى المشركين بسببه هو عين الصلاح والتقوى، وتركه هو الخسران المبين.

¹ - فاضل صالح السامرائي: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ط3: 1423هـ/2003م، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، من ص 273 إلى 275، (بتصرف).

الفصل الثاني: نماذج تطبيقية من التفسير البياني

وفيما يخص المناسبة بين سورة البلد وسورة الفجر¹، فقد تبين لي وجه من الارتباط بينهما، فقد جاء في سورة الفجر أنّ الإنسان يقول نادما متحسرا (يا ليتني قدمت لحياتي) والتقدير: يا ليتني قدمت عملا صالحا ينفعني في آخري، وفي سورة البلد ذكر الله بعضا من وجوه سبل الخير؛ التي تجتاز بها تلك العقبة.

الفرع الثالث- مثال تطبيقي من سورة طه: في قوله تعالى ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ (14) (طه: 14). جاء في تفسيرها: عن ابن كثير: "قيل: معناه صل لتذكرني، وقيل: معناه وأقم الصلاة عند ذكرك لي"²، وسياق الآية كان في قصة موسى عليه السلام.

وذكر صاحب التحرير والتنوير: وإقامة الصلاة إدامتها، أي عدم الغفلة عنها، والذكر يجوز أن يكون بمعنى التذكر بالعقل، ويجوز أن يكون الذكر باللسان³.

ومن المعلوم أنّ الصلاة في اللغة، معناها الدعاء، وعليه فالمفسرون الأفاضل اتجهوا في غالبية تفاسيرهم إلى معناها اللغوي؛ أي ادعوني كلما تذكرتني، ومن المؤكد أنّ هذا المعنى حقيقي، لكن مع تأملنا للآية ندرك أنّ لفظة (أقم) توحى بأنّها أداء معين في وقت معين وعلى هيئة معينة.

ولعلنا من الجيد أن نقف عند الدلالة اللغوية لها فنقول ابتداءً تأتي بمعنى:

أقام الصلاة، أدامها، وقّأها بصورة كاملة.

ومنها أيضا: أقم المطمّر يا مُحَدِّثِي: أي قوّم الحديث وصحّح ألفاظه ونقّحه وصدق فيه.

وقوّم الأخلاق: هدّبها، أصلحها.

ومنها: هو أقوم عملا من غيره: أي أعدل وأكمل.

¹ - ذكر فاضل صالح السامرائي ثلاثة وجوه من التناسب بين السورتين، يمكن الرجوع إليها في مظانها، ينظر: فاضل صالح

السامرائي: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، المرجع السابق، من ص 241 إلى 243.

² - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، المصدر السابق (مج 9، ص 317).

³ - طاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، المصدر السابق، (ج 16، ص 200).

الفصل الثاني: نماذج تطبيقية من التفسير البياني

ومنها: أقم، إقامة فهو مقيم، وأقام بالمكان لبث فيه، ومنه قول شاعر¹ رسول الله ﷺ:

وقلنا صدقت رسول الملوك ***** هلم إلينا وفينا أقم.

ومنها: القوم: الجماعة من الناس تجمعهم جماعة يقومون لها².

ومما سبق نلاحظ أنّ كل دلالات المادة توحى بالزمن والهيئة التي يكون عليها.

وإن قمنا باستقراء مواضع المفردة في القرآن الكريم، نجد نظيرها في قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أِقِمَّ وَجْهَكَ

لِلَّذِينَ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ (يونس: 105).

والموضع الثاني في قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي الْبَارِ وَزُلْفًا مِنْ أَيْلٍ﴾

(هود: 114)؛ وفي الموضع الثالث من قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ أَيْلٍ﴾

(الإسراء: 78). وفي الموضع الرابع من قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِئَلَّا تَكُونَ مِنَ الْكٰفِرِينَ﴾

(العنكبوت: 45) وفي الموضع

الخامس من قوله تعالى: ﴿يَبْتِئِ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ

ذٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ۝ (لقمان: 17).

ومع موضع سورة طه السابق، ينتهي بنا الاستقراء إلى ستة مواضع ذكر فيها فعل الأمر (أقم)

مقترنا بالصلاة إلا في موضع سورة يونس المرتبط بالدين، وكذا الفعل (أقيموا) في القرآن جاء مقرونا

بالصلاة أيضا، وقد أحصاه المولعون بالإعجاز العددي فقالوا: أنّ فعل الأمر (أقم) و(أقيموا) جاء

مقرونا بالصلاة 17 مرة في القرآن الكريم، وهذا ما يعادل عدد ركعات الصلوات اليومية.

أما مفردة (ذكرى) فقد جاء نظيرها في قوله تعالى: ﴿كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِهِمْ وَكَانُوا لَا

يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ۝ (الكهف: 101). وجاء في تفسيرها: وفيها نعت الكافرين بـ (الذين كانت

أعينهم في غطاء) للتبنيه على أنّ مضمون الصلة هو سبب عرض جهنم لهم، أي الذين عرفوا بذلك

في الدنيا، والغطاء مستعار لعدم الانتفاع بدلالة البصر على تفرد الله بالإلهية، وحرف (من) للظرفية

1 - حسان بن ثابت ؓ.

2- ينظر: ابن منظور، لسان العرب، (ج10-11، ص323 وما بعدها).

الفصل الثاني: نماذج تطبيقية من التفسير البياني

المجازية، وهي تمكن الغطاء من أعينهم، بحيث كأنها محوية للغطاء، و(عن) للمجازة، أي: النظر فيما يحصل به ذكري، ونفى استطاعتهم السمع، أنهم لشدة كفرهم لا تطاوعهم نفوسهم للاستماع، وحذف مفعول (سمعا) لدلالة قوله (عن ذكري) عليه، والتقدير: سمعا لآياتي، فنفي الاستطاعة مستعملا في نفي الرغبة وفي الإعراض، والمعنى أي في غطاء عن النظر فيما يحصل به ذكري¹.

- ووردت في ثلاثة مواضع من سورة طه، الموضع سابق الذكر، وموضع ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا نِنْيَا فِي ذِكْرِي ﴾⁽⁴²⁾ أي لا تضعفا، والمراد أنهما لا يفتزان في ذكر الله².

والموضع الآخر ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْيُنًا ﴾⁽¹²⁴⁾ أي خالف أمري وما أنزلته على رسولي، أعرض عنه وتناساه وأخذ من غيره هداه³، والإعراض عن الذكر يشمل القرآن والوحي الذي أنزله على أنبيائه ورسله، ويشمل الذكر الذي هو ذكر الله تعالى بالقلب وباللسان وبالجوارح.

- وموضع خامس من قوله تعالى: ﴿ فَاتَّخِذُوهُمْ سُخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسُوكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴾⁽¹¹⁰⁾ (المؤمنون: 110)، أي فاشتغلتم بالاستهزاء بهم حتى نسيتم ذكر الله، فبقيتم على تكذيبكم، "فإسناد الإنساء إلى الفريق مجاز عقلي لأنهم سببه، أو هو مجاز بالحذف بتقدير: حتى أنساكم السخري بهم ذكري"⁴.

- والموضع السادس من قوله تعالى: ﴿ أَمْ نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُورُوا عَذَابٍ ﴾ (ص: 8) أي في شك من وقوعه، والشك يطلق على اليقين مجازا مرسلا بعلاقة الإطلاق والتقييد، ويجوز أن يكون انتقالا من خبر عنهم إلى خبر آخر، فيكون استئنافا وتكون (بل) للإضراب الانتقالي، والمعنى: وهم في شك من ذكري، أي في شك من كنه القرآن، وإضافة الذكر إلى ضمير المتكلم وهو الله تعالى إضافة تشريف ولتحقيق كونه من عند الله⁵.

¹ - ينظر: طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، المصدر السابق، (ج16، ص42).

² - ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، (مج9، ص338-339).

³ - ينظر: المصدر نفسه، (مج9، ص377).

⁴ - طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (ج18، ص130).

⁵ - ينظر: المرجع نفسه، (ج23، ص213-214).

الفصل الثاني: نماذج تطبيقية من التفسير البياني

فدلالة مفردة (ذكرى) كما نرى من خلال هذا الاستقراء، تدل على آيات القرآن أو الوحي الذي أنزله على رسله، أو ذكر الله بصفة عامة.

وعودا على سبق في آية ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ (طه: 14).

يرى صاحب التحرير والتنوير أنّ اللام في (لذكرى) للتعليل، أي أقم الصلاة لأجل أن تذكرني، لأنّ الصلاة تذكر العبد بخالقه، إذ يستشعر أنّه واقف بين يدي الله لمناجاته، ويجوز أن يكون اللام أيضا للتوقيت، أي أقم الصلاة عند الوقت الذي جعلته لذكرى، ويجوز أن يكون الذكر اللساني لأنّ ذكر اللسان يحرك ذكر القلب ويشتمل الثناء على الله والاعتراف بما له من الحق¹.

ومن خلال الاستقراء الذي قمت به سابقا لمفردات الآية، ومن خلال تأملي لها في سياقها هذا، فإن اللام هنا جاءت للاختصاص والاستحقاق، فالصلاة لله ﷻ، وهو وحده المستحق والمختص بهذه العبادة ولا صلاة لغير الله، والصلاة هي عمود الدين وأساس العبادة، وقد أمر الله نبيه بعبادته من خلال ذكره، وعلى هذا يكون تقدير المعنى: أي اذكرني بقيام الصلاة، وهي أول درجات ذكر الله، فالمصلي موصول بالله وفي معية الله دائما، ثم يأتي ذكر الله بالقرآن ثم بالأذكار المأثورة، ثم بالأدعية المشروعة.

كما أنّ الدلالة اللغوية لمفردة (أقم) في هذا الموضع توحى بأنّها صلاة خاصة بأداء معين وعلى هيئة معينة وفي زمن محدّد، فالمعنى الذي اختصت به هذه الآية الكريمة؛ أنّها صلاة فرضت عليه وعلى أمته كما فرضت على المسلمين صلاة، فلكل نبي صلاة خاصة في شريعته ومنهاجه، فقد قال تعالى عن سيدنا زكريا عليه السلام ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾ (آل عمران: 39)، فهي أداء خاص يؤديه وهو قائم على هيئة معينة.

ومما يؤكد هذا التوجيه هو الحدث الذي وقع ليلة الإسراء والمعراج، لما فرضت على النبي صلى الله عليه وسلم خمسين صلاة، فكان مما قاله سيدنا موسى عليه السلام ارجع فاطلب من الله التخفيف فإنّ أمتك لا تطيق هذا، وأرجعه عدّة مرات²، ولو لم تفرض عليه صلاة لما علم أنّ أمته لا تطيق هذا، وما كان ليطلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يسأل الله عزّ وجل التخفيف فيها.

1 - ينظر: المرجع نفسه، (ج16، ص 200-201).

2- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب فرضت الصلوات في الإسراء (ينظر: صحيح البخاري، ص 98-99).

الفصل الثاني: نماذج تطبيقية من التفسير البياني

الفرع الرابع- مثال تطبيقي من سورة الشرح: ونظيره ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ

فَارْغَبْ ۝٨﴾ (الشرح: 8). فالملحظ البياني هو في تقديم (وإلى ربك) على الفعل ارغب، وهو أسلوب بلاغي يفيد القصر والتخصيص، ورأت بنت الشاطيء أن الآية ربطت بما قبلها بواو العطف، فلزم أن يكون التخصيص في (وإلى ربك فارغب) مرتبطا بما قبله، متصلا به.

ووصل الآية بما قبلها، هو الذي يطرد به النسق وتتم وحدة السياق في السورة كلها، فتتعلق رغبة المصطفى بالله وحده؛ الذي أفرغ بال رسوله مما كان يشغله من ضيق الصدر، ووضع عنه الوزر الذي أنقض ظهره، وبشّره بيسر قريب، على وجه اليقين الذي لا شك فيه¹.

الفرع الخامس- مثال تطبيقي من سورة العلق: في قوله تعالى ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ۙ عَبْدًا إِذَا

صَلَّىٰ ۙ ۝١٠ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ ۙ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ۙ ۝١٢ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۙ ۝١٣ أَلَمْ يَعْلَمِ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ۙ ۝١٤﴾ (العلق: 14).

كاد يجمع المفسرون الأفاضل على سبب نزول² الآيات البيئات، واختلف النحاة منهم في توجيه لفظة (أرأيت)؛ التي تكررت هنا ثلاث مرات في آيات متتاليات، دون أن يصرح فيها بالمفعول الثاني للفعل (رأى) على ما تقتضي الصنعة الإعرابية.

فصاحب الكشاف ذهب إلى أن الجملة الشرطية في (أرأيت إن كذب وتولى) في موضع المفعول الثاني لـ (أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى) وعلى هذا التأويل، قرّر أنّ (أرأيت) زائدة قبل الشرط: إن كذب. أما جواب الشرط فيؤخذ من الآية بعده: (ألم يعلم بأن الله يرى)³. وعلى هذا التأويل الذي تبدو فيه (أرأيت) في الجملة الشرطية مقحمة على السياق، تمت للزخشيري تسوية الصنعة بمفعول ثان،

¹ - ينظر: عائشة عبد الرحمن: التفسير البياني للقرآن الكريم، (ج1، ص 72).

² - قيل نزلت في (أبي جهل ابن هشام) كان ينهى محمدا - عليه الصلاة والسلام- عن عبادة الله، وهذا هو الراجح، وهناك رواية أخرى قيل: نزلت في أمية بن خلف، كان ينهى سلمان الفارسي عن الصلاة، ينظر: أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط: المصدر السابق، (ج8، ص 493).

³ - ينظر: الزخشيري: الكشاف، المصدر السابق، (مج 06، ص 405-406).

الفصل الثاني: نماذج تطبيقية من التفسير البياني

ثم تركنا نواجه مجيء جواب الشرط استفهاميا طلبيا غير مقترن بالفاء، خلافا لقواعدهم - كما قالت بنت الشاطيء -¹.

وفي المقابل رفض أبو حيان مذهب الزمخشري، دون أن يتخلص هو أيضا من أغلال الصنعة النحوية، وذكر أنّ المفعول الثاني ل (أرأيت) لا يكون إلا جملة استفهامية، وهو كثير في القرآن الكريم، أما هذه الآية فتخرج عن هذا القانون.

وكذلك رفض مذهب الزمخشري في جعل (ألم يعلم بأنّ الله يرى) جوابا لشرط (إن كذب) محتكما في رفضه إلى القاعدة النحوية؛ التي تقرّر اقتزان جواب الشرط بالفاء، قائلا: "وأما تجويز الزمخشري وقوع جملة الاستفهام جوابا للشرط بغير فاء، فلا أعلم أحدا أجازه، بل نصوا على وجوب الفاء في كل ما اقتضى طلبا بوجه ما، ولا يجوز حذفها إلا في ضرورة شعرية"².

وبالنسبة لرائدة التفسير البياني - بنت الشاطيء - فهي كما عودتنا دائما، تحتكم إلى البيان القرآني فيما اختلفوا فيه، وتراها ظاهرة أسلوبية لافتة في القرآن الكريم، إذ قلّما يتعلق بذكر مفعول ثان في الأسلوب الاستفهامي ب (أرأيت) خطابا للمفرد، أو (أرأيتم) خطابا للجمع. وإثما يستغني عن هذا المفعول، بتقرير يلفت إلى موضع العبرة والنذير، كما في آيات: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِينَ يُكَذِّبُ بِاللِّذِينَ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِينَ يَدْعُوا الْيَتِيمَ ﴿٢﴾﴾ (الماعون: 2).

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا لَأُوتِينَكَ مَا لَمْ نُولَدْنَا ﴿٧٧﴾ أَطَلَعَ الْغَيْبَ أَمْ يَخُذُّ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾﴾ (مريم: 78)؛ ومعها آية (الفرقان: 43)؛ وآية (الجاثية: 23) وآية (النجم: 33)، وكلها آيات مكيات.

ومثلها السؤال التقريري خطابا للجمع في آيات الواقعة ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ (الواقعة: 59). ومثلها من نفس السورة (آية: 63 - 68 - 71)؛ ومعها آيات: (يونس: 59)؛ (الشعراء: 75)؛ (فاطر: 40)؛ (الزمر: 38)؛ (النجم: 19)؛ (الأحقاف: 4).

¹ - ينظر: عائشة عبد الرحمن: التفسير البياني للقرآن الكريم، (ج 2، ص 27).

² - أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط، (ج 8، ص 495).

الفصل الثاني: نماذج تطبيقية من التفسير البياني

فهي إذن ظاهرة أسلوبية لا تتخلف أيضا في سورة العلق، أما بالنسبة لجواب الشرط (إن كذب وتولى) فإنّ البيان القرآني أيضا تجاوز عن ذكر جواب الشرط، لتكون آية (ألم يعلم بأن الله يرى) هي موضع العبرة والبصر والتنبيه، بما يغني عن التعلق بجواب محذوف أو مقدر.

ومثله في القرآن الكريم آيات الأنعام: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ آتَيْنَاكُمْ عَذَابَ اللَّهِ أَوْ آتَيْنَاكُمْ السَّاعَةَ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (40) ومثلها من نفس السورة (آية: 46-47).

ومعها آيتي القصص (71-72)؛ (هود: 28)؛ (فصلت: 25)؛ (يونس: 50).

والاستفهام فيها في موضع جواب الشرط، غير مقترن بالفاء.

ولننظر مع كل هذه الآيات، آية ﴿ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَ لَكُمْ بِإِلْحَاقِكُمْ إِلَيَّ مَا أَنهَيْتُمْ عَنْهُ إِنْ أَرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (هود: 88).

فيهدينا تدبر هذه الظاهرة الأسلوبية إلى أنّ البيان القرآني يستغني فيه عما تأوله النحاة، بالسؤال اللافت إلى ما هو موضع بصر وعبرة، وتربط هذا بما تفهمه من قول الراغب في المفردات: رأى إذا غدّي إلى مفعولين اقتضى معنى العلم، ويجري (أرأيت) مجرى: أخبرني، وأنّ كل ما في القرآن من هذا الأسلوب فيه معنى التنبيه¹.

وعلى هذا الأساس فالمعنى الذي فسّرت به الآية الكريمة: أي أخبرني أيها المخاطب إن كان هذا الساجد محمد ﷺ على الهدى، فكيف تنهاه عنه؟

ولقد استسغت هذا المعنى، وتبادر إلي من وجه الاستفهام معنى آخر، معناه: أفلا تعلم أيها المكذّب أنّه على الهدى وطريق الحق، فيكون بمثابة استفهام إنكاري، تقديره: فهلا ترى أنّه على الحق؟ وفيه أيضا معنى تقريرى توكيدي، ومعناه: ألا ترى أنّه على الهدى والحق، فيزيدك أيها المخاطب، يقينا برسالة محمد ﷺ وتكون الهمزة للتحضيض، ونظيرها (أرأيتم إن كنت على بينة من ربي)، وقد يكون المراد بالاستفهام هنا التوبيخ والتنديم على عدم تصديقه لنبوة خير الخلق، رغم يقينه

¹ ينظر: عائشة عبد الرحمن: التفسير البياني للقرآن الكريم، (ج2، من ص 26 إلى 30) بتصرف.

الفصل الثاني: نماذج تطبيقية من التفسير البياني

بصدقه وأمانته، وقد كانت لنا وقفة سابقة عند لفظة (الهدى) وما تحمله من معان جليلة يفقهها كل من ذاق حلاوة تدبر القرآن الكريم.

المطلب الثاني- اللمحات النفسية ودورها في إثراء المعاني القرآنية:

إنَّ استنطاق الآيات القرآنية من خلال القراءة النفسية، هو أمر مهم في إجلاء المعاني وتثويرها، أو لحسم الأمر في توجيهات تعددت الأقوال فيها. لأن العامل النفسي من شأنه أن يفتح آفاقا جديدة لفهم النص، فالمخاطب بوجدانه والنص بإيجائه يشكِّلان لحمة واحدة في خلق معاني متجددة برؤية وجدانية، وقد تبنى أرباب المدرسة البيانية التفسير النفسي للقرآن الكريم، وجعلوه عمدتهم في فهم الكثير من الآيات القرآنية.

الفرع الأول- مثال تطبيقي من سورة الضحى:

يتجسّد الملحظ النفسي جليا في قوله تعالى

﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾ (الضحى: 7)

وأصل الضلال في اللغة من فقدان الطريق، والضلة الحيرة، ونقيض الضلال: الهدى، واستعمل في العربية حسيا في الصخرة الناتئة في الماء يؤمن بها العثار، وفي وجه النهار ليكشف معالم الطريق فيأمن الضلال، وهذا هو الأصل الحسي للاستعمال المعنوي للضلال والهدى، أما الاستعمال الاصطلاحي الديني للهدى والضلال فهو بمعنى الإيمان والكفر، وقوي هذا المعنى حتى يكاد يكون هو المتبادر عند الإطلاق، ويؤيده استعمال القرآن له في مواضع معينة، منها قوله تعالى ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ﴾ (النمل: 81).

وبناءً عليه قال بعض المفسرين؛ أنّ الضلال في آية الضحى بمعنى الكفر¹، إذ كان ﷺ على أمر قومه أربعين سنة، وأنكر هذا جمهور المفسرين، وردّوه بأنّ الأنبياء يجب أن يكونوا معصومين قبل النبوة وبعدها؛ من الكبائر والصغائر الشائبة، فما بال الكفر؟

¹ - ذكره الرازي معزوا إلى الكلبي والسدي ومقاتل.

الفصل الثاني: نماذج تطبيقية من التفسير البياني

ثم ذهبوا بعد ذلك في تأويل الضلال، مذاهب شتى بلغت في تفسير الرازي وحده عشرين تأويلاً¹، منها الضلال عن القبلة، ومنها الضلال عن الهجرة متحيراً في يد قريش يتمنى فراقهم، ولكن لا يمكنه الخروج بغير إذن من ربه، ومنها الضلال عن أمور الدنيا وشؤون التجارة، فهداه الله فربحت تجارته.

أما أبو حيان فلم يطمئن إلى أقوال المفسرين فيها، فإذا به يقول: أي وجد رهطك ضالاً فهداه بك، على حذف المضاف - أي رهط - ونظيره عنده، قوله تعالى (واسأل القرية) أي أهلها.

أما بنت الشاطي فلم تر حاجة إلى كل هذه التأويلات، بل اكتفت بالرد على من فسروا الضلال بالكفر، ثم إن الاستعمال القرآني لا يلتزم دائماً المعنى الاصطلاحي، وإنما لحظ فيه أن الأصل اللغوي من ضلال الطريق، أو عدم الاهتداء إلى الصواب.

جاء هذا في قوله تعالى على لسان إخوة يوسف لأبيهم ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (8) (يوسف: 08)، وليس الضلال هنا كفراً، وإنما هو الشغف بيوسف، وآيات² أخرى في هذا المقام لا يُحمل فيها الضلال على الكفر.

وترى بنت الشاطي أن الاحتكام إلى القرآن نفسه، يعفينا من التزام المصطلح في لفظ الضلال بمعنى الكفر، ويعفينا من تلك التأويلات المتعددة التي تكلفوها في تفسير الآية، لينفوا الكفر عن سيدنا محمد قبل أن يبعث.

ولا تقول في هذا المقام إلا ما قاله الله تعالى لنبيه المصطفى ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ (الشورى: 52). فقد كانت حالته قبل المبعث حالة حيرة، عاف حال قومه وأنكرها، ولكن أين الطريق المستقيم؟ وكيف المخرج والنجاة؟

ولبث على حيرته أمداً، حتى جاءته الرسالة فهدته إلى الدين القيم وأبانت له سواء السبيل بعد طول حيرة وضلال.

¹ - ينظر: الفخر الرازي: التفسير الكبير، المصدر السابق، 425/8.

² - (آية 20 من سورة الشعراء) حكاية عن موسى عليه السلام في قتل الفرعوني، وفي شهادة رجل وامرأتين (آية 282 من سورة البقرة).

الفصل الثاني: نماذج تطبيقية من التفسير البياني

واستعمل القرآن الكريم في الآيات الثلاث، الفعل (وجد) وهو من أفعال القلوب، ولم يقل مثلاً: أما كنت يتيماً، وكنت عائلاً؛ فسيطر الجو المعنوي النفسي على الموقف، وتهيأت للرسول الطمأنينة الوجدانية لتلقي الآيات الكريمة.

وفي حذف كاف الخطاب من (فأوى- فهدى- فأغنى) رأى بعض المفسرين أنها لرعاية الفواصل، وهو ما لا ترى البيان العالي يتعلق به، وأولى منه قول من قالوا بالحذف لدلالة صريح السياق على المخاطب، وتضيف بنت الشاطئ لطيفة بيانية غرضها الإطلاق، فتحتمل: فأوك وأوى برسالتك اليتامى والمستضعفين، فهداك وهدى بك أمتك، فأغناك وأغناها بك¹.

الفرع الثاني- مثال تطبيقي من سورة طه: في قوله تعالى ﴿وَهَلْ أَبَتْكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ۖ إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ لَمَكُونُ إِنِّي ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي ءَأْتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَىٰ النَّارِ هُدًى ۖ﴾ (طه: 10).

رجح المفسرون الأفاضل في معنى الآية، أنه أراد من يهديني إلى الطريق وكانوا شاتين فضلوا الطريق. وقال ابن كثير: إن لم أجد أحدا يهديني آتيكم بنار توقدون بها²، فكان التقدير: أجد هاديا أو ذا هدى مشرفا على النار، إذ النار لا تخلو من أناس عندها.

ولقد استسغت هذا لأن لفظة (أجد) تؤكد هذا المعنى وترجحه لكن مع تأملنا في لفظة (الهدى) وتتبعها في القرآن الكريم لطالما نجدها توحى بمعان جليلة: هدى الحق وهدى الرسالة، ولأن القرآن الكريم لطالما عودنا أن يعطي للألفاظ معاني هي أبعد من المعاني المألوفة لها، وعلى هذا فيحصل أيضا (هدى الحق) والدليل أنه وجد الهدى وكلم الله وكفى بالله هاديا، وكفى به نورا مبينا.

لفظة (الهدى) مهدت للآيات التي بعدها، وجعلت القارئ يستحضر معنى في ذهنه، لاستكمال باقي القصة، ولو لم يكن هذا المعنى مقصود؛ لعبّر القرآن الكريم بقوله: (أو أجد على النار هاديا). لكن لما عبّر بلفظة (الهدى) كان له دلالة الجمالية الخاصة به، حيث أنّ هذا المعنى ربط بين اللفظة وبين الآيات التي بعدها، فاختره الله لتبليغ رسالته، وأكرمه بتكليمه إياه.

¹ - ينظر: عائشة عبد الرحمن، التفسير البياني للقرآن الكريم، (ج1، من ص 42 إلى ص 54) بتصرف.

² - ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (مج9، ص 316).

الفصل الثاني: نماذج تطبيقية من التفسير البياني

الفرع الثالث- مثال تطبيقي من سورة البلد: في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾¹

جمهور المفسرين ذهبوا إلى أنّ الإنسان هو اسم جنس والراجح أنّه كذلك، فأكثر ما تجيء كلمة الإنسان في القرآن معرفة بـ (ال) الجنس؛ كما بيّنت بنت الشاطيء.

لكن الزمخشري خص الإنسان في هاتاه الآية بمرضى القلب، قال: "أي في مرض وهو مرض القلب وفساد الباطن، يريد الذين علم الله منهم حين خلقهم أنّهم لا يؤمنون ولا يعملون الصالحات"¹.

أما أبو حيان فيما نقل عنه قال: أنّ الإنسان هو آدم².

وبالنسبة لبنت الشاطيء³ فقد رجّحت دلالة الإنسانية لأنها أخص من الآدمية والإنسية، فالإنسان هو الذي يختص بالبيان والجدل ويحتمل التكليف والأمانة والعهد والوصية والابتلاء بالخير والشر، والتعرض للغواية مع ما يلبس ذلك كلّ من غرور وطغيان.

وعلى هذا فأنا أوافقها فيما ذهبت إليه، لأننا إذا تتبعنا كل آيات الإنسان في القرآن الكريم نلاحظ دلالة الإنسانية وتبعاتها من تكليف وأمانة.

أما (كبد) فلم ترد في القرآن صيغة ولا مادة غير هذه المرة.

جاء في لسان العرب مادة (كبد) واحدة الأكباد وهي اللحمة السوداء في البطن وأصل الكبد من وجع الكبد ثم أطلق على الألم بعامة. ومنه أخذ معنى الشدة والمشقة، وفي الحديث "أذنت في ليلة باردة فلم يأت أحد، فقال رسول الله ﷺ (أكبدهم البرد) أي: شقّ عليهم"⁴. وفي قصة موسى والخضر- سلام الله على نبينا وعليهما- (فوجدته على كبد البحر) أي: على أوسط موضع من شاطئه، وكبد كل شيء وسطه ومعظمه، يقال: تكبّدت الأمر، أي: قصدته، وقولهم فلان تضرب إليه أكباد الإبل، أي يرحل إليه في طلب العلم وغيره.

1 - الزمخشري: الكشاف، المصدر السابق (ج 4 ص 744).

2 - ينظر: عائشة عبد الرحمن: التفسير البياني للقرآن الكريم، (ج 1 ص 177).

3 - المرجع نفسه (ص 177).

4 - أورده أبو جعفر العقيلي في (كتاب الضعفاء الكبير)، رقم الحديث: 179، ج 1، ص 113.

الفصل الثاني: نماذج تطبيقية من التفسير البياني

قال أحد اللغويين¹: أي خلقناه منتصباً معتدلاً في كبد، أي: أنه خلق منتصباً يمشي على رجليه، وغيره من سائر الحيوان غير منتصب، ويقال: خلق في كبد يكابد أمر الدنيا والآخرة².

ولفظة (الكبد) من الكلمات التي سأل عنها نافع بن الأزرق ابن عباس رضي الله عنه جاء في نص الرواية: قال فأخبرني عن قول الله وَجَعَلَ (في كبد) ما الكبد؟ قال في اعتدال واستقامة، قال: وهل كانت العرب تعرف ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول³ شاعرهم⁴.

يا عين هلا بكيت أربدا إذ ***** قمنا وقام الخصوم في كبد

جاء في تفسير ابن عباس: قال (لقد خلقنا الإنسان) يعني كلدته بن أسيد (في كبد) معتدل القامة ويقال يكابد أمر الدنيا والآخرة، ويقال في كبد في قوة وشدة⁵، ولقد أورد الطبري هاتين الروايتين في تفسيره وزاد رواية ثالثة له: في شدة في معيشته وحمله وحياته ونبات أسنانه.

واختار الطبري بعدما نقل أقوال المفسرين: في شدة يكابد الأمور، وهذا المعنى في نظره أولى الأقوال بالصواب، لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب؛ من معاني الكبد ومنه الشاهد الشعري⁶.

ولم يختلف المفسرون في أنّ معنى الكبد هي الشدة، لكن أقوالهم شتى في تحديد هذه الشدة، ولقد استبعدت بنت الشاطيء في أنّ معنى المكابدة هنا تنصرف إلى ما ذكر من مشاق الحمل والنمو والعيش والموت والحساب ومرض القلب وفساد الباطن، وإثماً رجّحت أنّه من المكابدة لتبعات التكليف ومخاطر اقتحام العقبة، فلقد هيئ الإنسان بفطرته إلى تحمل المسؤولية ومشقة الاختيار بين

1- نسب هذا القول للفراء.

2- ينظر: ابن منظور: لسان العرب (من ص 374 إلى 376).

3- عائشة عبد الرحمن: الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، (ص 315).

4- هو لبيد بن ربيعة.

5- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، المصدر السابق، (ص 511).

6- الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (مج 15 ص 248).

الفصل الثاني: نماذج تطبيقية من التفسير البياني

الخير والشر، وبعد ذلك بيّنت وجه ارتباطها بالقسم قبله أي: بحال أهل مكة وما اختاروا لأنفسهم من استحلال أذى الرسول ﷺ وهو مقيم بالبلد الحرام¹.

فكان الارتباط واضحا ظاهرا أما ارتباطها بالآيات بعدها فكان أوضح في نظرها، فهذا الإنسان الذي وهب الله له وسائل الإدراك والتمييز وبيّن له معالم الطريقين: الخير والشر فهو في مشقة الاختيار بينهما، ومما زادت به تعزيزا لوجهة نظرها، هو تعبير المولى عز وجل بقوله (خلقنا) بدلا من (جعلنا) فهذه إشارة إلى أنّ الإنسان مخلوق بفطرته لهذه المكابدة، والتي هي على حسب فهمها معاناة المسؤولية وأمانة التكليف.

ولقد رجّح أيضا السامرائي معنى الشدة والمشقة، قال: لقد عبّر عن هذا المعنى بقوله (في كبد) ولم يقل (يكابد) أو (مكابدا) ونحوها من الاشتقاقات، ذلك أنّ (في) تفيد الظرفية والوعاء، ومعناه أنّ الإنسان خلق مغمورا في المشاق والشدائد والصعاب، فهي تحيط به لا تنفك عنه إلى أن يموت، وبعدها إما أن يجتاز العقبة فيدخل الجنة فتزول عنه الشدائد والمصائب وإما أن لا يجتازها فيبقى في المشقات والشدائد أبد الأبد في النار والعياذ بالله، وقال: أنّ السورة كلها مبنية على مكابدة الإنسان للشدائد والمصائب، وكل لفظة وكل تعبير في هذه السورة مبني على ذلك ويخدم هذا الشيء، وارتباط الجواب بالقسم واضح وبلفظ الحلّ؛ والتي في كل معانيها مرتبطة بهذا الأمر.

فهي إذا كانت بمعنى الحال المقيم فهي مرتبطة به، ذلك أنّ الرسول ﷺ في أثناء حلوله بمكة كان يكابد ويتحمل أصناف الأذى والمشاق فهو في كبد، وكان يتلقى ذلك بالصبر والثبات والقوة والشدة، فهي مرتبطة بالكبد أيضا؛ بمعنييه مشقة الأذى ومشقة الصبر والثبات.

وإذا كانت بمعنى اسم مفعول أي: مستحل قتلك وإيذاءك لا تراعى حرمتك فهو أيضا مشقة ونصب، وإذا كانت بمعنى أنك حلّ من أعمالهم، متحرّج من آثامهم بريء منها، فهي مرتبطة بها كذلك، وذلك أنّه يكابد ويجاهد ليخرج عن مألوف عادات قومه وأفعالهم، ويكابد للقيام بفضائل

1 - عائشة عبد الرحمن: التفسير البياني للقرآن الكريم، (ج 1 ص 179).

الفصل الثاني: نماذج تطبيقية من التفسير البياني

الأعمال وجلالها، وهي مستكرهة على النفس ثقيلة عليها، تحتاج إلى مكابدة وقوة للقيام بها، وهي أيضا مرتبطة بقوله (ووالد وما ولد)، ولا ننسى أيضا ارتباطها بما بعدها من اقتحام العقبة ومشاق الجوع وغيرها، ومنه خلص إلى أنّ هذه الآية مرتبطة بالسورة على وجه العموم¹.

بعدها نقلت لكم ترجيح المفسرين الأفاضل في الآية، أود أن أضيف خلاصة تدبري فيها، فلقد استسغت أسباب ترجيحهم لمعنى معين في ذاته؛ دون غيره من المعاني، ذلك أنّ دلالة المشقة هي أصل في مادة (كبد)، وهي إحدى روايات ابن عباس رضي الله عنهما ورُجِّحت لأنها موافقة لاستعمال العربية.

ولكني أرى - والله أعلم - أنّ الجمع بين الروایتين أولى من الترجيح بينهما، ولأنّ الرواية الثانية؛ والتي

مفادها أنّ الإنسان خلق منتصبا في استقامة واعتدال، كما جاءت في موضع آخر ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ

فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ (التين: 04)، هي أيضا معنى قائم بذاته ويحتمله السياق، ولقد تبادر إليّ هذا

المعنى؛ بعدما تأملت الآية في سياقها من السورة، فالآيات التي بعدها بدت لي وكأنّها رشحت لهذا

المعنى من وجه آخر، فلقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقي من قومه مشقة وشدة وهو يبلغ رسالة ربه، فكأنّ

الله - سبحانه وتعالى - يخاطبه تثبيتا له وأنه سينصره، فكان تقدير الكلام (لقد خلقنا هذا الإنسان

في اعتدال واستقامة أو يظن أنّه لن يقدر عليه أحد) فهو تهديد لغروره وإنكار عليه من جهة، وتثبيتا

للسلوة صلى الله عليه وسلم من جهة أخرى، فأنت حينما ترى مظلوما تواسيه وتقول له إنّ الله سينصرك في يوم ما،

وسيعاقب الله الظالم جزاء فعله، لأنّ الله على كل شيء قدير، -ولله المثل الأعلى-، فكان هذا المعنى

تسليّة للنبي صلى الله عليه وسلم ثم بعد ذلك يثبت الله -عز وجل- عليه الحجّة فكأنّه يقول له: (لقد خلقناك في

استقامة واعتدال وجعلنا لك عينين تنظر بهما ولسانا وشفقتين تنطق بهما) ثم بعد ذلك تتجبر وتغتر

بدل أن تشكر نعم الله، وتستعين بها في طاعته وعبادته؛ لا في معصيته ومحاربة رسوله الكريم، ولعلنا

نعضد هذا التخرّيج بسبب النزول، ومعنى الاستقامة والاعتدال أنسب لسياق المقام مع ما يصاحبه

من غرور واستكبار، كما أنّ الآيات التي بعده تزيده جلاءً ووضوحاً.

¹ - فاضل صالح السامرائي: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، (من ص 254 إلى 256).

الفصل الثاني: نماذج تطبيقية من التفسير البياني

فمن ناحية يحتمل المعنى أن يكون تثبيتها للرسول ﷺ وأن الله سينصره على هذا الطاغية، فهو إذن تهديد وتوبيخ له على وجه خاص، ومن ناحية أخرى هو إثبات الحجّة على كل إنسان أنعم الله عليه بنعم لا تعدُّ ولا تُحصى، ثم يتكبر ويطغى فهو إذن تهديد وتوبيخ على وجه العموم.

الفرع الرابع- مثال تطبيقي من سورة الحج: ويتجسد الملحظ النفسي بقوة في قوله تعالى

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ (الحج:02)، فالأم التي لا يثنيها شيء

عن رضاعة صغيرها، حتى في زمن النوم الذي له سلطان قوي على بني البشر، لا تتخلف عن تلك الفطرة الغريزية التي أنعم الله بها على الإنسان وعلى سائر المخلوقات، فكيف بها تتخلف اليوم؟

الأم نعمة ربانية بعطفها وحنانها وتضحيتها، لا أحد يماثلها في حبها الفطري لأبنائها، تشعر بألم صغيرها قبل بكائه، تشعر بحزن ولدها قبل بوحه، وتستشعر ألمه حتى في بعده، الأم منبع العاطفة ومصدر الأمان، ويتجسد حبها الحقيقي في ممارستها لتلك الوظيفة الطبيعية التي وهبها الله إياها لتكون رابطة قوية وعلاقة حميمة ولحظات مقدسة تعيشها مع ولدها، فهي ليست مجرد مصدر غذائي كما تفهم بنات جنسي؛ ممن تخلفن عن تلك الوظيفة، وبعن عاطفة الأمومة بأزهد ثمن.

لن تستشعر هذه الآية الكريمة إلا امرأة مرضعة، ستفقه أكثر من الرجل أنّ أهوال يوم القيامة أكبر من عاطفتها، ومشاهد اليوم الآخر أعتى من خوفها على ولدها، وأحداث اليوم الأكبر أشد ذهولا من حرصها على حياة صغيرها؛ وهي التي عرفت بتضحيتها اللامتناهية، ولذلك ضرب الله بها مثلا.

الفصل الثاني: نماذج تطبيقية من التفسير البياني

الفرع الخامس - مثال تطبيقي من سورة آل عمران: في قوله تعالى ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ

وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (آل عمران: 46)

والكهل في اللغة: الرجل إذا وَخَطَهُ الشيب ورأيت له بَجَالَةً.

والكهل من الرجال الذي جاوز الثلاثين ووَخَطَهُ الشيب، قال ابن الأثير: الكهل من الرجال من زاد على الثلاثين سنة إلى الأربعين، وقيل هو من ثلاث وثلاثين إلى تمام الخمسين، وقد اكتهل الرجل، وكاهل إذا بلغ الكهولة فصار كهلاً.

وقيل: أراد بالكهل ها هنا الحلیم العاقل، وقيل: أراد ومكَلِّمًا النَّاسَ في المهد وكهلاً، والعرب تضع يفعل موضع الفاعل، إذا كان في معطوفين مجتمعين في الكلام.

وقد قيل: إنّه عطف الكهل على الصفة، أراد بقوله: في المهد صبياً وكهلاً، فردّ الكهل على الصفة كما قال: (دعانا لجنبه أو قاعدا) ¹.

وقيل: ذكر الله ﷻ لعيسى عليه السلام آيتين، تكليمه الناس في المهد فهذه معجزة، والأخرى نزوله إلى الأرض، عند اقتراب الساعة كهلاً ابن ثلاثين سنة، يكلم أمة محمد صلى الله عليه وسلم فهذه الآية الثانية.

وجنح الإمام الطبري لهذا الرأي وذكر أنه لما يعود لمقاتلة الدجال يكون كهلاً ² لكن نرى - والله أعلم - أنّ الأمر لا يتعلق بعودته بقدر ما يتعلق بزمن نبوته، فالتكليم في الصغر معجزة لكن التكليم في الكبر هو صفة ملازمة للإنسان الذي أنعمه الله بالبيان، فلماذا ذكره الله سبحانه وتعالى؟

فظاهر كلامه في الصغر أنّه معجزة برّاً بها أمّه، ونحن نعلم أنّه اشترك في التكليم زمن الصغر مع صبي الأخدود، والصبي الشاهد في قصة يوسف عليه السلام، وغيرهما على عدّة روايات. وأتبعه بالكلام في الكبر، ليدل على أنّ كلامه حين الكهولة معجز أيضاً برسالته، فعطفه عليه ليدل أنّ تكليمه في الاثنين معاً هو معجزة، وأفاد حرف (الواو) المغايرة من حيث خاصية المعجزة، فالتكليم الأول كان

¹ - ينظر: لسان العرب، دار المعارف، (د ت ط)، القاهرة - مصر، (ص 3947 - 3948).

² - وهو قول مجاهد، ينظر: تفسير الطبري، (ج 6 ص 419).

الفصل الثاني: نماذج تطبيقية من التفسير البياني

معجزة تقتضي البراءة، والتكليم الثاني معجزة يقتضي إتباع الرسالة والإيمان بما أوحى الله به إليه، ولو لم يكن هذا المعنى مقصودا لذكر (ويكلم الناس في المهدي ومن الصالحين).

ولو اكتفى بقوله (ويكلم الناس في المهدي) لشاهد ذلك بنو إسرائيل عيانا، وصدّقوه حينما برّأ أمه، لكن كلامه في مهده ليس مدعاة للإيمان برسالته فيما بعد، وقد عُرفوا بالجحود والنكران، فالملحظ الذي يوحى السياق به ضمنا يعطف هذه المفردة القرآنية، هو تكذيب قومه له رغم مشاهدتهم لمعجزة كلامه في المهدي، لكن هذا دأبهم وقد وصف الخطاب القرآني كفرهم في الآيات التي تلي دعوته لهم لعبادة الله، قال تعالى ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ مَنْ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّكَ مُسَلِّمُونَ ﴾ (آل عمران: 52).

وتعددت المواضع في القرآن الكريم، والتي تثبت جحودهم وكفرهم رغم مشاهدته معجزاته الحسية عيانا، وعلى هذا الأساس جاءت مفردة (كهلا)، لا لتحديد السن الذي يبعث عليه، بقدر ما دلت على معجزة نبوته وكلامه في هذه الفترة؛ التي تعدّ من أهم مراحل حياته، لارتباطها بزمن نزول الوحي عليه.

وفي الأخير هذا ما جادت به القريحة وفاض به الخاطر، ونسأل الله سبحانه وتعالى العفو والمغفرة، وأن يستعملنا في خدمة القرآن الكريم ويحشرنا مع زمرة الأنبياء والمرسلين.

خاتمة

خاتمة

وهكذا ينتهي ما قدّر الله لنا كتابته حول التفسير البياني للقرآن الكريم، بعد رحلة طويلة للوقوف عند بؤادر نشأته قديماً، وإبراز ملامح تطوره حديثاً، ومع ذلك فهي رحلة ممتعة لتعلّقها بكتاب الله العزيز، وبقي عليّ أن أختم هذه الرسالة ببيان أهم ما جاء فيها:

أولاً- نتائج البحث:

1- نشأ التفسير مبكراً في البيئة الإسلامية، وظهر بداية كعملية تطبيقية وممارسة فعلية؛ غرضها بيان آيات القرآن، واشتهر أول تفسير للقرآن كاملاً في القرن الرابع الهجري، بينما تأخّر تأصيله وظهوره كعلم نظري له مفاهيمه وأساسياته وضوابطه الخاصة، وأول تعريف اصطلاحى للتفسير وصل إلينا كان في القرن الثامن الهجري.

2- لقد بيّن النبي ﷺ آيات الأحكام وأوضحها للناس، كما أمره الله سبحانه وتعالى، وتضاربت وجهات النظر حول قضية تفسيره للقرآن كاملاً؛ فهو أمر يعود لاختلاف المعيار الذي يعتمد عليه كل فريق في تحديد رأيه، وقد تطرّقنا للموضوع وانتهينا فيه لرأي يزيل هذا الالتباس.

3- بين مصطلح التفسير والتأويل علاقة العموم والخصوص، فكل تأويل هو تفسير وليس كل تفسير تأويل، والمقولة التي شاعت على ألسنة الباحثين؛ أنّ التفسير يعتمد فيه على الرواية والتأويل يعتمد فيه على الدراية، هي مقولة لا أطمئن لها، والأصوب من حيث الدقة أن يقال: يعتمد في التفسير على النقل والعقل معاً، بينما يعتمد التأويل على العقل فقط.

4- لاقى مصطلح التأويل تطوراً واسعاً عبر مختلف الأزمنة، فأخذ يتفرع حتى كاد يضع معناه الأصلي، وتتبع تطوره ليس أمراً هيناً، ذلك لوجود أسباب عديدة، وأولها استخدامه في بيئات مختلفة، ثم إنّ اعتباره كظاهرة لغوية يختلف عن اعتباره مصطلحاً استقر مفهومه عند المتأخرين على معنى محدد، فهو في عرف اللغويين مرادف للتفسير، إذ لا يتعارض مع المعنى الظاهر للنص، إنّما يتمكن به من استنباط معانٍ خفية يحتملها اللفظ مع استقامة المعنى الظاهر، وهو في عرف المتكلمين صرف المعنى الظاهر من اللفظ؛ إلى معنى يحتمله بدون قطع أو جزم، مع استحالة المعنى الظاهر، وهو في عرف الأصوليين صرف المعنى الظاهر من اللفظ إلى معنى يحتمله اللفظ مع توافر الدليل. ولعل أكبر جناية - من وجهة نظري - في حق المصطلح هو ذلك الانطباع السلبي الذي التصق به بمجرد التلفظ به، فبقي المصطلح مقروناً بتلك الشحنة السلبية التي عكستها تلك الحساسية الناقصة، ونجم عنها الفهم

خاتمة

القاصر له من قبل سامعيه، ولا شك أنه من الخطأ بمكان أن نقصر الفهم عليه في مجال محدّد، فهو مصطلح واسع يحمل دلالات مختلفة، كما أنّ استخدامه المتعدّد له مبرراته ومقتضياته اللغوية، وما آل إليه حال المصطلح من إقحامه في إثبات انحرافات فرق معينة، أو استخدامه بشكل غير صحيح، لا يبرّر لنا أن نلغي إيجابية المصطلح، فما هو إلا وسيلة وأداة استعملها كل فريق في إثبات كيانه الفكري، وتبرير اختياره العقائدي، ويفرض علينا المنهج العلمي وحب العلم، أن نعيد للمصطلح اعتباره الحقيقي، وننصف وجوده السليم ونزيل عنه تلك الشحنة السلبية التي اقترنت به طوال ربح من الزمن.

5- جاءت لفظة (البيان) ومشتقاتها في ست وثلاثين (36) سورة مكية، وثمانى عشرة (18) سورة مدنية، وبعد استقراء كل مواضعها في القرآن الكريم، قمت بتحليلها وتقديم توجيهات فيها، وأخيراً شققت الاستقراء بمجموعة نتائج من أهمها: أنّ لفظة (البيان) وردت في ثلاث وعشرين (23) موضع من السور المكية والمدنية على حدّ سواء، وهي تدل في كل السياقات على معنيين اثنين؛ فإذا جاءت في سياق قصص الأنبياء فإنها تدل على المعجزات الحسية الظاهرة، وإن جاءت في سياق الجحود من الكفار والمشركين فإنها تدل على الآيات القرآنية المنزلة على سيدنا محمد ﷺ.

وعليه فمشتقات البيان كانت أكثر وروداً في السور المكية، وترددت لفظة (المبين) في سياقات متعددة تحمل دلالات الإنكار والجحود وجزاء الظالمين والكفار، وانفردت عشر سور مكية بهاته المفردة، وتميز القرآن المكي بتناسقه في ورود صيغ البيان، كما تميزت لفظة (البيان) بتناسق ورودها بين السور المكية والمدنية، وجاءت لفظة (البيان) في موضعين من القرآن الكريم، أحدها في سورة الرحمن؛ التي انفردت بالمعنى الاستثنائي المختص بالإنسان الذي فضّله الله على سائر خلقه بتلك النعمة، وموضع في سورة آل عمران الذي دلّ على الكشف وتعلق بآيات القرآن الكريم التي جعلت هداية للناس وموعظة لهم. كما قد كانت معظم المشتقات تدل على الكشف والوضوح والظهور وهذا يدل على شمولية المصطلح وتوسعه لاحتماله كل تلك المعاني الواردة، فمقتضى بيان الإنسان هو توضيحه للمعاني التي تجول بخاطره، ومقتضى معجزات الأنبياء هي كشف القدرات التي أكرمهم الله بها لتدل على صدق دعواهم، فيبين لهم رسالة ربهم ليتبعوه على بينة، وبالتالي كل الدلالات لم تخرج عن معنى الكشف والوضوح.

خاتمة

5- أما دلالة مصطلح (البيان) في اللغة فتحمل معنى عاما شاملا؛ وهو التعبير عن المعاني والمقصود بأي دلالة ووسيلة، وتحمل معنى خاصا يدل على إظهار المقصود بأجمل أسلوب وأبلغ لفظ، وفيما يخص نشأة المصطلح فقد اتخذ أشكالا عدّة؛ وعبر قرون طوال حاول العلماء إيجاد حدّ مناسب يليق بموضوعه ومجاله ووظيفته، وكان الرّماني أوّل من طبّق قضية التفاوت في البيان، وظهرت عنده جلية واضحة بأدلة صريحة حيث ربطها بالإعجاز القرآني، وعلى هذا المنحى سار علماء الإعجاز بعده واقتفوا أثره واتخذ البيان على أيديهم مفهوما جديدا ارتبط بفكرة إعجاز القرآن بأسلوبه البديع، إلى أن تمايزت العلوم على يد -السكاكي- وتفرّعت علوم البلاغة العربية وأصبح البيان مقصورا على أغراض محدّدة، وترسب هذا المفهوم في أذهاننا وأصبح قاعدة مسلّمة في درسنا البلاغي.

6- كشفت الدراسة أنّ البحث عن نشأة هذا اللون من التفسير، كان مختلطا بنشأة البلاغة، والكثير من الباحثين يجعلهما في مصب واحد، لكنني قمت بخطوة عكسية إذ درست خطوات المنهج لأكتشف بواده في النصوص القديمة قبل تحديد معاملة في العصر الحديث؛ من طرف الأستاذ أمين الخولي متأثرا بما سبق من تراثنا العريق، -وقد وقفت عند أعلامه المبرزين آنذاك-؛ وبما قدمه الشيخ محمد عبده في العصر الحديث، وقد لاحظت تأثر - أمين الخولي - بتفسير ابن باديس من عدة أوجه، وخاصة من جهة اهتمامه بالتفسير الموضوعي.

7- كشفت الدراسة بعد تدقيق وتمحيص وتبع لمؤلفات (بنت الشاطي) أنّ التفسير البياني هو عبارة عن مقارنة أسلوبية لفهم النص القرآني، وبيان أسرار تعبيره وإعجازه، ولا يفهم منه التفسير الذي يعنى باستخراج الأغراض البلاغية، إذ أنّ أرباب هذه المدرسة لا يعنون بإيراد المصطلحات؛ قدر اعتنائهم بإظهار خصائص ومميزات البيان العالي، وقد حاولنا إيجاد فروق بين هذا التفسير والتفسير الأخرى المشابهة له، وألحنا إلى أنّ دراسة المصطلحات المجردة تختلف عن دراستها كمصطلحات علمية تشير لعلوم معينة ومناهج قائمة بذاتها كالتفسير اللغوي أو الأدبي أو البلاغي.

8- اقترحت جعل مصطلح (التفسير اللفظي)؛ يقصد به شرح المفردات القرآنية بما جاء في لغة العرب، وجعل مصطلح (التفسير اللغوي)؛ خاصا بالتفسير الذي يستند على مستويات اللغة لاستخلاص المعاني القرآنية، حتى نتخلص من الخلط الواضح في استعمال المصطلحين.

أما التفسير البلاغي فهو الاستعانة بفنون البلاغة لاستخراج ما في الآيات؛ من روعة الأسلوب وبديع النظم وقوة البيان، للتدليل على الإعجاز القرآني.

خاتمة

بينما التفسير الأدبي: هو تلك النظرة الفنية الخاصة للمفسّر، والتي تكشف لك عن المعاني الضمنية الجمالية للآيات القرآنية، وتريك ما فيها من براعة الأسلوب وبلاغة اللغة ورونق الألفاظ؛ حيث تعكس وصف إحساسه وذوقه للنص القرآني والخطاب الرباني، مع التركيز على الجانب النفسي وتحليله وفق خطوات سطرّها أمين الخولي.

9- أثبتت الدراسة نسبة هذا اللون من التفسير لصاحبه (أمين الخولي) الذي اهتم بالجانب النظري فقد رسم خطواته ومعالمه، مسميا إياه (التفسير الأدبي)، وعدلت زوجته (عائشة عبد الرحمن) عن هذا المسمى، وأطلقت عليه (التفسير البياني) وتكفّلت بالدراسة التطبيقية، وأجادت فيها بطريقة استثنائية، وعدولها عن المسمى الأوّل يوحي بعقليتها الانتقائية الفذة، واختيارها لمصطلح (البيان) يليق بقداسة القرآن، ثم إنّ التفسير البياني يتداخل مع أنواع التفاسير الأخرى، فهو يضمّها جميعا ويحتويها، وهي جميعا تشكّلها وتقول إليه، فلا بد من الوقوف على التفسير اللغوي بمختلف مستوياته، كما أنّه لا معنى للتفسير البياني دون التفسير البلاغي؛ الذي يظهر جمالية التعبير القرآني وتفردّه بالنسق العجيب، كما أنّ التفسير الأدبي يوازي مفهوم التفسير البياني، ومن الجيد أن نعيد القول بأنّ التفسير البياني لا يقصد به علم البيان كما رأينا سابقا، وهذا الخطأ وقع فيه كثير من الباحثين؛ الذين أرّخوا لهذا اللون من التفسير.

10- قدم الخولي محاولات تجديدية للأدب والبلاغة والتفسير وكان شعاره (أول التجديد قتل القديم فهما)، ويرى أنّ أفضل ما نقدّمه للبلاغة، هو إبعاد الطريقة الكلامية أو العلمية عن درسها، وإحياء الطريقة الأدبية وتنميتها، ورفض التقسيم الثلاثي لها وربطها بالفن وعلم النفس مؤسسا فكرة الإعجاز النفسي للقرآن، فعلى أساسه يمكننا فهمه برؤية جديدة تضيء عليه معاني تفسيرية قيّمة.

11- إذا كان مصطلح أدبية القرآن الكريم، أثار ضجّة وسط الساحة العلمية، واستعمله الحداثيون بكثرة، وتحفّظ في إطلاقه أصحاب الفكر الإسلامي القويم، فإننا نقف حياله موقفا معتدلا وموضوعيا، فننبه إلى ضرورة فهم مقصدية المتكلم من خلال فهم السياق والأهداف، فإن كان يقصد به دراسة الجوانب الأدبية والجمالية في القرآن؛ مع المحافظة على قداسته، وعدم إجراء آليات النقد عليه، فهنا لا مندوحة من إطلاقه، أما إذا كان يقصد به عمومية اللفظ وشموليته ومعاملة النص القرآني كأى نص أدبي آخر؛ فهنا يمنع إطلاقه وواجب علينا رفض أعمالهم وإنكار صنيعهم، وقد فرّقنا بين مصطلح القراءة الأدبية للقرآن الكريم وبين أدبية النص القرآني.

خاتمة

12- إنّ أصحاب التفسير البياني حافظوا على قداسة القرآن، رغم تركيزهم على الجانب الأدبي في تفسيره، لكن أصحاب الفكر الحدائى ألغوا قداسة القرآن واعتمدوا على عذر يكمن في أنّ اللغة حمّالة أوجه، وجعلوا من أدبيته منفذا للولوج إليه بالطعن، كما ركّز أصحاب التفسير البياني على الإعجاز، بينما نفاه الحدائىون عند تعاملهم مع النصّ القرآني، واعتمدوا على التأويل بكثرة، وكلاهما انطلق من زاوية الاتجاه الأدبي للقرآن، لكنهم اختلفوا من حيث الدوافع والأهداف والمنهج والتطبيق، فالحدائىون يدعون الإخلاص للتراث الإسلامي وخدمته، وفي الحقيقة كانوا ييثون سموما استشراقية وأفكارا عدائية نحو القرآن.

هذه أهم النتائج التي أردت ذكرها في الخاتمة، وسيجد القارئ الكريم نتائج أخرى بين تضاعيف هذه الأطروحة، أما فيما يخص الاقتراحات فهي كالآتي:

ثانيا- التوصيات:

- 1- ضرورة التحري والتدقيق في فهم المفردات وفقا لسياقها عند تحقيق المخطوطات، فقد وقفت على كلمات حدث فيها تصحيف، غير المعنى المراد منها.
- 2- ينبغي على الباحث الذي ينشد الوصول للحقيقة، أن يمتنع عن نقل آراء منسوبة لأصحابها دون فهم عميق، فكثيرا ما يحدث بتر للنصوص من سياقها الأصلي لبناء رأي عليها؛ يعضد ميولا شخصيا، أو اختيارا مذهبيا وفكريا، وقد وقفت على هذا أيضا في أكثر من موقف.
- 3- دعم الجهود التي تحاول النهوض باللغة العربية وإحياء علومها، وربط العلاقة الحميمة بينها وبين أهلها وأبنائها؛ الذين تركوها واشتغلوا عنها بلغات سائر الأمم.
- 4- العمل على ضبط المصطلحات الحديثة لإدراك الفروق بينها، فقد رأينا من خلال هذه الدراسة تداخل مفهوم التفسير البياني بغيره من المصطلحات، ومثلها مصطلحات هذا الفن: كالاتجاه والمنهج وغيرهما، وكذا المصطلحات التي باتت تروج مؤخرا بيننا، دون أن نفهم مغزاها أو نعي مقاصدها، وخاصة تلك المصطلحات الزئبقية مثل أدبية النص القرآني.
- 5- ضرورة التنبيه على خطورة الفكر الحدائى، من خلال تكثيف المؤتمرات العلمية في هذا المجال، ونبذ الدراسات الحدائىة التي تمت للاستشراق بصلة.

خاتمة

6- العمل وفق جماعات لتحقيق معجم يفي بتطور المصطلحات كما ألمح الخولي.

وفي الأخير أرجو أن أكون قد وفقت إلى حد ما فيما كنت أصبو إليه من خلال هذا البحث، على أنني أعتزف بالتقصير والنقص الذي لا يخلو منه عمل بشري، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفقاهة العامة

فقرص الآيات القرآنية

فهرس الآيات القرآنية

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة	الرقم
139، 207	(18)	﴿ صُمُّ بِكُمْ عَمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ ﴾		
67	(37)	﴿ فَلَقِيَ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ ۖ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾		
104	(68)	﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ ﴾		
104	(69)	﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّظِيرِينَ ﴾		
105	(70)	﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ ۚ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾		
105	(87)	﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ۚ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾		
105	(92)	﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ ۚ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾	البقرة	01
105	(99)	﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾		
109	(109)	﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾		
108	(118)	﴿ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾		
106	(159)	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾		
109	(160)	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّوْنَا فَاُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾		

فهرس الآيات القرآنية

110	(168)	﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوًا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَلًا طَيْبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٦٨﴾﴾
71	(169)	﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾
207	(171)	﴿وَمَثَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الذِّبْءِ يَنْعَقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾
139	(179)	﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولَىٰ إِلَّا لِبِئْسَ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾
106	(185)	﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾
156	(185)	﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾
52، 105، 150	(187)	﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾
110	(208)	﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾﴾
106	(209)	﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾
108	(211)	﴿سَلِّ بِنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾
105	(213)	﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَىٰ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ؕ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾
104	(219)	﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾﴾
105	(221)	﴿وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ؕ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَىٰ النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ؕ وَيُبَيِّنُ ءَايَاتِهِ ؕ﴾

فهرس الآيات القرآنية

		﴿ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (221)		
73	(226)	﴿ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (226)		
105	(230)	﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّىٰ تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ، فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (230)		
105	(242)	﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (242)		
285	(245)	﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَصْعَافًا كَثِيرَةً ﴾		
105	(253)	﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾		
90	(255)	﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾		
110	(256)	﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾		
110	(259)	﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (259)		
283	(265)	﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَتَأَنَّتْ أَكَلَهَا ضَعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ ﴾		
105، 153	(266)	﴿ أَيُّودٌ أَحَدَكُمُ، إِنْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (266)		
34، 33، 35	(7)	﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾		
298	(39)	﴿ فَنادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ ﴾		
310	(46)	﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾		
311	(52)	﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ فَنَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّنا مُسْلِمُونَ ﴾ (52)		

آل
عمران

02

فهرس الآيات القرآنية

81	(72)	﴿ وَقَالَتْ طَافِيَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالذِّكْرِ أَنزَلَ عَلَىٰ وَجْهِ النَّهَارِ وَكَفَرُوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿72﴾ ﴾		
111	(97)	﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبْرَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿96﴾ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا ﴿97﴾ ﴾		
112 278	(103)	﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿103﴾ ﴾		
111	(105)	﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿105﴾ ﴾		
112	(118)	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ ءَالَيَاتٍ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿118﴾ ﴾		
112، 125، 136، 205	(138)	﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ ﴿137﴾ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿138﴾ ﴾		
112	(183)	﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنْ أَنَّىٰ لَنَا إِعْهَدُ إِلَيْنَا آلا نُؤْمِنُ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالذِّكْرِ قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ ؕ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿183﴾ ﴾		
112	(184)	﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ ءَالْمُنِيرِ ﴿184﴾ ﴾		
112	(187)	﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَيَسَّ مَا يَشْتَرُونَ ﴿187﴾ ﴾		
112	(19)	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْتُبُوا النِّسَاءَ كُرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِيَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَاءِ أَيْتِمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُّبِينَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ	النساء	03

فهرس الآيات القرآنية

		بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾
112	(20)	﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿٢٠﴾ ﴾
113	(26)	﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ ﴾
113	(50)	﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا ﴿٥٠﴾ ﴾
69	(83)	﴿ وَتُورِدُوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلَّ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴿٨٣﴾ ﴾
113	(91)	﴿ سَتَجِدُونَ آخِرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلٌّ مَا رَدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ وَيَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ فَاخْذُوهُمْ وَأَقْلُبُوهُمْ حَيْثُ تَفْتَمُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿٩١﴾ ﴾
40	(93)	﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ﴾
114	(94)	﴿ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَى إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾
113	(101)	﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا ﴿١٠١﴾ ﴾
113	(112)	﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرَوْهَا فِي بَرِيءٍ فَقَدْ إِحْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾
114	(115)	﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾
113	(119)	﴿ وَلَا ضَلَالَتَهُمْ وَلَا أَمِينَهُمْ وَلَا مَرْثَهُمْ فَلْيُبْتَكَنَّ ءَاذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرْثَهُمْ فَلْيَغْيِرْ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ﴿١١٩﴾ ﴾

فهرس الآيات القرآنية

113	(144)	﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَخْذُوا ءَالِكُفِرِينَ ءَوْلِيَاءَ مِن دُونِ ءَالْمُؤْمِنِينَ ءَأُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلّٰهِ عَلَيْكُمْ سُلْطٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ ﴾		
113	(153)	﴿ يَسْأَلُكَ ءَاهِلُ ءَالِكِتَابٍ أَن تَنْزِلَ عَلَيْهِم كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا ءَالَهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ أَخَذُوا ءَالْعَجَلَ مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ ءَالْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذٰلِكَ وءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ ﴾		
113	(176)	﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ءَاللّٰهُ يُفْتِيكُمْ فِي ءَالْكَلٰلَةِ إِنِ ءَامْرًا هَلَك لِّسَ لَهُ وِلْدٌ وَلَهُ وَا ءَأَخْتٌ فَلَهَا نِصْفٌ مَّا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّم يَكُن لَهَا وِلْدٌ فَإِن كَانَتَا ءِثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ءَالثُلُثَيْنِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوا ءِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَكَرِ مِثْلُ حِظِ ءَالنَّثِيْنِ يَبَيِّنُ ءَاللّٰهُ لَكُمْ ءَأَن تَضِلُّوا وءَاللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾ ﴾		
56	(03)	﴿ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِءَاثِمٍ ﴾		
39	(06)	﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلٰوةِ ﴾		
114	(15)	﴿ يَأْتِيهِمُ ءَالْكِتَابُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِّنَ ءَالْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِّنَ ءَاللّٰهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾		
114	(19)	﴿ يَأْتِيهِمُ ءَالكِتَابُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَّا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وءَاللّٰهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ ﴾		
115	(32)	﴿ مِّن ءَاجِلِ ذٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرٰءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ءَالْءَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ءَالنَّاسَ جَمِيعًا وَمَن أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا ءَالنَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِءَالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِن كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعَدَ ذٰلِكَ فِي ءَالْءَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾		
78	(48)	﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِّنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَآجًا ﴾		
115	(75)	﴿ مَّا ءَالْمَسِيحُ ءِبنُ مَرْيَمَ ءِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وءَامَةٌ صِدْقُهُ ءَكٰنَا يَآكُلُنِ ءَالطَّعَامَ ءَانظُرُ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ءَالآيٰتِ		

فهرس الآيات القرآنية

		ثُمَّ أَنْظِرْ ابْنَ يُوفَىٰ كُونَ ﴿٧٥﴾		
114	(89)	تعالى ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةٌ لِّإِيمَانِكُمْ إِذْ أَحْلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾		
114	(92)	﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴿٩٢﴾		
114، 115	(110)	﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذِ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾		
290	(115)	﴿فَأَنِّي أَعَذِبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾		
90	(07)	﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾		
90	(16)	﴿مَنْ يُصِرْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْنَاهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾		
207	(39)	﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾		
301	(40)	﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَيْكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾		
91، 124	(55)	﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ لَّيْسَ يَشْعُرُونَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾	الأنعام	05
91	(57)	﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِّلِينَ ﴿٥٧﴾		
90	(59)	﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾		
91	(74)	﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ إِذْ أَرَّاتَخَذُ أَصْنَامًا - إِلَهَةً إِنِّي أَرَىٰ بِكَ وَقَوْمِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾		

فهرس الآيات القرآنية

68، 151	(82)	﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ اُولَٰئِكَ لَهُمُ الْاَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾		
127	(96)	﴿ فَالِقُ الْاَصْبَاحِ وَجَعَلَ الَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿96﴾ ﴾		
91	(105)	﴿ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْاٰيٰتِ وَلِيَقُولُوْا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُوْنَ ﴾		
91، 111	(142)	﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوٰتِ الشَّيْطٰنِ اِنَّهٗ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿142﴾ ﴾		
91	(157)	﴿ اَوْ تَقُولُوْا لَوْ اَنزَلَ عَلَيْنَا الْكِتٰبَ لَكُنَّا اَهْدٰى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهٰدٰى وَرَحْمَةً مِّنْ اَطْلَمٌ مِّمَّنْ كَذَّبَ بِآيٰتِ اللّٰهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجِرُهُ اِلٰذِيْنَ يَصْدِفُوْنَ عَنۢ - اٰيٰتِنَا سُوْءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوْا يَصْدِفُوْنَ ﴿157﴾ ﴾		
284	(160)	﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ اَمْثَالِهَا ﴾		
111	(18)	﴿ اَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِيْ مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِيْنٍ ﴿12﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِّنْهَا فَمَا يَكُوْنُ لَكَ اَنْ تَتَّكِبَ فِيْهَا فَاخْرُجْ اِنَّكَ مِنَ الصّٰغِرِيْنَ ﴿13﴾ قَالَ اَنْظِرْنِيْ اِلٰى يَوْمٍ يُبْعَثُوْنَ ﴿14﴾ قَالَ اِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِيْنَ ﴿15﴾ قَالَ فَيَمَّا اَعُوْبَتِنِيْ لِاَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيْمَ ﴿16﴾ ثُمَّ لَا تَبِيْنُهُمْ مِّنْ بَيْنِ اَيْدِيْهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ اَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ اَكْثَرَهُمْ شٰكِرِيْنَ ﴿17﴾ قَالَ اَخْرُجْ مِنْهَا مَذْمُوْمًا مَّدْحُوْرًا لِّمَنۢ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَآ مَلٰٓئِجَ لَهُمْ مِنْكُمْ وَاَجْمَعِيْنَ ﴿18﴾ ﴾		
91	(22)	﴿ وَنَادٰٓهُمْ رٰٓهُمًا اَلَمْ اَنْهٰكُمْ عَنِ الشَّجَرَةِ وَاَقُلْ لَّكُمَا اِنَّ الشَّيْطٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِيْنٌ ﴿22﴾ ﴾		
67	(23)	﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا اَنْفُسَنَا وَاِن لَّا تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُوْنَنَّ مِنَ الْخٰسِرِيْنَ ﴿23﴾ ﴾		
281	(39)	﴿ قَالَ اَدْخُلُوْا فِيْ اَمْرِ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالاِنْسِ فِي الْبَارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ اُمَّةٌ لَعْنَتْ اٰخِنَهَا حَتّٰى اِذَا رَاكُمُ وَاٰرِكُوْا فِيْهَا جَمِيْعًا قَالَتْ اٰخِرُهُمْ لِاٰوَلِيْهِمْ رَبَّنَا هٰٓؤُلَآءِ اَصْلُوْنَا فَتَاتِيْهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ الْبَارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلٰكِن لَّا نَعْلَمُوْنَ ﴿38﴾ وَقَالَتْ اٰوَلِيْهِمْ لِاٰخِرِيْهِمْ فَمَا كَانَتْ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فذُوْقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُوْنَ ﴿39﴾ ﴾		
35، 34	(53)	﴿ هَلْ يَنْظُرُوْنَ اِلَّا تَاوِيْلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَاوِيْلُهُ يَقُوْلُ الَّذِيْنَ نَسُوْهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ﴾		

فهرس الآيات القرآنية

91	(60)	﴿ قَالَ أَمَلًا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرِيكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿60﴾ ﴾		
92	(73)	﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾		
	(73)	﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾		
92	(101)	﴿ تِلْكَ الْأَقْرَبَى نَقِصٌ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴾		
92	(107)	﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿107﴾ ﴾		
207	(179)	﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿179﴾ ﴾		
92	(184)	﴿ أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جَنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿184﴾ ﴾		
115	(06)	﴿ يُجَدِّدُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿6﴾ ﴾		
207	(22)	﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿22﴾ ﴾		
115	(42)	﴿ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَا خْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿42﴾ ﴾	الأنفال	07
116	(43)	﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَبَيِّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكٰذِبِينَ ﴿43﴾ ﴾		
284 285	(101)	﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ حَتَّى نَعْلَمَهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾	التوبة	08
157	(109)	﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ أَمْ مَنْ أَسَّسَ ﴾		

فهرس الآيات القرآنية

		بُنِيَتْهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَاتَّهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ﴿١١٣﴾		
116	(113)	﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ (113)		
116	(114)	﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ (114)		
116	(115)	﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (115)		
92	(02)	﴿ قَالَ الْكٰفِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (2)		
127	(05)	﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴾		
92	(61)	﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ (61)		
92	(13)	﴿ وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (13)	يونس	09
92	(15)	﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آيَاتِ يَسْرَاءٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَسْأَلَهُمْ مِنْ تَلْقَائِهِمْ نَفْسِي إِنْ أَسْبَغْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (15)		
248	(53)	﴿ قُلْ إِي وَرَبِّي ﴾		
93	(74)	﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (74)		
296	(105)	﴿ وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (105)		
93	(06)	﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي هُدًى مِّنَّا وَكُنُوزٍ غَيْرِ ذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾	هود	10

فهرس الآيات القرآنية

		كِتَابِ مُبِينٍ ﴿٦﴾		
93	(07)	﴿ وَلَئِن قُلْتِ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾ ﴾		
93	(28)	﴿ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَءَاتَيْنِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعَمِيَتْ عَلَيْكُمْ أَنْزِلُكُمْ مَوَاطِنَ الْأَنْزَالِ وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾		
93	(53)	﴿ قَالُوا يَا هُوْدُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِ الْعِهْنِ نَاعَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾		
	(63)	﴿ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَءَاتَيْنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَبْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَحْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ ﴾		
93 301	(88)	﴿ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَ لَكُمْ شَيْئًا إِلَّا مَا أَنهَيْتُكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾		
296	(114)	﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي الْبَهَارِ وَزُلْفًا مِنْ اللَّيْلِ ﴾		
93	(01)	﴿ أَلَمْ يَكُنْ لَكَ آيَاتُ الْكُتُبِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ ﴾		
93 287	(05)	﴿ قَالَ يَبْنَئِي لَا تَقْضُ رِيءَ بَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٥﴾ ﴾		
93 303	(08)	﴿ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٨﴾ ﴾		
94	(30)	﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرِيهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾		
286 287	(44)	﴿ يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونًا فِي رِيءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِرِيءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَتَعَبَّرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوا أَضْغَثُ أَحْلَمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَمِ بِعَالِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾		
288	(100)	﴿ وَرَفَعَ أَبُوبِهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رِيءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ قَبْلُ ﴾		

يوسف

11

فهرس الآيات القرآنية

		﴿ قَدْ جَعَلَهَا رِيًّا حَقًّا ﴾		
47، 94	(04)	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ، لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾		
94	(09)	﴿ الْعَرِيَاتُ كُنَّ نَبَوًّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ، وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿9﴾	إبراهيم	12
248	(41)	﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿41﴾		
94	(45)	﴿ وَسَكَنتُمْ فِي مَسْكِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَبَيَّنَّ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ﴿45﴾		
94	(01)	﴿ أَلَمْ تَرَ تِلْكَ آيَاتِ الْكِتَابِ وَقُرْآنِ مُبِينٍ ﴿1﴾		
94	(18)	﴿ إِلَّا مِنْ اسْتَرْقَى السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ، شَهَابٌ مُبِينٌ ﴿18﴾		
130	(75)	﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ ﴿75﴾	الحجر	13
94	(79)	﴿ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لظَالِمِينَ ﴿79﴾ فَانقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمْ لِبِأَمْرٍ مُبِينٍ ﴿79﴾		
94	(89)	﴿ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿89﴾		
95	(04)	﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿4﴾		
95	(35)	﴿ فَهَدَى عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا ابْتِغَى الْمُبِينُ ﴿35﴾		
95	(39)	﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ ﴿39﴾		
95	(43)	﴿ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا يُوحَىٰ إِلَيْهِمْ فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْمُونَ ﴿43﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ﴿43﴾	النحل	14
ب، 49،47، 135، 243	(44)	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا يُوحَىٰ إِلَيْهِمْ فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْمُونَ ﴿43﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿43﴾		

فهرس الآيات القرآنية

248	(47)	﴿ أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾		
95	(64)	﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (64)		
207	(76)	﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (76)		
95	(82)	﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴾ (82)		
95	(89)	﴿ وَزَلَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (89)		
95	(92)	﴿ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (92)		
95	(103)	﴿ وَلَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَبِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ (103)		
	(44)	﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾		
39	(98)	﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ ﴾		
71	(36)	﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾		
96	(53)	﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ (53)		
287	(60)	﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرِّيَاءَ الَّتِي أَرَيْتَكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ﴾	الإسراء	15
283	(75)	﴿ وَلَوْلَا أَن تَبْنَتْنَا لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴾ (74) إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضَعْفَ الْحَيَاةِ وَضَعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ (75)		
296	(78)	﴿ أقمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ ﴾		
216	(80)	﴿ قُلْ لِيَن جِئْتُم بِإِنْسٍ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ ﴾		

فهرس الآيات القرآنية

		بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٩٧﴾		
207	(97)	﴿ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَبِهِدِ الْمُهْتَدِ ۚ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ ۚ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَآ وَبُكْمًا ۚ وَصُمًّا مَأْوِيَهُمْ جَهَنَّمُ ۚ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ۝ ﴾		
96	(101)	﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسَلَّ بِنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُودِي مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ ۝ ﴾		
96	(15)	﴿ هَتُولَاءِ قومُنَا اِتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَّوَلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ ۝ ﴾	الكهف	16
296	(101)	﴿ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ ۝ ﴾		
96	(38)	﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ ۝ ﴾		
96	(73)	﴿ وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ ۝ ﴾	مريم	17
300	(78)	﴿ أَفَرَأَيْتَ إِذْ كَفَرْنَا بِنَاتِنَا وَقَالَ لَأَوْ تَيْبُ مَا لَّا وُودًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اِتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ ۝ ﴾		
304	(10)	﴿ وَهَلْ آتَيْنَاكَ حَدِيثٌ مُوسَىٰ ﴿٩﴾ إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي ءَانِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ ۝ ﴾		
295 298	(14)	﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ ۝ ﴾		
147	(24)	﴿ إِذْ هَبَّ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَبِغِي ﴿٢٤﴾ ۝ ﴾		
297	(42)	﴿ إِذْ هَبَّ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا نُبِيًّا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ ۝ ﴾	طه	18
96	(72)	﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْتِيَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ ۝ ﴾		
153	(119)	﴿ فَقُلْنَا يَا نَادِمُ إِنَّ هَذَا عِدُّوْكَ وَلِرِوَجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴿١١٧﴾ ۝ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَإِنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَبِي ﴿١١٩﴾ ۝ ﴾		

فهرس الآيات القرآنية

111	(120)	﴿ فقلنا يتادّم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ﴿١١٧﴾ إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى ﴿١١٨﴾ وإنك لا تظمؤا فيها ولا تصبحى ﴿١١٩﴾ فوسوس إليه الشيطان قال يتادّم هل أدلك على شجرة الخلد ومملك لا يبلى ﴿١٢٠﴾ ﴾		
297	(124)	﴿ ومن أعرض عن ذكره فإن له معيشة ضنكاً وتحشره يوم القيمة أعجبى ﴿١٢٤﴾ ﴾		
97	(133)	﴿ وقالوا لولا ياتينا بيابة من ربّه أولم تأتيم بينة ما في الصحف الأولى ﴿١٣٣﴾ ﴾		
287	(05)	﴿ بل قالوا أضغاث أحليم بل إفتربه بل هو شاعر فليأنا بيابة كما أرسل الأولون ﴾	الأنبياء	19
97	(54)	﴿ قال لقد كنتم أنتم وءآبؤكم في ضلال مبين ﴿٥٤﴾ ﴾		
309	(02)	﴿ يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكرى وما هم بسكرى ولكن عذاب الله شديد ﴾		
116	(05)	﴿ يتأتها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإننا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام مآشاء ﴾		
116	(11)	﴿ ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير إطمأن به وإن أصابه فنة إنقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ﴿١١﴾ ﴾	الحج	20
117	(14)	﴿ وكذلك أنزلناه آيات بينت وأن الله يهدي من يريد ﴾		
250	(18)	﴿ ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن بين الله فما له من مكرم ﴾		
117	(72)	﴿ وإذ أنبأ عليهم آياتنا بينت تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر		

فهرس الآيات القرآنية

		يَكَادُوبٌ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَلِكُمْ النَّارُ وَعَدَّهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾		
97	(45)	﴿أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾﴾	المؤمنون	21
297	(110)	﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوَكُمُ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾﴾		
117	(01)	﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيٰتٍ بَيِّنٰتٍ لِّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾﴾	النور	22
118	(12)	﴿تَوَلَّآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾		
117	(18)	﴿يَعْظُمُكُمْ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيٰتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾﴾		
118	(25)	﴿يَوْمَ يُذَوِّبُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾		
117	(34)	﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيٰتٍ مُّبِينٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾﴾		
117	(46)	﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيٰتٍ مُّبِينٰتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾﴾		
118	(54)	﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلٰغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾		
117	(58)	﴿كَذٰلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيٰتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾		
117	(59)	﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَدِنُوا كَمَا اسْتَدْنٰ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيٰتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾		
117	(61)	﴿كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيٰتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾﴾		
17	(33)	﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمِثْلِ مَا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ نَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾	الفرقان	23
248	(22)	﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾﴾		
97	(02)	﴿تِلْكَ آيٰتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾﴾	الشعراء	24
97	(30)	﴿قَالَ أَوْلَوْ جِئْتِكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾		
97	(32)	﴿قَالَ فَآتٍ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾﴾		

فهرس الآيات القرآنية

97	(97)	﴿ تَاللّٰهِ اِنْ كُنَّا لَفِي ضَلٰلٍ مُّبِيْنٍ ﴿٩٧﴾ ﴾		
97	(115)	﴿ اِنَّا اِنَّا اِلَّا نَذِيْرٌ مُّبِيْنٌ ﴿١١٥﴾ ﴾		
	(129)	﴿ وَتَتَّخِذُوْنَ مَصٰغِرَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُوْنَ ﴾		
97، 169، 243	(195)	﴿ نَزَلَ بِهٖ الرُّوحُ الْاَمِيْنُ ﴿١٩٣﴾ عَلٰى قَلْبِكَ لِتَكُوْنَ مِنَ الْمُنذِرِيْنَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِيْنٍ ﴾		
97	(01)	﴿ طَسَّ تِلْكَ اٰيٰتُ الْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِيْنٍ ﴿١﴾ ﴾		
97	(13)	﴿ فَاَمَّا جَاءَهُمْ ؕ اٰيٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوْا هٰذَا سِحْرٌ مُّبِيْنٌ ﴿١٣﴾ ﴾		
97	(16)	﴿ وَقَالَ يٰٓاَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنْطِقَ الطّٰيْرِ وَاُوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ اِنَّ هٰذَا لَهٗوَ الْفَضْلِ الْمِيْنِ ﴿١٦﴾ ﴾		
98	(21)	﴿ وَنَفَقَدَ الطّٰيْرَ فَقَالَ مَا لِيْ لَا اَرٰى اَنْهُدَّ اَمْ كَانَ مِنَ الْغٰيْبِيْنَ ﴿٢٠﴾ لَاعْذِبْتَهُ ؕ عَذَابٌ شَدِيْدٌ اَوْ لَا اَذِيْحْنَهُ ؕ اَوْ لِيَاْتِيَنِيْ بِسُلْطٰنٍ مُّبِيْنٍ ﴿٢١﴾ ﴾	النمل	25
98	(75)	﴿ وَمَا مِنْ غٰيْبَةٍ فِى السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ اِلَّا فِى كِتٰبٍ مُّبِيْنٍ ﴿٧٥﴾ ﴾		
98	(79)	﴿ فَتَوَكَّلْ عَلٰى اللّٰهِ اِنَّكَ عَلٰى الْحَقِّ الْمُبِيْنِ ﴿٧٩﴾ ﴾		
302	(81)	﴿ وَمَا اَنْتَ بِهٰدِيٍّ الْعَمٰى عَنِ ضَلٰلَتِهِمْ ؕ ﴾		
98	(02)	﴿ تِلْكَ اٰيٰتُ الْكِتٰبِ الْمُبِيْنِ ﴿٢﴾ ﴾		
98	(18)	﴿ قَالَ لَهُ مُوْسٰى اِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِيْنٌ ﴿١٨﴾ ﴾		
98	(36)	﴿ فَاَمَّا جَاءَهُمْ مُوْسٰى بِآيٰتِنَا بَيِّنٰتٍ قَالُوْا مَا هٰذَا اِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرٰى وَمَا سَمِعْنَا بِهٰذَا فِى ؕ اٰبَاۓنَا الْاَوَّلِيْنَ ﴿٣٦﴾ ﴾	القصص	26
98	(85)	﴿ قُلْ رَبِّىْ اَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدٰى وَمَنْ هُوَ فِى ضَلٰلٍ مُّبِيْنٍ ﴿٨٥﴾ ﴾		
281	(13)	﴿ وَلِيَحْمِلُنَّ اَثْقَالَهُمْ وَاثْقَالًا مَّعَ اَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْءَلَنَّ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ عَمَّا كَانُوْا يَفْتَرُوْنَ ﴾	العنكبوت	27
99	(18)	﴿ وَاِنْ تَكْذِبُوْا فَاَقْدُ كَذَّبَ اَمْرٌ مِّنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلٰى الرَّسُوْلِ اِلَّا الْبَلٰغُ الْمُبِيْنِ ﴿١٨﴾ ﴾		

فهرس الآيات القرآنية

98 130	(35)	﴿ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾		
95	(38)	﴿ وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَّيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكَانِهِمْ وَرِزْقِ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴾ (38)		
296	(45)	﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾		
99	(49)	﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴾ (49)		
99	(50)	﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ (50)		
72	(69)	﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (69)		
99	(09)	﴿ وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُظْلَمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يُظْلِمُونَ ﴾ (9)	الروم	28
99	(47)	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَاَنْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (47)		
99	(11)	﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (11)		
68 151	(13)	﴿ يَبْنِي لَأَشْرِكَ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (13)	لقمان	29
296	(17)	﴿ يَبْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (17)		
118 281	(30)	﴿ يَنْسَاءَ النَّحْيَ مِنْ يَاتٍ مِنْكَنْ بِفَحْشَةٍ مُبِينَةٍ يُضَعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾	الأحزاب	30
118	(36)	﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾ (36)		

فهرس الآيات القرآنية

118	(58)	﴿ وَالَّذِينَ يُدْعُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا بَاكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ (58)		
281	(67)	﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴾		
280 281	(68)	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴾ (64) خٰلِدِينَ فِيهَا أبدًا لَا يُجَدُونَ وَلَا نَصِيرًا ﴿65﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يٰلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ﴿66﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴿67﴾ رَبَّنَا ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمْ لَعْنَا كَثِيرًا ﴿68﴾		
281	(68)	﴿ رَبَّنَا ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمْ لَعْنَا كَثِيرًا ﴾		
99	(03)	﴿ عَلِيمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمٰوٰتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ (3)		
100	(14)	﴿ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَن لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾		
99	(24)	﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعٰبِدٌ هَدَىٰ أَوْ فِي ضَلٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (24)		
283	(37)	﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صٰلِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاؤُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفٰتِ ءَامِنُونَ ﴾ (37)		
100	(43)	﴿ وَإِذْ أَنْجَبْنَا عَلَيْهِمْ ءَابَتَنَا بَيِّنَتٍ قَالُوا مَا هٰذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانْتُمْ يَعْبُدُونَ ءَابَاؤَكُمْ ﴾		
99	(43)	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ ءِذَا هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (43)		
100	(25)	﴿ وَإِن يَكْذِبُوا فَعَدْبُ كَذِبِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنٰتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتٰبِ الْمُنِيرِ ﴾ (25)		
100	(40)	﴿ أَمْ ءَاتَيْنَهُمْ كِتٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْهُ بَلِ إِن يَبْغُوا الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴾ (40)		
100	(17)	﴿ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلٰغُ الْمُبِينِ ﴾ (17)		

فهرس الآيات القرآنية

100	(24)	﴿ إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿24﴾ ﴾		
100	(47)	﴿ إِن أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿47﴾ ﴾		
100	(60)	﴿ أَلَمْ أَعْهَدَ إِلَيْكُمْ بِبَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿60﴾ ﴾		
100	(69)	﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴿69﴾ ﴾		
100	(77)	﴿ أَوْلَمْ يَرَ الْإِنْسَانَ إِذَا خَلَقْتَهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿77﴾ ﴾		
100	(15)	﴿ وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿15﴾ ﴾		
287	(105)	﴿ وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿104﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿105﴾ ﴾		
100	(106)	﴿ إِنَّكَ هَذَا هُوَ الْبَلْتَأُ الْمُعِينُ ﴿106﴾ ﴾		
101	(113)	﴿ وَبَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿113﴾ ﴾		
101	(117)	﴿ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْعَالِيِينَ ﴿116﴾ وَءَاتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ﴿117﴾ ﴾		
101	(156)	﴿ أَمْ لَكُمْ سُلْطَنٌ مُّبِينٌ ﴿156﴾ ﴾		
297	(08)	﴿ أَمْ نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِهِ بَلْ لَمَّا يَدُوقُوا عَذَابَ ﴿08﴾ ﴾		
248	(26)	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ لِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿26﴾ ﴾		
69	(29)	﴿ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿29﴾ ﴾		
282	(59)	﴿ لَا مَرْجَأَ لَهُمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿59﴾ ﴾		
282	(60)	﴿ بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْجَأَ بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْفَقْرَارُ ﴿60﴾ ﴾		
282	(61)	﴿ رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿61﴾ ﴾		
101	(15)	﴿ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكِ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُعِينُ ﴿15﴾ ﴾		
101	(22)	﴿ أَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَلْبِ السَّيِّئِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿22﴾ ﴾		
101	(28)	﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ ﴿28﴾ ﴾		
			الصافات	34
			ص	35
			الزمر	36
			غافر	37

فهرس الآيات القرآنية

		رَبِّ اللَّهِ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ﴿١﴾		
101	(34)	﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ﴾		
101	(50)	﴿قَالُوا أَوْلَمْ نَأْتِكُمْ رُسُلًا مِثْلَ مَا جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى فَاذْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٠﴾﴾		
101	(83)	﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾﴾		
303	(52)	﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ﴿٥٢﴾﴾	الشورى	38
135	(62)	﴿وَلَا يَصُدُّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٢﴾﴾	الزخرف	39
102، 124	(02)	﴿جَمِّ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾﴾		
102	(10)	﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴿١٠﴾﴾	الدخان	40
102	(19)	﴿وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿١٩﴾﴾		
102	(33)	﴿وَأَتَيْنَهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاغٌ مُبِينٌ ﴿٣٣﴾﴾		
102	(17)	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾﴾		
102	(25)	﴿وَإِذْ أَنْتَلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ابْتِغَايَ بَابِنَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾	الجمانية	41
102	(30)	﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٣٠﴾﴾		
102	(07)	﴿وَإِذْ أَنْتَلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾﴾		
102	(32)	﴿وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءٌ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾	الأحقاف	42
118	(14)	﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٤﴾﴾		
66	(19)	﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴿١٩﴾﴾	محمد	43

فهرس الآيات القرآنية

243	(24)	﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (24)		
118	(25)	﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴾		
119	(32)	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِطُّ بِأَعْمَلِهِمْ ﴾ (32)		
119	(01)	﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ (1)		
287	(27)	﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَأَمِينٌ مُّخْلِفين رُءُوسِكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ؕ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾	الفتح	44
	(06)	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنِيءٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ (6)	الحجرات	45
103	(38)	﴿ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ (37) وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ (38)		
103	(50)	﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (49) فَاقْرَأُوا إِلَى اللَّهِ إِنَّ لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (50)	الذاريات	46
103	(51)	﴿ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ إِنَّ لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (51)		
103	(38)	﴿ لَهُمْ سُلُومٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَايَاتٍ مُّسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾	الطور	47
292	(41)	﴿ أَلَا نَزَرُ وَأَنْزَرُ وَزُرْتُ وَأُزْرْتُ وَزُرْتُ أَخْرَىٰ ﴾ (38) وَأَنْ لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ (39) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴾ (40) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴾ (41)		
153	(62)	﴿ أَفَمَن هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْبُونَ ﴾ (59) وَتَصْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴾ (60) وَأَنْتُمْ سَمِدُونَ ﴾ (61) فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴾ (62)	النجم	48
69 178	(17)	﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدْكِرٍ ﴾	القمر	49
119	(04)	﴿ إِرْحَمَنُ ﴾ (1) عِلْمُ الْقُرْآنِ ﴾ (2) خَلَقَ الْإِنسَانَ ﴾ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ (4)	الرحمن	50

فهرس الآيات القرآنية

125، 129، 205				
150، 300	(59)	﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿58﴾ ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ ءَأَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿59﴾ ﴾	الواقعة	51
151	(64)	﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿63﴾ ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ ءَأَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾		
151	(69)	﴿ أَفَرَأَيْتُمْ أَلْمَاءَ الَّتِي تَشْرَبُونَ ﴿68﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ السَّمَاءِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿69﴾ ﴾		
151	(72)	﴿ أَفَرَأَيْتُمْ أَلنَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿71﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿72﴾ ﴾		
150، 151	(82)	﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ ءَأَنْتُمْ تُكذِّبُونَ ﴿82﴾ ﴾		
289	(89)	﴿ فَمَا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿88﴾ فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَحَتَّتْ نَعِيمٍ ﴿89﴾ ﴾		
119	(09)	﴿ هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَأَيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿9﴾ ﴾	الحديد	52
119	(17)	﴿ إِعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ الْآرْضَ بَعْدَ مَوْتِكُمْ ءَأَلَا بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿17﴾ ﴾		
	(25)	﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾		
120	(06)	﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي ءَأِسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿6﴾ ﴾	الصف	53
120	(02)	﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيَّةِ رُسُلًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَأَيِّنُهُ ءَوِزٌ كَرِيمٌ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿2﴾ ﴾	الجمعة	54
120	(06)	﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشْرِهِدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا ءَأَسْتَعَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَفِيءٌ حَمِيدٌ ﴿6﴾ ﴾	التغابن	55
120	(12)	﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿12﴾ ﴾		

فهرس الآيات القرآنية

39 120	(01)	﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبِينَةٍ ﴾	الطلاق	56
284	(04)	﴿ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ۗ ﴿3﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۗ ﴿4﴾	الملك	57
103	(26)	﴿ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ۗ ﴿26﴾		
103	(29)	﴿ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ ۙ أَمَنَّا بِهِ ۚ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۗ ﴿29﴾		
147	(11)	﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ۗ ﴿11﴾	الحاقة	58
289	(38)	﴿ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ۗ ﴿38﴾	المعارج	59
103	(02)	﴿ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ۗ ﴿2﴾		
250	(14)	﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۗ ﴿13﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۗ ﴿14﴾	نوح	60
290	(17)	﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ۗ ﴿17﴾		
206	(25)	﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۗ ﴿18﴾ فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۗ ﴿19﴾ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۗ ﴿20﴾ ثُمَّ نَظَرَ ۗ ﴿21﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۗ ﴿22﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۗ ﴿23﴾ فَقَالَ إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ۗ ﴿24﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ۗ ﴿25﴾	المدثر	61
104، 136 205	(19)	﴿ لَا تَحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۗ ﴿16﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ ۗ ﴿17﴾ فَإِذَا قَرَأَهُ فَانْفَعْ قُرْءَانَهُ ۗ ﴿18﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ۗ ﴿19﴾	القيامة	62
277 278	(10)	﴿ يَقُولُونَ أَمْ نَأْمُرُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْخَافِرِينَ ۗ ﴿10﴾	النازعات	63
213	(36)	﴿ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَىٰ ۗ ﴿36﴾		
291	(37)	﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ۗ ﴿33﴾ يَوْمَ يَقْرَأُ الرَّءُفُ مِنْ أَخِيهِ ۗ ﴿34﴾ وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ ۗ ﴿35﴾ وَصَاحِبِيهِ ۗ ﴿36﴾ وَلِئِنْ لَمْ يَنْبَغِ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ أَنْ يَمْلِكُوا عَلَيْكُمْ سُوءًا يُعْزِبُكُمْ أَنَّ تُقَالُوا إِنَّكُمْ لَطَائِفٌ رَائِدُونَ ۗ ﴿37﴾	عبس	64
104	(23)	﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ ۗ ﴿23﴾	التكوير	65
32	(08)	﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِرَيْبِنِهِ ۗ ﴿7﴾ فَسَوْفَ يَحْأَسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۗ ﴿8﴾	الانشقاق	66

فهرس الآيات القرآنية

67	(3)	﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَبَكُمْ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ انْتَجِمُ الثَّقَابُ ﴾	الطارق	67
44	(14)	﴿ إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ ﴾	الفجر	68
291	(23)	﴿ يَوْمَئِذٍ يَنْذِكُرُ الْإِنْسَانَ وَإِنِّي لَهُ الذِّكْرَى ﴿٢٣﴾ ﴾		
290	(26)	﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقُهُ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ ﴾	البلد	69
305	(04)	﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ ﴾		
293	(17)	﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ ﴾	الضحى	70
302	(07)	﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴿٧﴾ ﴾		
212	(11)	﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرِ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرِ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثِ ﴿١١﴾ ﴾	الشرح	71
299	(08)	﴿ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبِ ﴿٨﴾ ﴾		
308	(04)	﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾	التين	72
127	(04)	﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ ﴾	العلق	73
299	(14)	﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ ﴾		
104	(01)	﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾	البينة	74
104	(04)	﴿ وَمَا نَفَرْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ ﴾		
289	(08)	﴿ ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾	التكاثر	75
275 276	(02)	﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ ﴾	العصر	76
300	(02)	﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ ﴾	الماعون	77
54	(01)	﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ ﴾	النصر	78
54	(03)	﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾		

فقرى الأحمديت النبوية

فهرس الأحدث النبوية

الرقم	طرف الحديث	الراوي الأعلى	الصفحة
01	إن من البيان لسحرا	ابن عمر	ب، 123، 218
02	من نوقش الحساب عذب	عائشة	31
03	اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل	عبد الله بن مسعود	69، 33
04	ما كان النبي - عليه الصلاة والسلام - يفسر شيئا من القرآن، إلا آيا بعدد، علمهن إياه جبريل	عائشة	48
05	ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه	المقدام بن معدي	50
06	إنهما سواد الليل وبياض النهار (تفسير آية حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر).	عدي بن حاتم الطائي	52، 150
07	إن هذا هو التكلف يا عمر	أنس بن مالك	53
08	لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ما أعلمه إلا فهما يعطيه الله رجلا في القرآن	علي بن أبي طالب	53
09	كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد في نفسه وقال: لم يدخل هذا معنا وإن لنا أبناء مثله.	عبد الله بن عباس	54
10	من قال في القرآن برأيه - أو بما لم يعلم - فليتبوأ مقعده من النار.	عبد الله بن عباس	71، 70
11	من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار	الزبير بن العوام	70
12	الحياء والعي شعبتان من الإيمان، والبذاء والبيان شعبتان من النفاق	أبو أمامة الباهلي	124
13	تفسير كلمة الرزق بالشكر (تفسير آية وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون).	ابن عباس	150

فهرس الأحادس النبوة

151	أبو هريرة	أوتيت جوامع الكلم.	14
151	حبش بن خالد	قالت أم معبد تصف النبي -عليه الصلاة والسلام- حلو المنطق كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن.	15
195	علي بن أبي طالب	أدبني ربي فأحسن تأديبي	16
299	أنس بن مالك	فرضت على أمتي خمسين صلاة	17
306	بلال بن رباح	أذنت في ليلة باردة فلم يأت أحد.	18

فقرص الأبيات الشعرية

فهرس الأبيات الشعرية

الرقم	البيت الشعري	الصفحة
01	قيل قم فانظر إليهم ثم دغ عنك السمودا	153
02	يا عين هلا بكيت أريدا إذ قمنا وقام الخصوم في كبد	306
03	إلا الأواري لأيا ما أبينها والنؤي كالحوض بالمظلومة الجلد	123
04	رأت رجلا أمّا إذا الشمس عارضت فيضحى، وأمّا بالعشيّ فيخصرُ	153
05	وليس كل خلاف جاء معتبرا إلا خلافا له حظ من النظر	86
06	لو دب ذر فوق ضاحي جلدها لأبان من آثارهن حدور	123
07	وللحبّ آيات تبين للفتى شحو با وتعرى من يديه الأشاحم	123
08	صدقت رسول الملّيك هلمّ إلينا وفينا أقم	297
09	تخوف الرّحل منها تامكا قردا كما تخوّف عود النّبعه السّفن	152
10	نحن ضربناكم على تنزيله فاليوم نضربكم على تأويله	28

فقرى الأعلام

فهرس الأعلام

الصفحة	الأعلام	الرقم
الألف		
189 ، 167	إبراهيم بن موسى الشاطبي	01
54	أبو موسى الأشعري	02
55 ، 54	أبي بن كعب	03
68 ، 60	أحمد بن حنبل	04
245 ، 124 ، 28 ، 17	أحمد بن فارس	05
166	أحمد بن محمد أبو جعفر النحاس	06
63	آدم بن أبي إياس	07
237 ، 158 ، 157 ، 136 ، 129	أرسطو طاليس	08
63	إسحاق بن راهويه	09
157	إسحاق بن حنين	10
60	إسماعيل السدي	11
304 ، 295 ، 59	إسماعيل بن عمرو بن كثير	12
ب ، ت ، ج ، ح ، خ ، 42 ، 149 ، 182 ، 183 ، 185 ، 196 ، 197 ، 198 ، 200 ، 201 ، 202 ، 203 ، 209 ، 221 ، 222 ، 226 ، 227 ، 228 ، 229 ، 230 ، 232 ، 233 ، 236 ، 237 ، 238 ، 255 ، 257 ، 258 ، 264 ، 265 ، 266 ، 268 ، 271 ، 275 ، 279 ، 280 ، 284 ، 285	أمين الخولي	13

فهرس الأعلام

55، 53	أنس بن مالك	14
الباء		
67، 60، 28، 21	بدر الدين الزركشي	15
145، 142	بدوي أحمد طبانة	16
176، 175	برهان الدين البقاعي	17
73	أبو بكر القرطبي	18
63	أبو بكر بن المنذر النيسابوري	19
174	بهاء الدين السبكي	20
التاء		
39	تاج الدين السبكي	21
145	تمام حسان	22
الجيم		
57	جابر بن زيد الجعفي	23
55	جابر بن عبد الله السلمي	24
260	جادامر	25
19	ابن جزى الكلبي	26
175	جلال بن أحمد التباي	27
23، 24، 39، 42، 45، 52، 56، 152، 155، 176، 251، 268	جلال الدين السيوطي	28
174، 143، 140، 139	جلال الدين القزويني	29
الحاء		
237، 158	الحسين بن عبد الله (ابن سينا)	30
62، 60	الحسن البصري	31
61	أبو حنيفة النعمان	32

فهرس الأعمام

الراء		
18، 35، 43، 45، 78، 111، 135، 136، 170، 171، 172، 228، 242، 277	الراغب الأصفهاني	33
134، 135، 143، 144، 193	ابن رشيق القيرواني	34
63	روح بن عبادة البصري	35
الزاي		
58	زيد بن أسلم	36
54	زيد بن ثابت	37
السين		
174	سراج الدين السبكي	38
175، 235، 265	السعد التفتازاني	39
59	سعيد بن المسيب	40
57، 60، 190	سعيد بن جبير	41
60	سفيان الثوري	42
63	سفيان بن عيينة	43
184	السيد قطب	44
36، 38	سيف الدين الأمدى	45
الشين		
61، 63	شعبة	46
237	شكري عياد	47
260	شلاير ماخر	48
22، 24	شمس الدين محمد الفناري	49
177	شهاب الدين الألوسى	50

فهرس الأعمام

الصاد		
60	صالح السمان	51
251	صخر بن حرب (أبو سفيان)	52
46 ، 42 ، 40 ، 26	صلاح عبد الفتاح الخالدي	53
الضاد		
60	الضحاك	54
، 195 ، 190 ، 146 ، 145 ، 143 310 ، 247	ضياء الدين بن الأثير	55
الطاء		
25	الطاهر بن عاشور	56
59 ، 57	طاووس بن كيسان	57
، 165 ، 164 ، 163 ، 159 ، 139 236 ، 171	الطيب الباقلائي	58
العين		
70	ابن عامر الثعلبي	59
، 60 ، 59	عامر بن شرحبيل الشعبي	60
، 55 ، 49 ، 48 ، 31	عائشة بنت أبي بكر	61
ب ، ت ، ث ، ج ، ح ، خ ، س ، 152 ، 188 ، 185 ، 183 ، 182 ، 181 ، ، 207 ، 205 ، 203 ، 200 ، 190 ، ، 214 ، 213 ، 210 ، 209 ، 208 ، ، 219 ، 218 ، 217 ، 216 ، 215 ، ، 237 ، 236 ، 222 ، 221 ، 220 ، ، 286 ، 277 ، 275 ، 266 ، 264 ، ، 299 ، 293 ، 291 ، 289 ، 288	عائشة عبد الرحمن - بنت الشاطيء -	62

فهرس الأعمام

306 ، 305 ، 304 ، 303 ، 300		
244	أبو العباس المبرد	63
، 74 ، 70 ، 61 ، 57 ، 50 ، 49 ، 33 156 ، 155	عبد الحليم بن تيمية	64
183 ، 182 ، 181 ، 180 ، 75 ، 51	عبد الحميد بن باديس	65
58	عبد الرحمن بن زيد	66
55	عبد الرحمن بن صخر الدوسي (أبو هريرة)	67
64	عبد الرحمن بن محمد ابن أبي حاتم	68
63	عبد الرزاق بن همام	69
24	عبد العظيم الزرقاني	70
، 168 ، 166 ، 165 ، 139 ، 135 237 ، 218 ، 217	عبد القاهر الجرجاني	71
61 ، 57 ، 55 ، 54	عبد الله ابن مسعود	72
54	عبد الله بن الزبير	73
160	عبد الله بن المعتز	74
155 ، 128	عبد الله بن المقفع	75
، 144 ، 143 ، 142 ، 141 ، 140	عبد الله بن الناظم	76
ح ، 57 ، 55 ، 54 ، 53 ، 46 ، 33 ، 33 ، 61 ، 62 ، 65 ، 67 ، 68 ، 69 ، 70 ، 123 ، 125 ، 126 ، 152 ، 153 ، 154 ، 155 ، 190 ، 239 ، 248 ، 278 ، 293 ، 306 ، 308	عبد الله بن عباس	77
55	عبد الله بن عمر	78
253 ، 54	عبد الله بن مسعود	79
58	عبد الله بن وهب	80

فهرس الأعلام

23	عبد الله محمد بن سليمان الكافيجي	81
63	عبد بن حميد	82
249، 28	عبد الملك بن قريب الأصمعي	83
233، 157، 156، 155، 42	أبو عبيدة معمر بن المثنى	84
261	عثمان بن عفان	85
245، 189، 166	عثمان بن يحيى ابن جني	86
150، 52	عدي بن حاتم	87
22	ابن عرفة المالكي	88
175	عز الدين بن جماعة	89
59، 57	عطاء بن أبي رباح	90
61	عقيل	91
190، 154، 60، 59، 57	عكرمة	92
146، 145، 144	أبو علي التنوخي	93
245، 167	أبو علي الفارسي	94
191، 55، 53	علي بن أبي طالب	95
62، 59	علي بن أبي طلحة	96
161، 147، 139، 134، 133، 132	علي بن عيسى الرماني	97
89	عمار ساسي	98
190، 153، 152، 54، 53	عمر بن الخطاب	99
252، 248		
193، 128	أبو عمرو العتايي	100
235، 167	عمرو بن عثمان سيبويه	101
130، 129، 128، 127، 126		
145، 137، 134، 132، 131	عمرو بن قنبر الجاحظ	102
193، 160، 159، 158، 147		

فهرس الأعمام

،242 ،240 ،236 ،217		
الفاء		
،307 ،293 ،185	فاضل صالح السامرائي	103
القاف		
،62 ،59	قتادة بن دعامة السدوسي	104
الكاف		
268	كرادي فو	105
139	كمال الدين بن الزملكاني	106
الميم		
157	مقي بن يونس (أبو بشر)	107
73 ،62 ،60 ،58	مالك بن أنس	108
،73 ،68 ،62 ،60 ،59 ،57 ،17	مجاهد بن جبر	109
190 ،154		
257 ،38 ،37 ،36	محمد أبو حامد الغزالي	110
21 ،20	محمد أبو شهبة	111
263 ،262 ،261 ،255	محمد أركون	112
38 ،37	محمد البغوي	113
171 ،162	محمد بن إبراهيم الخطابي	114
68	محمد بن إدريس الشافعي	115
62 ،54 ،52	محمد بن اسماعيل البخاري	116
60	محمد بن السائب الكلبي	117
64	محمد ابن حبان	118
،153 ،91 ،70 ،63 ،48 ،34	محمد بن جرير الطبري	119
310 ،306 ،290 ،213 ،157		

فهرس الأعلام

24، 137، 138، 139، 140، 141، 142، 143، 144، 146، 148، 168، 172، 174، 194، 217	محمد بن علي السكاكي	120
38، 303، 212، 257	محمد بن عمر الفخر الرازي	121
160، 244	محمد بن مسلم بن قتيبة الدينوري	122
58، 199	محمد حسين الذهبي	123
198، 223	محمد رشيد رضا	124
25	محمد صالح بن عثيمين	125
223	محمد عبد الله دراز	126
ج، 75، 178، 180، 181، 182، 183، 185، 196، 197، 200، 219	محمد عبده	127
ث، 50	محمد متولي الشعراوي	128
199	محمد مصطفى المراغي	129
63	محمد بن يزيد (ابن ماجة)	130
19، 20، 21، 278، 300، 303، 305	محمد بن يوسف (أبو حيان الأندلسي)	131
223	محمود شلتوت	132
22، 124، 136، 168، 169، 170، 174، 183، 194، 278، 293، 294، 305، 300	محمود بن عمر جار الله الزمخشري	133
203	مصطفى صادق الرافعي	134
240	مصطفى ناصف	135
20، 21، 189	مساعد بن سليمان الطيار	136

فهرس الأعمام

59	مسروق بن الأجدع	137
43	مناع بن خليل القطان	138
44، 36، 34	أبو منصور الماتريدي	139
النون		
306، 190، 155، 153، 152، د،	نافع بن الأزرق	140
253	نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني	141
265، 262، 259، 255	نصر حامد أبو زيد	142
الهاء		
194، 193، 171، 160، 143، 288، 234	أبو هلال العسكري	143
الواو		
63	وكيع بن الجراح	144
37	أبو الوليد بن رشد	145
247	الوليد بن عبيد البحري	146
134، 132، 131، 130، 129، 147، 137	ابن وهب الكاتب	147
الياء		
146، 143	يحيى بن حمزة العلوي	148

فقرى الأندلس

فهرس الأشكال

الصفحة	عنوان الشكل	الرقم
84	مخطط الاتجاهات العامة للتفسير	01

فلقردى الرموز

فهرس الرموز

رموز المختصرة	معناها
تح	تحقيق
ت	توفي
هـ	هجري
م	ميلادي
د ت ط	دون تاريخ طبع
د م ط	دون مكان طبع

فقري المصاحف والمراجع

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكرم برودة ورش عن نافع.

أولا- كآ اللغة والمعجم والموسوعات:

- 1- أحمد ابن فارس: مقاييس اللغة، آح: عبد السلام هارون، ط: 1399هـ/1979م، دار الفكر (د م ط).
- 2- أحمد حسن الزيات وفريقه: المعجم الوسيط، طبعة مصورة عن مجمع اللغة العربية في القاهرة.
- 3- أيوب بن موسى أبو البقاء الكفوي: الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، أعدّه للنشر: عدنان درويش، محمد المصري، ط2: 1419هـ/ 1998م، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان
- 4- حسين بن محمد الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، آح: محمد سيد كيلاني، مطبعة مصطفى البابي 1961، القاهرة- مصر.
- 5- عادل نويهض: معجم المفسرين من صدر الإسلام آق العصر الحاضر، ط3: 1409هـ/1988م، مؤسسة نويهض الثقافية (د م ط).
- 6- عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، ط3: 1993م، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان.
- 7- عبد المنعم الحفني: المعجم الشامل للمصطلحات الفلسفية، ط3: 2000، مكتبة مدبولي، القاهرة- مصر.
- 8- مجد الدين الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ط2: 1428هـ/2007م، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.
- 9- محمد بن مكرم جمال الدين ابن منظور: لسان العرب، دار الأبحاث، ط 1: 2008م، بيروت- لبنان.

فهرس المصادر والمراجع

10- محمد مرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد السلام هارون، ط2: 1415هـ/1994م، مطبعة حكومة كويت- الكويت.

11- معجم تفاسير القرآن الكريم: مجموعة باحثين، ط1: 1424هـ/2003م، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت - لبنان.

12- الموسوعة العربية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط2: 1999م، الرياض- المملكة العربية السعودية.

13- يوسف محمد رضا: معجم العربية الكلاسيكية والمعاصرة (معجم ألفبائي موسع في اللغة العربية) ط1: 2006، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت- لبنان.

ثانيا- كتب علوم القرآن والتفسير:

1-المصادر:

14- أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية: رسالة الاكليل في المتشابه والتأويل، ط2: 1366هـ، مكتبة أنصار السنة المحمدية، القاهرة- مصر.

15- بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تح: أبي الفضل الدمياطي، 1427هـ/2006م، دار الحديث - مصر.

16- جلال الأسيوطي: تفسير ابن عرفة، (نسخة محققة)، ط1: 2008م، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

17- جلال الدين السيوطي: إتمام الدراية لقراء النقاية، ضبطه وكتب حواشيه: الشيخ إبراهيم العجوز؛ ط1: 1405هـ/1985م؛ دار الكتب العلمية؛ بيروت - لبنان.

فهرس المصادر والمراجع

- 18- جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، تح: الشيخ شعيب الأرناؤوط، اعتنى به وعلق عليه: مصطفى شيخ مصطفى، ط1: 1429هـ/ 2008م، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت- لبنان.
- 19- جلال الدين السيوطي: التحرير في علم التفسير، تحقيق ودراسة: زهير عثمان، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الكتاب والسنة، تحت إشراف الأستاذ الدكتور: محمد شوقي خضر، 1404هـ/ 1983م، جامعة أم القرى- المملكة العربية الإسلامية، ص 318.
- 20- جلال الدين السيوطي: تناسق الدرر في تناسب السور، تح: عبد القادر أحمد عطا، ط1: 1406هـ/ 1986م، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- 21- الحسين بن مسعود البغوي: معالم التنزيل، تح: مجموعة من الباحثين، ط1: 1409هـ/ 1989م، دار طيبة (د م ط).
- 22- سليمان الطوفي الصرصري: الإكسير في علم التفسير، تح: عبد القادر حسين، ط2: 2002م، مكتبة الآداب، القاهرة- مصر.
- 23- عماد الدين ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تح: مجموعة من الباحثين، ط1: 1421هـ/ 2000م، مؤسسة قرطبة، القاهرة - مصر.
- 24- مجد الدين الفيروز أبادي: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، دار الكتب العلمية، (د ت ط) بيروت- لبنان.
- 25- محمد بن أبي بكر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تح: عبد الله التركي، ط1: 1427هـ/ 2006م، بيروت - لبنان.
- 26- محمد بن أحمد ابن جزى الكلبي: التسهيل لعلوم التنزيل، ضبطه وصححه: محمد سالم هاشم، ط1: 1415هـ/ 1995م، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

فهرس المصادر والمراجع

27- محمد بن جرير الطبري: جامع البيان في تأويل آي القرآن، تح: عبد الله بن محمد بن محسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية الإسلامية، دار هجر، ط1: 1422هـ/ 2001م، القاهرة - مصر.

28- محمد بن سليمان الكافيجي: التيسير في قواعد التفسير، دراسة وتحقيق: ناصر بن محمد المطرودي، ط1: 1410هـ/ 1991م، دار القلم، دمشق - سوريا.

29- محمد بن عمر الفخر الرازي: التفسير الكبير، ط1: 1401هـ/ 1981م، دار الفكر، بيروت - لبنان.

30- محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط، تح: الشيخ أحمد عبد الجواد الموجود والشيخ علي محمد العوض، دار الكتب العلمية، ط1: 1413هـ/ 1993م، بيروت - لبنان.

31- محمود بن عمر الزمخشري: الكشاف عن عيون الأقاويل في وجوه حقائق غوامض التنزيل والتأويل، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود؛ الشيخ علي محمد معوض، ط1: 1418هـ/ 1998م، مكتبة العبيكان، الرياض - السعودية.

2- المراجع:

32- أحمد الشرباصي: قصة التفسير، ط2: 1978م، دار الجيل، بيروت - لبنان.

33- أحمد نصري: المنهج النقدي في تفسير الطبري - أصوله ومقوماته -، ط1: 1433هـ/ 2012م، دار ابن حزم، الدار البيضاء - المغرب.

34- أمير عبد العزيز: دراسات في علوم القرآن، ط2، 1408هـ/ 1988م، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة - الجزائر.

35- أمين الخولي: التفسير نشأته تدرجه تطوره، ط1: 1982، دار الكتاب اللبناني، بيروت - لبنان.

فهرس المصادر والمراجع

- 36- حسن أوب: الحدس فف علوم القرآن والحدس، ط1: 1422هـ/2002م، دار السلام- القاهرة- مصر.
- 37- خالد عبد الرحمن العك: أصول التفسفر وقواعده، ط4: 1424هـ/2003م، دار النفائس، بيروت - لبنان.
- 38- خليل إبراهيم حمودي السامرائف: نماج من التفسفر البباف عند قءماء النحاة واللغوفا، ط1: 1436هـ/2016م، دار العصماء، دمشق- سورفا.
- 39- رشفء جاءل، علوم القرآن الكرفم، مدرسة الأقصى للعلوم الشرعفة- الجزائر، ط5: 1438هـ/2017م.
- 40- سفء أحمد عبد الغفار: التفسفر ومناهجه والنص وتفسفره، كلية الآءاب - جامعة الاسكندرفة، دار المعرفة الجامعفة، 2000 م، مصر.
- 41- سفء قطب: التصوفر الفنف فف القرآن، ط7: 1325هـ/2004م، دار الشروق، القاهرة- مصر.
- 42- طاهر بن عاشور: تفسفر التحرفر والتنوفر، الءار ءونسفة للنشر، 1984م- ءونس.
- 43- طاهر عامر: ءأوفل عند المفسرفن من السلف، دار ابن حزم، ط1: 1436هـ/2011م.
- 44- طاهر يعقوب: أسباب الخطأ فف التفسفر، ط1: 1425هـ، دار ابن الجوزف، المملكة العربفة السعودفة.
- 45- عائشة عبد الرحمن: التفسفر البباف للقرآن الكرفم، ط3 (د ء ط)، دار المعارف، ج 2.
- 46- عائشة عبد الرحمن: التفسفر البباف للقرآن الكرفم، ط8 (د ء ط) دار المعارف، القاهرة- مصر.

فهرس المصادر والمراجع

47- عبد الحميد بن باديس: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، من مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، ط1: 1402هـ/1982م، الجزائر.

48- عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الكتاب العربي 1415هـ/1995م.

49- عبد الفتاح الخالدي: تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، ط3: 1429هـ/2008م، دار القلم، دمشق - سوريا.

50- عبد الفتاح الخالدي: التفسير والتأويل في القرآن، ط1: 1416هـ/1996م، دار النفائس، عمان - الأردن.

51- عبد الله شحاتة: علوم التفسير، ط1: 1421هـ/2001م، دار الشروق، القاهرة- مصر.

52- عبد المجيد المحتسب: اتجاهات التفسير في العصر الراهن، ط3: 1402هـ/1982م، مكتبة النهضة الإسلامية، عمان- الأردن.

53- عقيد خالد العزاوي: البيان في الإعجاز والتناسب في القرآن الكريم، ط1: 1436هـ/2015م، دار العصماء، دمشق- سوريا.

54- فاضل صالح السامرائي: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ط3: 1423هـ/2003م، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان- الأردن.

55- فاضل صالح السامرائي: على طريق التفسير البياني، النشر العلمي، جامعة الشارقة، 1423هـ/2001م.

56- فضل حسن عباس: التفسير أساسياته واتجاهاته، ط1: 1426هـ/2005م، مكتبة دنديس، عمان- الأردن.

فهرس المصادر والمراجع

57- فهد الرومي: بحوث في أصول التفسير ومناهجه، ط 4: 1419هـ، مكتبة التوبة، الرياض-السعودية.

58- قاسم القيسي: تاريخ التفسير، مطبعة المجمع العلمي العراقي 1385هـ/ 1966م، العراق.

59- محمد أبو شهبة: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، مكتبة السنة، ط 4: 1408هـ، القاهرة- مصر.

60- محمد الصادق عرجون: نحو منهج لتفسير القرآن، ط 3: 1399هـ/ 1979م، الدار السعودية للنشر والتوزيع- السعودية.

61- محمد النجدي: القول المختصر المبين في مناهج المفسرين، ط 1: 1412هـ، مكتبة دار الإمام الذهبي للنشر والتوزيع، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الكويت.

62- محمد بلتاجي: دراسات في التفسير، ط: 1989م، مكتبة الشباب.

63- محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، (ط د ت) القاهرة - مصر.

64- محمد حسين الذهبي: علم التفسير، دار المعارف (د ت ط) القاهرة - مصر.

65- محمد رجب البيومي، خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم، المكتبة الأزهرية: 1391هـ / 1971م، مصر.

66- محمد رشيد رضا: تفسير القرآن الحكيم للشيخ محمد عبده، ط 2: 1366هـ/ 1947م، دار المنار بالقاهرة- مصر.

67- محمد علي الرضائي: مناهج التفسير واتجاهاته - دراسة مقارنة في مناهج تفسير القرآن الكريم- ترجمة: قاسم البيضاني، ط 1: 2008م، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي.

فهرس المصادر والمراجع

- 68- محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، ط5: 1411هـ/1991م، دار الضياء، قسنطينة- الجزائر.
- 69- محمد متولي الشعراوي: تفسير القرآن الكريم، (نسخة مصورة).
- 70- محمود النقراشي السيد علي: مناهج المفسرين من العصر الأول إلى العصر الحديث، ط1: 1407هـ/1986م، مكتبة النهضة- القصيم - مصر.
- 71- مساعد الطيار: التفسير اللغوي للقرآن الكريم، ط1: 1422هـ، دار ابن الجوزي، الرياض-
- 72- مساعد الطيار: فصول في أصول التفسير، ط3: 1420هـ/1999م، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الدمام- السعودية.
- 73- مصطفى ديب البغا، محي الدين ديب مستو: الواضح في علوم القرآن، ط2: 1418هـ/1998م، دار العلوم الإنسانية، دمشق - سوريا.
- 74- مصطفى مسلم: مناهج المفسرين- القسم الأول: التفسير في عصر الصحابة، ط1: 1415هـ، دار مسلم للنشر والتوزيع، الرياض- السعودية.
- 75- مناع القطان: الوجيز في أصول التفسير- لطلاب السنة الخامسة الثانوية من المعاهد السعودية، المطبعة السلفية ومكبتها، ط: 1479هـ، الرياض- السعودية.
- 76- مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، ط7، القاهرة - مصر.

ثالثا- كتب الأحاديث النبوية:

- 77- أحمد بن حنبل: المسند، تح: شعيب الأرنؤوط، دار الرسالة.
- 78- شهاب الدين أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، تح: محمد فؤاد عبد الباقي ومحي الدين الخطيب، ط: 2010، دار الكتب السلفية.

فهرس المصادر والمراجع

- 79- محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، ط1: 2002م، دار ابن كثير، بيروت- لبنان.
- 80- محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري: المستدرک على الصحيحين، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.
- 81- محمد بن عيسى الترمذي: الجامع الكبير، تح: مركز البحوث وتقنية المعلومات، ط1: 2014م، دار التأصيل، القاهرة- مصر.

رابعاً- كتب الأدب:

1- المصادر:

- 82- أحمد بن فارس: الصحاحي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، المكتبة السلفية، 1328هـ/1910م.
- 83- إسحاق بن إبراهيم بن سليمان الكاتب ابن وهب: البرهان في وجوه البيان، تح: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، ط1: 1967م، مطبعة العاني، بغداد- العراق.
- 84- بدر الدين بن مالك ابن الناظم: المصباح في المعاني والبيان والبدیع، تح: حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب، مصر.
- 85- بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح: محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول سلام، ط4: (د ت ط) دار المعارف، القاهرة- مصر.
- 86- الحسن ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تح: مجموعة من الباحثين، ط2: 2013م، دار مداد، قسنطينة- الجزائر.

فهرس المصادر والمراجع

- 87-الحسن بن عبد الله أبو هلال العسكري: الصناعتين: الكتابة والشعر، تح: مفيد قميحة، ط: 1981، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.
- 88-الحسن بن عبد الله أبو هلال العسكري: الفروق اللغوية، ضبطه وحققه حسام الدين القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، سنة 1981م.
- 89-سراج الدين السكاكي: مفتاح العلوم، المطبعة الميمنية، نشر البابي الحلبي وأخويه، مصر.
- 90-ضياء الدين ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، ط1: 1380-1960م، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة - القاهرة.
- 91-عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة- مصر.
- 92-عبد الله بن عبد المجيد بن مسلم بن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، شرحه ونشره السيد أحمد صقر، دار التراث، ط2: 1393هـ/1973م.
- 93-عثمان بن جني: الخصائص، تح: محمد علي النجار، ط3: 1406م، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.
- 94-علي بن عيسى الرُّماني: النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة- مصر.
- 95-عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، ط1: 1418هـ/1998م، مكتبة الخانجي بالقاهرة - مصر.
- 96-كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني: البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، تح: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، ط1: 1974م، مطبعة العاني، بغداد- العراق.

فهرس المصادر والمراجع

- 97- محمد بن الطيب الباقلائي: إعجاز القرآن، تح: أحمد صقر، دار المعارف (ط د ت)، مصر.
- 98- محمد بن عبد ربه: العقد الفريد، تح: أحمد أمين وآخرين، لجنة التأليف والترجمة والنشر 1953م، القاهرة- مصر.
- 99- محمد بن محمد التنوخي: الأقصى القريب في علم البيان، مطبعة السعادة، 1327هـ، القاهرة- مصر.
- 100- محمد بن يزيد أبو العباس المبرد: الكامل في اللغة والأدب، ط3: 1417هـ/1997م، دار الفكر العربي، القاهرة
- 101- محمود بن عمر جار الله الزمخشري: أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، ط2: 2010، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.
- 102- معمر بن المثنى أبو عبيدة: مجاز القرآن، تعليق: محمد فؤاد سزكين، ط1: 1374هـ/1954م، مطبعة الخانجي بمصر.
- 103- يحيى بن حمزة العلوي: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ط: 1333هـ، مطبعة المقتطف بمصر.

2-المراجع:

- 104- إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب- نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري-، ط4: 1404هـ/1983م، بيروت- لبنان
- 105- أمجد الطرابلسي: نقد الشعر عند العرب حتى القرن الخامس للهجرة، ترجمة إدريس بلمليح، ط: 1993، دار تيقال للنشر، الدار البيضاء- المغرب.
- 106- أمين الخولي: فن القول، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة - مصر (د ت ط).

فهرس المصادر والمراجع

- 107- أمين الخولي: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، ط: 2003م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، القاهرة- مصر.
- 108- بدوي طبانة: علم البيان، ط6: 1396هـ/1976م، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر.
- 109- بكري شيخ أمين: التعبير الفني في القرآن الكريم، دار الشروق، الطبعة4: 1400هـ/1980م، بيروت - لبنان.
- 110- خالد العزاوي: المنهج البياني في تفسير القرآن في العصر الحديث، دار العصماء، 1433هـ/2012م، دمشق- سوريا.
- 111- سليمان معوض: مدخل إلى الأدب العربي، المؤسسة الحديثة للكتاب، 2008، طرابلس- لبنان.
- 112- شكري عياد: من وصف القرآن يوم الدين والحساب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة- مصر.
- 113- شوقي ضيف، البلاغة تطوّر وتاريخ، ط9، دار المعارف، القاهرة- مصر.
- 114- عائشة عبد الرحمن: الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، ط3، (د ت ط) دار المعارف، القاهرة.
- 115- عائشة عبد الرحمن: القرآن وقضايا الإنسان، (د ت ط) دار المعارف، القاهرة- مصر.
- 116- عائشة عبد الرحمن: لغتنا والحياة، ط2 (د ت ط) دار المعارف، القاهرة- مصر.
- 117- عائشة عبد الرحمن: مقال في الإنسان- دراسة قرآنية- ط3 (د ت ط) دار المعارف، القاهرة- مصر.

فهرس المصادر والمراجع

- 118- عبد العال سالم مكرم: القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، ط1: 2000، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة- مصر.
- 119- عبد القادر حسين: أثر النحاة في البحث البلاغي، ط1: 1975، مطبعة نهضة مصر، القاهرة- مصر.
- 120- علي مهدي زيتون: إعجاز القرآن وأثره في تطور النقد الأدبي، دار المشرق، ط2: 2009، بيروت - لبنان.
- 121- عمار الساسي: الإعجاز البياني في القرآن الكريم، ط1: 1423هـ/2003م، دار المعارف، بوفاريك- الجزائر.
- 121- عمر حسن القيام: أدبية النص القرآني (بحث في نظرية التفسير)، ط1: 1432هـ/2011م، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا- الولايات المتحدة الأمريكية.
- 122- فاضل صالح السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، شركة العاتك لصناعة الكتاب، القاهرة- مصر، ط2: 1427هـ/2006م.
- 123- كامل سعفان، المنهج البياني في تفسير القرآن الكريم، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط1، 1981م.
- 124- محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ترجمة وتعليق: هاشم صالح، ط3: يناير 2012م، دار الطليعة، بيروت - لبنان.
- 125- محمد العمري: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ط2: 2010، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء- المغرب.
- 126- محمد الكريم الكواز: الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، ط1: 1426م، دار الكتب الوطنية- بنغازي.

فهرس المصادر والمراجع

- 127- محمد زغلول سلام: أثر القرآن في تطور النقد العربي في آخر القرن الرابع الهجري، ط1: 1952، القاهرة- مصر.
- 128- محمد زغلول سلام: أثر القرآن في تطور النقد العربي، دار المعارف، القاهرة- مصر.
- 129- محمد كريم الكواز: أبحاث في بلاغة القرآن الكريم، ط1: 2006، الانتشار العربي، بيروت- لبنان.
- 130- محمود عكاشة، الدلالة اللفظية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة- مصر.
- 131- مختار عطية: علم البيان وبلاغة التشبيه في المعلقات السبع، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية- مصر، 2004.
- 132- مصطفى شريقن: أسلوب الالتفات في القرآن الكريم وأسراره، دار الخلدونية، ط1: 1430هـ/2009م، القبة - الجزائر.
- 133- مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ط9: 1393هـ/1973م، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.
- 134- مصطفى ناصف: نظرية المعنى، ط2: 1981م، دار الأندلس.
- 135- نصر حامد أبو زيد: إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي 2001م.
- 136- نصر حامد أبو زيد: الخطاب والتأويل، ط2: 2005م، الدار البيضاء، بيروت - لبنان.
- 137- نصر حامد أبو زيد: مفهوم النص - دراسات في علوم القرآن، ط1: 1990م، المركز الثقافي العربي.

1-المصادر:

- 138-إبراهيم بن موسى الشاطبي: الموافقات، تح: أبو عبيدة مشهور آل سلمان، دار ابن عفان، ط1: 1417هـ/1997م، المملكة العربية السعودية.
- 139-أبو علي بن محمد الأمدي: الإحكام في أصول الأحكام، تح: عبد الرزاق عفيفي، ط1: 1424هـ/2003م، دار الصميعة، المملكة العربية السعودية.
- 140-عبد الحليم بن تيمية: مجموعة الفتاوى، اعتنى بها وخرّج أحاديثها: عامر الجزار؛ أنور الباز، ط3: 1426هـ/2005م، دار الوفاء، المنصورة - مصر.
- 141-عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون: المقدمة، تح: عبد محمد الدرويش، ط1: 1425هـ/2004م، دار يعرب،
- 142-محمد أبو حامد الغزالي: المستصفي من علم الأصول، تح: حمزة بن زهير حافظ، (د ت ط) المدينة المنورة- السعودية.
- 143-محمد بن أحمد أبو الوليد بن رشد: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، تح: محمد عمارة، ط3 (د ت ط)، دار المعارف، القاهرة - مصر، ص 12.
- 144-نصر بن علي بن محمد الشيرازي ابن أبي مريم: الموضح في وجوه القراءات وعللها، تح: عمر حمدان الكبيسي، ط1: 1414هـ/1993م، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، جدة- السعودية.

2-المراجع:

- 145-آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، ط1: 2005 م، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، وزارة المجاهدين - الجزائر.

فهرس المصادر والمراجع

- 146- أحمد أمين: ضحى الإسلام، ط: 1997 م، مكتبة الأسرة، القاهرة - مصر.
- 147- أحمد محمد سالم: الجذور العلمانية في الفكر التجديدي عند أمين الخولي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: 2005 م، القاهرة- مصر.
- 148- أمين الخولي: من هدي القرآن (القادة والرسول)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2002 م، مصر.
- 149- بهجت عبد الغفور الحديثي: القصيدة الإسلامية وشعراؤها المعاصرون في العراق، ط: 1: 2011 م، المكتب الجامعي الحديث.
- 150- حامد شعبان: أمين الخولي والبحث اللغوي، ط: 1: 1980 م، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة- مصر.
- 151- الحسين زروق: جهود الأمة في الإعجاز البياني للقرآن الكريم، ط: 1: 1434 هـ/ 2013 م، دار السلام، الإسكندرية- مصر.
- 152- الزبير رحال: الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية، ط: 1: 2009 م، دار الهدى، عين مليلة - الجزائر.
- 153- عائشة عبد الرحمن: القرآن وقضايا الإنسان، (د ت ط) دار المعارف، القاهرة- مصر.
- 154- عبد العزيز فيلاي: التفسير عند الإمام عبد الحميد بن باديس واحتفال الأمة به، ط: 1: 2017 م، دار الهدى، عين مليلة - الجزائر.
- 155- علي إدريس، مدخل إلى مناهج البحث العلمي لكتابة الرسائل الجامعية، ط: 1985 م، الدار العربية للكتاب؛ دار القلم- تونس.
- 156- فتحي الدريني: المناهج الأصولية، مؤسسة الرسالة، ط: 3: 1434 هـ/ 2013 م، بيروت - لبنان.

فهرس المصادر والمراجع

157- كامل سعفان: أمين الخولي شيخ الأمناء، الدار المصرية اللبنانية، ط1: 1319هـ/1998م، القاهرة-مصر.

158- محمد أركون: الفكر الإسلامي- قراءة علمية، ترجمة: هاشم صالح، ط2: 1996م، مركز الإنماء القومي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت- لبنان.

159- محمد أركون: الفكر الإسلامي واستحالة التأصيل، ترجمة وتعليق: هاشم صالح، ط3: 2007م، دار الساقى، بيروت - لبنان.

سادسا- كتب التراجم والطبقات:

160- إبراهيم بن علي ابن فرحون المالكي: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح: د- محمد الأحمدى أبو النور، (د ت ط)، دار التراث، القاهرة- مصر.

161- أبو بكر بن أحمد ابن القاضي شهبة: طبقات الشافعية، اعتنى بتصحيحه وعلق عليه: د- الحافظ عبد العليم خان، ط 1307هـ/ 1987م، دار الندوة الجديدة، بيروت- لبنان.

162- أحمد بن حسن بن الخطيب ابن قنفذ: الوفيات، تح: عادل نويهض، ط2: 1978م، دار الآفاق الجديدة، بيروت- لبنان.

163- أحمد بن علي الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ط: 1349هـ/ 1931م، مكتبة الخانجي- القاهرة، مصر.

164- أحمد بن محمد شمس الدين بن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: د- إحسان عباس، ط: يناير 1971م، دار الثقافة، بيروت- لبنان.

165- أحمد بن مصطفى (طاش كبرى زادة)، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، ط1: 1405هـ/ 1985م، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

فهرس المصادر والمراجع

166- أحمد تيمور باشا، ضبط الأعلام، دار إحياء الكتب العربية، ط1: 1366هـ/1947م القاهرة - مصر.

167- تاج الدين السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، تح: عبد الفتاح محمد الحلو؛ ومحمود محمد الطناحي، ط1: 1383هـ/1964م، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة - مصر.

168- جلال الدين السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2: 1399هـ/1979م، دار الفكر - مصر.

169- جلال الدين السيوطي: طبقات الحفاظ، تح: علي محمد عمر، ط 1393هـ/ 1973م، مكتبة وهبة - بيروت - لبنان.

170- جلال الدين السيوطي: طبقات المفسرين، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر، (د ت ط)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

171- جمال الدين القفطي: إنباه الرواة على أبناء النحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1: 1406هـ / 1986م، مطبعة محمد هاشم الكتبي بدمشق - سوريا.

172- حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط7: 1965م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة - مصر.

173- حسين الحاج حسن: أعلام في العصر العباسي، ط1: 1985م، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان.

174- خير الدين الزركلي: الأعلام، ط 8: تموز 1989م، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان.

فهرس المصادر والمراجع

- 175- زين الدين بن عبد الرحمن ابن رجب الحنبلي: ذيل طبقات الحنابلة، تح: محمد حامد الفقي، ط: 1953م، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة- مصر.
- 176- شمس الدين الذهبي: تذكرة الحفاظ، ط: 1975م، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
- 177- شمس الدين الذهبي: سير أعلام النبلاء، حققه: أكرم البوشي، ط: 2: 1404هـ / 1984م، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان.
- 178- شمس الدين الذهبي: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تح: علي محمد البجاوي، (د ت ط)، دار الفكر، بيروت - لبنان.
- 179- شهاب الدين أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ط 1978م، دار الفكر، بيروت - لبنان.
- 180- شهاب الدين أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، درا إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان.
- 181- شهاب الدين أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، ط 1: 1327هـ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند.
- 182- شهاب الدين أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني: لسان الميزان، ط 2: 1390هـ / 1971م، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.
- 183- صلاح الدين الصفدي: الوافي بالوفيات، تح: هلموت ريتزفيسادي، ط: 1921، المطبعة الهاشمية، دمشق- سوريا.
- 184- ضياء الدين ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، (د ت ط)، دار الفكر، بيروت - لبنان.

فهرس المصادر والمراجع

185- عبد الحي بن أحمد ابن عماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط2: 1399هـ/
1979م، دار المسيرة، بيروت - لبنان.

186- عبد الرحمن أبو البركات محمد الأنباري: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تح: محمد أبو الفضل
ابراهيم، ط1: 1418هـ/1998م، دار الفكر العربي، القاهرة - مصر.

187- علي أدهم: بعض مؤرخي الإسلام، (د ت ط)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

188- علي بن الحسين أبي الحسن المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط5: 1983م، دار
الأندلس، بيروت - لبنان.

189- عماد الدين أبو الفداء ابن كثير: البداية والنهاية، ط5: 1404 هـ / 1980م، مطبعة محمد
هاشم الكتبي بدمشق، سوريا.

190- عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، (د ت ط)، مكتبة دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

191- فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي، نقله إلى العربية: د- محمد فهمي حجازي، ود- فهمي أبو
فضل، ط 1977م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة - مصر.

192- كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربية: د- عبد الحليم النجار، ط 5، دار
المعارف.

193- محمد بن أحمد الصالحي: طبقات علماء الحديث، تح: أكرم البوشي، ط1: 1409هـ/
1989م، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.

194- محمد بن إسحاق ابن النديم: الفهرست، ط 1348هـ، المطبعة الرحمانية، مصر.

195- محمد بن سعد الواقدي: الطبقات الكبرى، (د ت ط)، دار الفكر العربي.

فهرس المصادر والمراجع

- 196- محمد بن علي الداودي: طبقات المفسرين، (د ت ط)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- 197- محمد بن علي الشوكاني: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة - مصر.
- 198- ياقوت الحموي: معجم الأدياء - إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب-، تح: إحسان عباس، ط1: 1993م، بيروت- لبنان.

سابعاً- الرسائل العلمية:

- 199- باب العياط نور الدين: المنهج البياني في تفسير القرآن الكريم - بنت الشاطئ نموذجاً- مذكرة لنيل شهادة الماجستير في القرآن والدراسات الأدبية، تحت إشراف الدكتور: الجيلالي سلطاني، جامعة وهران، السنة الجامعية: 2006/2007م.
- 200- رحيم الأمين الإندونيسي: بنت الشاطئ وجهودها في التفسير البياني، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير، تحت إشراف الأستاذ الدكتور: رابح دوب، 1427هـ/2006م، جامعة قسنطينة- الجزائر.
- 201- عبد الرحيم فارس: شوائب التفسير في القرن الرابع عشر الهجري، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية، إشراف الأستاذ الدكتور: أنس جميل طبارة، 1426هـ/2005م.
- 202- فائقة إدريس عبد الله: التفسير في القرن الأول الهجري، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، إشراف الأستاذ الدكتور: عبد الباسط إبراهيم بلبول، عام 1404 / 1405هـ.
- 203- فهد الرومي: إتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري، رسالة لنيل شهادة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين، المملكة العربية السعودية، العام الجامعي: 1404هـ/1405هـ، ج1، ص 967-968.

204- أمين الخولي: التفسير معالم حياته منهجه اليوم، مقال مصور، سنة النشر: 1944م، مجلة جماعة الكتاب، القاهرة- مصر.

205- حازم محي الدين: التفاسير القرآنية في مصر الحديثة - عرض ونقد-، مقال بمجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث، المجلد 5، العدد العشرون، سنة: 1431هـ/2010م.

206- خالد السعيداني: نماذج من مساهمة علماء المسلمين في المنهج الاستردادي، مقال الكتروني، تحميل يوم: 2017/10/18، على الساعة- 19:09.

207- دراسة تأصيلية لنشأة التفسير وتطوره ومصادره وأنماطه، أ/ د - زياد علي الجرجاوي، د/ عبد الفتاح عبد الغني الهمص، بحث مقدم للمشاركة بالمؤتمر العلمي الأول لكلية القرآن والدراسات الإسلامية، جامعة أبو ديس - القدس (التفسير بين الأصالة والمعاصرة) 2004/04/29.

208- سليمان عبد الله موسى أبو عذب، الإبداع اللفظي في القرآن الكريم (دراسة نقدية)، مجلة الدراسات والبحوث، تاريخ التحميل: 2018/7/20.

209- الرحمن السلمي: النص القرآني في منظور الدراسة الأدبية: الموقف والمنهج، مقال في مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، العدد الأول، سنة: 2009م، ص 316.

210- عبد السلام حيدر: أمين الخولي ومنهجه الأدبي في التفسير، مقال إلكتروني.

211- عثمان أحمد عبد الرحيم: التجديد في التفسير- نظرة في المفهوم والضوابط-، مجلة الوعي الإسلامي، الإصدار الحادي عشر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- الكويت.

212- فضل حسن عباس: الكلمة القرآنية وأثرها في الدراسات اللغوية، مجلة مركز بحوث السنة والسيرة، العدد الرابع 1409هـ/1989م.

فهرس المصادر والمراجع

213- محمد عباس: المدخل إلى مناهج المفسرين، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، العدد 14، 1428هـ/2007م.

214- قاسم القيسي: التفسير نشأته وتطوره واتجاهاته، تاريخ النشر: 2015/04/29م، تاريخ الاطلاع: 2017/06/06م.

215- بلحسن زين العابدين: التفسير الأدبي للقرآن الكريم ومعاله، 2020/1/04م، 19:09.

تاسعا- المواقع الالكترونية:

216- ملتقى أهل التفسير: <http://vb.tafsir.net>. Tafsir35881

217- موقع ويكيبيديا: <https://ar.m.wikipedia.org/wiki/>

فقرص المزامين

فهرس المضمين

الصفحة	الموضوعات
	البسمة
	إهداء
	شكر وتقدير
أ	مقدمة
14	الباب الأول: بواذر التفسير البياني
15	الفصل الأول: مقدمات حول علم التفسير
16	المبحث الأول: مفهوم التفسير والتأويل
16	المطلب الأول: التفسير في اللغة
19	المطلب الثاني: التفسير في الاصطلاح
26	المطلب الثالث: الفرق بين التفسير والتأويل
27	الفرع الأول: التأويل في اللغة
30	الفرع الثاني: التأويل في الاصطلاح
42	الفرع الثالث: أقوال في الفرق بين التفسير والتأويل
47	المبحث الثاني: علم التفسير وضوابطه
47	المطلب الأول: نشأة علم التفسير
52	الفرع الأول: التفسير في عصر الصحابة
57	الفرع الثاني: التفسير في عصر التابعين
62	الفرع الثالث: التفسير في عصر ما بعد التابعين
65	المطلب الثاني: أنواع التفسير وأقسامه
67	الفرع الأول: التفسير بالمأثور
69	الفرع الثاني: التفسير بالرأي
72	المطلب الثالث: شروط المفسر وآدابه

فهرس المضمين

72	الفرع الأول: ما يتعلق بأداب المفسر
73	الفرع الثاني: ما يتعلق بالعلوم الواجب معرفتها
76	الفرع الثالث: ما يتعلق بمنهجية التفسير
78	المبحث الثالث: مناهج التفسير واتجاهاته
78	المطلب الأول: تعريف المنهج والاتجاه
78	الفرع الأول: تعريف المنهج
81	الفرع الثاني: تعريف الاتجاه
83	المطلب الثاني: الاتجاهات العامة للتفسير
88	الفصل الثاني: تتبع ملامح التفسير البياني عبر المراحل الزمنية
89	المبحث الأول: استقراء لفظة (البيان) ومشتقاتها في القرآن الكريم
89	المطلب الأول: استقراء المواضع في السور المكية
104	المطلب الثاني: استقراء المواضع في السور المدنية
121	المطلب الثالث: نتائج الاستقراء
123	المبحث الثاني: مفهوم البيان لغة واصطلاحاً
123	المطلب الأول: مفهوم البيان في اللغة
126	المطلب الثاني: البيان في الاصطلاح
149	المبحث الثالث: ملامح التفسير البياني من القرن الأول إلى القرن السابع الهجري
150	المطلب الأول: عصر النبوة والصحابة
155	المطلب الثاني: القرن الثاني إلى القرن الرابع الهجري
166	المطلب الثالث: القرن الخامس إلى القرن السابع الهجري
174	المبحث الرابع: ملامح التفسير البياني من القرن الثامن إلى القرن الرابع عشر الهجري
174	المطلب الأول: القرن الثامن إلى القرن الثالث عشر الهجري
178	المطلب الثاني: القرن الرابع عشر الهجري
186	الباب الثاني: تطور وتأصيل التفسير البياني في العصر الحديث
187	الفصل الأول: التفسير البياني مفهومه وخصائصه

فهرس المضمين

188	المبحث الأول: التفاسير اللغوية - دراسة تأصيلية-
188	المطلب الأول: تعريف التفسير اللغوي والأدبي والبلاغي
189	الفرع الأول: تعريف التفسير اللغوي
192	الفرع الثاني: تعريف التفسير البلاغي
195	الفرع الثالث: تعريف التفسير الأدبي
201	المطلب الثاني: مفهوم التفسير البياني من منظور بنت الشاطئ والفرق بينه وبين أنواع التفاسير اللغوية الأخرى
205	الفرع الأول: دلالة مفردة (البيان) في كتاب (القرآن وقضايا الإنسان)
209	الفرع الثاني: دلالة مفردة (البيان) في كتاب (التفسير البياني للقرآن الكريم)
213	الفرع ثالث: دلالة مفردة (البيان) في كتاب (الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق)
217	الفرع الرابع: الخلاصة
222	المطلب الثالث: معالم التفسير الأدبي
224	الفرع الأول: دراسة حول القرآن
226	الفرع الثاني: دراسة في القرآن
232	المبحث الثاني: قضايا حول التفسير البياني
232	المطلب الأول: أهمية البلاغة في التفسير البياني
239	المطلب الثاني: دلالة المفردة القرآنية وأثرها على الإعجاز البياني
239	الفرع الأول: ثنائية اللفظ والمعنى في الميزان
242	الفرع الثاني: المفردة القرآنية ودلالاتها
255	المطلب الثالث: أدبية النص القرآني بين أصحاب الفكر التنويري ورواد التفسير البياني
258	الفرع الأول: تحديد مفهوم مصطلح أدبية النص القرآني
260	الفرع الثاني: منهج الحدائين في معالجة النص القرآني -عرض ونقد-
265	الفرع الثالث: تحديد الفروق الجوهرية بين الاتجاهين الأدبيين
275	الفصل الثاني: نماذج تطبيقية من التفسير البياني
276	المبحث الأول: دراسة في المفردات
276	المطلب الأول: دراسة المفردة من ناحية المعنى اللغوي

فهرس المضمين

276	الفرع الأول: مفردة (العصر)
278	الفرع الثاني: مفردة (الحافرة)
280	المطلب الثاني: دراسة المفردة من ناحية المعنى الاستعمالي في القرآن
281	الفرع الأول: مفردة (الضعف)
287	الفرع الثاني: الفرق بين (الرؤيا والحلم)
289	الفرع الثالث: الفرق بين (النعمة والنعيم)
291	المبحث الثاني: دراسة في المركبات
291	المطلب الأول: أثر التوجيه النحوي والبلاغي في كشف اللمسات البيانية
291	الفرع الأول: مثال تطبيقي من سورة الفجر
294	الفرع الثاني: مثال تطبيقي من سورة البلد
296	الفرع الثالث: مثال تطبيقي من سورة طه
300	الفرع الرابع: مثال تطبيقي من سورة الشرح
303	الفرع الخامس: مثال تطبيقي من سورة العلق
303	المطلب الثاني: اللمحات النفسية ودورها في إثراء المعاني القرآني
303	الفرع الأول: مثال تطبيقي من سورة الضحى
305	الفرع الثاني: مثال تطبيقي من سورة طه
306	الفرع الثالث: مثال تطبيقي من سورة البلد
310	الفرع الرابع: مثال تطبيقي من سورة الحج
311	الفرع الخامس: مثال تطبيقي من سورة آل عمران
314	خاتمة
320	الفهارس العامة
321	فهرس الآيات القرآنية
348	فهرس الأحاديث النبوية
351	فهرس الأبيات الشعرية
353	فهرس الأعلام

فهرس المضمين

363	فهرس الأشكال
365	فهرس الرموز
367	فهرس المصادر والمراجع
391	فهرس المضمين
397	ملخص الدراسة باللغتين العربية والإنجليزية

ملخص العارضة

إنّ هذا البحث الموسوم بـ (التفسير البياني نشأته وتطوره) يعدّ دراسة وصفية تحليلية لاتجاه تفسيري برز في العصر الحديث كمنهج قائم بذاته، واشتهر على يد الباحثة "عائشة عبد الرحمن" - بنت الشاطيء-، والذي أرسى دعائمه وسطرّ خطواته الشيخ "أمين الخولي" مطلقا عليه المنهج الأدبي في القرآن، من هنا كان لزاما علينا أن نفقه مقصود - بنت الشاطيء- من مصطلح التفسير البياني، وندرك خصائصه وخطوات السير عليه، ونقف عند أعلامه ورواده من القدماء والمحدثين.

وتلخص الدراسة إلى تحديد مفهوم التفسير البياني، ومقصود الدكتورة -عائشة عبد الرحمن- من إطلاقه، إذ هو منهج حديث يعنى بمقاربة النص القرآني، وبيان إعجاز أسلوبه وأسرار تعبيره، حيث استطاعت أن تقدمه لنا بأسلوب أدبي راق وعميق، فكان هذا التفسير أحد مظاهر التجديد الأدبي المعاصر، وأحد الرؤى المستجدة في فهم الإعجاز القرآني.

كما يسعى البحث إلى إبراز خصائص هذا الاتجاه التفسيري، وتشخيص ملامحه من خلال تتبع مساره التاريخي، والوقوف على كيفية تأصيله وتطوره في العصر الحديث.

وقد جاءت هذه الدراسة في بابين، وكل باب من فصلين، فكان الباب الأول خاصا بنشأة هذا اللون من التفسير، أما الباب الثاني فخصصناه للحديث عن تطور وتأصيل هذا المنهج التفسيري في العصر الحديث. فالفصل الأول من الباب الأول كان مقدمات حول علم التفسير، حيث تعرضت في المبحث الأول منه لمفهوم التفسير والتأويل والفرق بينهما، وأوردت فيه كل ما استطعت الحصول عليه من تعريفات لهذا العلم، مرتبة وفق سياقها الزمني، ثم عرّجت على مصطلح (التأويل)، لنلاحظ تطور مفهومه عبر الزمن، وفي المبحث الثاني اخترنا الحديث عن نشأة هذا العلم وضوابطه وأنواعه، أما المبحث الثالث فقد جاء لبيان جملة من المسائل المرتبطة ارتباطا وثيقا بهذا العلم.

أما الفصل الثاني من هذا الباب فجاء فصلا تاريخيا تبعت فيه نشأة هذا العلم وبوادره في النصوص القديمة، حيث جاء هو الآخر في ثلاثة مباحث، تطرقت فيه أولا إلى مفهوم البيان عبر العصور، وقمت باستقراء مفردة (البيان) ومشتقاتها من القرآن الكريم، ثم انتقلت في المبحث الثاني إلى الحديث عن ملامح هذا اللون من التفسير في القرون السبعة الأولى؛ من خلال الوقوف على أهم المؤلفات التي كان لها تأثيرا واضحا في بلورة معالم التفسير البياني، حيث اعتمدت على التقسيم الزمني فهو أنسب اعتبار

ملخص الدراسة باللغتين العربية والإنجليزية

في التقسيم، إذ يساعد على استيعاب نشأته تدريجياً كما أنه يحدّد أهمية كل فترة زمنية من حيث الغزارة العلمية، ويُمكّننا من الاطلاع على أهم رواده قديماً، ومعرفة السابق الذي ألمح للفكرة، واللاحق الذي أفاد منها ثم طوّرها بأسلوبه الخاص، والمبحث الثالث تتبّعت ملامحه في القرون الموالية حتى القرن الرابع عشر الهجري.

وفيما يخص الباب الثاني من هذه الدراسة، فقد خصصناه لضبط مفهوم التفسير البياني وتمييز المصطلح من التداخل الحاصل بين التفسير الأدبي واللغوي والبلاغي، محاولين تشخيص ملامحه وإبراز خصائصه وإدراك خطوات السير لتحقيقه، كما عرّجنا على أهم القضايا المتعلقة بهذا التفسير، إذ تعلقه بالدرس البلاغي لا يقل قيمة عن تعلقه بإعجاز القرآن. ليكون الفصل الثاني من الباب الثاني، خاصاً بالدراسة التطبيقية، وجعلناه في مبحثين، متبعين فيه تقسيم "أمين الخولي" لأهم الخطوات التي شكّلت المعالم المنهجية لهذا الاتجاه التفسيري، وأنهت الدراسة بخاتمة مشتملة على أهم النتائج والتوصيات.

الكلمات المفتاحية: التفسير - البيان - النشأة - التطور.

Study summary:

This research, tagged with (rhetorical Interpretation, Its Origin and Development), is a descriptive and analytical study of an interpretive trend that emerged in the modern era as a stand-alone method, and was popularized by the researcher “Aisha Abdul Rahman” - Bint Al Shati’, who laid its foundations and line his steps Sheikh “Amin Al-Khouli”. It is based on the literary approach in the Qur’an, from here it was necessary for us to comprehend the meaning of- Bint al-Shati’ from the term graphical interpretation, and to realize its characteristics with steps to follow it, and to show s (ancients and moderns).

The study concludes by defining the concept of graphic interpretation, and the intention of Dr. Aisha Abdel Rahman from its release, as it is a modern approach concerned with the approach of the Qur’anic text, and a statement of the Miracles of its style and the secrets of its expression, as she was able to present it to us in a refined and deep literary style, this interpretation was one of the manifestations of literary renewal. Contemporary, and one of the emerging visions in understanding the Quranic miracle.

The research also seeks to highlight the characteristics of this explanatory trend, diagnose its features by tracing its historical path, and determine how it is rooted and developed in the modern era.

This study came in two sections, each chapter has two others. The first was specific to the emergence of this type of interpretation, while the second was devoted to talking about the development and consolidation of this explanatory approach in the modern era. The first sections of the first chapter was introductions to the science of interpretation. In the first chapter of it, I exposed the concept of interpretation and the difference between them, and included all the definitions I could get of this science, arranged according to its temporal context, then I came across the term (interpretation), to note the development of Its concept through time, and in the second topic we chose to talk about the emergence of this science and its controls and types. As for the third topic, it came to explain a number of issues closely related to this science.

As for the second sections of this chapter, it came as a historical section in which I traced the emergence of this science and its precursors in the ancient texts, where it came in three parts, in which I first addressed the concept of the statement through the ages, and I extrapolated the word (the statement) and its derivatives from the Holy Qur'an, then moved in The second topic is to talk about the features of this type of interpretation in the first seven centuries; By standing on the most important previous that had a clear influence on crystallizing the parameters of the rhetorical interpretation, as it relied on the temporal division. It is the most appropriate consideration in the division, as it helps to absorb its gradual inception. It determines the importance of each time period in terms of scientific abundance, and enables us to see the most important pioneers in the past, and knowledge of the former who alluded to the idea, and the latter who benefited from it and then developed it in his own style. And the third topic traced its features in the following centuries until the fourteenth century AH.

ملخص الدراسة باللغتين العربية والإنجليزية

With regard to the second chapter of this study, we have devoted it to control the concept of rhetorical interpretation and distinguish the term from the overlap between literary, linguistic and rhetorical interpretation, trying to diagnose its features and highlight its characteristics and realize the steps of progress to achieve it. The value of his attachment to the miracle of the Qur'an. So that the second section of the second chapter is specific to the applied study, and we made it into two sections, following the division of "Amin Al-Khouli" for the most important steps that formed the methodological features of this explanatory trend, and the study ended with a conclusion including the most important results and recommendations.

Key Words: Interpretation, Rhetoric, Foundation, Development